# من والإسلام أحمد بن مميت «قَدَّسَ اللّه رؤحه »

جَمْعُ وَتَرَتِيبُ عَبَدِ الرَّحَمٰنُ بَرْمِحِ مُحَمَّدُ بَرْقُ اللهِ مِهِ دَحَمَهُ اللهِ » وَسَاعَدَهُ أَبِنُهُ مِحِ مُمَّدَ « وَفَقَ هُ اللهِ »

\_ المجلّدالسّابع \_

طبعَ بأمر خَاذِم لِلْخَفَيْنِ لُلْشِيَنِ فَيَنِ لِلْكِكِ فَهُ لَا بَعْدِلِ لَكِيْنِ لِلْكُونِ أَجْ زَل اللّهَ مَثْوُبِتَه أَجْ زَل اللّهَ مَثْوُبِتَه

#### طبعت هـٰـذه الفتّــاوي في

## مُجَبِّعٌ لِلَاكِفَةَ لِالْطَبْ الْجَدِّلْ الْجَدِّفِ لَلْكُولِ الْمُسْكِنَ فَالْ الْسَكِنَ فَالْ

في المدين قرالمنورة تحرب إرشراون

## ۅٙڒٳڒۼۥٝڵۺؖ۠ؽٷٛ؋ڹ۠ڶٳڒؽٚڵۮڡؾٚؾۏۅڷٟڵۏۧۊؘٵڣٚؽ؋ؚڵؚڵڵؖۼۜٷۼۘڔٙڵڵڗۺٙڮ

بالمملكة العكربيكة الشُّعُوديّة عام ١٤٢٥ه - ٢٠٠٤م

🕏 مجمع الملك فهد اطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٥ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد المطنية

ابن تيميه ، أحمد بن عبدالحليم

فتارى شيخ الإسلام أحمد بن تيميه .

۷۱۲ *ص ؛* ۱۷ × ۲۶ سم

ردمك ٦-.٢-.٧٧-.١٩١ (مجموعة)

( V E ) 997.-VV-TV-T

۱ - الفتاوى الإسلامية ۲ - الفقه الحنبلي 1 - العنوان ديوي ۲۰۸٫۶

رقم الإيداع : ۲۰۰۷-۱۹۰۸ (مجموعة) ردمك : ۲-۰۲-۰۷۷-۱۹۹۸ (مجموعة) ۲-۷۷-۰۷۷-۱۹۹۸ (چ ۷ ) الراب الماب الماب

## بِسُ مِلْ اللَّهِ السِّمَ السِّمَ السِّمَ السِّمِينِ مِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

# قال شيخ الإسلام: أحمد بن تيبية قدس الله روحة



الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

اعلم أن «الإيمان والإسلام» يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس فى «حقيقة الإيمان والإسلام» ، ونزاعهم، واضطرابهم ؛ وقد صنفت فى ذلك مجلدات ؛ والنزاع فى ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف .

و نحن نذكر ما يستفاد من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله ، فإن هذا هو المقصود . فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء ؛ بل نذكر من ذلك \_ فى ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله \_ ما يبين أن ردموارد النزاع إلى الله وإلى الرسول خير وأحسن تأويلاً ، وأحسن عاقبة فى الدنيا والآخرة .

فنقول: قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام، بين مسمى « الإسلام » ومسمى « الإيمان » ومسمى « الإيمان » ومسمى « الإسلام ، أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » . وقال: « الإيمان: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

و « الفرق » مذكور فى حديث عمر الذي انفرد به مسلم ، وفى حديث أبي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه ، وكلاها فيه : أن جبرائيل جاءه فى صورة إنسان أعرابي فسأله . وفى حديث عمر : أنه جاءه فى صورة أعرابي .

وكذلك فسر «الإسلام» في حديث ابن عمر المشهور، قال: « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحبح البيت، وصوم رمضان».

وحديث جبرائيل يبين أن « الإسلام المبني على خمس » هو الإسلام نفسه

ليس المبنى غير المبنى عليه ؛ بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلاث درجات : أعلاها « الإحسان » وأوسطها « الإيمان » ويليه « الإسلام » ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليسكل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً ، كما سيأتي بيانه \_ إن شاء الله \_ في سائر الأحاديث ، كالحديث الذي رواه حماد ابن زيد، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن رجل من أهل الشام ، عن أبيه عن الني صلى الله عليه وسلم قال له: « أسلم تسلم . قال : وما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . قال : فأى الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وبالبعث بعد الموت. قال : فأي الإيمــان أفضل ؟ قال : الهجرة . قال : وما الهجرة ؟قال: أن تهجر السوء. قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تجاهد ، أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، ولا تغلل ، ولا تجبن » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عملان ها أفضل الأعمال ، إلا من عمل بمثلهما \_ قالها ثلاثا \_ حجة مبرورة ، أو عمرة » رواه أحمد ، ومحمد بن نصر المروزي .

ولهذا يذكر هذه « المراتب الأربعة » فيقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر السيئات ، والحجاهد من جاهد نفسه لله ». وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو ، وفضالة بن عبيد وغيرها بإسناد جيد ، وهو في « السنن» وبعضه في « الصحيحين » .

وقد ثبت عنه من غير وجه أنه قال: « المسلم من سلم المسلمون من اسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ». ومعلوم أن من كان مأموناً على الدماء والأموال ؛ كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده، ولو لا سلامتهم منه لما ائتمنوه . وكذلك في حديث عبيد بن عمير ، عن عمرو ابن عبسة .

وفي حديث عبد الله بن عبيد بن عمير أيضاً ، عن أبيه عن جده ، أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما الإسلام ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب المكلام . قيل : فما الإيمان ؟ قال : السماحة والصبر . قيل : فمن أفضل المسلمين إسلاماً ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قيل : فمن أفضل المؤمنين إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً . قيل فما أفضل الهجرة ؟ قال : من هجر ما حرم الله عليه . قال : أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت . قال : أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تجاهد الصدقة أفضل ؟ قال : أن تجاهد علك و نفسك ؛ فيعقر جوادك ، ويراق دمك . قال أي الساعات أفضل ؟ قال : أن جوف الليل الغابر » .

ومعلوم أن هـذا كله مراتب بعضها فوق بعض ؛ وإلا فالمهاجر لابد أن يكون مؤمناً ، وكذلك المجاهد ، ولهذا قال : « الإيمان ، السهاحة والصبر » . وقال في الإسلام : « إطعام الطعام ، وطيب الكلام » . والأول مستلزم للثاني ؛ فإن من كان خلقه السهاحة ، فعل هذا بخلاف الأول ؛ فإن الإنسان قد يفعل ذلك تخلقاً ، ولا يكون في خلقه سماحة وصبر . وكذلك قال : « أفضل المسلمين ذلك تخلقاً ، ولا يكون في خلقه سماحة وصبر . وكذلك قال : « أفضل المسلمين

من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وقال : « أفضل المؤمنين إعاناً أحسنهم خلقاً » . ومعلوم أن هذا يتضمن الأول ؛ فمن كان حسن الخلق فعل ذلك .

قيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى ، وكف الأذى وطلاقة الوجه. فكف الأذى جزء من حسن الخلق.

وستأتى الأحاديث الصحيحة بأنه جعل الأعمال الظاهرة من الإيمان كقوله: « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . وقوله لوفد عبد القيس : « آمركم بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم » .

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بدمن إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وفي « المسند » عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » . وقال صلى الله عليه وسلم: إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب » . فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً ، بخلاف العكس .

وقال سفيان بن عيينة : كان العاماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : من أصلح سريرته ؛ أصلح الله علانيته . ومن أصلح ما بينه

وبين الله ؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس . ومن عمل لآخرته ؛ كفاه الله أمر دنياه . رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الإخلاص » .

فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان ؛ صلح الجسد بالإسلام، وهومن الايمان؛ يدل على ذلك أنه قال في حديث جبرائيل : «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » . فيعل «الدين» هو الإسلام ، والإيمان ، والإحسان . فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث : «مسلم» ثم «مؤمن» ثم «محسن» كما قال تعالى : ( ثُمَّ أَوْرَثَنَا لكن هو درجات ثلاث : «مسلم» ثم «مؤمن» ثم «محسن» كما قال تعالى : ( ثُمَّ أَوْرَثَنَا الْكِنَابَ اللَّذِينَ اصطفيتَ نامِنَ عِبَادِناً فَمِنْ لهُ مُظالِمٌ لِنفسِهِ ، وَمِنْهُم مُّقَتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ اللهِ اللهِ عَقوبة ، بخلاف بأله خَمْ المناه على المناه بالكن لم يقم بما الظالم لنفسه . وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع تصديق القلب ؛ لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن ؛ فإنه معرض للوعيد ، كما سيأتي بيانه إن شاءالله .

وأما «الإحسان» فهو أعم من جهة نفسه ، وأخص من جهة أصحابه من الإعان . «والإعان» أعم من جهة نفسه ، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام . فالإحسان يدخل فيه الإعان ، والإعان يدخل فيه الإسلام ، والحسنون أخص من المؤمنين ، والمؤمنون أخص من المسلمين ؛ وهذ اكما يقال : في « الرسالة ، والنبوة» فالنبوة داخلة في الرسالة ، والرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها ؛ فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا ؛ فالأنبياء أعم ، والنبوة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة ؛ فإبها لا تتناول الرسالة .

والنبي صلى الله عليه وسلم فسر «الإسلام والإيمان» بما أجاب به؛ كايجاب عن المحدود بالحد، إذا قيل ما كذا ؟ قيل : كذا ، وكذا . كما في الحديث الصحيح ، لما قيل : ما الغيبة ؟ قال : «ذكرك أخاك بما يكره» . وفي الحديث الآخر : « الكبر بطر الحق وغمط الناس» . وبطر الحق : جحده ودفعه وغمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم .

وسنذكر \_\_ إن شــاء الله تعالى \_\_ ســب تنوع أجوبته ، وأنهــا كلهـا حق .

ولكن (المقصود) أن قوله: «بنى الإسلام على خمس» ؛ كقوله: «الإسلام هو الخمس» كما ذكر في حديث جبرائيل؛ فإن الأمر مركب من أجزاء، تكون الهيئة الاجتماعية فيه مبنية على تلك الأجزاء ومركبة منها ؛ فالإسلام مبنى على هذه الأركان \_ وسنبين إن شاء الله \_ اختصاص هذه الخمس بكونهاهي الإسلام، وعليها بنى الإسلام، ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات ؟

وقد فسر «الإيمان» في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلامهنا، لكنه لم يذكر فيه الحج ، وهو متفق عليه فقال : «آمركم بالإيمان بالله وحده ، هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ، أو خمساً من المغنم ».

وقد روى فى بعض طرقه: « الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله ».

لكن الأول أشهر . وفى رواية أبى سعيد : «آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » . وقد فسر \_ فى حديث شعب الإيمان \_ الإيمان بهذا وبغيره ، فقال : «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وثبت عنه من وجوه متعددة أنه قال: «الحياء شعبة من الإيمان» من حديث ابن عمر، وابن مسعود، وعمران بن حصين. وقال أبضاً: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». وقال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: من يارسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». وقال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم بستطع فبلسانه، فإن لم بستطع فبلسانه، وذلك أضعف الإيمان». وقال: «ما بعث الله من نبى إلا كان فى أمته قوم يهتدون بهديه، ويستنون بسنته. ثم إنه يخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يؤمرون ؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن عاملا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » وهذا من إفراد مسلم.

وكذلك في إفراد مسلم قوله : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟:

أفشوا السلام بينكم » وقال في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة ، ورواه البخاري من حديث ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخرحين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . ولاينتهب النهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » .

فيقال « اسم الإيمان » تارة يذكر مفرداً غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرها ، وتارة يذكر مقروناً ؛ إما بالإسلام كقوله فى حديث جبرائيل : « ما الإسلام وما الإيمان » ؟ وكقوله تعالى : (إِنَّ المُسلِمِينَ وَالْمُسلِمِينَ وَالْمُشلِمِينَ وَالْمُوْمِينِينَ وَقُوله عن وجل : ( قَالَتِ اللَّمُ وَمِينِينَ وَلَهُ مَنْ مِينَالُمُ وَمِينِينَ وَقُوله تعالى : ( فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِن المُؤمِينِينَ فَولُو السَّمَامِينَ ) . وقوله تعالى : ( فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِن المُؤمِينِينَ هُولُوا السَّمَامِينَ ) .

وكذلك ذكر الإيمان مع العمل الصالح؛ وذلك في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: (إِنَّ النَّينَ امْنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ). وإما مقروناً بالذين أوتوا العلم، كقوله تعالى: ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالْإِيمَنَ ) وقوله: ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ الْعَلْمَ وَالْإِيمَنَ ) وقوله: ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ الْعَلْمَ وَالْإِيمَنَ ) وقوله: ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ الْمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَقَالَ اللَّهِ مَا اللَّهِ عَلَى الْمَنْ الْعَلْمِ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمَنْ الْمَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمَنْ الْمَا عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمَنْ الْمَا اللهِ عَلَى الْمَنْ الْمَا اللهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

ويذكر أبضاً لفظ المؤمنين مقروناً بالذين هادوا والنصارى والصابئين، ثم يقول: ( مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجُرُهُمْ عِندَرَبّهِمْ وَلَاخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَعْزَنُونَ ) فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة، والإيمان الآخر عمهم ؛ كما عمهم في قوله: ( إن الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ وَالإيمان الآخر عمهم ؛ كما عمهم في قوله: ( إن الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ أَوْلَيْهَاكُ هُمْ خَيْرًا لُبَرِيَةٍ ). وسنبسط هذا إن شاء الله تعالى.

( فالمقصود هذا ) العموم والخصوص بالنسبة إلى ما فى الباطن والظاهر من الإعان . وأما العموم بالنسبة إلى الملل ؛ فتلك « مسألة أخرى » . فلما ذكر الإيمان مع الإسلام ؛ جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة : الشهادتان ، والصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج . وجعل الإيمان ما فى القلب من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . وهكذا فى الحديث الذي رواه أحمد ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب » .

وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً ؛ دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، كقوله في حديث الشعب : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان .

ثم إن نفي « الإيمان » عند عدمها ؛ دل على أنها واجبة ، وإن ذكر فضل إيمان صاحبها \_ ولم ينف إيمانه \_ دل على أنها مستحبة ؛ فإن الله أورسوله

لا ينفي اسم مسمى أمر – أمر الله به ، ورسوله – إلا إذا ترك بعض واجباته كقوله : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » و نحو ذلك .

فأما إذا كان الفعل مستحباً في « العبادة » لم ينفها لانتفاء المستحب ، فإن هذا لو جاز ؛ لجاز أن ينفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج ؛ لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بل ولا أبو بكر ولا عمر . فلو كان من لم يأت بكالها المستحب يجوز نفيها عنه ؛ لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين ، وهذا لا يقوله عاقل .

هن قال: إن المنسني هو السكال ، فإن أراد أنه نني « السكال الواجب » الذي يذم تاركه ، ويتعرض للعقوبة ؛ فقد صدق . وإن أراد أنه نني « السكال المستحب » فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ، ولا يجوز أن يقع ، فإن من فعل الواجب كما وجب عليه ، ولم ينتقص من واجبه شيئاً ؛ لم يجزز أن يقال : ما فعله لا حقيقة ولا مجازاً . فإذا قال للأعرابي المسيء في صلاته : « ارجع فصل فإنك لم تصل » . وقال لمن صلى خلف الصف \_ وقد أمره بالإعادة : « لا صلاة لفذ خلف الصف » كان لترك واجب . وكذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ لَقَذ خلف الصف » كان لترك واجب . وكذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَعْلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ الللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ الللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ الللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللّهُ الللللللللللللّهُ الللللللّهُ اللللللللللللّهُ اللللللللللللّهُ اللللللللللّ

والجهاد \_ وإن كان فرضاً على الكفاية \_ فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه ، والعزم على فعله إذا تعين ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ؛ مات على شعبة نفاق » رواه مسلم . فأخبر أنه من لم يهم به ؛ كان على شعبة نفاق .

« وأيضاً » فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ، ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه . وكذلك قوله: ( إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتَ عُلُومُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ عَايَتُهُمْ اَيَنَتُهُمْ إِيمَنا وَعَلَى رَبِّهِمْ يتَوَكّلُونَ \* اللّذِينَ يُقِيمُونَ عُلُومُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عُلَيْهِمْ عَايَتُهُمْ أَيْمَوْنَ وَعَلَى اللهِ عَلَى الله واجب من أعظم الواجبات ، كما أن الإخلاص لله واجب ، وحب الله ورسوله واجب . وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله ، قال تعالى : ( وَقَالَ مُومِنَ اللهُ وَلِينَ اللهُ وَلَيْكَ مُمُ اللهُ وَلَيْكَ مُرُمُ اللهُ وَلَيْكَ وَعَلَى اللهُ وَلَيْكَوَكُمُ اللهُ وَلَيْكَ وَعَلَى اللهُ وَلَيْكَوَكُمُ اللهُ وَلَيْكَوَكُمُ اللهُ وَلَا يَعْلَى عَنْ اللهُ وَلَيْكَوَكُمُ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونُ اللهُ وَلَيْكُونَ اللهُ وَلَيْكُونُ اللهُ وَلَيْكُونُ اللهُ وَلَيْكُونُ اللهُ وَلَا لَيْكُونُ وَلَا لَكُمُ اللهُ وَلَا لَا اللهُ وَلَا لَا اللهُ وَلَا لَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ ا

وأما قوله: ( ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُو بُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اَيَنَهُ أَزَادَتُهُمْ إِيمَانَ ). فيقال: من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه ، بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً ؛ لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له

وإذا لم يوجد؛ دل على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب، وهذا كقوله تعالى: ( لَا تَجِدُ قُوْمَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِيُواَ دُونَ مَنْ حَادَاللّهَ وَرَسُولَهُ, وَلَوْ عَاللّهُ وَاللّهَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِيُواَ دُونَ مَنْ حَادَاللّهُ وَرَسُولهُ وَلَوْمِ مُ أَوْلَا يَكُ كَتَبَ فِي قُلُومِ مُ أَوْلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُومِ مُ أَوْلِيكَ فَا يَعْ وَلَا مَا لَا يَجِد مؤمناً يواد المحادين للله ورسوله الإيمان بنافي موادته كما بنفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب.

ومثله قوله تعالى فى الآية الأخرى: (تَرَىٰ كَثِيرَامِنَهُ مَ يَتَوَلَقَ اللّهِ الْأَخْرَى: (تَرَىٰ كَثِيرَامِنَهُ مَ يَلَوُكُونَ \* كَفُرُواْ لَيْقُونَ وَالْفَيْمِ اللّهِ وَالنّبِي وَمَا أَنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَغَذُوهُمْ أَوْلِياءٌ وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ وَلَوْكَانُوا يُؤْمِنُونَ وَالنّبِي وَمَا أَنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَغَذُوهُمْ أَوْلِياءٌ وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ وَلَوْكَانُوا يُوْمِنُونَ وَلَوْكَانُوا يُوْمِنُونَ وَمَا أُنزِكَ وَلَمْ اللهِ وَالنّبِي وَمَا أَنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَنْ اللهِ عَلَى اللهِ وَلَوْكَانُوا يُوْمِنُونَ وَلَا عَلَى اللهُ وَالنّبِي وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَشَادُهُ اللهِ عَلَى اللهُ وَلِياء وَيَضَاده ، ولا يجتمع الإيمان وا تخاذهم أولياء في القلب . ودل ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي، ذلك على أن من اتخذهم أولياء ؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي، وما أنزل إليه .

ومثله قوله تعالى: ( لَا نَتَخِذُواْ الْيَهُودَوَالنَّصَارَىٰٓ أَوْلِيَآ أَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَآ وُبَعْضُوْوَمَن يَتَوَلَّهُمُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ عَلِي اللهُ الآيات أن متوليهم لايكون مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ). فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لايكون

مؤمناً. وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم؛ فالقرآن بصدق بعضه بعضاً قال الله تعالى: ( اللهُ نُزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِنَبَا مُّتَشَبِها مَّنَانِي نَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَعْشَوْنِ اللهِ عُلُودُ الَّذِينَ عَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ يَغْشَوْنِ اللهِ عَلَى الآية . وكذلك قوله : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونِ اللّذِينَ عَامَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ يَغْشَوْنِ اللّه اللّه عَلَى اللّه الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله على الله الله على الله الله الله كور بدون استئذانه لا يجوز وأنه يجب ألا يذهب حتى يستأذن ، فمن المذكور بدون استئذانه لا يجوز وأنه يجب عليه من الإيمان ؛ فلهذا نفى فهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب عليه من الإيمان ؛ فلهذا نفى عنه الإيمان ، فإن حرف «إنما» تدل على إثبات المذكور ونفي غيره .

ومن الأصوليين من يقول: إن «إن» للإثبات و «ما » للنفي ، فإذا جمع بينهما دلت على النفي والإثبات ، وليس كذلك عند أهل العربية ، ومن يتكلم في ذلك بعلم ، فإن «ما » هذه هي الكافة التي تدخل على إن وأخواتها فتكفها عن العمل ؛ لأنها إنما تعمل إذا اختصت بالجمل الإسمية ، فلما كفت بطل عملها واختصاصها ، فصار يليها الجمل الفعلية والاسمية ؛ فتغير معناها وعملها جميعاً بانضهام «ما » إليها وكذلك كأنما وغيرها .

وكذلك قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِاللّهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ بِهَوَلَّى فَرِيقُ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِهِ كَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ، لِيَحْكُم بَيْنَهُمُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم مُعْرِضُونَ \* وَإِن يَكُن هَمُ الْحَقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضُ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَعَافُوكَ أَن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ مَن الْمُؤْلُولَ مِن عَمُ الظّلِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عِلَيْهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا وَأَطْعَنَا وَأَوْلَتِهِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) . فإن قيل: إذا كان المؤمن حقاً هو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات؛ فقد قال : ( أُوْلَيَكُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً ) ولم يذكر إلا خمسة أشياء. وكذلك قال في الآية الأخرى: ( إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَثْمَ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَنهَدُواْ فِي الآية الأُخرى: ( إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ اللّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَثْمَ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَنهَدُواْ بِأَمْولِهِمْ وَأَنفُسِهِ مِنْ السَّكِيلِ اللَّهِ أَوْلَتِهِ كَهُمُ الصَّكِيدِ قُونَ ). وكذلك قوله: ( إِنَّ اللّذِينَ يَشْرِمنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ).

#### قيل عن هذا جوابان :

(أحدها): أن يكون ما ذكر مستلزماً لما ترك ؛ فإنه ذكر وجل قلوبهم إذا ذكر الله . وزيادة إيمانهم إذا تليت عليهم آياته مع التوكل عليه ، وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطناً وظاهراً ، وكذلك الإنفاق من المال والمنافع ؛ فكان هذا مستلزما للباقى ؛ فإن وجل القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه . وقد فسروا ( وجلت ) بفرقت . وفي قراءة ابن مسعود : ( إذا ذكر الله فرقت قلوبهم ) . وهذا صحيح ؛ فإن « الوجل في اللغة » هو الخوف ، يقال : هرة الحجل وصفرة الوجل . ومنه قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونُ مَا اَتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً مُرةً إِلَى رَبِّمْ رَجِعُونَ ) قالت عائشة : « يارسول الله ! هو الرجل يزني ويسرق و يخاف أن يعاقب ؟ قال : لا ياابنة الصديق ! هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق و يخاف ألا يقبل منه » .

وقال السدى في قوله تعالى: ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُو مُهُمْ ): هو

الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه . وهذا كقوله تعالى : ( وَأَمَّامَنَ خَافَ مَقَامَ رَيِّهِ عِوَنَهَى ٱلنَّفَسَ عَنِ ٱلْمَوَى \* فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِى ٱلْمَأُوى ) وقوله : ( وَلِمَنَ خَافَ مَقَامَ رَيِّهِ عَجَنَّنَانِ ) . قال مجاهد وغيره من المفسرين : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه بين يدي الله ؛ فيتركها خوفاً من الله .

وإذا كان « وجل القلب من ذكره » يتضمن خشيته ومخافته ؛ فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور ، وترك المحظور . قال سهل بن عبدالله : ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق إليه أقرب من الافتقار ، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله . ويدل على ذلك قوله تعالى : ( وَلَمَّاسَكَتَ عَن مُوسَى ٱلْفَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلُواحُ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرَهَبُونَ ) . فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله .

قال مجاهد وإبراهيم: هو الرجل يريد أن يذنب الذنب فيذكر مقام الله فيدع الذنب. رواه ابن أبي الدنيا، عن ابن الجعد، عن شعبة، عن منصور، عنهما، في قوله تعالى: ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَيِهِ عَنَائِنِ ). وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى: ( أُولَيَتِكَ عَلَى هُدًى مِن رَبِهِم وَأُولَتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وه «المؤمنون» وه «المتقون» المذكورون في قوله تعالى: (الّه \* ذَلِكَ الله عَلَى ال

وإذا لم يشق فهو مرحوم . وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فإن أهل الرحمة ليسوا مغضوباً عليهم . وأهل الهدى ليسوا ضالين فتبين أن أهل رهبة الله يكونون متقيين لله ، مستحقين لجنته بلا عذاب . وهؤلاء هم الذين أتوا بالإيمان الواجب .

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْقُلَمَـُوُّأُ ) والمعنى أنه لا يخشاه إلا عالم ؛ فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم ، كما قال في الآية الأخرى : ( أَمَنْ هُوَقَانِتُ ءَانَآ ءَانَآ الَّيْلِسَاجِدًا وَقَا إِمَّا يَحُذُرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا وَمَّا اللهِ عَلَمُونَ ) .

والخشية أبداً متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوطاً ؛ كما أن الرجاء بستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ؛ فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله . وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه قال : « العلماء ثلاثة » : فعالمبالله ليس عالماً بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله عالم بأمر الله هو الذي يخافه ، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه ، وفي فالعالم بالله هو الذي يعلم أمره ونهيه ، وفي « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والله إنبي لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلم كحدوده » .

وإذا كان أهل الخشية هم العلماء الممدوحون في الكتاب والسنة ، لم يكونوا مستحقين للذم ، وذلك لا يكون إلا مع فعل الواجبات ، ويدل عليه قوله تعالى: ( فَأَوْحَنَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنَهُلِكُنَّ ٱلظَّيلِمِينَ \* وَلَنُسْحَانَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَاكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّنَانِ). فوعد نَالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّنَانِ). فوعد بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لأهل الخوف، وذلك إنما يكون لأنهم أدوا الواجب فدل على أن الخوف يستلزم فعل الواجب؛ ولهذا يقال للفاجر: لا يخاف الله. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ( إِنَّمَا ٱلتَّوْبَدُهُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ عِلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْنَانُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُهُ اللهُ عَلَى اللهُ

قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوالي: كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ، وكذلك قال سائر المفسرين . قال مجاهد: كل عاص فهو جاهل حين معصيته . وقال الحسن وقتادة وعطاء والسدى وغيرهم: إنما سموا جالاً لمعاصيهم ، لا أنهم غير مميزين وقال الزجاج: ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء ؛ لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءاً ؛ وإنما يحتمل أمرين .

(أحدها): أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه. والثاني: أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة ، وآثروا العاجل على الآجل ؛ فسمواجهالاً لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة، والعافية الدائمة. فقد جعل الزجاج «الجهل» إما عدم العلم بعاقبة الفعل ، وإما فساد الإرادة ؛ وقد يقال : ها متلازمان ، وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية .

والمقصود هنا أن كل عاص لله فهــو جاهل ، وكل خائف منه فهو عالم

مطيع لله ؛ وإنما يكون جاهلاً لنقص خوفه من الله ، إذ لو تم خوفه من الله ليعص . ومنه قول ابن مسعود ، رضي الله عنه : كفى بخشية الله علماً ، وكفى بلاغترار بالله جهلاً . وذلك لأن تصور المخوف يوجب الهرب منه ، وتصور المحبوب يوجب طلبه ، فإذا لم يهسرب من هذا ، ولم يطلب هذا ؛ دل على أنه لم يتصوره تصوراً تاماً ؛ ولكن قد يتصور الخبر عنه ، وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه غير تصور المخبر عنه . وكذلك إذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً ؛ فإن الإنسان يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ، ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً . وكذلك إذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ، ولم يكذب الخبر بل عرف صدقه ؛ لكن قلبه مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به ؛ فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب .

وفى الكلام المعروف عن الحسن البصرى ، ويروى مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : « العلم علمان » فعلم فى القلب ، وعلم على اللسان . فعلم القلب هو العلم النافع ؛ وعلم اللسان حجة الله على عباده » .

وقد أخرجا في « الصحيحين » عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب و ولا ريح طيب و مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، طعمها مر ولاريح لها ». وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه ، وقد يصدق أنه وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه ، وقد يصدق أنه

كلام الله وأن الرسول حق ، ولا يكون مؤمناً . كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا مؤمنين ، وكذلك إبليس وفرعون وغيرها . لكن من كان كذلك ؛ لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة ، فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ؛ ولهذا صار يقال لمن لم يعمل بعلمه : إنه جاهل كما تقدم .

وكذلك لفظ « العقل » \_ وإن كان هو في الأصل : مصدر عقل يعقل عقلا ، وكثير من النظار جعله من جنس العلوم \_ فلا بد أن يعتبر مع ذلك أنه علم يعمل بموجبه ، فلا يسمى « عاقلا » إلا من عرف الخير فطلبه ، والشر فتركه ؛ ولهذا قال أصحاب النار : ( لَوَّكُنَانَسَمُعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَافِ أَصَّبُ السَّعِيرِ ) . فتركه ؛ ولهذا قال أصحاب النار : ( لَوَّكُنَانَسَمُعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَافِ أَصَّبُ السَّعِيرِ ) . وقال عن المنافقين : ( تَحَسَّبُهُ مَّ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقُلُونَ ) . وقال عن المنافقين : ( تَحَسَّبُهُ مَ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَى ذَلِكَ بِأَنَهُمْ قَوْمٌ لَا يعلم أنه يضره ؛ فمثل هذا ما له عقل . فكما أن الخوف من الله بستان موضيته نستان مطاعته . فالخاتف من الله العلم به بستان مخسيته ، وخشيته نستان مطاعته . فالخاتف من الله مشلل لأوامره مجتنب لنواهيه ، وهذا هو الذي قصدنا بيانه أولاً . ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ( فَذَكِرُ إِن نَقَعَتِ الذِكْرَى \* سَيَذَكُرُ مُن يَغْشَى \* وَيَنَجَنَبُهَا الْأَشْقَى \* فَينَجَنَبُهَا الْأَشْقَى \* لَلْهُ اللهُ عَلَى : ( فَذَكِرُ إِن نَقَعَتِ الذِكُوكُ \* سَيَذَكُرُ مُن يَغْشَى \* وَينَجَنَبُهَا الْأَشْقَى \* لَلْهُ اللهُ اللهُ عَلَى : ( فَذَكِرُ إِن نَقَعَتِ الذِكُوكُ \* سَيَذَكُرُ مُن يَغْشَى \* وَينَجَنَبُهَا الْأَشْقَى \* لَلْهُ يَاللهُ اللهُ اللهُ عَلْهُ ) .

فأخبر أن من يخشاه بتذكر، والتذكر هنا مستلزم لعبادته، قال الله تعالى: (هُوَاللَّذِي يُرِيكُمُ اَينتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقَا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّامَن يُعِلَى : (هُوَاللَّذِي يُرِيكُمُ ءَاينتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقَا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّامَن يُعِلِي مُنِيبٍ ) . وقال : (بَمْضِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ ) . وقال : (بَمْضِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ ) .

(سَيَذَكُرُمُنَ يَغْشَىٰ): سيتعظ بالقرآن من يخشى الله . وفي قوله ( وَمَايَتَذَكَّرُ إِلَّامَن يُنبِبُ ): إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة . وهذا لأن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره؛ فإن تذكر محبوباً طلبه، وإن تذكر مرهوباً هرب منه · ومنه قوله تعالى : ( سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْلَمْنُنذِرْهُمْ لَايُؤْمِنُونَ ) . وقال سبحانه: ( إِنَّمَالْنُذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلدِّكَرَوَخَشِي ٱلرَّحْمَنَ بِٱلْغَيْبِ ). فنفي الإندار عن غير هؤلاء مع قوله: ( سَوَآءُ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْلَمْ لُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) . فأثبت لهم الإنذار من وجه ، ونفاه عنهم من وجه : فإن الإنذار هو الإعلام بالمخوف. فالإنذار مثل التعليم والتخويف ، فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه ، وآخر يقول : علمته فلم يتعلم . وكذلك من خوفته فخاف فهذا هو الذي تم تخويفه . وأمامن خوف فما خاف؛ فلم يتم تخويفه . وكذلك من هديته فاهتدى ؛ تم هداه ، ومنه قُولُهُ تَعَالَى: ( هُدَى لِلْمُنَقِينَ ). ومن هديته فلم يهتد \_ كَمَا قال: ( وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَكَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰعَلَى ٱلْهُدَىٰ ) في يتم هداه ، كما تقول : قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع .

فالمؤثر التام يستلزم أثره ؛ فهتى لم يحصل أثره لم يكن تاماً ، والفعل إذا صادف محلاً قابلاً تم ، وإلا لم يتم . والعلم بالمحبوب يورث طلبه ، والعلم بالمكروه يورث تركه ؛ ولهذا يسمى هذا العلم : الداعي ، ويقال : الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور ، وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد ، وهذا كله إنما يحصل مع صحة الفطرة وسلامتها ، وأما مع فسادها فقد يحس الإنسان باللذيذ فلا يجد له لذة بل يؤلمه ، وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة ، و الفساد

يتناول القوة العامية والقوة العملية جميعاً ، كالممرور الذي يجد العسل مراً ؛ فإنه فسد نفس إحساسه حتى كان يحس به على خلاف ما هو عليه للمرة التى مازجته وكذلك من فسد باطنه ، قال تعالى : ( وَمَايُشُعِرُكُمُ أَنَّهَ آإِذَا جَآءَتُ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَنُقَلِّبُ أَفِّكَ مَهُمُ وَأَبْصَدَرُهُمُ كَمَا لَمُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَنُقَلِّبُ أَفِّكَ مَهُمُ وَأَبْصَدَرَهُمُ كَمَا لَمُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَنُقَلِّبُ أَفِّكَ مَهُمُ وَأَبْصَدَرَهُمُ كَمَا لَمُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَنُقَلِّبُ أَفِّكَ مَهُونَ ) .

وقال نعالى: ( فَلَمَازَاغُوۤا أَزَاعُ اللّهُ قُلُوبَهُمْ ). وقال: ( وَقَالُولَهِمُ قُلُوبُنَا عُلُفُ عُلَفُ بَلَ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ). وقال في الآية الأخرى: ( وَقَالُواْ قُلُوبُنَا عُلُفُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ). و « الغلف »: جمع أغلف وهو ذو الغلاف الذي في علاف مثل الأقلف ، كأنهم جعلوا المانع خلقة ، أى خلقت القلوب وعليها عُلاف مثل الله تعالى: ( بَل لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ ) وطبع الله عليها بكفرهم أغطية ، فقال الله تعالى: ( بَل لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ ) وطبع الله عليها بكفرهم ( فَلا يُؤمِنُونَ إِلّا قَلِيلاً ) . وقال تعالى: ( وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَقِّ إِذَا خَرَجُواْمِنَ عِندِكَ قَالُوالِلَذِينَ أُوتُوا أَلْعِلْمَ مَاذَاقَالَ اللهُ عَلَيها أَوْلَيْكَ اللّهُ عَلَيْهُ أَلْلَا يَن طَبَعَ اللهُ عَلَيها بكفرهم عنديك قَالُولِيكَ حَقَّ إِذَا خَرَجُواْمِنَ عَندِكَ قَالُولِيلَةِ مِنْ أُولُولِيكَ أَلْوَيْهِمْ مَانَيْسَتَعُعُ إِلَيْكَ حَقِّ إِذَا خَرَجُواْمِنَ عَندِكَ قَالُوالِلّذِينَ أُولُولِيلًا ) . وقال تعالى: ( وَمِنْهُم مَن يَسْتَعُعُ إِلَيْكَ حَقِّ إِذَا خَرَجُواْمِنَ عِندِكَ قَالُوالِلَذِينَ أُولُولُولَ اللّهُ عَلَيْكُ أَلُولُهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ مَاذَاقَالَ عَالَيْكَ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ وَلَوْلَالُولُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْمَ اللّهُ عَلَيْلُهُ أَلْ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْلُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْلُولُولُولُولُولُولُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَالَعْلَ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الله

وكذلك قالوا: ( يَشُعَيْبُ مَانَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَا تَفُولُ ) قال: ( وَلَوْعَلِمَ اللهُ فِيمِ مَخَيرًا لَا لَسَمَعُهُمْ ) أي لأفهمهم ما سمعوه. ثم قال: ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها، ( لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ) فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا، ولو فهموا لم يعملوا، فنفي عنهم صحة القوة العلمية، وصحة القوة العملية، وقال: ( أَمْ تَحْسَبُ أَنَ أَتَ مُ مُّ مُنْ مُعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعُ مِّ اللهُ مُ أَضَلُ سَكِيلًا ).

وقال: (وَلَقَدُ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَوَ الْإِنسِ لَهُمْ قَلُوبُ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعُنُنُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَتِهِكَ كُالْأَنْعَ مِلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْغَنْفِلُونَ). لَا يُشْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ اَفَالُهُ لَا يَسْمَعُ إِلَا دُعَآ ءَوَنِدَا غَصُمُ الْغَنْفِلُونَ). وقال: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفُرُوا كَمَثَلِ النَّهِ عَنْ عِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَا دُعَآ ءَوَنِدَا غَصُمُ الْعَمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ). عُمْمٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ). وقال عن المنافقين: (صُمَّمَ الْمُمَّمُ عُمْنُ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ).

ومن الناس من يقول: لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق؛ جعلوا صماً بكما عمياً ، أولما أعرضوا عن السمع والبصر والنطق، صاروا كالصم العمى البكم، وليس كذلك؛ بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت ، كما قال الله تعالى:

( فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِٱلصُّدُورِ ) « والقلب » هو

الملك، والأعضاء جنوده، وإذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد، فيبقى يسمع بالأذن الصوت كما تسمع البهائم، والمعنى: لا يفقه، وإن فقه بعض الفقه لم يفقه فقه أناماً، فإن الفقه التام يستلزم تأثيره فى القلب محبة المحبوب، وبغض المكروه؛ فهتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلاً فجاز نفيه، لأن ما لم يتم ينفى ، كقوله للذي أساء فى صلاته: «صل فإنك لم تصل ». فنفى الإيمان حيث نفى من هذا الباب.

وقد جمع الله بين وصفهم بوجل القلب إذا ذكر ، وبزيادة الإيمان إذا سمعوا آياته . قال الضحاك : زادتهم يقيناً . وقال الربيع بن أنس : خشية . وعن ابن عباس تصديقاً . وهكذا قد ذكر الله هذين الأصلين في مواضع، قال تعالى : ( أَلَمُ

يَأْنِلِلَّذِينَ ءَامَنُوَّا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِنِكِرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِنْبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمَّ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ) •

و « الخشوع » يتضمن معنيين : (أحدها) : التواضع والذل . (والثاني) : السكون والطمأنينة ، وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة ؛ فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً ، ولهذا كان الخشوع في الصلاة بتضمن هذا ، وهذا : التواضع ، والسكون . وعن ابن عباس في قوله : ( ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمُ خَشِعُونَ ) . قال : مخبتون أذلاء . وعن الحسن وقتادة : خاتفون . وعن مقاتل : متواضعون . وعن علي : الخشوع في القلب ، وأن تلين للمرء المسلم كنفك ، ولا متواضعون . وعن علي : الخشوع في القلب ، وأن تلين للمرء المسلم كنفك ، ولا متن العلماء إذا قام إلى الصلاة يهاب الرحمن أن يشد بصره ، أو أن يحدث نفسه بشيء من أم الدنيا .

وعن عمرو بن دينار: ليس الخشوع الركوع والسجود؛ ولكنه السكون وحب حسن الهيئة في الصلاة، وعن ابن سيرين وغيره: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرفعون أبصاره في الصلاة إلى السماء، وينظرون يميناً وشمالاً حتى زلت هذه: ( قَدْاَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ) الآية. فجعلوا بعد ذلك أبصارهم حيث يسجدون، وما رؤي أحد مهم بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض. وعن عطاء: هو أن لا تعبث بشيء من جسدك وأنت في الصلاة، وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع

قلب هذا لخشعت جوارحه». ولفظ « الخشوع » ــ إن شاء الله يبسط ــ في موضع آخر .

و « خشوع الجسد » تبع لخشوع القلب ، إذا لم يكن الرجل مرائياً يظهر ما ليس فى قلبه كما روى : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » وهو أن يرى الجسد خاشعاً والقلب خالياً لاهياً . فهو سبحانه استبطأ المؤمنين بقوله : ( أَلَمُ يَأْنِ لِلَّهِ يَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه

وَكَذَلَكُ قَالَ فِي الآية الأَخْرَى: ( اللَّهُ نَزَّلُ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِنْبَامَّيَشَيْهِ هَامَّتَانِيَ الْمَثَانِيَ الْمَثَانِيَ اللَّهُ عَرُّمِنْهُ مُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ) . وَالذين يَخْشُونَ رَجِم ، هم الذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم .

فإن قيل: فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق و اجب. قيل: نعم لكن الناس فيه على قسمين: «مقتصد» «وسابق» فالسابقون يختصون بالمستحبات والمقتصدون الأبرار: هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة، ومن لم يكن من هؤلاء، ولا هؤلاء؛ فهو ظالم لنفسه. وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع».

وقد ذم الله «قسوة القلوب» المنافية للخشوع في غير موضع، فقال تعالى: (ثُمَّ قَسَتُ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِى كَالْحِجَارَةِ أَوْأَشَدُّ فَسُوةَ القلب، ذهاب اللين والرحمة قست في اللغة: غلظت ويبست وعسيت. فقسوة القلب، ذهاب اللين والرحمة والحشوع منه. والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة. وقال ابن قتيبة: قست وعست وعت . أي يبست. وقوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة، فإنه ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف، وليناً من غير ضعف. وفي الأثر: «القلوب ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف، وليناً من غير ضعف. وفي الأثر: «القلوب أنية الله في أرضه ، فأحبها إلى الله أصلبها وأرقها وأصفاها». وهذا كاليد فإنه الله قوية لينة، بخلاف ما يقسو من العقب فإنه يابس لا لين فيه، وإن كان فيه قوة. وهو سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره، ثم ذكر زيادة الإيمان عند تلاوة كتابه علماً وعملاً.

ثم لا بد من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه ، ومن طاعته فيما بقدر عليه ، ومن طاعته فيما بقدر عليه ، وأصل ذلك « الصلاة » و « الزكاة » . فمن قام بهذه الخس كما أمر ، لزم أن يأتي بسائر الواجبات .

بل « الصلاة نفسها » إذا فعلها كما أمر ، فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ كما روي عن ابن مسعود ، وابن عباس : « إن في الصلاة منتهى ومزدجراً عن معاصي الله ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً ». وقوله : « لم يزدد إلا بعداً » ، إذا كان ما ترك من الواجب منها أعظم مما فعله ، أبعده ترك الواجب الأقل، وهذا أبعده ترك الواجب الأقل، وهذا

كما فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان ، قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا » . وقد قال تعالى : ( إِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ يُخَدِعُونَ ٱللّهَ وَهُو خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَاكَى يُراآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللّهَ إِلَا قَلِيلًا ) .

وفي السنن عن عمار ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها الا ثلثها، حتى قال : إلا عشرها» وعن ابن عباس قال : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها . وهذا وإن لم يؤمر بإعادة الصلاة عند أكثر العلماء ، لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات بما يجبر نقص فرضه . ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخسوعها الباطن ، يجبر نقص فرضه . ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخسوعها الباطن ، وأعمالها الظاهرة ، وكان بخشى الله الخشية التي أمره بها ؛ فإنه يأتي بالواجبات ؛ ولا يأتي كبيرة . ومن أتى الكبائر \_ مثل الزنا ، أو السرقة ، أو شرب الخر ؛ وغير ذلك \_ فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور ؛ وإن بتى أصل التصديق في قلبه . وهذا من « الإيمان » الذي ينزع منه عند فعل وإن بتى أصل الته علي الله عليه وسلم : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

فإن « المتقين » كما وصفهم الله بقوله : ( إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوَّا إِذَا مَسَّهُمُ طَنَيْفُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ) فإذا طاف بقلوبهم طائف من الشيطان تذكروا، فيبصرون. قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة، فيذكر الله؛ فيكظم الغيظ. وقال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر الله، فيدعه. والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع ثم قال: ( وَإِخْوَانَهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ). أي: وإخوان الشياطين عدم الشياطين في الغي، ثم لا يقصرون. قال ابن عباس: لا الإنس تقصر عن السيئات. ولا الشياطين عسك عنهم. فإذا لم يبصر بقي قلبه في غي والشيطان عده في غيه. وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب. فذلك النور والإبصار. وتلك الخشية والخوف، نخرج من قلبه. وهذا: كما أن الإنسان يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، وإن لم يكن أعمى؛ فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق. وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر.

وهكذا جاء في الآثار: قال أحمد بن حنبل في كتاب (الإيمان): حدثنا يحيى، عن أشعث، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ينزع منه الإيمان ؛ فإن تاب أعيد إليه ». وقال: حدثنا يحيى، عن عوف قال: قال الحسن: « يجانبه الإيمان ما دام كذلك، فإن راجع راجعه الإيمان». وقال أحمد: حدثنا معاوية عن أبي إسحاق، عن الأوزاعي، قال: وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث \_ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فإنهم بقولون: فإن لم يكن مؤمناً فما هو ؟ قال: فأنكر ذلك. وكره مسألتي عنه.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان عن إبراهيم بن

مهاجر ، عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لغلمانه: من أراد منكم الباءة زوجناه لا يزني منكم زان إلا نزع الله منه نور الإيمان ، فإن شاء أن يرده رده ، وإن شاء أن يمنعه منعه . وقال أبو داود السجستاني : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي أنه أخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول : « إنما الإيمان كثوب أحدكم يلبسه مرة ويقلعه أخرى » وكذلك رواه بإسناده عن عمر ، وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً . وفي حديث عن أبي هريرة مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا زني الزاني خرج منه الإيمان فكان كالظلة ، فإذا النبي النبي عليه وسلم : « إذا زني الزاني خرج منه الإيمان فكان كالظلة ، فإذا النبي النبي عن أبي يسط في موضع آخر .

### فمسل

وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها ، مثل قوله : « لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » فأما الأول: فهو كقوله : « لا صلاة إلا بطهور » وهذا متفق عليه بين المسلمين ؛ فإن الطهور واجب في الصلاة ، فإنما نفي الصلاة ، لانتفاء واجب فيها ، وأما ذكر اسم الله تعالى على الوضوء ؛ ففي وجوبه نزاع معروف ، وأكثر العلماء لا يوجبونه ، وهو مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، اختارها الخرقي وأبو محمد وغيرها . والثاني : يجب وهو قول طائفة من أهل العلم ، وهو الرواية الأخرى عن أحمد ، اختارها أبو بكر عبد العزيز ، والقاضي أبو يعلى وأصحابه . وكذلك قوله : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » رواه الدارقطني ، فمن الناس من يضعفه مرفوعاً ويقول : هو من كلام علي رضي الله عنه ، ومنهم من يثبته كعبد الحق .

وكذلك قوله: « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » قدرواه أهل السنن ، وقيل: إن رفعه لم يصح ، وإنما يصح موقوفا على ابن عمر أو حفصة ، فليس لأحد أن يثبت لفظاً عن الرسول مع أنه أربد به نفي الكال المستحب

فإن صحت هذه الألفاظ دلت قطعاً على وجوب هذه الأمور؛ فإن لم تصح فلا ينقض بها أصل مستقر من الكتاب والسنة ، وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه ، إن لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله ؛ وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم .

فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى ؛ لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء. ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم، وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه إجماعاً كمن يظن أنه إذا ترك الإنسان الجماعة وصلى وحده برئت ذمته إجماعاً ؛ وليس الأمركذلك ؛ بل للعاماء قولان معروفان في إجزاء هذه الصلاة ، وفي مذهب أحمد فيها قولان ؛ فطائفة من قماء أصحابه \_ حكاه عنهم القاضي أبو يعلى في شرح المـذهب، ومن متأخريهم كابن عقيل وغيره \_ يقولون: من صلى المكتوبة وحده من غير عذر يسوغ له ذلك فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة ، فإن أمكنه أن يؤديها في جماعة بعد ذلك فعليه ذلك، وإلا باء بإثمه كما يبوء تارك الجمعة بإثمه، والتوبة معروضة. وهذا قول غير واحد من أهل العلم ، وأكثر الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين تدل على هذا.

وقد احتجوا بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من سمع النداء

ثم لم يجب من غير عذر؛ فلا صلاة له » وأجابوا عن حديث التفضيل بأنه فى المعذور الذي تباح له الصلاة وحده ، كما ثبت عنه أنه قال: «صلاة الرجل قاعداً على النصف من صلاة القائم ، وصلاة المضطجع على النصف من صلاة القاعد » والمراد به المعذور ، كما فى الحديث أنه خرج وقد أصابهم وعك وهم يصلون قعوداً ، فقال ذلك .

ولم يجوز أحد من السلف صلاة التطوع مضطجعاً من غير عذر، ولا يعرف أن أحداً من السلف فعل ذلك، وجوازه وجه في مذهب الشافعي، وأحمد، ولا يعرف لصاحبه سلف صدق، مع أن هذه المسألة مما تعم بها البلوى؛ فلو كان يجوز لكل مسلم أن يصلي التطوع على جنبه، وهو صحيح لا مرض به ، كما يجوز أن يصلى التطوع قاعداً وعلى الراحلة؛ لكان هذا مما قد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، وكان الصحابة تعلم ذلك ثم مع قوة الداعي إلى الخير لا بد أن يفعل ذلك بعضهم، فلما لم يفعله أحد منهم، دل على أنه لم يكن مشروعاً عنده، وهذا مبسوط في موضعه.

والمقصود هذا أنه ينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله؛ بل ليس لأحد أن يحمل كلام أحد من الناس إلا على ما عرف أنه أراده ، لاعلى ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد ، فإن كثيراً من الناس يتأول النصوص المخالفة لقوله؛ يسلك مسلك من يجعل « التأويل » كأنه ذكر ما يحتمله اللفظ ، وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص وهذا خطأ ؛ بل جميع ما قاله الله ورسوله

يجب الإيمان به ، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وليس الاعتناء بمراده فى أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس ، فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول ؛ فكذلك النص الآخر الذي تأوله ، فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول بكلامه ؛ وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتأويل عند من يكون اصطلاحه تغاير معناها . وأما من يجعلهما بمعنى واحد ، كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين ؛ فالتأويل عندهم هو التفسير . وأما « التأويل » فى كلام الله ورسوله ؛ فله معنى ثالث غير معناه فى اصطلاح المفسرين ، وغير معناه فى اصطلاح متأخري الفقهاء والأصوليين ؛ كما بسط فى موضعه .

والمقصودها أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان، والإسلام والدين، والصلاة والصيام، والطهارة والحج وغير ذلك؛ فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمى، ومن هذا قوله تعالى: ( فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُوْمِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَبَيْنَهُمْ ثُمُّمَ لاَ يَجِدُواْ فِي اَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّاقَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا السَّلِيمَا ) فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية، دل على أن هذه الغاية فرض على الناس؛ فمن تركها كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنه بلاعذاب، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به، وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها؛ فهو معرض للوعيد.

ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب « تحكيم الرسول » في كل ما شجر بين

الناس في أمر دينهم ودنياه في أصول دينهم وفروعه ، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أَلَّا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا تسليماً. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَالِكَ ٱلَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبُلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّعْفُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ عَوْيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ إِلَىٰ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنك صُدُودًا ) . وقوله : ( إِلَىٰ مَآأَنزَلَ ٱللهُ ) وقد أَزِل الله الكتاب والحكمة وهي السنة ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ ٱلْكِنَابِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ). وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِنَابَ وَٱلْحِكُمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ) والدعاء إلى ما أنزل يستلزم الدعاء إلى الرسول ، والدعاء إلى الرسول يستلزم الدعاء إلى ما أنزله الله ، وهذا مثل طاعة الله والرسول؛ فإنهما متلازمان ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول .

وكذلك قوله تعالى: ( وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعَدِ مَا نَبِينَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ) . فإنهما متلازمان ؛ فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى . فإن كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ ؛ فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ ، فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ .

وهذه « الآية » تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهــة أن مخالفتهم

مستلزمة لمخالفة الرسول ، وأن كل ما أجمعوا عليه فلابد أن يكون فيه نص عن الرسول؛ فيكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين؛ فإنها مما بين الله فيه الهدى ، ومخالف مثل هذا الإجماع بكفر ، كما يكفر مخالف النص البين. وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به ، فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر ؛ بل قد يكون ظن الإجماع خطأ . والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل قد يكون ظن يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر .

و «الإجماع» هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة؟. فإن من الناس من يطلق الإثبات بهذا أو هذا ، ومنهم من يطلق النفي لهذا ولهذا . والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الإجماع ، ويعلم يقيناً أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلاً ؛ فهذا يجب القطع بأنه حق ؛ وهذا لا بد أن يكون مما بين فيه الرسول الهدى ؛ كما قد بسط هذا في موضع آخر .

ومن جهة أنه إذا وصف الواجب بصفات متلازمة ؛ دل على أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت وجب اتباعها ، وهذا مثل ( اَلصِّرَطَ المُسْتَقِيمَ ) الذي أمرنا الله بسؤال هدايته ؛ فإنه قد وصف بأنه الإسلام ، ووصف بأنه اتباع القرآن ، ووصف بأنه طاعة الله ورسوله ، ووصف بأنه طريق العبودية؛ ومعلوم أن كل اسم من هذه الأسهاء يجب اتباع مسهاه ، ومسهاها كلها واحد وإن تنوعت صفاته ؛ فأى صفة ظهرت وجب اتباع مدلولها ، فإنه مدلول الأخرى . وكذلك أسهاء الله تعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسوله ، هي مثل أسماء دينه .

وكذلك قوله تعالى . ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبِّلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَاتَفَرَّقُوا ) قيل : حبل الله هو دين الإسلام ، وقيل : القرآن ، وقيل : عهده ، وقيل : طاعته وأمره ، وقيل جماعة المسلمين ؛ وكل هذا حق .

وكذلك إذا قلنا : الكتاب، والسنة والإجماع، فمدلول الثلاثة واحد، فإن كل ما في الكتاب فالرسول هم موافق له، والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة، فليس في المؤمنين إلا من يوجب اتباع الكتاب، وكذلك كل ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن بأمر باتباعه فيه، والمؤمنون مجمعون على ذلك. وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون، فإنه لا يكون إلاحقاً موافقا لما في الكتاب والسنة؛ لكن المسلمون بتلقون دينهم كله عن الرسول هو وأما الرسول في فينزل عليه وحي القرآن، ووحي آخر هو الحكمة، كاقال صلى الله عليه وسلم وألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

وقال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن. فليس كل ما جاءت به السنة بجب أن يكون مفسراً في القرآن ؛ بخلاف ما يقوله أهل الإجماع ؛ فإنه لا بد أن يدل عليه الكتاب والسنة ، فإن الرسول عليه هو الواسطة بينهم وبين الله في أمره ونهيه ، وتحليله و تحريمه ؛ والمقصود ذكر الإيمان .

ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر». وقوله: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». فإن من علم ما قامت به الأنصار من نصر الله ورسوله من أول

الأمر ، وكان محباً لله ولرسوله ؛ أحبهم قطعاً ، فيكون حبه لهم علامة الإيمان الذي في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه .

وكذلك من لم يكن فى قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه الله ورسوله من الحفر والفسوق والعصيان ؛ لم يكن فى قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه ، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً ؛ لم يكن معه إيمان أصلاً ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى. وكذلك من لا يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ؛ لم يكن معه ما أوجبه الله عليه من الإيمان ، فحيث نفى الله الإيمان عن شخص ؛ فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيمان ، ويكون من المعرضين للوعيد ، ليس من المستحقين للوعد المطلق .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا ، ومن حمل علينا السلاح فليس منا » كله من هذا الباب ، لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه ، أو فعل ما حرمه الله ورسوله ؛ فيكون قد ترك من الإيمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لأجله ، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد ، السللين من الوعيد .

وَكَذَلَكَ قُولِهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَيِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقُ مِّنْهُم مِّنَ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَتَهِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُواْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ع لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيْقُ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ \* وَإِن يَكُن لَهُمُ ٱلْحُقُ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفِي قُلُومِهِم مَّرَضُ أَمِ اَرْتَا بُوَا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ رَبِلُ أُولَئِهِكَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ ﴾ ( إِنَّمَاكَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُو ٓ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عِلِيَحْكُمُ بَيْنَهُمُ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَتَهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ) .

فهذا حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله؛ فإنه يتناول فعل الواجبات، وترك المحرمات، ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان؛ فلابدأن يكون قد ترك واجباً أو فعل محرماً، فلا يدخل فى الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد؛ بل يكون من أهل الوعيد.

وكذلك قوله تعالى: (حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِ قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَّ أُوْلَيْتِكُ هُمُ الرَّشِدُونَ ) .

قال محمد بن نصر المروزي: لما كانت المعاصي بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كرهها كلها إلى المؤمنين. ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه لم يفرق بينها فيقول: حبب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات؛ بل أجمل ذلك فقال: ( حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَنَ ). فدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حب تدين، لأن الله أخبر: أنه حبب ذلك إليهم، وزينه في قلوبهم، لقوله: ( حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَنَ ) ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها والفسوق، وسائر المعاصي كراهة تدين ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها والفسوق، وسائر المعاصي كراهة تدين الأن الله أخبر: أنه كره ذلك إليهم. ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم الله أخبر: أنه كره ذلك إليهم. ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من سرته حسنته ، وساءته سيئته ؛ فهو مؤمن » لأن الله حبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات .

«قلت»: وتكريهه جميع المعاصي إليهم، يستلزم حب جميع الطاعات؛ لأن ترك الطاعات معصية، ولأنه لا يترك المعاصى كلها إن لم يتلبس بضدها، فيكون محباً لضدها وهو الطاعة؛ إذ القلب لا بد له من إرادة، فإذا كان يكره الشر كله؛ فلابد أن يريد الخير. والمباح بالنية الحسنة يكون خيراً، وبالنية السيئة يكون شراً. ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء: حارث وهام وأقبحها: حرب ومرة».

وقوله أصدق الأسماء: حارث وهام ؛ لأن كل إنسان هام حارث ، والحارث الكاسب العامل . والهمام الكثير الهم \_ وهو مبدأ الإرادة \_ وهو حيوان ، وكل حيوان حساس متحرك بإلارادة ، فإذا فعل شيئاً من المباحات ؛ فلابد له من غاية ينتهي إليها قصده . وكل مقصود إما أن يقصد لنفسه ، وإما أن يقصد لغيره . فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شربك له ، وهو إله الذي يعبده لا يعبد شيئاً سواه ، وهو أحب إليه من كل ما سواه ؛ فإن إرادته تنتهي إلى إرادته وجه الله ، فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة ، كما في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نفقة الرجل على أهله في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد بن أبي وقاص لما يحتسبها صدقة » . وفي « الصحيحين » عنسه أنه قال لسعد بن أبي وقاص لما

مرض بمكة وعاده ـ « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة ، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك » . وقال معاذ بن جبل لأبى موسى : « إنى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتى » وفي الأثر : نوم العالم تسبيح .

وفى « صحيح مسلم » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله ليرضى عن العبد يأ كل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » . وفي « سنن ابن ماجه » وغيره : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » .

وَكَذَلَكَ قَالَ لَلْرَسُلَ : ( يَتَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُكُلُواْمِنَ ٱلطَّيِّبَتِ وَأَعْمَلُواْ صَلِحًا ) وقال تعالى : ( أُحِلَتَ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَكِم إِلَّا مَا يُتَكَنَّ كُمُّ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمُّ )

وقال الخليل: ( وَارْزُقُ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَرَتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال الله تعالى: ( وَمَنَكَفَرَ فَأُمَتِعُهُ مَقِلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ وَإِلَى عَذَابِ النَّارِّ وَبِئُسَ الْمَصِيرُ). فالحليل إنما دعا بالطيبات المؤمنين خاصة ، والله إنما أباح بهيمة الأنعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيدوهو محرم ، والمؤمنون أمرهم أن يأ كلوا من الطيبات ويشكروه.

ولهذا ميز سبحانه وتعالى بين خطاب الناس مطلقاً، وخطاب المؤمنين فقال: (يَتَأَيُّهُا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّافِي الْأَرْضِ حَلاَلاَ طَيِّبَا وَلاَتَتَبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّيَطُنِ إِنَّهُ وَقَال : (يَتَأَيُّهُا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّافِي اللَّرْضِ حَلاَلاً طَيِّبَا وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَنْعُلَمُونَ \* لَكُمْ عَدُونُ مَّ إِلَّسُوءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَنعُلمُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَاكَ ءَابَ آوُهُمُ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اللّهُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنا أَوَلَوْ كَاكَ ءَابَ وَلُوهُمُ مَا اللّهُ عَلَيْهِ عَابَاتَهُ فَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عَالِمَا أَن بأَ كُلُوا مِمَا فَى الأَرْضَ لِيعَ فِلُوكَ شَعْرُولُ مِنْ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ مُولًا لِللّهُ إِلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللللللللللّهُ الللللّهُ الللللل

فأذن للمؤمنين في الأكل من الطيبات ولم يشترط الحل، وأخبر أنه لم يحرم عليهم إلا ما ذكره؛ فما سواه لم يكن محرماً على المؤمنين، ومع هذا فلم يكن أحله بخطابه؛ بل كان عفواً، كما في الحديث عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً: «الحلال ما أحله الله في كتابه، والحرام ما حرمه الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه».

وفى حديث أبي تعلبة عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم حرمات فلا تنتهكوهاوسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» .

وَكذَلْكُ قُولِهُ تَعَالَى: ( قُلُلَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمِ يَطْعَمُهُ وَإِلَّا مَحْرَيَمُ عَن غير المذكور ، فيكون الباقى مسكوناً عن المذكور ، فيكون الباقى مسكوناً عن تحريمه عفواً ، والتحليل إنما يكون بخطاب ؛ ولهذا قال فى سورة المائدة التى أزلت بعد هذا : ( يَسْعَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَ لَمُمُ الطَّيِبَاتُ وَمَاعَلَمْ الطَّيِبَاتُ وَمَاعَلَمْ الْجَوَارِحِ مُكلِينَ ) . إلى قوله : ( اليَوْمَ أُجِلَ لَكُمُ الطَيِبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِسَبِ فِلُ لَكُمُ وَطَعَامُ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِسَبِ فِلُ لَكُمُ وَطَعَامُ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِسَبِ فِلُ لَكُمُ وَطَعَامُ اللَّيْنَ أُوتُوا الْكِسَبُ فِلُ لَكُمُ وَطَعَامُ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِسَبِ فِلُ لَكُمُ وَطَعَامُ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِسَبِ فِلْ لَكُمُ وَطَعَامُ المَّيْنِ وَقِبل هذا لم يكن محرماً وطَعَامُ كُمْ حِلُ لَهُمُ الطيبات ، وقبل هذا لم يكن محرماً عليهم إلا ما استثناه .

وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، ولم يكن هذا نسخاً للكتاب ؛ لأن الكتاب لم يحل ذلك ، ولكن سكت عن تحريمه ، فكان تحريمه ابتداء شرع ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي من طرق من حديث أبى رافع ، وأبى تعلبة ، وأبي هريرة ، وغيره : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ؛ فها وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه » . وفي لفظ : « ألا وإنه مثل القرآن أو أكثر . ألا وإني

حرمت كل ذي ناب من السباع». فبين أنه أزل عليه وحي آخر وهو الحكمة غير الكتاب. وأن الله حرم عليه في هذا الوحي ما أخبر بتحريمه ولم يكن ذلك نسخاً للكتاب؛ فإن الكتاب لم يحل هذه قط. إنما أحل الطيبات، وهذه ليست من الطيبات، وقال: ( يَتَأَيُّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا كُلُواْمِن طَيِّبَتِ مَارَزَقَنَكُمُ ). فلم تدخل هذه الآية في العموم؛ لكنه لم يكن حرمها؛ فكانت معفواً عن نحريمها؛ لا مأذونا في أكلها.

وأما «الكفار» فلم يأذن الله لهم في أكل شيء ، ولا أحل لهم شيئاً ، ولا عفا لهم عن شيء يأكلونه ؛ بل قال : ( يَتَأَيُّهُا النَّاسُ كُلُوا مِمّافِ الأَرْضِ حَلالاً ولاعفا لهم عن شيء يأكلونه ؛ بل قال : ( يَتَأَيُّهُا النَّاسُ كُلُوا مِمّافِ الأَرْضِ حَلالاً على اللَّه ورسوله ، والله لم يأذن في الأكل إلا للمؤمن به ؛ فلم يأذن لهم في أكل شيء إلا إذا آمنوا . ولهذا لم تكن أموالهم مملوكة لهم ملكا شرعياً ؛ لأن الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع صلى الله عليه وسلموالشارع الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع صلى الله عليه وسلموالشارع لم يبح لهم تصرفاً في الأموال ، إلا بشرط الإيمان ؛ فكانت أموالهم على الإباحة . فإذا قهر طائفة منهم طائفة قهراً يستحلونه في دينهم ، وأخذوها منهم ؛ صارهؤلاء فيها كماكان أولئك .

والمسلمون إذا استولوا عليها. فغنموها، ملكوها شرعاً ، لأن الله أباح لهم الغنائم، ولم يبحها لغيرهم. ويجوز لهم أن يعاملوا الكفار فيما أخذه بعضهم من بعض بالقهر الذي يستحلونه في دينهم، ويجوز أن يشتري من بعضهم ما سباه من غيره ؛ لأن هذا بمنزلة استيلائه على المباحات . ولهذا سمى الله ما عاد من أموالهم إلى المسلمين «فيئاً » ؛ لأن الله أفاءه إلى مستحقه ، أي : رده إلى المؤمنين به الذين يعبدونه ، ويستعينون برزقه على عبادته ، فإنه إنما خلق الحلق ليعبدوه ، وإنما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته . ولفظ «الني » قد يتناول «الغنيمة» كقول النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين : «ليس لى مما أفاء الله عليكم إلا الحنس ، والحنس مردود عليكم » . لكنه لما قال تعالى : ( وَمَا أَوْا الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوَّ جَفْنُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَلارِكابٍ ) : صار لفظ «الني » إذا أطلق في عرف الفقهاء ؛ فهو ما أخذ من مال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب ، والإيجاف نوع من التحريك .

وأما إذا فعل المؤمن ما أبيح له قاصداً للعدول عن الحرام إلى الحلال لحاجته إليه؛ فإنه بثاب على ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا يارسول الله بأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأبتم لو وضعها في الحرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ». وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما بكره أن تؤتى معصيته » رواه أحمد، وابن خزية في « صحيحه » وغيرها.

فأخبر أن الله يحب إنيان رخصه ، كما يكره فعل معصيته . وبعض الفقهاء يرويه : «كما يحب أن تؤتي عزائمه» . وليس هذا لفظ الحديث ؛ وذلك لأن الرخص إنما أباحها الله لحاجة العباد إليها ، والمؤمنون يستعينون بهاعلى عبادته؛

فهو يحب الأخذ بها ، لأن الكريم يحب قبول إحسانه وفضله ؛ كما قال فى حديث : «القصر صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته » . ولأنه بها تتم عبادته وطاعته . وما لا يحتاج إليه الإنسان من قول وعمل ، بل يفعله عبثاً ؛ فهذا عليه لا له ، كما فى الحديث : كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله ».

وفى «الصحيحين» عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ». فأمر المؤمن بأحد أمرين: إما قول الخير أو الصهات . ولهذا كان قول الخير خيراً من السكوت عنه ، والسكوت عن الشر خيراً من قوله ، ولهذا قال الله تعالى: ( مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِينًا عَن الشر خيراً من قوله ، ولهذا قال الله تعالى: ( مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِينًا عَنِيدً ) .

وقد اختلف «أهل التفسير» هل يكتب جميع أقواله؟ فقال مجاهدوغيره: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه . وقال عكرمة لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر . والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع ؛ فإنه قال : ( مَّا يَلْفِظُ مِن فَوْلِ ) نكرة في الشرط مؤكدة بحرف «من» ؛ فهذا يعم كل قوله . وأيضاً فكونه يؤجر على قول معين أو يؤزر ؛ يحتاج إلى أن يعرف الكاتب ما أمر به وما نهى عنه؛ فلا بد في إثبات معرفة الكاتب به إلى نقل . وأيضاً فهو مأمور ، إما بقول الخير ، وإما بالصات . فإذا عدل عما أمر به من الصات إلى فضول القول الذي ليس بخير ؛ كان هذا عليه ، فإنه يكون مكروهاً ، والمكروه بنقصه ؛ ولهذا قال ليس بخير ؛ كان هذا عليه ، فإنه يكون مكروهاً ، والمكروه بنقصه ؛ ولهذا قال

النبى صلى الله عليه وسلم: «من حسن إسلام المرء نركه مالا يعنيه». فإذا خاض فيما لا يعنيه؛ نقص من حسن إسلامه فكان هذا عليه. إذ ليس من شرط ما هو عليه، أن يكونه مستحقاً لعذاب جهنم وغضب الله، بل نقص قدره ودرجته عليه.

ولهذا قال تعالى: ( لَهَامَاكُسَبَتُ وَعَلَيْهَامَا أَكْسَبَتُ ) . فما يعمل أحد إلا عليه أوله ، فإن كان مما أمر به ، كان له . وإلا كان عليه ولو أنه ينقص قدره . والنفس طبعها الحركة لا تسكن قط ؛ لكن قد عفا الله عما حدث به المؤمنون أنفسهم ما لم يتكلموا به أو يعملوا به ؛ فإذا عملوا به دخل فى الأمر والنهي . فإذا كان الله قد كره إلى المؤمنين جميع المعاصي وهو قد حبب إليهم الإيمان الذي يقتضي جميع الطاعات ، إذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس ؛ فإن المرجئة لا تنازع فى أن الإيمان الذي فى القلب يدعو إلى فعل الطاعة ويقتضي ذلك ، والطاعة من ثمراته ونتائجه ، لكنها تنازع ، هل يستلزم الطاعة ؟ فإنه وإن كان والطاعة ؛ فله معارض من النفس والشيطان ، فإذا كان قد كره إلى المؤمنين المعارض ، كان المقتضي للطاعة سالماً عن هذا المعارض .

وأيضاً فإذا كرهوا جميع السيئات لم يبق إلا حسنات أو مباحات، والمباحات لم تبح إلا لأهل الإيمان الذين يستعينون بها على الطاعات، وإلا فالله لم يبح قط لأحد شيئاً أن يستعين به على كفر ، ولا فسوق ، ولا عصيان ؛ ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصر الخر ومعتصرها ، كما لعن شاربها ، والعاصر

يعصر عنباً يصير عصيراً يمكن أن ينتفع به في المباح ، لكن لما علم أن قصد العاصر أن يجعلها خراً ؛ لم يكن له أن يعينه بما جنسه مباح على معصية الله ، بل لعنه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، لأن الله لم يبح إعانة العاصي على معصيته ، ولا أباح له ما يستعين به في المعصية ، فلا تكون مباحات لهم إلا إذا استعانوا بها على الطاعات . فيلزم من انتفاء السيئات أنهم لا يفعلون إلا الحسنات ؛ ولهذا كان من ترك المعاصي كلها ، فلا بد أن يشتغل بطاعة الله . وفي الحديث الصحيح : كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها » . فالمؤمن لا بد أن يحب الحسنات ، ولا بد أن يبغض السيئات ولا بد أن يسره فعل الحسنة ويسوءه فعل السيئة ، ومتى قدر أن في بعض الأمور ليس كذلك كان ناقص الإيمان ، فعل السيئة ، ومتى قدر أن في بعض الأمور ليس كذلك كان ناقص الإيمان ،

والمؤمن قد تصدر منه السيئة فيتوب منها، أو يأتي بحسنات تمحوها، أو يبتلى ببلاء يكفرها عنه ولكن لا بد أن يكون كارها لها ؛ فإن الله أخر أنه حبب إلى المؤمنين الإيمان ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، فمن لم يكره الثلاثة لم يكن منهم ، ولكن «محمد بن نصر» يقول : الفاسق يكرهها تديناً . فيقال : إن أريد بذلك أنه يعتقد أن دينه حرمها ، وهو يحب دينه ، وهذه من مجلته ؛ فهو يكرهها . وإن كان يحب دينه مجملاً ، وليس في قلبه كراهة لها ؛ كان قد عدم من الإيمان بقدر ذلك ، كما في الحديث الصحيح : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ».

وفى الحديث الآخر الذي في الصحيح أيضاً \_ « صحيح مسلم » \_ « فمن عاهده بقلبه على عده فهو مؤمن ، ومن جاهده بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل » .

فعلم أن القلب إذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله ؛ لم يكن فيه من الإيمان ، وهو الذي يستحق به الثواب. وقوله : «من الإيمان» أي : من هذا الإيمان ، وهو الإيمان المطلق . أي : ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الإيمان ، ولا قدر حبة خردل . والمعنى : هذا آخر حدود الإيمان ، ما بقى بعد هذا من الإيمان شيء ؛ ليس مراده أنه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الإيمان شيء ؛ بل لفظ الحديث إنما يدل على المعنى الأول .

## فس\_\_\_ل

ومن هذا الباب لفظ « الكفر » و « النفاق » فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة ، دخل فيه المنافقون ،كقوله : ﴿ وَمَن يَكُفُرُ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْحَسِرِينَ ) . وقوله : ( وَمَن يَكُفُرُ بِٱللَّهِ وَمَلَيْمٍ كَتِهِ ـ وَكُنُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيُوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْضَلَ ضَلَالْابَعِيدًا ) . وقوله: ( لَا يَصْلَنْهَا إِلَّا ٱلْأَشْفَى \* ٱلَّذِي كُذَّبَ وَتَوَلَّى ) وقوله : ﴿ كُلَّمَاۤ ٱلْقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَمُمْ خَزَنَهُمْ ٱلْمَرِيَا إِنَّ كُونَذِيرٌ \* قَالُواْ بَكِي قَدْجَاءَ فَا نَذِيرُ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالِكِبِيرِ ) وقوله: ﴿ وَسِيقَٱلَّذِينَكَ فَرُوٓ اْإِلَىٰ جَهَنَّمَ رُمُرَّا حَتَّىۤ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبُوابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهُمَ ٓ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلُّ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَاينتِ رَيِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاآءَ يَوْمِكُمْ هَنذاْقَالُواْ بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ \* قِيلَ ٱدْخُلُواْ أَبُوابَ جَهَنَّهُ خَلِدِينَ فِيهَا فَيِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكِيِّدِين). وقوله: ( وَمَنْ أَظْلُمُ مِمَّنِ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذَّا أَوْكَذَّا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَنْفِرِينَ ) . وقوله : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُ رُهُ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَحْشَرْتَنِيَ أَعْمَى وَقَدْكُنتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَٰ لِكَ أَنْتَكَ ءَايَنُنَا فَنَسِينَهُ أَوَكَذَ لِكَ ٱلْيَوْمَ أَنْسَى \* وَكَذَٰ لِكَ بَحْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنُ بِعَايَنتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَنَ ) وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِئنِ

وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِجَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَأَّأُوْلَيِّكَ هُمُّ شَرُّٱلْبَرِيَّةِ ). وأمثال هذه النصوص كثير في القرآن .

فهذه كلها يدخل فيها « المنافقون » الذين م فى الباطن كفار ليس معهم من الإيمان شيء ، كما يدخل فيها « الكفار » المظهرون للكفر ؛ بل المنافقون فى الدرك الأسفل من النار ، كما أخبر الله بذلك فى كتابه .

ثم قد يقرن « الكفر بالنفاق » في مواضع ؛ فني أول البقرة ذكر أربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين ، فقال تعالى : ( إِنَّ اللهَ جَامِعُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْكَنفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَيِعًا ) المنافقين ، فقال تعالى : ( إِنَّ اللهَ جَامِعُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْكَنفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَيعًا ) وقال : ( يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنْفِقُونَ وَٱلْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْنِسُ مِن فُولِكُمْ قِيلَ ارْجِعُواْ وقال : ( يَوْمَ يُقُولُ ٱلْمُنْفِقُونَ وَٱلْمُنْفِقُونَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَاللَّهُ مِنْ اللَّذِينَ كَفَرُواْ مَا وَسَلَّمُ وَلَا مِنَ ٱلنَّذِينَ كَفَرُواْ مَا وَسَلَّمُ وَلَّا اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ) . في سورتين ، وقال : ( أَلَمْ تَرَالِي ٱلذّينَ كَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ النَّذِينَ كَفُرُواْ ) . الآية . الآية .

وكذلك لفظ « المشركين » قد بقرن بأهل الكتاب فقط ، وقد بقرن بالملل الحسن ، كما في قوله تعالى : (إِنَّ النَّيْنَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّبِئِينَ وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالْمَحْوِسُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُ وَالْبَكِ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ شَهِيدً ) .

و ( الأول ) كقوله : ( لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ

حَقَىٰ تَأْنِيَهُمُ الْبِيْنَةُ ). وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْمِنَ أَهْلِ الْكِنْكِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي الْمِينَ فِيهَا أُوْلَيْكَ هُمْ شُرُّ الْبَرِيّةِ ). وقوله تعالى: (وَقُل لِللَّذِينَ الْمُواْلَقِ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ وَسَلَّم إِلا مِن الْمُواْلَقِ اللّهُ عليه وسلم إلا من عَلَيْكَ الْبَلَكُ اللّهُ عليه وسلم إلا من عَلَيْكَ الْبَلَكُ اللّهُ عليه وسلم إلا من الذين أو توا الكتاب أو الأميين، وكل أمة لم تكن من الذين أو توا الكتاب فهم من الأميين من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان فهم من الأمم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم أميون، والرسول مبعوث إليهم كما بعث إلى الأميين من العرب.

وقوله: ( وَقُل لِلّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَب ) ـ وهو إنما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل ـ يدل على أن من دان بدين اليهود والنصارى ، فهو من الذين أو توا الكتاب ، لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل ، ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم ؛ فإن أولادهم إذا كانوا بعد النسخ والتبديل بمن أو توا الكتاب ، فكذلك غيرهم إذا كانوا كلهم كانوا بعد النسخ والتبديل بمن أو توا الكتاب ، فكذلك غيرهم إذا كانوا كلهم وهو لا يخاطب بذلك إلا من بلغته رسالته ؛ لا من مات ؛ فدل ذلك على أن قوله : ( وَطَعَامُ اللّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَب ) بتناول هؤلاء كلهم ، كما هو مذهب الجمهور من السلف والحلف ، وهو مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته ، لم يختلف كلامه إلا في نصارى بني تغلب ، وآخر الروايتين عنه : أنهم تباح نساؤهم وذبائحهم ؛ كما هو قول جمهور الصحابة .

وقوله في « الرواية الأخرى » : لا تباح ؛ متابعة لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه ، لم يكن لأجل النسب ؛ بل لكونهم لم يدخلوا في دين أهل الكتاب إلا فيا يشتهونه من شرب الخرو و نحوه ، ولكن بعض التابعين ظن أن ذلك لأجل النسب ، كما نقل عن عطاء ، وقال به الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد ، وفرعوا على ذلك فروعا ، كمن كان أحد أبويه كتابياً والآخر ليس بكتابي و نحو ذلك ، حتى لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد إلا هذا القول؛ وهو خطأ على مذهبه ، مخالف لنصوصه ، لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا ألبتة كا قد بسط في موضعه .

ولفظ «المشركين » يذكر مفرداً في مثل قوله: ( وَلَا نَنكِحُواْ الْمُشْرِكَتِ حَقَّا يُؤْمِنَ ) وهل بتناول أهل الكتاب ؟ فيه «قولان » مشهوران للسلف والخلف . والذين قالوا: بأنها تعم: منهم من قال : هي محكمة ، كابن عمر والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات ؛ كما ذكره الله في آية المائدة ، وهي متأخرة عن هذه . ومنهم من يقول : نسخ منها تحريم نكاح الكتابيات . ومنهم من يقول : بل هو مخصوص لم يرد باللفظ العام ، وقد أنزل الله تعالى بعد صلح الحديبية قوله : ( وَلاَتُمُسِكُواْبِعِصَمِ ٱلْكَوَافِ ) . وهذا قد يقال : إنما نهى عن التمسك بالعصمة من كان متزوجاً كافرة ، ولم يكونوا حينئذ متزوجين إلا بمشركة وثنية ؛ فلم يدخل في ذلك الكتابيات .

## فھــــل

وكذلك لفظ «الصالح» و «الشهيد» و «الصديق»: يذكر مفرداً؛ فيتناول النبيين، قال تعالى في حق الخليل: ( وَءَاتَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّتِكَا وَإِنّهُ فِي الدُّتِكَا وَالدَّوْ وَالدَّتِكَا وَالدَّوْ وَالدَّتِكَا وَالدَّوْ وَالدَّتِكَا وَالدَّتِكِينَ). وقال الحليل: (رَبِّ هَبُ لِحُصَّمًا وَالْحِقِينِ وَالصَّلِحِينَ). وقال سليمان: ( وَادْخِلْقِ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّلِحِينَ). وقال النبي على الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته المتناوع في الله على الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم: السلام على الله قبل عباده، السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم « إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة؛ فليقل: التحيات لله ، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أحدكم في الصلاة ولم في السماء والأرض » .. الحديث.

وقد يذكر « الصالح مع غيره » كقوله تعالى : ( فَأُوْلَيَهِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعُمَ ٱللهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّهِيَّةِ وَٱلصَّلِحِينَ ) . قال الزجاج وغيره : عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّهِيِّةِ وَٱلصَّلِحِينَ ) . قال الزجاج وغيره : الصالح : القائم بحقوق الله وحقوق عباده . ولفظ « الصالح » خلاف الفاسد ؛

فإذا أطلق فهو الذي أصلح جميع أمره ، فلم بكن فيه شيء من الفساد ، فاستوت سريرته وعلانيته ، وأقواله وأعماله على ما يرضي ربه ؛ وهذا يتناول النبيين ومن دونهم . ولفظ «الصديق » قد جعل هنا معطوفاً على النبيين ؛ وقد وصف به النبيين ، في مثل قوله : ( وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِبْرَهِيمَ أَيْنَهُ كَانَ صِدِيقَانَيْيًا ) – النبيين ، في مثل قوله : ( وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِبْرَهِيمَ أَيْنَهُ كَانَ صِدِيقَانَيْيًا ) – ( وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِبْرَهِيمَ أَيْنَهُ كَانَ صِدِيقَانَيْيًا ) .

وكذلك «الشهيد» قد جعل هنا قرين الصديق والصالح، وقد قال: ( وَجِاْئَ وَالنَّبِيَّ وَالشَّهُدَاءِ وَقُضِى بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ). ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الأمة كلها في قوله: ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ). فهذه شهادة مقيدة بالشهادة على على النَّاسِ، كالشهادة المذكورة في قوله: ( تَوْلاَجَآءُ وعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءً ). وقوله ( وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَا ). وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين بل ذلك كقوله: ( وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً ). وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين بل ذلك كقوله: ( وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً ).

## فعـــــــــــل

وكذلك لفظ « المعصية » و « الفسوق » و « الكفر »: فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق ، كقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ.فَإِنَّ لَهُ وَنَارَجَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ). وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادُّ جَحَدُواْ إِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْرُسُلَهُ وَأَتَّبَعُوٓاْ أَمْرَكُلُ جَبَّادِعِنِيدِ ). فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هوداً معصية تكذيب لجنس الرسل ، فكانت المعصية لجنس الرسل كَمُعْصِيةُ مِنْ قَالَ : ( فَكُذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلُ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ) . ومعصية من كذب و تولى ، قال تعالى : ( لَا يَصْلَنَهَ إَلَّا ٱلْأَشْقَى \* ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتُولَّى ) أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر، وإنما على الخلق أن بصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا. وكذلك قال في فرعون: ﴿ فَكُذَّبَوَعُصَىٰ ﴾. وقال عن جنس الكافر: ( فَلَاصَدَّقَ وَلِاصَلَّى \* وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ). فالتكذيب للخبر، والتولي عن الأمر. وإنما الايمان تصديق الرسل فيما أخــبروا، وطاعتهم فيما أمروا ، ومنه قوله: ﴿ كُمَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْثُ ٱلرَّسُولَ ﴾.

ولفظ « التولي » بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن ،

كقوله: ( سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولِى بَأْسِ شَدِيدِ لُقَائِلُونَهُمْ أَوْيُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُولِلْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الل

وَذُمه في غير موضع من القرآن من تولى ؛ دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وأن الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة ، وذم المتولي عن الطاعة ؛ كما علق الذم عطلق المعصية في مثل قوله : ( فَعَصَىٰ فِرْعَوْثُ ٱلرَّسُولَ ) . وقد قيل : إن « التأبيد » لم يذكر في القرآن إلا في وعيد الكفار ؛ ولهذا قال : (وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنهُ وَعَنْد الْكُفَار ؛ وَلَمْذَا قَال : (وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنهُ وَالْعَنْهُ وَلَعْمَا وَالْعَنْهِ وَالْعَنْهُ وَالْعَنْمُ وَالْعَنْهُ وَلَعْمَا ) .

وقال فيمن يجور في المواريث: ( وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدُخِلُهُ خَارًا خَلِدًا فِيهَا وَلهُ عَذَابٌ مُهِيثُ). فهنا قيد المعصية بتعدي حدوده ، فلم يذكرها مطلقة ؛ وقال: ( وَعَصَى اَدَمُ رَبّهُ فَعَوَى ) . فهي معصية خاصة ؛ وقال تعالى: ( حَتَّ إِذَا فَشِ لُتُ مُ وَتَنكَزَعْتُم فِي الْأَمْرِ وَعَصَينَتُم مِن ابَعْ دِمَا أَرك كُم مَّا تُحِبُّونَ ) فاخبر عن معصية واقعة معينة ، وهي معصية الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث أمره بلزوم ثغرره ، وإن رأوا المسلمين قد انتصروا ، فعصى من عصى منهم هذا الأمر ، وجعل أميره يأمرهم لما رأوا الكفار منهزمين ، وأقبل من أقبل منهم على المغانم . وكذلك قوله : ( وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ ) ؛ جعل ذلك ثلاث مراتب . وقد قال : ( وَلاَيعَضِينكَ فِ مَعْمُ وفِ ) . فقيد المعصية ولهذا فسرت بالنياحة قاله ابن عباس :

وروى ذلك مرفوعا. وكذلك قال زيد بن أسلم لا يدعن ويلاً ولا يخدشن

وجهاً ولا ينشرن شعراً، ولا يشققن ثوباً. وقد قال بعضهم: هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الإسلام وأ دلته كاقاله أبوسليمان الدمشقي ولفظ الآية عام أنهن لا يعصينه في معروف. ومعصيته لا تكون إلا في معروف ؛ فإنه لا يأمر بنكر ، لكن هذا كا قيل : فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر، إنما تلزم في المعروف بنكر ، لكن هذا كا قيل : فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر، إنما الطاعة في المعروف كا ثبت في «الصحيح» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف، ونظير هذا قوله: (اَستَجِعبُو اللهِ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ عليهُ وَاللهُ عليهُ وَاللهُ اللهُ عليهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ عليهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ عليهُ وَاللهُ واللهُ وَاللهُ وَل

فالتقييد في جميع هذا للبيان والإيضاح، لا لإخراج في وصف آخر ؛ ولهذا يقول من يقول من النحاة: الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص، كقوله: وفي النكرات للتخصيص يعني في المعارف التي لا تحتاج إلى تخصيص، كقوله: (سَيِّج السَّمَرَيِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ ) . وقوله: (الَّذِينَ يَتَبِعُونَ الرَّسُولَ النَّيِّيَ اللَّهِ مَلِيَّا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلِيَّا اللَّهُ مَلِيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْحَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

## قمـــل

ومن هذا الباب «ظلم النفس»: فإنه إذا أطلق تناول جميع الذنوب، فإنه إذا أطلق تناول جميع الذنوب، فإنها ظلم العبد نفسه، قال تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُ مَا عَلَيْكَ مِنْهَا قَآيِمُ وَحَصِيدُ \* وَمَاظَلَمْنَاهُمُ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمُ فَمَا أَغْنَتُ عَنْهُمْ عَالِهَ تُهُمُ مُالِّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَا جَآءَ أَمُ رُيِّكَ وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَتَنْبِيبٍ).

وأما لفظ « الظلم المطلق » . فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب ، قال تعالى : ( ٱحْشُرُوا الَّذِينَ ظَامُواْ وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ \* مِن دُونِ اللَّهِ فَالْهَدُوهُمْ إِلَى صِرَطِ

ٱلْجَحِيمِ \* وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْعُولُونَ ). قال عمر بن الخطاب:

ونظراؤهم . وهــذا ثابت عن عمر ، وروى ذلك عنه مرفوعاً . وكذلك قال ابن عباس: وأشباههم. وكذلك قال قتادة والكلبي: كل من عمل بمثل عملهم؛ فأهل الخر مع أهل الخر ، وأهل الزنا مع أهل الزنا. وعن الضحاك ومقاتل : قرناؤهم من الشياطين ؛ كل كافر معه شيطانه في سلسلة ، وهذا كقوله : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ). قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح. قال ابن عباس: وذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة. وقال الحسن وقتادة : ألحق كل امرئ بشيعته ؛ اليهودي مع اليهود ، والنصر اني مع النصاري . وقال الربيع بن خيثم: يحشر المرء مع صاحب عمله ، وهذا كما ثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال : « المرء مع من أحب » . وقال : « الأرواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وقال : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ».

وزوج الشيء نظيره ، وسمي الصنف زوجاً ؛ لتشابه أفراده ، كقوله : ( فَأَنْبُنْنَافِيهَا مِن كُلِّ مَنْ عِلَمْنَازَوْجَيْنِ لَعَلَّكُورُ وَمِن كُلِّ مَنْ عِلَمْنَازَوْجَيْنِ لَعَلَّكُورُ فَى ) . وقال : ( وَمِن كُلِّ مَنْ عِلْمُنَازَوْجَيْنِ لَعَلَّكُورُ نَ الله على واحد من المفسرين : صنفين ونوعين مختلفين : السهاء والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ؛ والبر والبحر ، والسهل والجبل والشماء والصناء والصيف ، والجن والإنس ؛ والكفر والإيمان ، والسعادة والشقاوة والحقق والباطل ، والذكر والأنثى ، والنور والظلمة والحلو والمر ، وأشباه ذلك

( لَعَلَكُونَذَكُرُونَ ) فتعلمون أن خالق الأزواج واحد . وليس المراد أنه يحشر معهم زوجاتهم مطلقاً ؛ فإن المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجراً ؛ بل كافراً ، كامرأة فرعون . وكذلك الرجل الصالح ، قد تكون امرأته فاجرة ، بل كافرة ، كامرأة نوح ولوط . لكن إذا كانت المرأة على دين زوجها ؛ دخلت في عموم الأزواج ، ولهذا قال الحسن البصري : وأزواجهم المشركات .

فلا ربب أن هذه الآية تناولت الكفار ، كما دل عليه سياق الآية . وقد تقدم كلام المفسرين: أنه يدخل فيها الزناة مع الزناة ، وأهل الخمر مع أهل الخرر . وكذلك الأثر المروي: « إذا كان يوم القيامة قيل: أين الظلمة وأعوانهم ؟ \_ أو قال : وأشباههم \_ فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار». وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم ، ولو أنه لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً ، ومنهم من كان يقول : بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم . وأعوانهم : ع من أزواجهم المذكورين في الآية ؛ فإن المعين على البر والتقوى من أهل ذلك ، والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذلك . قال تعالى: ( مَن يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ وَنَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعُ شَفَاعَةُ سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ) والشافع الذي يعين غيره ، فيصير معه شفعا بعد أن كان وتراً ؛ ولهذا فسرت «الشفاعة الحسنة» بإعانة المؤمنين على الجهاد، و«الشفاعة السيئة ، بإعانة الكفار على قتال المؤمنين ، كما ذكر ذلك ابن جرير ، وأبو سليمان.

وفسرت « الشفاعة الحسنة » بشفاعة الإنسان للإنسان ليجتلب له نفعاً ،

أو يخلصه من بلاء ، كما قال الحسن ومجاهد ، وقت ادة وابن زيد ؛ فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله ؛ من نفع من يستحق النفع ودفع الضرعمن يستحق دفع الضرر عنه . و « الشفاعة السيئة » إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان ، أو منع الإحسان الذي يستحقه . وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين ، والسيئة بالدعاء عليهم ، وفسرت الشفاعة الحسنة بالاحلاح بين اثنين ، وكل هذا صحيح . فالشافع زوج المشفوع الشفاعة الحسنة بالإصلاح بين اثنين ، وكل هذا صحيح . فالشافع زوج المشفوع أم وعدوان . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة قال لأصحابه : إنم وعدوان . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة قال لأصحابه : « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء » .

وتمام الكلام ببين أن الآية \_ وإن تناولت الظالم الذي ظلم بكفره \_ فهي أيضاً متناولة مادون ذلك، وإن قيل فيها: ( وَمَاكَانُواْيَعَبُدُونَ ) فقد ثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرم ، تعس عبد القطيفة تعس عبد الحميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك عبد الدرم ، وثبت عنه في « الصحيح » أنه قال : « ما من صاحب كنز إلا فلا انتقش » . وثبت عنه في « الصحيح » أنه قال : « ما من صاحب كنز إلا معل له كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمته أنا مالك ، أنا كنزك » . وفي لفظ: « إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه وهو يتبعه ، حتى يطوقه في عنقه » ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ( سَيُطَوَقُونَ مَا يَغِلُواْيِهِ عَيْوَمُ ٱلْقِيدَ مَةً ) . وفي حديث آخر : « مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع بتبع صاحبه حيثما ذهب ، وهو يفر منه : هذا مالك الذي كنت تبخل به ، بتبع صاحبه حيثما ذهب ، وهو يفر منه : هذا مالك الذي كنت تبخل به ،

فإذا رأى أنه لابد له منه ، أدخل بده في فيه ، فيقضمها كما يقضم الفحل » . وفي رواية : « فلا يزال يتبعه فيلقمه بده فيقضمها ، ثم بلقمه سائر جسده » . وقد قال تعالى في الآية الأخرى : (وَالَّذِينَ يَكْنِرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَةَ وَلاَيُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَشِرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحُمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِجَهَنَّمَ فَتُكُوك بِهَا عِبَاهُهُمْ وَخُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَا هَا ذَا مَا كَنَرُ تُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكُنزُونَ )

وقد ثبت في « الصحيح » وغيره عن النبي صلى الله عليــ ه وسلم أنه قال : « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليها في نار جهم ، فيجعل صفائح فیکوی بها جبینه وجنباه حتی بحکم الله بین عباده فی یوم کان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . وفي حديث أبي ذر: « بشر الكانزين برضف يحمى عليها في نار جهنم ، فتوضع على حلمة أدي أحدهم حتى يخرج من لغض كتفيه ، ويوضع على نغض كتفيه ، حتى يخرج من حلمة ثدييه ، يتزلزل وتكوى الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم». وهذا كما في القرآن ، ويدل على أنه بعد دخول النار ، فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك أولاً في الموقف . فهذا الظالم لما منع الزكاة يحشر مع أشباهه وماله الذي صار عبـداً له من دون الله ، فيعذب به ، وإن لم يكن هذا من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار . ولهذا قال في آخر الحديث: «ثم يرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار». فهذا بعد تعذيبه خسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يدخل الجنة .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ « الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب

النمل » قال ابن عباس وأصحابه: كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق . وكذلكقال أهل السنة كأحمد بن حبل وغيره ، كما سنذكره \_ إن شاه الله \_ . وقد قال الله تعالى: ( التَّذَكُوّا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَكَابُايِن دُوبِ اللهِ وَالْمَسِيحَ آبْتَكَ مَرْيَكُمُ وَمَا أُمِرُوّا إِلَا لِيَعْبُدُو الْإِلَهُا وَحِدَا لَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى وَاهُ أَحْدُ وَالْمَسِيحَ آبْتُ مَرْيَكُمُ وَمَا أُمِرُوّا إِلَا لِيعَبُدُو الْإِلَهُا وَحِدِد حديث حسن طويل رواه أحمد يشريكُوك) . وفي حديث عدي بن حاتم \_ وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرها \_ وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية ، قال : فقلت له إنا لسنا نعبده ؛ قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟! » قال : فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . وكذلك قال أبو البختري : أما إنهم لم يصلوا لهم ، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم فجعلوا حلل الله عرامه وحرامه حلاله ؛ فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية : كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال : كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء ؛ فما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم: فاستنصحوا الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهوره ، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عبادتهم إيام كانت في تحليل الحرام و تحريم الحلال ، لا أنهم صلوا لهم ، وصاموا لهم ، ودعوه من دون الله فهذه عبادة للرجال ، وتلك عبادة للاموال ، وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الله أن خلك شرك بقوله: (لآإلكة إلا هُوَّ سُبْكَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُوك) . فهذا من الظلم الذي ذلك شرك بقوله: (لآإلكة إلا هُوَّ سُبْكَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُوك) . فهذا من الظلم الذي

يدخل في قوله: ( آخشُرُواْ الَّذِينَ ظَامُواْ وَأَزْوَجَهُمْ وَمَاكَانُواْ يَعْبُدُونَ \* مِن دُونِ اللهِ ). فإن هؤلاء والذين أمروه بهذا هم جميعاً معذبون، وقال: ( إِنَّكُمْ وَمَاتَعْ بُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّ مَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ). وإنما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية الله . فهم الذين سبقت لهم الحسني ، كالمسيح والعزير وغيرها ، فأولئك ( مبعدون ) .

وأما من رضي بأن يعبد ويطاع في معصية الله ، فهو مستحق للوعيد ، ولو لم يأمر بذلك ، فكيف إذا أمر ؟! وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير الله ، وهذا من « أزواجهم » فإن « أزواجهم » قد يكونون رؤساء لهم ، وقد يكونون أتباعاً ، وهم أزواج وأشباه لتشابههم في الدين ، وسياق الآية بدل على ذلك ، فإنه سبحانه قال : ( اَخْشُرُوااالَّذِينَ ظَامُواواَزُوجَهُمْ وَمَاكانُوا فَإِنهُ سبحانه قال : ( اَخْشُرُوااالَّذِينَ ظَامُواواَزُوجَهُمْ وَمَاكانُوا فَإِنهُ سبحانه قال : ( اَخْشُرُوااالَّذِينَ ظَامُواواَزُوجَهُمْ وَمَاكانُوا فَإِنهُ سبحانه قال : ( اَخْشُرُوااالَّذِينَ ظَامُواواَزُوجَهُمْ وَمَاكانُوا مَنْ يَعْمَدُونَ \* مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَطِ الْمُحِيمِ ) . قال ابن عباس : دلوه . وقال الضحاك مثله . وقال ابن كيسان : قدموه . والمعنى : قودوه كما يقود الهادى لمن يهديه ولهذا تسمى الأغناق الهوادي ، لأنها تقود سائر البدن ، وتسمى أوائل الوحش الهوادي .

( وَقِفُوهُمَّ إِنَّهُم مَسْعُولُونَ \* مَالَكُوْ لَانَناصَرُونَ ). أي: كَمَا كُنتم تتناصرون في الدنيا على الباطل. ( بَلْهُرُ الْيُومُ مُسْتَسَامِوُنَ \* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَ لُونَ \* قَالُواْ إِنَّكُمْ كُنْهُ وَالْبِيا على الباطل. ( بَلْهُرُ الْيُومُ مُسْتَسَامِوُنَ \* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَ لُونَ \* قَالُواْ إِنَّكُمْ كُنْهُمْ فَوْمًا تَأْتُونَنَا عَنِ اللّهِ عَنْ اللّهُ اللّهُ مَا كُونُواْ مُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَنَاعَلَيْكُمُ مِن سُلْطَ نِيَّ بَلْكُنْهُمْ قَوْمًا طَنْعِينَ \* فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِنَا أَإِنَا لَذَا يِقُونَ \* فَأَغُويْنَ \* فَإِنَّهُمْ يَوْمَ يِذِفِ الْعَذَابِ طَلْعِينَ \* فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِنَا أَإِنَا لَذَا يَقُونُ \* فَأَغُويْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا عَنُونِنَ \* فَإِنَّهُمْ يَوْمَ يِذِفِ الْعَذَابِ

مُشْتَرِكُونَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ \* إِنَّهُمْ كَانُوۤ أَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكُمِرُونَ \* وَيَقُولُونَ أَيِّنَا لَتَارِكُواْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرِ مَجْنُونِ ).

وقال تعالى: (قَالَ اَدْخُلُواْ فِيَ أَمَوِقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِكُلُما دَخَلَتْ أُمَّةُ لَعَنَتْ أُخْنَا أُخْنَا حَقَّ إِذَا اَدَارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَنَهُ مُ لِأُولَنَهُمْ رَبَّنَا هَلَوُلاَ و أَضَلُّونَا فَعَاتِهِمْ عَذَا بَاضِعْفَا مِّنَ النَّارِقَالَ لِكُلِّضِعْفُ وَلَكِنَ لَانَعْلَمُونَ \* وَقَالَتْ أُولَنَهُمْ لِأُخْرَنَهُمْ فَمَاكَاتَ لَكُمْ عَلَيْنَامِن فَضْلِ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَاكُنتُمْ تَكْسِبُونَ ).

وقال تعالى: ( وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَ وَاللَّذِينَ السَّعَضَ وَاللَّذِينَ السَّعَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْلِهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ ا

وقال تعالى: ( وَلُوْتَرَى إِذِ الظّلِمُونِ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اَسْتَكْبَرُواْ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَا مُوْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اَسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اَسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اَسْتَكْبَرُواْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللْمُعْلِي اللَّهُ اللْمُ

وقوله في سياق الآية: ( إِنَّهُمْ كَانُوٓ أَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكُمْرُونَ )

ولا ريب أنها تتناول «الشركين »: الأصغر والأكبر، وتتناول أيضاً من الستكبر عما أمره الله به من طاعته؛ فإن ذلك من تحقيق قول لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو المستحق للعبادة، فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العبادله فمن استكبر عن بعض عبادته سامعاً مطيعاً في ذلك لغيره؛ لم يحقق قول: لا إله إلا الله في هذا المقام.

وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ـ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، يكونون على وجهين :

(أحدها): أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركاً مثل هؤلاء.

و (الثانى): أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنما الطاعة في المعروف » وقال: « على المسلم السمع والطاعة فيا أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية » .

وقال: « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ». وقال: « من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه ».

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع ؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه ، يل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه . ولكن من علم أن هذا خطأ فيا جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه ، وعدل عن قول الرسول ، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله ، لا سيا إن اتبع في ذلك هواه ، ونصره باللسان واليد ، مع علمه بأنه مخالف للرسول ؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه .

ولهذا انفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد فى خلافه ، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال ، وإن كان عاجراً عن إظهار الحق الذي يعلمه ؛ فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى ، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق ؛ لا يؤ اخذ بما عجز عنه ، وهؤلاء كالنجاشي وغيره . وقد أنزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالى . ( وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ اللهِ عَلَى اللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهُمْ ) . وقوله : ( وَإِذَاسَمِعُوا مَا أَنزِلَ إِلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل

ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد ؛ فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ ، كا في القبلة . وأما إن قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه ، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق ؛ فهذا من أهل الجاهلية . وإن كان متبوعه مصيباً ؛ لمن عمله صالحاً . وإن كان متبوعه مخطئاً ؛ كان آثماً ، كمن قال في القرآن برأيه ؛ فإن أصاب فقد أخطأ ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار . وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد ، ومن جنس عبد الدينار والدرم والقطيفة والخيصة ، فإن ذلك لما أحب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته ، صار عبداً له . وكذلك هؤلاء ؛ فيكون فيه شرك أصغر ، ولهم من الوعيد بحسب ذلك . وفي الحديث : «إن يسير الرياء شرك» . وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب .

(والمقصود هذا) أن الظلم المطلق بتناول الكفر، ولا يختص بالكفر؛ بل يتناول ما دونه أيضاً، وكل بحسبه كلفظ «الذنب» «والخطيئة» «والمعصية». فإن هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان، كما في «الصحيحين» عن عبدالله بن مسعود قال: قلت يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك»، فأنزل الله تعالى: ( وَاللّذِينَ قلت : ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك»، فأنزل الله تعالى: ( وَاللّذِينَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَلُونَ النّفُسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلّا فِالْحَقِ وَلَا يَزْنُونَ فَي وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَلْهُ إِلَا فَا عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

إِلَّا مَن تَابَوَءَامَن وَعَمِلَ عَكَمَلاصَلِحًا فَأُولَيْهِك يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَتٍ وَكَانَ اللَّهُ عَنَابَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّهُ بَيُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا).

فَمْنَ خَالَّ مُحْلُوقاً فَى خَلَافَ أَمْرِ الله ورسوله؛ كَانَ لهمن هذا الوعيد نصيب، كَا قَالَ تَعَالَى: ( ٱلْأَخِلَدَ مُيَوْمَ نِهِ بَعْضُهُ مَ لِبَعْضِ عَدُوً لِلَا ٱلْمُتَقِينَ ). وقال تعالى ( إِذْ تَبَرَّأُ ٱللَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ ٱللَّهُ وَمَ اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلَى عَلَى الْعَلَى الْمُعْلَى عَلَى الْمُعْلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْل

قال الفضيل بن عياض: حدثنا الليث عن مجاهد: هي المودات التي كانت بينهم لغير الله. فإن «المخالة» تحاب و تواد ؛ ولهذا قال: «المرء على دين خليله ، فإن المتحابين يحب أحدها ما يحب الآخر بحسب الحب ، فإذا اتبع أحدها صاحبه على محبته ما يبغضه الله ورسوله ؛ نقص من دينهما بحسب ذلك إلى أن ينتهي

إلى الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبَّالِلَّهِ ﴾ ·

والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه ، والمخلوق الذي اتبعوه ، على محبة الله ورسوله ، كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك ، فلهذا ألزمهم محبوبهم ، كا في الحديث ، يقول الله تعالى: «أليس عدلا منى أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا» . وقد ثبت في «الصحيح» يقول : « ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ؛ فمن كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت ، و يمثل للنصارى المسيح ، ولليهود عزير . فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها » كا سيأتي هذا الحديث \_ إن شاء الله \_ فهؤلاء «أهل الشرك الأكبر» .

وأما «عبيد المال» الذين كنزوه، وعبيد الرجال الذين أطاعوهم في معاصى الله فأولئك بعذبون عذاباً دون عذاب أولئك المشركين؛ إما في عرصات القيامة، وإما في جهنم، ومن أحب شيئاً دون الله عذب به. وقال تعالى: ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤ أَنفِقُواْ مِمَّارَزَقَنَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيدِ وَلا خُلَةً وَلا شَفَعَةً أَ

وَٱلْكَنفِرُونَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ ). «فالكفر المطلق» هو الظلم المطلق؛ ولهذا لا شفيع لأهله يوم القيامة كما نفى الشفاعة فى هذه الآية، وفى قوله: (وَأَنذِرُهُمْ يَوْمَ ٱلْآذِفَةِ إِذَالْقَلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِكَظِمِينَ مَالِلظَّلِمِينَ مِنْ حَمِيمِ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ \* يَعْلَمُ خَآيِنَة الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ ) . وقال: ( فَكُبْكِبُواْفِيهَاهُمْ وَٱلْغَاوُدنَ \* وَجُنُودُ الْفَيْنِ وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ ) . وقال: ( فَكُبْكِبُواْفِيهَاهُمْ وَٱلْغَاوُدنَ \* وَجُنُودُ

إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْنُصِمُونَ \* تَاللّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالِ ثَمِينٍ \* إِذْ نُسُوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْمُلْمِينِ \* وَمَآأَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ \* فَمَالَنَا مِن شَفِعِينَ \* وَلَاصَدِيقٍ مَمْيِم \* فَلَوَّأَنَّ لَنَاكُرُةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ) .

وقوله: (إِذْ نُسُوِيكُم ) لم يريدوا به أنهم جعلوم مساوين لله من كل وجه: فإن هذا لم يقله أحد من بنى آدم ، ولا نقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا: إن هذا العالم له خالقان متماثلان ، حتى المجوس القائلين « بالأصلين: النور والظلمة» متفقون على أن «النور» خير يستحق أن يعبد و يحمد ، وأن «الظلمة» شريرة تستحق أن تذم وتلعن ، واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة؟ على قولين ، وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه .

وقال تعالى: ( وَلَبِن سَأَلْنَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ \* ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَكُمْ تَهْ تَدُونَ \* وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءُ بِقَدرِ فَأَنشَرْ نَابِهِ عَبَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ \* وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنعَنو مَاتَرَكُبُونَ \* لِتَسْتَوُ وَاعَلَى ظُهُورِهِ قُمَّ تَذَكُرُ وَانِعْمَةَ رَبِيكُمْ إِذَا اسْتَوَيَّتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَا لَهُ وَمُقْرِنِينَ \* وَإِنَّا إِلَى رَبِنَا لَمُنقَلِبُونَ ).

 قُل لَا أَشْهَدُ ). وقال تعالى: ( فَمَا أَغُنتُ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ). وقال تعالى عنهم: ( أَجَعَلُ الْآلِمَةَ إِلَاهَا وَحِدًّا إِنَّ هَذَا لَشَيْءُ عُجَابُ ).

وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض، ولا خلق شيء ؛ بل كانوا بتخذونهم شفعاء ووسائط، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتَوُلُآءِ شُفَعَتُونَا عِندَاللَّهِ ). وقال عن صاحب يس : ( وَمَالِي لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* ءَأَيَّخُدُمِن دُونِهِ ٤ - اَلِهِ كَةً إِن يُرِدُنِ ٱلرَّحْمَنُ بِضُرِّ لَا تُغْنِ عَنِّ شَفَعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنقِذُونِ ) . وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَى رَبِّهِمُّ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ - وَلِيُّ وَلَاشَفِيعُ ). وقال تعالى: (أللهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُ مَا فِي سِتَّةِ أَيَّامِ ثُرَّأَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِّ مَالَكُم مِن دُونِهِ عِن وَلِيَّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلا نُتَذكَّرُونَ ). وقال: ( قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِ ٱلسَّمَنوَتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَامِن شِرْكِ وَمَالَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ \* وَلَا نَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ ۚ إِلَّالِمَنْ أَذِكَ لَهُ ﴾ ) فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك، أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة ؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى: ( مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندُهُ وَإِلَّا بِإِذْنِهِ ) وقال تعالى عن الملائكة: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ). وقال: ﴿ وَكُم مِّن مَّلَكِ فِي ٱلسَّمَوَ تِ لَاتُغْنِي شَفَاعَهُمْ شَيَّءًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ أَللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَيَ

فهذه « الشفاعة » التي يظنها المشركون ؛ هي منتفية يوم القيامة كما نفاها

القرآن. وأما ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكون. فأخبر: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً. فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه؛ يقال له: أي محمد! ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. فيقول: أي رب أمتى! فيحد له حداً فيدخلهم الجنة». وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». فتلك «الشفاعة» هي لأهل الإخلاص بإذن الله، ليست لمن أشرك بالله، ولا تكون إلا بإذن الله وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد، فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك، وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون صلى الله عليه وسلم، كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم، وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته.

وإذا كان كذلك « فالظلم ثلاثة أنواع »: فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه . وظلم الناس بعضهم بعضاً لابد فيه من إعطاء المظلوم حقه ؛ لا بسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم ، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة . فالظالم المطلق ماله من شفيع مطاع ، وأما الموحد فلم بكن ظالماً مطلقاً ، بل هو موحد مع ظامه لنفسه . وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله ، فبه صار من أهل الشفاعة .

ومقصود القرآن بنني الشفاعة نني الشرك ، وهو: أن أحداً لا يعبد إلا الله

ولا يدعو غيره ، ولايسأل غيره ، ولايتوكل على غيره لا في شفاعة ، ولا غيرها ؛ فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه ، وإن كان الله بأتيه برزقه بأسباب.

كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة ، وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها، فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقاً ؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد.

وأما «الظلم المقيد» فقد يختص بظلم الإنسان نفسه، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، كقول آدم عليه السلام وحواء : ( رَبَّنَاظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ) . وقول موسى : ( رَبَّنَاظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ) . وقول موسى : ( رَبِّإِنِي ظَلَمْتُ نَفْسِى ) . وقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَنْحِشَةً أَوْظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكُرُوا اللَّهَ فَالُوا لَذُنُوبِهِمْ ) . لكن قول آدم وموسى إخبار عن واقع لا عموم فيه ، وذلك قد عرف ولله الحمد أنه ليس كفراً .

 صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: « إنما هو الشرك ؛ ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمُ عَظِيمٌ ) » .

والذين شق ذلك عليهم ظنوا: أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه ، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه ، فشق ذلك عليهم ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى . وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إعانه بهذا الظلم ؛ ومن لم يلبس إعانه به كان من أهل الأمن والاهتداء . كما كان من أهل الاصطفاء في قوله : ( مُمَّ أَوْرَثَنَا ٱلْكِنَبَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَ

وقد سأل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: يا رسول الله! وأينا لم يعمل سوءاً ؟ فقال: «يا أبا بكر! ألست تنصب، ألست تحزن، ألست تصيبك اللأواء ؟ فذلك ما تجزون به » فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة، قد يجرى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه، كما في « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مشل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح، تقومها تارة وتميلها أخرى، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لاتزال ثابتة

على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة ». وفى « الصحيحين» عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى ، حتى الشوكة بشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه »، وفي حديث سعد بن أبي وقاص ، قلت : يارسول الله! أي الناس أشد بلاء ؟ قال: «الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة ، زيد فى بلائه ، وإن كان في دينه رقة ؛ خفف عنه ولا يزال البلاء بلمؤ من حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة » رواه أحمد والترمذي وغيرها . وقال : « المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه ، كما تحط والترمذي وغيرها . وقال : « المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه ، كما تحط الشجرة اليابسة ورقها » والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

فن سلم من أجناس الظلم الثلاثة ؛ كان له الأمن التام ، والاهتداء التام . ومن لم يسلم من ظلمه نفسه ؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقاً ، بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك فى الآية الأخرى ، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه . وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إنما هو الشرك » أن من لم يشرك الشرك الأكبر ، يكون له الأمن التام ، والاهتداء التام ، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون المخوف ، لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين المحواط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والسداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم ؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم ؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى

هذا الصراط ، ومعهم أصل نعمة الله عليهم ، ولا بد لهم من دخول الجنة . وقول النبي صلى الله عليه وسلم « إنما هو الشرك » إن أراد به الشرك الأكبر ، فقصوده أن من لم يكن من أهله ، فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك . وإن كان مراده جنس الشرك ؛ فيقال : ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب ؛ هو شرك أصغر ، وجه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ، و نحو ذلك . فهذا صاحبه قدفاته من الأمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار .

## قمــــل

ومن هذا الباب لفظ «الصلاح»، و «الفساد»: فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد بتناول جميع الشر ، كما تقدم في اسم الصالح ، وكذلك اسم المصلح والمفسد ، قال تعالى في قصة موسى : ( أَتُرِيدُأَن تَقْتُلنِي كَمَاقَنَلْتَ نَفْسًا المصلح والمفسد ، قال تعالى في قصة موسى : ( أَتُرِيدُأَن تَقْتُلنِي كَمَاقَنَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبًا رَافِي الْأَرْضِ وَمَاتُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) ، ( وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ الْمُفْسِدِينَ ) وقال مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ الْمُفْسِدِينَ ) وقال تعالى : ( وَإِذَاقِيلَ لَهُمْ لَانُفْسِدُوافِي الْأَرْضِ قَالُو الْإِنَمَا غَنْ مُصْلِحُونَ \* أَلاَ إِنَّهُمْ لَانُفْسِدُونَ وَلَاكِنَ لَا يَشْعُهُونَ ) .

والضمير عائد على المنافقين في قوله: ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللّهِ على وَإِلْمَوْمِ الْلَاحِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ) وهذا مطلق بتناول من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن سيكون بعدم ، ولهذا قال سلمان الفارسي: إنه عني بهذه الآبة قوماً لم يكونوا خلقوا حين نزولها ، وكذا قال السدي عن أشياخه: الفساد الكفر والمعاصي ، وعن مجاهد: ترك امتثال الأوام واجتناب النواهي . والقولان معناها واحد . وعن ابن عباس: الكفر ، وهذا معنى قول من قال: النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوم على أسرار المؤمنين . وعن أبي العالية ومقاتل: العمل بالمعاصي . وهذا أيضاً عام كالأولين .

وقولهم: (إِنَّمَا نَعْنُ مُصّلِحُوبَ) فسر بإنكار ما أقروا به ، أي : إنا إنما نفعل ما أمرنا به الرسول . وفسر : بأن الذي نفعله صلاح ، ونقصد به الصلاح وكلا القولين يروى عن ابن عباس ، وكلاها حق ، فإنهم يقولون هذا وهذا ، يقولون الأول لمن لم يطلع على بواطنهم ، ويقولون الثاني لأنفسهم ولمن اطلع على بواطنهم . لكن الثاني يتناول الأول ؛ فإن من جملة أفعالهم إسرار خلاف ما يظهرون ، وهم يرون هذا صلاحا قال مجاهد : أرادوا أن مصافاة الكفار صلاح لافساد . وعن السدي : إن فعلنا هذا هو الصلاح ، وتصديق محمدفساد وقيل : أرادوا أن هذا صلاح في الدنيا ، فإن الدولة إن كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أمنوا بمتابعته ، وإن كانت للكفار ؛ فقد أمنوهم بمصافاتهم .

ولأجل القولين قيل في قوله: ( أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُهُهَ )

أي لا يشعرون أن ما فعلوه فساد لا صلاح. وقيل: لا يشعرون أن الله بطلع نبيه على فسادهم. والقول الأول يتناول الثاني ؛ فهو المراد ، كما يدل عليه لفظ الآية. وقال تعالى ( إِنَّ وَلِيِّي ٱللهُ ٱلَذِي نَزَّلَ ٱلْكِئَبِ وَهُو يَتَوَلَّى ٱلصَّلِحِينَ ) وقال ( قَالَ مُوسَىٰ مَاجِثَتُم بِهِ ٱلسِّحُرُ إِنَّ ٱللهَ سَيُبْطِلُهُ وَإِنَّ ٱللهَ لايصله عَمَلَ ٱلمُفْسِدِينَ ) وقول يوسف ( تَوَفَّنِي مُسِّلِمًا وَ ٱلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ ) .

وقد بقرن أحدها بما هو أخص منه ، كقوله: ( وَإِذَا تُوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْ لِكَ ٱلْخَرْثَ وَٱلنَّسُ لَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ ٱلفَسَادَ) قيل: بالكفر، وقيل: بالكفر، وقيل: بالظلم؛ وكلاها صحيح وقال تعالى: ( تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوًا

فِ ٱلْأَرْضِ وَلَافَسَادًا ) وقد تقدم قوله تعالى: ( إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَآيِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَ هُمْ وَيَسْتَحْيِ ونِسَآءَ هُمْ إِنَّهُ, كَاك مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ). وقال تعالى: ( مِنْ أَجْلِ ذَالِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَةِ يلَ أَنَّهُ, مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْفَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا) وقتل النفس الأول من جملة الفساد ، لكن الحق في القتل لولي المقتول ، وفي الردة والمحاربة والزنا؛ الحق فيها لعموم الناس؛ ولهذا يقال: هو حق لله، ولهــــذا لا يعنى عن هذا ، كما يعفى عن الأول لأن فساده عام ، قال تعالى ( إِنَّمَا جَزَ وَأُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓ أَوْيُصَكِّبُوٓ أ أَوْتُقَطَّعَ أَيْدِيهِ مْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ ) الآبة. قيل: سبب نزول هذه الآبة العرنيون الذين ارتدوا وقتلوا وأخذوا المال. وقيل: سببه ناس معاهدون نقضوا العهد وحاربوا. وقيل: المشركون؛ فقد قرن بالمرتدين المحاربين وناقضي العهد المحاربين وبالمشركين المحاربين. وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطاع الطريق من المسلمين، والآية تتناول ذلك كله؛ ولهذا كان من تاب قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء ، فإنه يسقط عنه حق الله تعالى .

وكذلك قرن « الصلاح والإصلاح بالإيمان » في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْوَعَ مِلُواْ الصَّالِحَاتِ ) . ( فَمَنَ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خُوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحِّزَنُونَ ) . ومعلوم أن الإيمان أفضل الإصلاح ، وأفضل العمل الصالح ، كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل : يارسول الله ! أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله » . وقال تعالى : ( وَإِنِي لَغَفَّارُ لِيَمَنَ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ أَفْضَل ؟ قال : « إيمان بالله » . وقال تعالى : ( وَإِنِي لَغَفَّارُ لِيَمَنَ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

صَلِحاتُمُ الْهَدَىٰ ) . وقال : (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَن وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَتهِكَ يَدُّخُلُونَ الْجُنَّةَ ) . وقال : (إِلَّا اللَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللَّهَ عَسَنَتِ ) . وقال في القذف : (إلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ فَالِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمً ) . وقال في السارق : (فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصَّلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمً ) . وقال في السارق : (فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصَّلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ) . وقال : (وَالَّذَانِ يَأْتِينَنِهَا مِن صَعْدِ ظُلْمِهِ فَيَاذُوهُمَّ أَفَإِن تَابَ وَاللَّذَانِ يَأْتِينِهَا مِن صَعْدِ فَا وَلِيهِم في قبول شهادة وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَ آ ) . ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم في قبول شهادة وأصَّلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَ آ ) . ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم في قبول شهادة القاذف أن يصلح ، وقدروا ذلك بسنة ، كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما أجله سنة ، وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي إلى البدعة أنه يؤجل سنة ، كما أجل عمر صبيغ بن عسل .

## فهـــــل

فإن قيل : ما ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله، وكلام كل أحد؛ بين ظاهر لا يمكن دفعه؛ لكن نقول : دلالة لفظ الإيمان على الأعمال مجاز؛ فقوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ؛ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » مجاز . وقوله : « الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ... إلى آخره ؛ حقيقة . وهذا عمدة المرجئة ، والجهمية ، والكرامية ، وكل من لم يدخل الأعمال في اسم الإيمان .

و نحن نجيب بجوابين: «أحدها» : كلام عام في لفظ (الحقيقة، والمجاز). «والثاني» : ما يختص بهدا الموضع. فبتقدير أن يكون أحدها مجازاً ؛ ما هو الحقيقة من ذلك من المجاز؟ هل الحقيقة هو المطلق، أو المقيد، أو كلاها حقيقة حتى بعرف أن لفظ الإيمان إذا أطلق على ماذا يحمل؟.

فيقال أولاً: تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى «حقيقة ، ومجاز » ، وتقسيم دلالتها أو المعانى المدلول عليها ، إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة ؛ فإن هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين . ولكن المشهور

أن الحقيقة والحجاز من عوارض الألفاظ ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الشلاثة ، لم يشكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم ، كالك والثوري والأوزاعي وأبى حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أمَّـة اللغة والنحو ، كالخليل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء و تحوه .

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ «الحجاز» أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه . ولكن لم يعن بالحجاز ما هو قسيم الحقيقة . وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ؛ ولهذا قال من قال من الأصوليين \_ كأبي الحسين البصري وأمثاله \_ إنها تعرف الحقيقة من الحجاز بطرق منها : نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا : هذا حقيقة ، وهذا مجاز ، فقد تكلم بلا علم ، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا ، ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ، ولا من سلف الأمة وعلما أبا ، وإنما هذا اصطلاح حادث ، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة و تحوهم من المتكلمين ، فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث و تحوهم من السلف .

وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في «أصول الفقه» لم يقسم هذا التقسيم»، ولا تكلم بلفظ «الحقيقة والمجاز». وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في « الجامع الكبير» وغيره ؛ ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والحجاز . وكذلك سائر الأئمة لم يوجد

لفظ الحجاز فى كلام أحد منهم إلا فى كلام أحمد بن حنب ل ؛ فإنه قال فى كتاب الرد على الحبمية فى قوله : ( إنا ، و نحن ) و نحو ذلك فى القرآن : هذا من مجاز اللغة ، يقول الرجل : إنا سنعطيك . إنا سنفعل ؛ فذكر أن هذا مجاز اللغة .

وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال: إن في «القرآن» مجازاً ،كالقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي الخطاب وغيره . وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز ، كأبي الحسن الخرزى . وأبي عبدالله بن حامد . وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي ، وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز ، محمد بن خويز منداد ، وغيره من المالكية ، ومنع منه داود بن على ، وابنه أبو بكر ، ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفاً .

وحكى بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين. وأما سائر الأمّة فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد: إن في القرآن مجازاً، لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة ، فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز. إنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة ، وما علمتهموجوداً في المائة الثانية ، اللهم إلا أن يكون في أواخرها ، والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا اللهم إلا أن يكون في أواخرها ، والذين أحمد: من مجاز اللغة . أي : مما يجوز مهذا التقسيم . قالوا: إن معنى قول أحمد: من مجاز اللغة . أي : مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان : نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ، ونحو ذلك . قالوا: ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ماوضع له.

وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز ، لا في القرآن ولا غــيره ، كأبي

إسحاق الإسفرائيني. وقال المنازعون له: النزاع معه لفظي، فإنه إذا سلم أن في اللغة لفظاً مستعملاً في غير ما وضع له لا يدل على معناه إلا بقرينة ؛ فهذا هو المجاز وإن لم يسمه مجازاً. فيقول من ينصره: إن الذين قسموا اللفظ: حقيقة ، ومجازاً قالوا: «الحقيقة» هو اللفظ المستعمل فيما وضع له. «والحجاز» هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الأسد والحمار ، إذا أريد بهما البهيمة،أو أريد بهما الشجاع والبليد. وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ، ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه ، وقد يستعمل في غير موضوعه ؛ ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد لهمن حقيقة وليس لكل حقيقة مجـاز ؟ فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال : اللفظ الموضوع قبل الاستعال لا حقيقة ولا مجاز ، فإذا استعمل في غير موضوعه ، فهو مجاز لا حقيقة له.

وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ، ثم بعد ذلك استعملت فيها ؛ فيكون لها وضع متقدم على الاستعال . وهذا إنما صح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية ، فيدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا ، وهذا بكذا ، ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات . وهذا القول لا نعرف أحداً من السلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي؛ فإنه وأبا الحسن الأشعري كلاها قرأ على أبي على الجبائي ، لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة ، وخالفهم في القدر والوعيد ، وفي الأسماء والأحكام ، وفي

صفات الله تعالى ، وبين من تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه .فتنازع الأشعري وأبو هاشم فى مبدأ اللغات ؛ فقال أبو هاشم : هي اصطلاحية ، وقال الأشعري : هي توقيفية . ثم خاض الناس بعدها فى هذه المسألة ؛ فقال آخرون : بعضها توقيفي ، وبعضها اصطلاحي ، وقال فريق رابع بالوقف .

والمقصود هنا أنه لا يمكن أحداً أن ينقل عن العرب ، بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ، ثم استعملوها بعد الوضع ، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني ، فإن ادعى مدع أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك ، فهو مبطل ، فإن هذا لم ينقله أحد من الناس . ولا يقال : نحن نعلم ذلك بالدليل ؛ فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم ، لم يمكن الاستعال .

قيل: ليس الأمركذلك؛ بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض ، وقد سمي ذلك منطقاً وقولاً في قول سليمان: ( عُلِمَنَامَنطِقَ الطَّيْرِ ) . وفي قوله : ( قَالَتَ نَمْلَةٌ يُكَأَيُّهَ النَّمَلُ الدَّخُلُواْمَسَكِنَكُمْ ) وفي قوله : ( قَالَتَ نَمْلَةٌ يُكَأَيُّهَ النَّمَلُ الدَّخُلُواْمَسَكِنَكُمْ ) وفي قوله : ( يَنجِبَالُ أَوِي مَعَدُ وَالطَّيرَ ) . وكذلك الآدميون ؛ فالمولود إذا ظهر منه التميير ، سمع أبويه أو من يربيه ينطق باللفظ ، ويشير إلى المعنى ، فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى ، أي : أراد المتكلم به ذلك المعنى ، ثم هذا يسمع لفظ عتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم ؛ بل ولا أوقفوه على معاني الأسماء ، يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم ؛ بل ولا أوقفوه على معاني الأسماء ،

وإن كان أحياناً قد بسـ أل عن مسمى بعض الأشياء فيوقف عليها ، كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها ، وإن باشر أهلها مدة علم ذلك بدون توقيف من أحدهم .

نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه ، كا يولد لأحدم ولد فيسميه اسماً إما منقولاً وإما مرتجلاً ، وقد يكون المسمى واحداً لم يصطلح مع غيره ، وقد يستوون فيما يسمونه . وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة ، أو يصنف كتابا ، أو يبنى مدينة ونحو ذلك ، فيسمى ذلك باسم لأنه ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة . وقد قال الله ألرّحَمَن \* عَلَمَ القُرْءَان \* خَلَق الإنسان في خَلَق الإنسان ) . و ( قَالُوا فهو سبحانه يلهم الإنسان المنطق ، كا يلهم غيره .

وهو سبحانه إذا كان قد علم آدم الأسماء كلها ، وعرض المسميات على الملائكة ، كما أخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة ، وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده ، فلا يتكلمون إلا بها فإن دعوى هذا كذب ظاهر ، فإن آدم عليه السلام إنما فلا يتكلمون إلا بها فإن دعوى هذا كذب ظاهر ، فإن آدم عليه السلام إنما ينقل عنمه بنوه ، وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة ، وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح ، ولم يكونوا بتكلمون بجميع ما تكلمت به الأمم بعده . فإن «اللغة الواحدة» كالفارسية ، والعربية ، والرومية والتركية ، فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله ، والعرب أنفسهم والتركية ، فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله ، والعرب أنفسهم

لكل قوم لغات لا يفهمها غيره، فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة، وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل، وإنما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة: سام وحام ويافث، كما قال الله تعالى: ( وَجَعَلْنَاذُرِّيَّتَهُ مُهُرُ ٱلْبَاقِينَ ). فلم يجعل باقياً إلا ذريته، وكما روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم: « أن أولاده ثلاثة ». رواه أحمد وغيره.

ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ، ويمتنع نقل ذلك عنهم ؛ فإن الذين بعرفون هذه اللغة لا بعرفون هذه ، وإذا كان الناقل ثلاثة ؛ فهم قد علموا أولاده ، وأولاده علموا أولاده ، ولو كان كذلك لاتصلت . ونحن نجد بني الأب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الأخرى والأب واحد لا يقال : إنه علم أحد ابنيه لغة وابنه الآخر لغة ؛ فإن الأب قد لا يكون له إلا ابنان ، واللغات في أولاده أضعاف ذلك .

والذي أجرى الله عليه عادة بنى آدم إنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم التى يخاطبونهم بها أو يخاطبهم بها غيرهم ، فأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولاده . وأيضاً فإنه يوجد بنو آدم يتكلمون بألفاظ ما سمعوها قط من غيرهم . والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم فى الأسماء التى علمها الله آدم قولان معروفان عن السلف .

(أحدهما): أنه إنماعلمه أسماء من يعقل، واحتجوا بقوله: ( ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمُلَيْكِكَةِ). قالوا: وهذا الضمير لا يكون إلا لمن يعقل، وما لا يعقل، يقال

فيها: عرضها. ولهذا قال أبو العالية: علمه أسماء الملائكة ، لأنه لم بكن حينئذ من يعقل إلا الملائكة ؛ ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائكة ، ولا كان له ذرية . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : علمه أسماء ذريته ، وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن آدم سأل ربه أن يريه صور الأنبياء من ذريته ؛ فرآهم فرأى فيهم من يبص . فقال : يارب من هذا ؟ قال : ابنك داود » . فيكون قد أراه صور ذريته ؛ أو بعضهم وأسماءه ، وهذه أسماء أعلام لا أجناس .

(والثاني): أن الله علمه أسماء كل شيء ، وهذا هو قول الأكثرين، كابن عباس وأصحابه ؛ قال ابن عباس : علمه حتى الفسوة والفسية والقصعةوالقصيعة أراد أسماء الأعراض والأعيان مكبرها ومصغرها . والدليل على ذلك ماثبت في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث الشفاعة : « إن الناس يقولون: يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه وعامك أسماء كل شيء » . وأيضاً قوله : « الأسماء كلها » لفظ عام مؤكد ؛ فلا يجوز تخصيصه بالدعوى . وقوله : ( ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَامِكَةِ ) ؛ لأنه اجتمع من يعقل ومن لا يعقل ، فغلب من يعقل . كما قال : ( فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ عَ وَمِنْهُم مِّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مِّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعِ ). قال عكرمة : علمه اسماء الأجناس دون انواعها ، كقولك : إنسان وجن وملك وطائر . وقال مقاتل، وابن السائب، وابن قتيبة: علمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب والهوام والطير.

ومما يدل على أن هذه اللغات ليست متلقاة عن آدم ؛ أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ، ليس عندهم أسماء خاصة للأولاد والبيوت والأصوات وغير ذلك مما يضاف إلى الحيوان؛ بل إنما يستعملون في ذلك الإضافة. فلو كان آدم عليه السلام علمه الجميع لعلمها متناسبة ، وأيضاً فكل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع ، وإنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة ؛ لأن ذلك عرف بالحس والعقل؛ فوضعت له الأمم الأسماء؛ لأن التعبير يتبع التصور وأما الأسبوع فلم يعرف إلا بالسمع ، لم يعرف أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوماً يعبدون الله فيه ويحفظون به الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم ؛ فني لغة العرب والعبر انيين ومن تلقى عنهم أيام الأسبوع ؛ بخلاف الترك ونحوه ؛ فإنه ليس في لغتهم أيام الأسبوع ، لأنهم لم يعرفوا ذلك ، فلم يعبروا عنه .

فعلم أن الله ألهم النوع الإنساني أن يعبر عما يريده ويتصوره بلفظه، وأن أول من علم ذلك أبوهم آدم، وهم علموا كما علم وإن اختلفت اللغات. وقد أوحى الله إلى موسى بالعبرانية، وإلى محمد بالعربية؛ والجميع كلام الله، وقد بين الله بذلك ما أراد من خلقه وأمره، وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى، مع أن العبرانية من أقرب اللغات إلى العربية، حتى إنها أقرب إليها من لغة بعض العجم إلى بعض.

فبالجلة نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على عدم ذلك ؛ بل يكفينا أن يقال:

هذا غير معلوم وجوده ، بل الإلهام كاف في النطق باللغات من غير مواضعة متقدمة ؛ وإذا سمى هذا توقيفاً ؛ فليسم توقيفاً ، وحينئذ فمن ادعى وضعاً متقدماً على استعال جميع الأجناس ؛ فقد قال ما لا علم له به . وإنما المعلوم بلا ريب هو الاستعال . ثم هؤلاء يقولون : تتميز الحقيقة من الحجاز بالا كتفاء باللفظ ، فإذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة ، وإذا لم يدل إلا مع القرينة ؛ فهو مجاز ، وهذا أمر متعلق باستعال اللفظ في المعنى لا بوضع متقدم .

ثم يقال (ثانياً): هذا التقسيم لا حقيقة له؛ وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا ، فعلم أن هذا التقسيم باطل ، وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول ، بل يتكلم بلاء لم ؛ فهم مبتدعة في الشرع ، مخالفون للعقل وذلك أنهم قالوا: « الحقيقة »: اللفظ المستعمل فيما وضع له . و « المجاز »: هو المستعمل في غير ما وضع له ؛ فاحتاجوا إلى إثبات الوضع السابق على الاستعال وهذا يتعذر . ثم يقسمون الحقيقة إلى لغوية ، وعرفية ، وأكثرهم يقسمها إلى ثلاث : لغوية ، وشرعية ، وعرفية ، وشرعية ، وعرفية .

«فالحقيقة العرفية»: هي ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعرف لا باللغة ، وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي ، وتارة أخص ، وتارة يكون مبايناً له لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها . فالأول : مثل لفظ « الرقبة » و « الرأس » ونحوها ، كان يستعمل في العضو المخصوص ، ثم صار يستعمل في جميع البدن . والثاني مثل لفظ « الدابة » ونحوها ، كان يستعمل في كل ما دب ، ثم صار

يستعمل فى عرف بعض الناس فى ذوات الأربع ، وفى عرف بعض الناس فى الفرس ، وفى عرف بعض الناس فى الفرس ، وفى عرف بعضهم فى الحمار . والثالث مثل لفظ « الغائط » و « الظعينة» و « المزادة » ؛ فإن الغائط فى اللغة هو المكان المنخفض من الأرض ، فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوائجهم سموا ما يخرج من الإنسان باسم محله والظعينة اسم الدابة ، ثم سموا المرأة التى تركبها باسمها ، ونظائر ذلك .

و «المقصود» أن هذه الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة لجماعة تواطئوا على نقلها ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها ذلك المعنى العرفي ، ثم شاع الاستعال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعال ، ولهذا زاد من زاد منهم فى حد الحقيقة فى اللغة التى بها التخاطب ، ثم هم يعلمون ، ويقولون : إنه قد يغلب الاستعال على بعض الألفاظ ، فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ، ولا يدل عند الإطلاق إلا عليه فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية . واللفظ مستعمل فى هذا الاستعال الحادث للعرفي ، وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك نقدم وضع فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح .

وإن قالوا: نعني بما وضع له ما استعملت فيه أولاً؛ فيقال: من أين يعلم أن هذه الألفاظ التي كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القرآن وقبله ، لم تستعمل قبل ذلك في معنى شيء آخر . وإذا لم يعلموا هذا النفي؛ فلا يعلم أنها حقيقة ، وهذا خلاف ما اتفقوا عليه . وأيضاً فيلزم من هذا ألا يقطع بشيء من الألفاظ أنه حقيقة ، وهذا لا يقوله عاقل .

فإذا قيل: رأس العين، ورأس الدرب، ورأس الناس، ورأس الأمر؛ فهذا المقيد غير ذاك المقيد الدال، ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع اللفظ الدال هناك؛ لكن اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كل الأسماء المعرفة في لام التعريف، ولو قدر أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس الإنسان أولا، لأن الإنسان يتصور رأسه قبل غيره، والتعبير أولا هو عما يتصور أولا، فالنطق بهذا المضاف أولا، لا يمنع أن ينطق به مضافا إلى غيره ثانياً، ولا يكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات، فإذا قيل: ابن آدم أولا؛ لم يكن قولنا: ابن

الفرس، وابن الحمار مجازاً، وكذلك إذا قيل: بنت الإنسان؛ لم يكن قولنا: بنت الإنسان؛ لم يكن قولنا: رأس بنت الفرس مجازاً. وكذلك إذا قيل: رأس الإنسان أولا لم يكن قولنا: رأس الفرس مجازاً، وكذلك في سائر المضافات إذا قيل: يده أو رجله.

فإذا قيل: هو حقيقة فيما اضيف إلى الحيوان؛ قيل: ليس جعل هذا هو الحقيقة بأولى من أن يجعل ما أضيف إلى الإنسان رأس، ثم قد يضاف إلى ملا يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببالعامة الناطقين باللغة. فإذا قيل: إنه حقيقة في هذا، فلماذا لا يكون حقيقة في رأس الجبل والطريق والعين ؟! وكذلك سائر ما يضاف إلى الإنسان من أعضائه، وأولاده، ومساكنه ؛ يضاف مثله إلى غيره ويضاف ذلك إلى الجمادات ؛ فيقال : رأس الجبل ورأس العين، وخطم الجبل أي أنفه وفم الوادي ، وبطن الوادي ، وظهر الجبل ، وبطن الأرض وظهرها ، ويستعمل مع الألف وهو لفظ الظاهر والباطن في أمور كثيرة ، والمعنى في الجميع أن الظاهر لما ظهر فتبين ، والباطن له أبطن في . وسمى ظهر الإنسان ظهراً لظهوره وبطن الإنسان بطناً لبطونه. لما بطن غفي . وسمى ظهر الإنسان ظهراً لظهوره وبطن الإنسان بطناً لبطونه. فإذا قيل : إن هذا حقيقة ، وذاك مجاز ؛ لم يكن هذا أولى من العكس .

و «أيضاً» من الأسماء ما تكلم به أهل اللغة مفرداً ،كلفظ «الإنسان» ونحوه ، ثم قد يستعمل مقيداً بالإضافة كقولهم: إنسان العين ، وإبرة الذراع ، ونحو ذلك ، وبتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز ؛ فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز ؛ وهو غلط ، فإن المجاز : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولا وهنا لم يستعمل اللفظ ؛ بل ركب مع لفظ آخر ، فصار وضعاً آخر بالإضافة .

فلو استعمل مضافاً فى معنى ، ثم استعمل بتلك الإضافة فى غيره كان مجازاً ، بل إذا كان بعلبك وحضر موت و نحوها مما يركب تركيب مزج بعد أن كان الأصل فيه الإضافة ؛ لا يقال : إنه مجاز . فما لم ينطق به إلا مضافاً أولى أن لا يكون مجازاً .

وأما من فرق بين الحقيقة والحجاز؛ بأن الحقيقة ما يفيد المعنى مجرداً عن القرائن، والحجاز مالا يفيد ذلك المعنى إلا مع قرينه، أو قال: «الحقيقة» :ما يفيده اللفظ المطلق.و «الحجاز»: ما لا يفيد إلا مع التقييد. أو قال: «الحقيقة» هي المعنى الذي يسبق إلى الذهن عند الإطلاق. «والحجاز» مالا يسبق إلى الذهن، أو قال: «الحجاز» ما صح نفيه، و «الحقيقة» ما لا يصح نفيها، فإنه يقال: ما تعني بالتجريد عن القرائن، والاقتران بالقرائن؟

إن عنى بذلك القرائن اللفظية ، مثل كون الاسم يستعمل مقروناً بالإضافة ، أو لام التعريف ، ويقيد بكونه فاعلاً ومفعو لا ومبتدأ وخبراً ، فلا يوجد قط في السكلام المؤلف اسم إلا مقيداً . وكذلك الفعل ، إن عنى بتقييده أنه لا بدله من فاعل وقد يقيد بالمفعول به وظرفي الزمان والمكان ، والمفعول له ومعه ، والحال فالفعل لا يستعمل قط إلا مقيدا ، وأما الحرف فأبلغ ، فإن الحرف أتى به لمعنى في غيره . ففي الجملة لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف بالا مقيداً بقيود تزيل عنه الإطلاق . فإن كانت القرينة مما يمنع الإطلاق عن كل

قيد ، فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد ، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ،

ولهذا كان لفظ « الكلام » و « الكلمة » فى لغة العرب ، بل وفى لغة غيرهم ، لا تستعمل إلا فى المقيد . وهو الجمالة التامة اسمية كانت أو فعلية أو ندائية ، إن قيل إنها قسم ثالث .

فأما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلة ، وإنما تسمية هذا كلة ، اصطلاح نحوي كما سموا بعض الألفاظ فعلاً ، وقسموه إلى فعل ماض ومضارع وأمر ، والعرب لم تسم قط اللفظ فعلاً ؛ بل النحاة اصطلحوا على هذا ، فسموا اللفظ باسم مدلوله ، فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماض سموه فعلاً ماضياً ، وكذلك سائرها .

وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة ، بل وفي كلام العرب نظمه و نثره لفظ كلة ؛ فإنما يراد به المفيدالتي تسميها النحاة جملة تامة ، كقوله تعالى : ( وَيُعنذِرَ النَّذِينَ قَالُوا النَّهَ وَلَدَا \* مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمِ وَلَا لِآبَا بِهِ مُّكَبُرَتُ كَلِمَةً مَخْرُجُ مِنْ النَّذِينَ قَالُوا النَّهُ وَلَدًا \* مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمِ وَلَا لِآبَا بِهِ مُّكَبُرَتُ كَلِمَةً النَّذِينَ النَّهُ وَلَا الله على : ( وَجَعَلَ كَلِمَةَ النَّذِينَ وَقُوله تعالى : ( وَجَعَلَ كَلِمَةَ النَّذِينَ النَّهُ فَلَ وَلَا الله على : ( وَجَعَلَ كَلَمَةُ اللَّهِ هِلَى الله عليه وسلم : «أصدق كلة قالها النَّهُ وَكُولُو النَّبِي صلى الله عليه وسلم : «أصدق كلة قالها الشاءر كلة ليد :

وقوله «كلتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». وقوله . «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة». وقوله: «لقد قلت بعدك ما بلغت ، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة». وقوله: «لقد قلت بعدك أربع كلات لو وزنت عما قلته منذ اليوم لوزنهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلاته».

وإذا كان كل اسم أو فعل أو حرف بوجد في الكلام، فإنه مقيد لا مطلق، لم يجز أن يقال للفظ الحقيقة ما دل مع الإطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه.

فإن قيل :أريد بعض القرائن دون بعض ، قيل له : اذكر الفصل بين القرينة التي يكون معها حقيقة ، والقرينة التي يكون معها مجاز ولن تجد إلى ذلك سبيلاً تقدر به على تقسيم صحيح معقول . ومما يدل على ذلك أن الناس اختلفوا فى « العام » إذا خص هل يكون استعاله فيما بقي حقيقة أو مجازاً ؟ وكذلك لفظ « الأمر » إذا أريد به الندب ، هل يكون حقيقة أو مجازاً ؟ وفى ذلك قولان لأكثر الطوائف : لأصحاب أحمد قولان ، ولأصحاب الشافعي قولان ، ولأصحاب الشافعي قولان ، ولأصحاب مالك قولان .

ومن الناس من ظن أن هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل ، كالصفة

والشرط والغاية والبدل، وجعل يحكي فى ذلك أقوال من يفصل كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه، وهذا مما لم يعرف أن أحداً قاله فجعل اللفظ العام المقيد فى الصفات والغايات والشروط مجازاً بل لما أطلق بعض المصنفين أن اللفظ العمام إذا خص يصير مجازاً ؛ ظن هذا الناقل أنه عنى التخصيص المتصل وأولئك لم يكن فى اصطلاحهم عام مخصوص إلا إذا خص بمنفصل. وأما المتصل ؛ فلا يسمون اللفظ عاماً مخصوصاً ألبتة فإنه لم يدل إلا متصلاً والاتصال منعه العموم، وهذا اصطلاح كثير من الأصوليين وهو الصواب. لايقال لما قيد بالشرط والصفة ونحوها : أنه داخل فيما خص من العموم، ولا في العام المخصوص ؛ لكن يقيد فيقال : تخصيص متصل ، وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق.

وبالجملة فيقال: إذا كان هذا مجازاً؛ فيكون تقييد الفعل المطلق بالمفعول به وبظرف الزمان والمكان مجازاً: وكذلك بالحال، وكذلك كل ما قيد بقيد، فيلزم أن يكون الكلام كله مجازاً، فأين الحقيقة؟

فإن قيل: يفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة، فما كان مع القرينة المتصلة فهو حقيقة، وما كان مع المنفصلة كان مجازاً؛ قيل: تعنى بالمتصل ما كان فى اللفظ، أو ما كان موجوداً حين الخطاب؟ فإن عنيت الأول؛ لزم أن يكون ماعلم من حال المتكلم أو المستمع أولاً قرينة منفصلة. فما استعمل بلام التعريف لما يعرفانه، كما يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند المسلمين رسول الله أو قال الصديق، وهو عندهم أبو بكر، وإذا قال الرجل لصاحبه: اذهب إلى

الأمير أو القاضي أو الوالي يريد ما يعرفانه [ف] إنه () يكون مجازاً . وكذلك الضمير بعود إلى معلوم غير مذكور .كقوله : ( إِنَّا أَنْرَلْنَهُ ) ، وقوله : ( حَتَّىٰ تَوَارَتُ بِالْحِجَابِ ) وأمثال ذلك ، أن يكون هذا مجازاً ؛ وهذا لا يقوله أحد .

و «أيضاً » فإذا قال لشجاع: هذا الأسد فعل اليوم كذا ، ولبليد: هذا الحمار قال اليوم كذا ، أو لعالم أو جواد: هذا البحر جرى منه اليوم كذا ؛ أن يكون حقيقة ، لأن قوله هذا قرينة لفظية ، فلا يبقى قط مجازاً .

وإن قال: المتصل أعم من ذلك ، وهو ما كان موجوداً حين الخطاب. قيل له: فهذا أشد عليك من الأول ؛ فإن كل متكلم بالحجاز لا بد أن يقترن به حال الخطاب ما يبين مراده ، وإلا لم يجز التكلم به .

فإن قيل : أنا أجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة. قيل : أكثر الناس لا يجوزون أن يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى إلا إذا بين ، وإنما يجوزون تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه ، كالمجملات . ثم نقول : إذا جوزت تأخير البيان ، فالبيان قد يحصل بجملة تامة ، وبأفعال من الرسول وبغير ذلك . ولا يكون البيان المتأخر إلا مستقلاً بنفسه ، لا يكون مما يجب اقترانه بغيره . فإن جعلت هذا مجازاً ؛ لزم أن يكون ما يحتاج في العمل إلى بيان مجازاً ، كقوله : ( خُذِمِنْ أَمُولِ لِمُ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّهِم بَهَا ) .

ثم يقال: هب أن هذا جائز عقلاً، لكن ليس واقعاً في الشريعة أصلاً، وجميع ما يذكر من ذلك باطل ، كما قد بسط في موضعه فإن الذين قالوا:
(١) اضيفت الفاء حسب مفهوم السياق.

الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه ، احتجوا بقوله : ( إِنَّ الله يَا أَمُن كُمْ أَن تَذَبَعُوا بَقَرَةً ) . وادعوا أنها كانت معينة ، وأخر بيان التعيين . وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أنهم أمروا ببقرة مطلقة فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها ، أجزأ عنهم ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم . والآية نكرة في سياق الإثبات ، فهي مطلقة . والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بما هي ، ولو كان الما أمور به معيناً ، لما كانوا ملومين . ثم إن مشل هذا لم يقع قط في أم الله ورسوله أن يأم عباده بشيء معين ، ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ، ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء .

واحتجوا بأن الله أخر بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج، وأن هذه الألفاظ لها معان في اللغة بخلاف الشرع؛ وهذا غلط، فإن الله إنما أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا المأمور به، وكذلك الصيام، وكذلك الحج، ولم يؤخر الله قط بيان شيء من هذه المأمورات، ولبسط هذه المسألة موضع آخر.

وأما قول من يقول: إن الحقيقة ما يسبق إلى الذهن عند الإطلاق ؛ فمن أفسد الأقوال ، فإنه يقال : إذا كان اللفظ لم ينطق به إلا مقيداً ؛ فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع . وأما إذا أطلق ؛ فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط ، فلم يبق له حال إطلاق محض حتى يقال : إن الذهن يسبق إليه أم لا .

و « أيضاً » فأي ذهن ؟! فإن العربي الذي يفهم كلام العرب ؛ يسبق إلى

ذهنه من اللفظ ما لا يسبق إلى ذهن النبطي الذي صار يستعمل الألفاظ في غير معانيها ، ومن هنا غلط كثير من الناس ؛ فإنهم قد تعودوا ما اعتادوه ، إما من خطاب عامتهم ، وإما من خطاب عامائهم باستعال اللفظ في معنى ، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى ، فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية ، وعادتهم الحادثة . وهذا مما دخل به الغلط على طوائف ، بل الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة ، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ ؛ فبتلك اللغة والعادة والعرف بعد ذلك .

وأيضاً ، فقد بينا في غير هذا الموضع أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا بين معناه للمخاطبين ، ولم يحوجهم إلى شيء آخر ، كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع . فقد تدين أن ما يدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود ؛ لا يوجد إلا مقدراً في الأذهان ، لا موجوداً في الكلام المستعمل . كما أن ما يدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود لا يوجد إلا مقدراً في الذهن ، لا يوجد في الحارج شيء موجود خارج عن كل قيد . ولهذا كان ما يدعونه من تقسيم العلم إلى تصور وتصديق ، وأن التصور هو تصور المعنى الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد . وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تتركب منها الأنواع ، وأنها أمور مطلقة عن كل قيد ، لا توجد . وما يدعونه من أن واجب الوجود هو وجود مطلق عن كل أمر ثبوتي ؛ وما يدعونه من أن واجب الوجود هو وجود مطلق عن كل أمر ثبوتي ؛

فهذه الصفات المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم. فإنه بسبب ظن وجودها ضل طوائف في العقليات والسمعيات، بل إذا قال العلماء: مطلق ومقيد ، إنما يعنون به مطلقاً عن ذلك القيد ، ومقيد بذلك القيد . كما يقولون : الرقبة مطلقة في آية كفارة اليمين ومقيدة في آية القتل . أي مطلقة عن قيد الإيمان ، وإلا فقد قيل : (فَتَحْرِيرُرَقَبَةٍ) . فقيدت بأنها رقبة واحدة ، وأنها موجودة ، وأنها تقبل التحرير . والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوحدة ولا كثرة ، ولا وجود ولاعدم ، ولا غير ذلك ؛ بل هو الحقيقة من حيث هي هي ، كما يذكره الرازي تلقياً له عن ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة . وقد بسطنا الكلام في هذا الإطلاق والتقيد ، والكليات والجزئيات في مواضع غير هذا ، وبينا من غلط هؤلاء في ذلك ما ليس هذا موضعه .

وإنما المقصود هنا « الإطلاق اللفظي » وهو أن يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد ، وهذا لا وجود له ، وحينئذ فلا يتكلم أحد إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض ، فتكون تلك قيود ممتنعة الإطلاق . فتبين أنه ليس لمن فرق بين الحقيقة والحجاز فرق معقول يمكن به التمييز بين نوعين ؛ فعلم أن هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله ورسوله فإنه مقيد بما ببين معناه ، فليس في شيء من ذلك مجاز ، بل كله حقيقة .

ولهذا لما ادعى كثير من المتأخرين أن في القرآن مجازاً وذكروا ما يشهد

لهم؛ رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه . فمن أشهر ما ذكروه قوله تعالى : ( جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَ ) . قالوا : والجدار ليس بحيوان ، والإرادة إنما تكون للحيوان ؛ فاستعمالها في ميل الجدار مجاز . فقيل لهم : لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعوروهو ميل الحي، وفي الميل الذي لاشعور فيه ، وهو ميل الجماد ، وهو من مشهور اللغة ؛ يقال هذا السقف يريد أن يقع وهذه الأرض تريد أن تحرث ، وهذا الزرع يريد أن يسقى ؛ وهذا الثمر يريد أن يقطف ، وهذا الثوب يريد أن يغسل ، وأمثال ذلك .

واللفظ إذا استعمل في معنيين فصاعداً ؛ فإما أن يجعل حقيقة في أحدها مجازاً في الآخر ، أو حقيقة فيما يختص به كل منهما ، فيكون مشتركا اشتراكا لفظياً ، أو حقيقة في القدر المشترك بينهما . وهي الأسماء المتواطئة . وهي الأسماء العامة كلها . وعلى الأول يلزم الحجاز . وعلى الثاني يلزم الاشتراك ؛ وكلاهم خلاف الأصل ، فوجب أن يجعل من المتواطئة . وبهذا يعرف عموم الأسماء العامة كلها وإلا فلو قال قائل : هو في ميل الجماد حقيقة ، وفي ميل الحيوان مجاز ؛ لم يكن بين الدعويين فرق إلا كثرة الاستعمال في ميل الحيوان ؛ لكن يستعمل مقيداً بين أنه أريد به ميل الحيوان ، وهنا استعمل مقيداً عما يبين أنه أريد به ميل الحيوان ، وهنا استعمل مقيداً عما يبين أنه أريد به ميل الجماد .

والقدر المشترك بين مسميات الأسماء المتواطئة أمركلي عام لا يوجد كلياً عاماً إلا في الذهن ، وهو مورد التقسيم بين الأنواع ، لكن ذلك المعنى العام الكلي كان أهل اللغة لا يحتاجون إلى التعبير عنه ؛ لأنهم إنما يحتاجون إلى ما يوجد في الخارج ، وإلى ما يوجد في القلوب في العادة . وما لا يكون في الخارج إلا مضافاً إلى غيره ؛ لا يوجد في الذهن مجرداً ، بخلاف لفظ الإنسان والفرس ، فإنه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف ، تعودت الأذهان تصور مسمى الإنسان ، ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الإرادة ومسمى العلم ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام ؛ فإن هذا لا يوجد له للغة لفظ مطلق يدل عليه ، بل لا يوجد لفظ الإرادة إلا مقيداً بالمريد ولا لفظ العلم إلا مقيداً بالعالم ، ولا لفظ القدرة إلا مقيداً بالقادر . بل وهكذا سائر الأعراض لما لم توجد إلا في محالها مقيدة بها ، لم يكن لها في وهكذا سائر الأعراض لما لم توجد إلا في محالها مقيدة بها ، لم يكن لها في اللغة لفظ إلا كذلك .

 الْعَذَابَ بِمَاكُنتُمْ تَكُفُرُونَ ) - ( فَذُوقُواْعَذَابِ وَنُذُرِ ) - (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ اللهُ وَلَكُ ) - ( لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَا وَلَا شَرَابًا \* إِلَّا حَمِيمًا اللهُ وَعَلَى اللهُ عليه وسلم : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله وبنا ، وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً ». وفي بعض الأدعية : «أذقنا برد عفوك و حلاوة مغفرتك » .

فلفظ «الذوق » يستعمل في كل ما يحس به و يجد ألمه أو لذته ، فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه ، لكن ذاك مقيد فيقال : ذقت الطعام وذقت هذا الشراب ؛ فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الإنسان بباطنه، أو بظاهره ؛ حتى الماء الحميم يقال : ذاقه فالشراب إذا كان بارداً أو حاراً يقال : ذقت حره وبرده .

وأما لفظ « اللباس » : فهو مستعمل في كل ما يغشى الإنسان ويلتبس به ، قال تعالى : ( وَجَعَلْنَا ٱلْتَكَلِياسًا ) . وقال : ( وَلِيَاسُ ٱلنَّقُوٰىٰ ذَلِكَ خَيِّهُ ) . وقال : ( هُنَّ لِبَاسُ ٱلْكُمُ وَٱنتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ ) . ومنه يقال : لبس الحق بالباطل إذا خلطه به حتى غشيه في يتميز . فالجوع الذي يشمل ألمه جميع الجائع : نفسه وبدنه ، وكذلك الخوف الذي يلبس البدن . فلو قيل : فأذاقها الله الجوع والخوف ؛ لم يدل ذلك على أنه شامل لجميع أجزاء الجائع ، بخلاف ما إذا قيل : لباس الجوع والخوف . ولو قال فألبسهم لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يؤلمهم إلا بالعقل من حيث إنه يعرف أن الجائع الخائف يألم . بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف ؛ فإن هذا اللفظ يدل على الإحساس بالمؤلم ، وإذا أضيف إلى الملذ : دل

على الإحساس به ، كقوله صلى الله عليه وسلم : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ».

فإن قيل: فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق؟ قيل: لأن الذوق يدل على جنس الإحساس ويقال: ذاق الطعام لمن وجد طعمه وإن لم يأكله. وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق؛ بل استعمل لفظ الذوق فى النفي كما قال عن أهل النار: ( لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) ؛ أي لا يحصل الهم من ذلك ولا ذوق. وقال عن أهل الجنة: ( لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ اللَّهُ وَلَى ).

وكذلك ما ادعوا أنه مجاز فى القرآن كلفظ «المكر» و «الاستهزاء» و «السخرية » المضاف إلى الله ، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق الحجاز ، وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له ، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجنى عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً ، كما قال تعالى : (كَذَلِكَ كِذَنَالِيُوسُفَ) . فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه : ( لاَنقَصُ مُرُءً يَاكَ عَلَى إِخُوتِكَ فَيَكِيدُواْلَكَ كَيْدًا ) . وقال تعالى : ( وَمَكَرُواْمَكُرُ وَمَكَرُنَامَكُرُ وَقَالَ تعالى : ( وَمَكَرُواْمَكُرُ وَمَكَرُنَامَكُرُ وَقَالَ تعالى : ( وَمَكَرُواْمَكُرُ وَمَكَرُنَامَكُرُ وَهُمْ لايشَعُرُونَ \* فَأَنظُر كَيْفَ كَانَ عَلَى الله عَلَى : ( وَمَكَرُواْمَكُرُ وَقَالَ تعالى : ( الله عَلَى الله عَلَى

روي عن ابن عباس ؛ أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم فى النار فيسرعون إليه فيغلق ، ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق ، فيضحك منهم المؤمنون . قال تعالى : ( فَالْيُوْمَ اللَّذِينَ ءَامَنُواْمِنَ الْكُفَّارِيَضِّحَكُونَ \* عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنْظُرُونَ \* هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ) .

وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة ؛ خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر ، فيمشون فيخسف بهم . وعن مقاتل : إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فيبقون فى الظامة فيقال لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . وقال بعضهم : استهزاؤه : استدراجه لهم . وقيل : إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم . وقيل : إنه يظهر لهم فى الدنيا خلاف ما أبطن فى الآخرة . وقيل هو تجهيلهم و تخطئهم فيما فعلوه ؛ وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة .

ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن: (وَسَّئُلِ ٱلْفَرْيَةَ). قالوا المراد به أهلها ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فقيل لهم: لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب، وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهاداخل في الاسم. ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان ، وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال: حفرت النهر، وهو المحل. وجرى النهر، وهو الماء ووضعت الميزاب، وهو المحل، وجرى الميزاب، وهو الماء ، وكذلك القرية قال تعالى: (وَضَرَبُ اللَّهُ مُثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ عَامِنَةً مُّطُ مَيِنَةً ). وقوله: (وَكُم مِّن

قَرْيَةٍ أَهْلَكُنْهَا فَجَآءَ هَا بَأْسُنَا بَيْتًا أَوْهُمْ قَآبِلُونَ \* فَمَاكَانَ دَعُونِهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوا إِنَّا كُنْتَ طَلِمِينَ ). وقال في آية أخرى : ( أَفَأ مِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا بَيْتَاوَهُمْ نَآبِمُونَ ) . فجعل القرى هم السكان . وقال : ( وَكَأْتِن مِن فَرْيَةٍ هِي أَشَدُّقُوقً مِن قَرْيَئِكُ ٱلْتِي مُونَ قَرْيَةٍ هِي أَشَدُّ قُوقً مَن وَلِهُ مَن اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللّ

ونظير ذلك لفظ «الإنسان» بتناول الجسد والروح، ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما؛ فكذلك القرية إذا عذب أهلها خربت، وإذا خربت كان عذاباً لأهلها؛ فما يصيب أحدها من الشر، ينال الآخر؛ كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدها. فقوله: (وَسَّئُلِ الْفَرْيَةَ). مثل قوله (قَرْيَةَ كَانَتُ ءَامِنَةَ مُظْمَيِنَةً). فاللفظ هنا يراد به السكان من غير إضار ولاحذف، فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز، فلا مجاز في القرآن. بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف. والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظياً؛ بل يقال: نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا، ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق تبين أنها فروق باطلة، وكلما ذكر بعضهم فرقاً أبطله الثاني، كما يدعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات ذكر بعضهم فرقاً أبطله الثاني، كما يدعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات

تنقسم اللازمة لها إلى داخل فى ما هيتها الشابتة فى الخارج، وإلى خارج عنها لازم للماهية، ولازم خارج للوجود. وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة لأنهذا التقسيم باطل لا حقيقة له، بل ما يجعلونه داخلاً يمكن جعله خارجا، وبالعكس كما قد بسط فى موضعه.

وقولهم: اللفظ إن دل بلا قرينة فهو حقيقة ، وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز ؛ قد تبين بطلانه ، وأنه ليس في الألفاظ الدالة ما يدل مجرداً عن جميع القرائن ، ولا فيها ما يحتاج إلى جميع القرائن. وأشهر أمثلة المجاز لفظ «الأسد» و « المحار » و « البحر » و نحو ذلك مما يقولون : إنه استعبر للشجاع والبليد والمجواد . وهذه لا تستعمل إلا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية ، كما تستعمل الحقيقة ، كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القتيل : الحقيقة ، كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القتيل : فقوله : يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه . فقوله : يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ؛ وصف له بالقوة للجهاد في سبيله ، وقد عينه تعييناً أزال اللبس . وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على المشركين » وأمثال ذلك .

وإن قال القائل: القرائن اللفظية موضوعة ، ودلالتها على المعنى حقيقة ، لكن القرائن الحالية مجاز ؛ قيل : اللفظ لا يستعمل قط إلا مقيداً بقيود لفظية موضوعة ؛ والحال حال المتكلم والمستمع ، لابد من اعتباره في جميع الكلام

فإنه إذا عرف المتكلم، فهم من معنى كلامه ما لا يفهم إذا لم يعرف، لأنه بذلك يعرف عادته فى خطابه، واللفظ إنما يدل إذا عرف لغة المتكلم التى بها يتكلم وهي عادته وعرفه التى يعتادها فى خطابه، ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية، فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى؛ فإذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغته، ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول ومراده بها: عرف عادته فى خطابه، وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره.

ولهذا ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث ، أن يذكر نظائر ذلك اللفظ؛ ماذا عني بها اللهورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده ، وهي العادة المعروفة من كلامه ، ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره ، وكانت النظائر كثيرة ؛ عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة ، لا يختص بها هو \_ صلى الله عليه وسلم \_ بل هي لغة قومه ، ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه . كما يفعله كثير من الناس ، وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه . ولهذا كان استعمال القياس في اللغة ، وإن جاز في الاستعمال فإنه لا يجوز في الاستدلال ، فإنه قد يجوز للإنسان أن يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على مافيه من النزاع ؛ لكن لا يجوز أن يعمد إلى ألفاظ قد عرف استعمالها في معان فيحملها على غير تلك المعانى ، ويقول: إنهم أرادوا تلك بالقياس على تلك ؛ بل هذا تبديل وتحريف

فإذا قال: « الجار أحق بسقبه » فالجار هو الجار ليس هو الشريك؛ فإن هذا لا يعرف فى لغتهم؛ لكن ليس فى اللفظ ما يقتضي أنه يستحق الشفعة؛ لكن يدل على أن البيع له أولى .

وأما «الحرى» فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة أنها كانت اسماً لكل مسكر ، لم يسم النبيذ خراً بالقياس . وكذلك «النباش» كانوا يسمونه سارقا ، كما قالت عائشة : سارق موتانا كسارق أحيانا . واللائط عندهم كان أغلظ من الزاني بالمرأة .

ولا بد فى تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ ، وكيف يفهم كلامه ، فعرفة العربية التى خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ، ولا يكون الأمركذلك ، ويجعلون هذه الدلالة حقيقة ، وهذه مجازاً ، كما أخطأ المرجئة في اسم «الإيمان» جعلوا لفظ «الإيمان» حقيقة في مجرد التصديق ، وتناوله للأعمال مجازاً .

فيقال: إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة ومجاز، فلا حاجة إلى هذا، وإن صح، فهذا لا ينفعكم. بل هو عليكم لا لكم؛ لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل بإطلاقه بلا قرينة، والحجاز إنما يدل بقرينة. وقد تبين أن لفظ الإيمان حيث أطلق في الكتاب والسنة، دخلت فيه الأعمال، وإنما يدعي خروجها منه

عند التقييد؛ وهذا يدل على أن الحقيقة قوله. «الإيمان بضع وسبعون شعبة».

وأما حديث جبريل ، فإن كان أراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام . فهو كذلك . وهذا هو المعنى الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً . كما أنه لما ذكر الإحسان أراد الإحسان مع الإيمان والإسلام ؛ لم يرد أن الإحسان مجرد عن إيمان وإسلام .

ولو قدر أنه أريد بلفظ « الإيمان » مجرد التصديق ؛ فلم يقع ذلك إلا مع قرينة ، فيلزم أن يكون مجازاً ، وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة فيه بعد تدبر القرآن والحديث ، بخلاف كون لفظ «الإيمان» في اللغة مرادفاً للتصديق ، ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله ؛ بل أراد به ما كان يريده أهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد ؛ فإن هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما ، فلا يعارض اليقين ، كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين ، وأنها من أفسد الكلام .

و« أيضاً » فليس لفظ الإيمان في دلالته على الأعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ في دلالته على الصلاة الشرعية ، والصيام الشرعي ؛ والحج الشرعي ؛ سواء قيل : إن الشارع نقله ؛ أو أراد الحكم دون الاسم ؛ أو أراد الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف ؛ أو خاطب بالاسم مقداً لا مطلقاً .

فإن قيل : الصلاة والحج ونحوها لو ترك بعضها بطلت ، بخلاف الإيمان ،

فإنه لا يبطل عند الصحابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب؛ قيل: إن أريد بالبطلان أنه لا تبرأ الذمة منها كلها؛ فكذلك الإيمان الواجب إذا ترك منه شيئاً لم تبرأ الذمة منه كله. وإن أريد به وجوب الإعادة فهذا ليس على الإطلاق. فإن في الحج واجبات إذا تركها لم يعد، بل تجبر بدم، وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء إذا تركها سهواً أو مطلقاً وجبت الإعادة، فإنما تجب إذا أمكنت الإعادة، وإلا فما تعذرت إعادته يبقى مطالباً به كالجمعة و نحوها.

وإن أريد بذلك أنه لا يثاب على ما فعله ، فليس كذلك ، بل قد بين النبى صلى الله عليه وسلم في حديث المسيء في صلاته أنه إذا لم يتمها يثاب على ما فعل ولا يكون بمنزلة من لم يصل . وفي عدة أحاديث أن الفرائض تكمل يوم القيامة من النوافل ؛ فإذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على أنه يعتدله بما فعل منها ؛ فكذلك الإيمان إذا ترك منه شيئاً كان عليه فعله ؛ إن كان محرماً تاب منه ، وإن كان واجباً فعله ؛ فإذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه ، وأثيب على مافعله كسائر العبادات ، وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان .

وقد عدلت « المرجئة » في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، واعتمدوا على رأيهم ، وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة ، وهذه طريقة أهل البدع ؛ ولهذا كان الإمام أحمد يقول : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس .

ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغييرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ فلايعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث؛ وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضاً؛ إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة، وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار؛ فلا يلتفتون إليها. هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عنده لا تفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع.

وإذا تدبرت حججهم وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل. والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في «مسألة الإيمان» متابعة لأبي الحسن الأشعري، وكذلك أكثر أصحابه. فأما أبو العباس القلانسي، وأبو علي الثقفي، وأبو عبد الله ابن مجاهد \_ شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن \_ فإنهم نصروا مذهب السلف. وابن كلاب \_ نفسه \_ والحسين بن الفضل البجلي ونحوها كانوا يقولون: هو التصديق و القول جميعاً مو افقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين، كانوا يقولون: هو التصديق و القول جميعاً مو افقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين، كما د بن أبي سليمان، ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره.

## فمسل

وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم فى « الإيمان » مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثني في الإيمان ، فيقول: أنامؤمن إن شاء الله ؛ لأنه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يكفر أحد من أهل القبالة ولا يخلدون في النار ، وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك . وهو دائمًا ينصر ـ في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيره \_ قول أهل الحديث ، لكنه لم يكن خبيراً بِمَآخِذُهُ ، فينصره على ما يراه هو من الأصول التي تلقاها عن غيرهم ؛ فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء ، كما فعل في مسألة الإيمان ، ونصر فيها قول جهم مع نصره للاستثناء ؛ ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء كما سنذكر مأخذه في ذلك ، وانبعه أكثر أصحابه على نصر قول جهم في ذلك . ومن لم يقف إلا على كتب الكلام ، ولم يعرف ما قاله السلف وأعَّــة السنة في هذا الباب؛ فيظن أن ما ذكروه هو قول أهل السنة؛ وهو قول لم يقله أحد من أمَّة السنة ، بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرها من قال بقول جهم في الإعان الذي نصره أبو الحسن . وهو عندهم شر من قول المرجئة ؛ ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم ، يطعن في كثير عمن ينتسب إليه

يقولون: الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئاً ، وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة ، وغرضهم ذم الإرجاء ، ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهوراً عندكثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنة .

قال القاضي أبو بكر في « التمهيد » : فإن قالوا : فحبرونا ما الإيمان عندكم ؟ قيل: الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم، والتصديق يوجد بالقلب، فإن قال: هَا الدليل على ما قلتم؟ قيل: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصــديق ، لا يعرفون في اللغة إيماناً غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآأَنتَ بِمُؤْمِنِ لَّنَا ﴾ أي بمصدق لنا . ومنه قولهم: فلان يؤمن بالشفاعة ، وفلان لايؤمن بعذاب القبر ، أي : لايصدق بذلك. فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة ؛ لأن الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله ، وتوفرت دواعي الأمة على نقله ، ولغلب إظهاره على كتمانه ، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل إقرار أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان ، دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي ، ومما يبين ذلك قوله تعالى: (وَمَآأَرُسَلُنَامِنرَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَادِ قَوْمِهِ ) وقوله : ﴿ إِنَّاجَعَلْنَهُ قُرْءَ نَّاعَرَبِيًّا ﴾ . فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة العرب، وسمي الأسماء بمسمياتهم، ولاوجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لا سيما مع القول بالعموم ، وحصول التوقيف على أن القرآن نزل بلغتهم ؛ فـــدل على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات ، هذا لفظه . وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في «مسألة الإيمان» وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة.

(أحدهما): قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق، ويقول هو بمغنى الإقرار وغيره.

و (الثاني): قول من يقول: وإن كان فى اللغة هو التصديق؛ فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

و (الثالث): أن يقال: ليس هو مطلق التصديق، بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص وصفه وبينه.

و (الرابع): أن يقال: وإن كان هو التصديق؛ فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم، ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة و تخرج عنه أخرى.

( الخامس ) : قول من يقول : إن اللفظ باق على معناه في اللغة ، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً .

( السادس ) : قول من يقول : إن الشارع استعمله في معناه المجازي ؛ فهو حقيقة شرعية ، مجاز لغوي . ( السابع ) : قول من يقول : إنه منقول ·

فهذه سبعة أقوال: (الأول): قول من ينازع في أن معناه في اللغة التصديق ويقول: ليس هو التصديق؛ بل بمعنى الإقرار وغيره.

« قوله » : إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق. فيقال له : من نقل هذا الإجماع ؟ ومن أين بعلم هذا الإجماع ؟ وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع ؟ .

(الثاني) أن يقال: أتعني بأهل اللغة نقلتها، كأبي عمرو، والأصمعي، والخليل، ونحوه؛ أو المتكلمين بها؟ فإن عنيت الأول؛ فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد، وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم، وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالإسناد، ولا نعلم فيما نقلوه لفظ الإيمان فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا عليه. وإن عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام؛ فهؤلاء لم نشهده، ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك.

( الثالث ) : أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا : الإيمان فى اللغة هو التصديق ؛ بل ولا عن بعضهم ، وإن قدر أنه قاله واحد أو اثنان ؛ فليس هذا إجماعاً.

(الرابع): أن يقال: هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا: معنى هذا اللفظ كذا وكذا؛ وإنما ينقلون السكلام المسموع من العرب، وأنه يفهم منه كذا وكذا، وحينئذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاماً عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو

التصديق ؛ لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرده ؛ فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى .

(الخامس): أنه لو قدر أنهم قالوا هذا؛ فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر و « التواتر » من شرطه استواء الطرفين والواسطة ، وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن ؟ أنهم كانوا لا يعرفون للإيمان معنى غير التصديق .

فإن قيل: هذا يقدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن؛ قيل: فليكن. ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن، والقرآن نزل بلغة قريش، والذين خوطبوا به كانوا عرباً، وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة، ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا، فلم يبق بنا حاجة إلى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن لكن لما تواتر القرآن لفظاً ومعنى، وعرفنا أنه نزل بلغتهم ؛ عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السهاء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن. وإلا فلو كلفنا نقلاً متواتراً لآحاد هذه الألفاظ من غير القرآن؛ لتعذر علينا ذلك في جميع الألفاظ، لا سيما إذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى، فإن هذا يتعذر العلم به والعالم بالقرآن ليس موقوفاً على شيء من ذلك؛ بل الصحابة بلغوا معاني والعالم بالمناه والعرائية بلغوا معاني

القرآن ، كما بلغوا لفظه . ولو قدرنا أن قوماً سمعوا كلاماً أعجمياً ، وترجموه لنا بلغتهم ؛ لم نحتج إلى معرفة اللغة التي خوطبوا بها أولاً .

(السادس) . أنه لم يذكر شاهداً من كلام العرب على ما ادعاه عليهم ؛ وإنما استدل من غير القرآن بقول الناس : فلان يؤمن بالشفاعة ، وفلان يؤمن بالجنة والنار ، وفلان يؤمن بغذاب القبر ، وفلان لا يؤمن بذلك . ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن ؛ بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة ، لما صار من الناس أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر ومرادم بذلك هو مرادم بقوله : فلان يؤمن بالجنسة والنار ، وفلان لا يؤمن بذلك . والقائل لذلك وإن كان تصديق القلب داخلاً في مراده ؛ فليس مراده ذلك وحده ، بل مراده التصديق بالقلب واللسان ، فإن مجرد تصديق القلب بدون اللسان لا يعلم حتى يخبر به عنه .

(السابع): أن يقال: من قال ذلك؛ فليس مراده التصديق بما يرجى ويخاف بدون خوف ولا رجاء؛ بل يصدق بعذاب القبر ويخافه، ويصدق بالشفاعة ويرجوها. وإلا فلو صدق بأنه يعذب في قبره، ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلاً، لم يسموه مؤمناً به ، كما أنهم لا يسمون مؤمناً بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف النار ، دون المعرض عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق . كما لا يسمون إبليس مؤمناً بالله ، وإن كان مصدقا بوجوده وربوبيته ، ولا يسمون فرعون مؤمناً ، وإن كان عالماً بأن الله بعث موسى ، وأنه هو الذي أنزل يسمون فرعون مؤمناً ، وإن كان عالماً بأن الله بعث موسى ، وأنه هو الذي أنزل

الآيات، وقد استيقنت بها أنفسهم مع جحده لها بألسنتهم. ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول، وإن كانوا يعرفون أنه حق، كما يعرفون أبناءهم. فلا يوجد قط في كلام العرب أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى، ويجب حبه وتعظيمه؛ وهو مع ذلك لا يحب ولا يعظمه، ولا يخافه ولا يرجوه. بل يجحد به ويكذب به بلسانه، أنهم يقولون: هو مؤمن، بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه، لم يقولوا: هو مصدق به . ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه، لم يقولوا هو مؤمن به . فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادعوه.

وقوله: ( وَمَآأَنتَ بِمُؤْمِنِ أَنَا ) قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع فإن هـ ذا استدلال بالقرآن ، وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن ، فإن صحة هذا المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر ، كما بسطناه في موضعه .

( الوجه الثامن ): قوله : لا يعرفون في اللغة إيماناً غير ذلك. من أين له هذا النفي الذي لا تمكن الإحاطة به ؟ بل هو قول بلا علم .

( التاسع ) : قول من يقول : أصل الإيمان مأخوذ من الأمن ، كما ستأتى أقوالهم إن شاء الله . وقد نقلوا في اللغة الإيمان بغير هذا المعنى . كما قاله الشيخ أبو البيان في قول (١٠) .

<sup>(</sup>١) بياض بالأصل.

(الوجه العاشر): أنه لو فرض أن الإيمان في اللغة التصديق ؛ فمعلوم أن الإيمان ليس هو التصديق بكل شيء ، بل بشيء مخصوص ، وهو ما أخبر به الرسول ، صلى الله عليه وسلم ؛ وحينئذ فيكون الإيمان في كلام الشارع أخص من الإيمان في اللغة . ومعلوم أن الخاص ينضم إليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان إذا أخذ بعض أنواعه وهو الإنسان كان فيه المعنى العام ومعنى اختص به ، وذلك المجموع ليس هو المعنى العام . فالتصديق الذي هو الإيمان ؛ أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام ، فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه ؛ بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام كالإنسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق .

(الوجه الحادي عشر): أن القرآن ليس فيه ذكر إيمان مطلق غيرمفسر؛ بل لفظ الإيمان فيه إما مقيد، وإما مطلق مفسر. «فالمقيد» كقوله، ( يُؤمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وقوله: ( فَمَاءَامَن لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةُ مِن قَوْمِهِ ) و «المطلق المفسر» كقوله بالغينِ ) وقوله: ( إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ إِذَا ذُكِر اللَّه وَجِلتَ قُلُوبُهُمُ ) الآية . وقوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ النَّالِيةِ وَرَسُولِهِ عَنْ اللَّهُ وَجِلتَ قُلُوبُهُمُ ) الآية وقوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهُ وَجَنه دُواْ بِأَمُولِهِ مَ وَانفُسِهِمْ فَي المُولِي اللَّهِ أَنْ اللَّهِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهُ وَرَبِّكَ لا يَعِلَى اللَّهُ أَوْلُكِكَ هُمُ الصَّدِقُونَ فِي مَا شَجَرَبَالِيَّهُ مُّ لَا يَجِدُواْ فِي اَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَا لَهُ وَرَبِكَ لا يُعِلَى اللَّهُ أَنْ لَكِي اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

القرآن أن الإيمان لا بد فيه من عمل مع التصديق ، كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج.

فإن قيل: تلك الأسماء باقية ، ولكن ضم إلى المسمى أعمالا في الحكم لا في الاسم ، كما يقوله القاضي أبو يعلى وغيره. قيل: إن كان هذا صحيحاً قيل مشله في الإيمان. وقد أورد هذا السؤال لبعضهم ، ثم لم يجب عنه بجواب صحيح ، بل زعم أن القرآن لم يذكر فيه ذلك. وليس كذلك ، بل القرآن والسنة مملوءان عما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق. وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة ؛ فإن تلك إنما فسرتها السنة ، والإيمان » بين معناه الكتاب والسنة ، وإجماع السلف.

(الثاني عشر): أنه إذا قيل: إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب؛ فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة، وقد جرى عرفهم أن الاسم بكون مطلقاً وعاماً، ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه، كما يقولون: ذهب إلى القاضي والوالي والأمير، يريدون شخصاً معيناً بعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهم به. وهذا الاسم في اللغة اسم جنس لا بدل على خصوص شخص، وأمثال ذلك. فكذلك الإيمان والصلاة والزكاة، إنما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف، وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الإيمان الذي صفته كذا وكذا. والدعاء الذي صفته كذا وكذا. فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق. فإنه قد يبين أني لا أكتني بتصديق القلب وحده، بل لا بد أن يعمل بموجب واللسان، فضلاً عن تصديق القلب وحده، بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق، كما في قوله تعالى: ( إِنَّمَا المُوْمِنُونَ النَّيْنَ اَمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عِثْمَ

لَمْ يَرْتَابُواْ) ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ ) وفى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تؤمنون حتى تكونوا كذا ». وفي قوله تعالى: (لَا يَجَدُفَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْلَاْخِرِيُواَ دُونَ مَنْ حَادًا اللَّهَ وَرَسُولُهُ ). وفي قوله: (وَلَوْكَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اللَّاخِرِيُواَ دُونَ مَنْ حَادًا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ). ومثل هذا كثير في يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهَ عَلَى الزاني حين يزني وهو مؤمن ». الكتاب والسنة ، كقوله عليه السلام: « لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن ». وقوله: « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ». وأمثال ذلك.

فقد بين لهم أن التصديق الذي لا يكون الرجل مؤمناً إلا به ، هو أن يكون تصديقاً على هذا الوجه . وهذا بين فى القرآن والسنة من غير تغيير للغة ولا نقل لها.

(الثالث عشر): أن يقال: بل نقل وغير. قوله: لوفعل لتواتر. قيل: نعم. وقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة والصيام والحج معانيها المعروفة. وأراد بالايمان ما بينه بكتابه وسنة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمنا إلا به ، كقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) وهذا متواتر في «القرآن والسنن» ومتواتر أيضا أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم الإيمان إلا أن يؤدي الفرائض. ومتواتر عنهانه اخبر أنه: من مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذب، وأن الفساق لا يستحقون ذلك؛ بل هم معرضون للعذاب. فقد تواتر عنه من معاني اسم الإيمان وأحكامه ما لم يتواتر عنه في غيره، فأي تواتر أبلغ من هذا؟! وقد توفرت الدواعي على نقسل ذلك وإظهاره، ولله الحمد. ولا يقدر أحد أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً يناقض هذا. لكن أخبر أنه يخرج منها من كان معه شيء من الإيمان. ولم يقل: يناقض هذا. لكن أخبر أنه يخرج منها من كان معه شيء من الإيمان. ولم يقل:

إن المؤمن يدخلها ، ولا قال إن الفساق مؤمنون . لكن أدخلهم فى مسمى الإيمان فى مواضع ، كما أدخل المنافقين فى اسم الإيمان فى مواضع مع القيود . وأما الاسم المطلق الذي وعد أهله بالجنة ؛ فلم يدخل فيه لا هؤلاء ولا هؤلاء .

(الوجه الرابع عشر): قوله: ولا وجه للعدول ــ بالآيات التي تدل على أنه عربى ـ عن ظاهرها؛ فيقال له: الآيات التي فسرت المؤمن، وسلبت الإيمان عمن لم يعمل؛ أصرح وأبين وأكثر من هذه الآيات. ثم إذا دلت على أنه عربى؛ فماذكر لا يخرجه عن كونه عربياً. ولهذ لما خاطبهم بلفظ الصلاة والحج وغير ذلك؛ لم يقولوا: هذا ليس بعربى. بل خاطبهم باسم المنافقين، وقد ذكر أهل اللغة أن هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية، ولم يقولوا: إنه ليس بعربى؛ لأن المنافق مشتق من نفق إذا خرج؛ فإذا كان اللفظ مشتقاً من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم؛ لم يخرج ذلك عن كونه عربياً.

(الوجه الخامس عشر): أنه لو فرض أن هذه الألفاظ ليست عربية، فليس تخصيص عموم هذه الألفاظ بأعظم من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فإن النصوص التي تنفي الإيمان عمن لا يحب الله ورسوله، ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئاً من الواجب، ولا يترك شيئاً من المحرم؛ كثيرة صريحة. فإذا قدر أنها عارضها آية؛ كان تخصيص اللفظ القليل العام أولى من رد النصوص الكثيرة الصريحة.

(السادس عشر): أن هؤلاء واقفة في ألفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون: الرسول وقفنا على معانى الإيمان وبينه لنا. وعلمنا مراده منه بالاضطرار، وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل: إنه صدق، ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك، ولا صلى ولا صام، ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله؛ بل كان مبغضاً للرسول، معادياً له يقاتله؛ أن هذا ليس بمؤمن. كا قد علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه؛ كانوا عنده كفاراً لا مؤمنين، فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي. فلو قدر التعارض؛ لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى.

فإن قالوا: من علم أن الرسول كفره ؛ علم انتفاء التصديق من قابه .

قيل لهم: هذه مكابرة، إن أرادوا أنهم كانوا شاكين مرتابين. وأما إن عنى التصديق الذي لم يحصل معه عمل ؛ فهو ناقص كالمعدوم : فهذا صحيح. ثم إنما يثبت ، إذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، وذاك إنما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا ، فلا تثبت الدعوى بالدعوى مع كفر صاحبها . ثم يقال : قد علمنا بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله ؛ وكان يحكم بكفرهم . فقد علمنا من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب ، إذا لم يعمل بهذا التصديق ، محيث يحبه ويعظمه ، ويسلم لما جاء به .

ومما يعارضون به أن يقال: هذا الذي ذكر تموه، إن كان صحيحاً ؛ فهو أدل على قول المرجئة ، بل على قول الكرامية منه على قول لم ، وذلك أن الإيمان إذا كان هو التصديق كما ذكرتم ، فالتصديق نوع من أنواع الكلام ، فاستعال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ ، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعاله في المعنى المجرد عن اللفظ ، بل لا يوجد قط على المعنى أكثر في اللغة من استعاله في المعنى المجرد عن اللفظ ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه : كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء بقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرها ؛ وإنما يستعمل مقيداً .

وإذا كان الله إنحا أزل القرآن بلغة العرب ؛ فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرها من الأقوال إلا ما كان معنى ولفظاً ، أو لفظاً يدل على معنى ؛ ولهذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي فى قلوبهم حتى يصدقوه بألسنتهم . ولا يوجد فى كلام العرب أن يقال : فلان صدق فلاناً أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك . كما لا يقال : أمره أو نهاه ، إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترن به من لفظ أو إشارة أو نحوها . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس » . وقال : «إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة » انفق العلماء على أنه إذا تكلم فى الصلاة عامداً لغير مصلحتها ؛ بطلت صلاته . وانفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق لغير مصلحتها ؛ بطلت صلاته . وانفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق

بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة ، وإنما يبطلها التكلم بذلك. فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام .

وأيضاً فني «الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل به » فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ؛ ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء . فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة ؛ لأن الشارع – كما قرر – إنما خاطبنا بلغة العرب.

وأيضاً فني «السنن» أن معاذاً قال له: يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». فبين أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان. وفي « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أصدق كلة قالها الشاعر كلة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ».

« وفى الصحيحين » عنه أنه قال : « كلتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » وقد قال الله تعالى : (وَيُنذِرَا لَذِيكَ قَالُوا أُغَّكَذَا اللهُ وَكُمده ، هَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمِ وَلا لِآلَا بَا إِن عَلْمُ وَلَدُا \* مَّا لَهُم بِهِ مِن عِلْمِ وَلا لِآلَا بَا إِن عَلَى اللهُ عَلى : (وَيُنذِرَا لَذِيكَ قَالُوا اللهُ عَلَى اللهُ عَلى هُ وَفَى « الصحيح » عن النبي كَثرَتْ كَلِمَة عَلَيه وسلم أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع كلمات وهن فى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع كلمات وهن فى

القرآن: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . رواه مسلم . وقال تعالى: ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) ومثل هذا كثير .

وفى الجملة: حيث ذكر الله فى كتابه عن أحد من الخلق من الأنبياء ، أو أتباعهم أو مكذبيهم أنهم قالوا ويقولون ، وذلك قولهم وأمثال ذلك ؛ فإنما يعنى به المعنى مع اللفظ . فهذا اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر ، ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوها ؛ إنما يعرف فى القرآن والسنة وسائر كلام العرب ، إذا كان لفظاً ومعنى وكذلك أنواعه ، كالتصديق والتكذب والأمر والنهي وغير ذلك . وهذا مما لا يمكن أحداً جحده ، فإنه أكثر من أن يحصى .

ولم يكن في مسمى « الكلام » نراع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنة ، ولا من أهل البدعة . بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط ، هو عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وهو متأخر \_ في زمن محنة أحمد بن حنبل \_ وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة ، وعلماء البدعة ، فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم \_ كما قال تعالى: ( فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لِلَحَقَّ مِثْلُ مَا أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ ) . ولفظه لا تحصى وجوهه كثرة \_ لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولاً لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ، ولا غيره .

فإن قالوا: فقد قال الله تعالى: ( وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ) وقال: ( وَأَذْكُر رَّيَكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ) ونحو ذلك. قيل: إن كان المراد أنهم قالوه بألسنتهم سراً ، فلا حجة فيه . وهذا هو الذي ذكره المفسرون . قالوا : كانوا يقولون : سام عليك ، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم أي يقول بعضهم لبعض : لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول . وإن قدر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم ، فهذا قول مقيد بالنفس ، مثل قوله : «عما حدثت به أنفسها » ولهذا قالوا : ( لَوْلاَيْعُذِبُنَااللَّهُ بِمَانَقُولُ ) فأطلقوا لفظ القول هنا ، والمراد به ما قالوه بألسنتهم ، لأنه النجوى والتحية التي نهوا عنها كما قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَالِى اللَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجُوئُ مُّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَشَكَبُونَ فَاللَهُ مِانَقُولُ ) في الله المناهم منها له عنها كما قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَالِى اللَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجُوئُ مُ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَشَكُونَ الفَسِهم في الله الله و الله الله و الذي المَّولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَوْيُكِي بِهِ الله وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهم مَا الله و الذي الله و الذي مع أن الأول هو الذي

عليه أكثر المفسرين ، وعليه تدل نظائره ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله : من ذكرنى في نفسه ذكرته فى نفسي ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه » ، ليس المراد أنه لا يتكلم به بلسانه ، بل المراد أنه ذكر الله بلسانه .

وكذلك قوله: ( وَأَذْكُررَّبُك فِي نَفْسِك تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهَّرِمِنَ ٱلْفَقْلِ ) هو الذكر باللسان والذي بقيد بالنفس لفظ الحديث يقال: حديث النفس ، ولم يوجد عنهم أنهم قالوا: كلام النفس وقول النفس ؛ كما قالوا: حديث النفس ، ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الأحلام التي ترى في المنام ، كقول يعقوب عليه السلام: ( وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ) . وقول يوسف: ( وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ) . وقول يوسف: ( وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ) . وقول يوسف: ( وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱللّمَان ؛ فلفظ الحديث قد مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ ) وتلك في النفس ، لا تكون باللسان ؛ فلفظ الحديث قد

يقيد بما في النفس ، بخلاف لفظ الكلام فإنه لم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط .

وأما قوله تعالى: ( وَأَسِرُّوا ْ قَوْلَكُمْ أُوا جُهَرُوا بِهِ الْمَّارِةِ الصَّدُودِ ) فالمراد به القول الذي تارة يسر به فلا يسمعه الإنسان ، وتارة يجهر به فيسمعونه كما يقال: أسر القراءة وجهر بها ، وصلاة السر وصلاة الجهر . ولهذا لم يقل: قولوه بألسنت كم أو بقلوبكم ، وما في النفس لا يتصور الجهر به ، وإنما يجهر بما في اللسان ، وقوله: ( إِنَّهُ عَلِيمُ النِفَالِ النفس لا يتصور الجهر به ، وإنما يجهر بما في اللسان ، وقوله: ( إِنَّهُ عَلِيمُ النِفَالِ الله الله التنبيه . يقول: إنه يعلم ما في الصدور فكيف لا يعلم القول ، كمال قال في الآبة الأخرى: ( وَإِن جَعَهُر ما في الله الله الله الله على ذلك أنه قال: ( وَأَسِرُّوا فَوْلَكُمْ أُولَةُ هَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ الله الله على أنه يعلم الجهر، ويدل على ذلك أنه قال: ( وَأَسِرُّوا فَوْلَكُمْ أُولَةُ هَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ الله على الله على النه على

وإن قيل: نبه، قيل: بل نبه على القسمين. وقوله تعالى: (ءَايَتُكَ أَلَّاتُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثُهُ أَيَّامٍ إِلَّارَمْزًا) قد ذكر هذا في قوله: (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) وهناك لم يستثن شيئًا، والقصة واحدة، وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع، والمعنى، آيتك ألا تكلم الناس، لكن ترمز لهم رمزاً، كنظائره في القرآن، وقوله: ( فَأُوْحَى إِلَيْهِمْ) هو الرمز، ولو قدر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء، كما في قوله: ( وَمَاكَانَ لِبَشْرِأَن

## يُكَلِّمَهُ أَللَّهُ إِلَّا وَحُيًّا أَوْمِن وَرَآيٍ جِجَابٍ أَوْيُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ عَمَايَشَآءُ ) .

ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق؛ فليس في لغةالقوم أصلاً ما يدل على أن ما في النفس بتناوله لفظ الكلام والقول المطلق؛ فضلاً عن التصديق والتكذيب، فعلم أن من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمناً ، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم باحسان.

وقول عمر رضي الله عنه : زورت فى نفسى مقالة أردت أن أقولها ، حجة عليهم. قال أبو عبيد: التزوير: إصلاح الكلام وتهيئته، قال: وقال أبو زيد: المزور من الكلام والمزوق واحد، وهو المصلح الحسن، وقال غيره: زورت فى نفسى مقالة ، أي هيأتها لأقولها . فلفظها يدل على أنه قدر فى نفسه مايريد أن يقوله ولم يقله ، فعلم أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيــل باللسان ، وقبل ذلك لم يكن قولاً ، لكن كان مقدراً في النفس يراد أن يقال ، كما يقدر الإنسان في نفسه أنه يحج وأنه يصلى ، وأنه يسافر ، إلى غير ذلك ، فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمى قولاً وعملاً إلا إذا وجد في الخارج، كما أنه لا يكون عاما ومصلياً إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج، ولهذا كان ما يهم بهالمرء من الأقوال المحرمة والأفعال المحرمة لا تكتب عليه حتى يقوله ، ويفعله ، وما هم به من القول الحسن، والعمل الحسن إنما يكتب له به حسنة واحدة، فإذا صار قولاً وفعلاً كتب له به عشر

حسنات إلى سبعائة ، وعوقب عليه (') \_ إذا قال أو فعل \_ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تجـاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل ».

وأما البيت الذي يحكى عن الأخطل أنه قال:

إن الكلام لني الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فن الناس من أنكر أن بكون هذا من شعره. وقالوا: إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه ، وهذا يروى عن محمد بن الخشاب. وقال بعضهم: لفظه: إن البيان لني الفؤاد.

ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما انفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة ، فضلاً عن مسمى الكلام . ثم يقال : مسمى الكلام والقول ونحوها ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر ، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كاعرفوا مسمى الرأس واليد والرجل .

وأيضاً فالناطقون باللغة يحتج باستعالهم للألفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه (١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب (على المحرم).

من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم: إن الرأس كذا، واليدكدا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعالهم.

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى « الكلام » ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك ألبتة ؛ وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر ، أي أصل الكلام من الفؤاد ، وهو المعنى ؛ فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس فى قلبه فلا تثق به ؛ وهدا كالأقوال التى ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ؛ ولهذا قال :

لا يعجبنـك من أثـير لفظه حتى يكون مع الـكلام أصيلا إن الـكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما فى قلبه من الأصل ؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلاً . وقوله : مع الكلام : دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً ، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ؛ فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ؛ بل قوله : «مع الكلام» مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به ، واللسان دليل على ذلك .

و « بالجملة » فهن احتاج إلى أن يعرف مسمى « الكلام » في لغة العرب والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم. ثم هومن المولدين؛ وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني

كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام ، وهو نصراني والنصارى قد اخطأ وا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلة الله .

فتبين أنه إن كان « الإيمان » في اللغة هو التصديق ، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول ، ولم يسم العمل تصديقاً ، فليس الصواب إلاقول المرجئة : إنه اللفظ والمعنى . أو قول الكرامية : إنه قول باللسان فقط ، فإن تسمية قول اللسان قولاً أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولاً . كقوله تعالى : ( يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِ مَ اليَّسَ فِي قُلُوبِهِم ) وقوله : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ عَالَمَ الله وَالله عَلَيْ وَالله الله وَالله الله والله والله والله النفس ، فإنه عَلَم الله وَالله والله والكرامية يقولون : المنافق مؤمن وهو مخلد في النار ، لأنه أمن ظاهراً لا باطناً ، وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً .

قالوا: والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل فى الأحكام الدينية المعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى: (فَتَحْرِيرُرَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) ويخاطب فى الظاهر بالجمعة ، والطهارة ، وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا.

وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه ، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوَا ) فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وإن كان باطلاً مبتدعاً لم يسبقهم إليه أحد ، فقول الجهمية أبطل منه ، وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية .

و «الكرامية » توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستشون في الإيمان ؛ بل يقولون : هو مؤمن حقاً لمن أظهر الإيمان ، وإذا كان منافقاً فهو مخلد في النار عندم ؛ فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً ، ومن حكى عنهم أنهم يقولون : المنافق يدخل الجنة ، فقد كذب عليهم ، بل يقولون : المنافق مؤمن لأن الإيمان هو القول الظاهر ، كما يسميه غيرم مسلماً إذ الإسلام : هو الاستسلام الظاهر ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من وجوه متعددة شرعاً ولغة وعقلاً .

وإذا قيل: قول الكرامية قول خارج عن إجماع المسلمين، قيل: وقول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله ، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان. وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة ، والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر ، مثل قوله تعالى: ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِأَللَّهِ وَبِأَلْمَ وَمِ الْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ). قالوا: فقد نفى الله الإيمان عن المنافقين.

فنقول: هذا حق ، فإن المنافق ليس بمؤمن ، وقد ضل من سماه مؤمناً . وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه، كاليهود وغيرهم، سمام الله كفاراً لم يسمهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان ، بخلاف المنافق فإنه يدخل في أحكام الإيمان الظاهرة في الدنيا ؛ بل قد نفي الله الإيمان عمن قال بلسانه وقلبه إذا لم يعمل ، كما قال تعالى : ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَاً الله على اله على الله على اله على الله عل

قُل لَمْ تُوْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوَاْ أَسْلَمْنَا) إلى قوله: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أُولَئِيْكَ هُمُ الصَّيدِ فُوبَ ) فنفى الإيمان عمن سوى هؤلاء.

وقال تعالى: ( وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتُولَّكَ فَرِيقٌ مِّنَّهُم مِّنْ بَعَدِ ذَالِكَ وَمَا أُولَكِمِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ). و «التولي» هو التولي عن الطاعة كما قال نعالى: ( سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسِ شَدِيدٍ لُقَائِلُونَهُمْ أَوْلِسُلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ أَللَّهُ أَجْرًا وقال تعالى: حَسَنَا وَإِن تَتَوَلَّوْا كُمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَا بَّا أَلِيمًا ). ( فَلاَصَدَّقَ وَلاَصَلَىٰ \* وَلَكِن كُذَّبَ وَتَوَلَّى ) وقد قال تعالى : ( لاَيَصْلَنُهَ إَإِلَّا ٱلْأَشْقَى \* ٱلَّذِيكَذَّبَوَتَوَلَّى ) وَكَذَلِكَ قال موسى وهارون: ﴿ إِنَّاقَدْأُوحِيَ إِلَيْمَنَا أَنَّ ٱلْمَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتُوَلِّى ). فعلم أن « التولي » ليس هو التكذيب ، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخـبر ويطيعوه فيما أم. وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي، فلهذا قال: ( فَلاَ صَدَّقَ وَلَاصَلَى \* وَلَكِن كُذَّبَ وَتُولِّكَ ) وقد قال تعالى : ( وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَيِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُولَيَإِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ) فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أنَّى بالقول. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَوَ إِذَا كَانُواْ مَعَهُ، عَلَىٓ أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَى يَسْتَغَذِنُوهُ ) وقال: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُو بُهُمْ ).

فني القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة ، كما نفي فيها الإيمان عن المنافق. وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة، فهذا لم يسم قط مؤمناً ؛ وعند الجهمية إذا كان العلم فى قلبه فهـو مؤمن كامل الإيمان ، إيمانه كإيمان النبيين ، ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ؟ ولا يتصور عندهم أن ينتني عنه الإيمان إلا إذا زال ذلك العلم من قلبه .

ثم أكثر المتأخرين الذين نصروا قول جهم يقولون بالاستثناء في الإيمان، ويقولون: «الإيمان في الشرع» هو ما يو افي به العبدر به ، وإن كان في اللغة أعم من ذلك ، فجعلوا في «مسألة الاستثناء» مسمى الإيمان ما ادعوا أنه مسهاه في الشرع ، وعدلوا عن اللغة ، فهلا فعلوا هذا في الأعمال . ودلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تحصى كثرة ، بخلاف دلالته على أنه لا يسمى إيمانا ؛ إلا ما مات الرجل عليه فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا ، وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف ، لكن هؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذه ؛ لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف، بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهميــة ونحوهم من أهل البدع ، فيبقى الظاهر قول السلف ، والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان . وسنذكر \_ إن شاء الله \_ أقوال السلف في «الاستثناء في الإيمان» ولهذا لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فسادقول جهم في الإيمان ، خالفه كثير منهم ، فمنهم من اتبع السلف .

قال أبو القاسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في « شرح الإرشاد» لأبي المعالي، بعد أن ذكر قول أصحابه قال: وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات،

فرضها ونفلها ، وعبروا عنه بأنه إنيان ما أمر الله به فرضاً ونفلاً ، والانتهاء عما نهى عنه تحريماً وأدباً . قال : وبهذا كان يقول أبو على الثقني من متقدمي أصحابنا؛ وأبو العباس القلانسي .

وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبدالله بن مجاهد قال: وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة. ومعظم أمَّة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

وكانوا يقولون: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان. وعمل بالأركان. ومنهم من يقول بقول المرجئة: إنه التصديق بالقلب واللسان.

ومنهم من قال: إذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع ، وإن كان في قلبه التصديق والعلم . وكذلك قال أبو إسحاق الإسفرائيني .

قال الأنصاري: رأبت في تصانيفه أن المؤمن إنما بكون مؤمناً حقاً إذا حقق إيمانه بالأعمال الصالحة ، كما أن العالم إنما بكون عالماً حقاً إذا عمل بماعلم، واستشهد بقول الله تعالى: ( إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرا اللهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَاستشهد بقول الله تعالى: ( إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرا اللهُ وَجِلتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ اَلِمُؤْمِنُونَ حَقًا ) وقال وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ اللهُ وَلَا يَحْقَ ذلك إلا أبو إسحاق: حقيقة الإيمان في اللغة: التصديق، ولا بتحقق ذلك إلا بالمعرفة والائتمار، وتقوم الإشارة والانقياد مقام العبارة.

وقال أيضاً أبو إسحاق في كتاب « الأسماء والصفات » : اتفقوا على أن ما يستحق به المكلف اسم الإيمان في الشريعة أوصاف كثيرة ، وعقائد مختلفة، وإن

اختلفوا فيها على تفصيل ذكروه ، واختلفوا فى إضافة مالا بدخل فى جملة التصديق إليه لصحة الاسم ، فمنها ترك قتل الرسول ، وترك إبذائه ، وترك تعظيم الأصنام ، فهذا من التروك ، ومن الأفعال نصرة الرسول والذب عنه ، وقالوا : إن جميعه يضاف إلى التصديق شرعاً ، وقال آخرون : إنه من الكبائر ، لا يخرج المرء بالمخالفة فيه عن الإيمان .

قلت: وهذان القولان ليسا قول جهم؛ لكن من قال ذلك فقد اعترف بأنه ليس مجرد تصديق القلب، وليس هو شيئاً واحداً، وقال: إن الشرع تصرف فيه، وهذا يهدم أصلهم؛ ولهذا كان حذاق هؤلاء ، كجهم، والصالحي، وأبي الحسن والقاضي أبي بكر، على أنه لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بزوال العلم من قلبه.

قال أبو المعالي: (باب في ذكر الأسماء والأحكام): اعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعي تقديم ذكر حقيقة الإيمان. قال: وهذا مما تباينت فيه مذاهب الإسلاميين، ثم ذكر قول الخوارج، والمعتزلة، والكرامية، ثم قال: وأما مذاهب أصحابنا، فصار أهل التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم إلى أن الإيمان هو التصديق، وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمة الله عليه، واختلف رأيه في معنى التصديق؛ وقال مرة: المعرفة بوجوده وقدمه وإلهيته. وقال مرة: التصديق: قول في النفس، غير أنه يتضمن المعرفة، ولا يصح أن يوجددونها، وهذا مقتضاه؛ فإن التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالأقوال أجدر

فالتصديق إذاً قول في النفس بعبر عنه باللسان ، فتوصف العبادة بأنها تصديق ، لأنها عبارة عن التصديق : وقال بعض أصحابنا : التصديق لا يتحقق إلا بالقول والمعرفة جميعاً ، فإذا اجتمعا كانا تصديقاً واحداً .

ومنهم من اكتفى بترك العناد ؛ فلم يجعل الإقرار أحدركني الإيمان ، فيقول : الإيمان هو التصديق بالقلب ، وأوجب ترك العناد بالشرع ، وعلى هذا الأصل يجوز أن يعرف الكافر الله ، وإنما يكفر بالعناد لا لأنه ترك ما هو الأهم في الإعان .

وعلى هذا الأصل يقال: إن اليهود كانوا عالمين بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا أنهم كفروا عناداً وبغياً وحسداً. قال وعلى قول شيخنا أبي الحسن: كل من حكمنا بكفره فنقول: إنه لا يعرف الله أصلاً ولا عرف رسوله ولا دينه. قال أبو القاسم الأنصاري تلميذه: كأن المعنى: لا حكم لإيمانه ولا لمعرفته شرعاً.

قلت: وليس الأمر على هذا القول كما قاله الأنصاري هذا، ولكن على قولهم: المعاند كافر شرعاً، فيجعل الكفر تارة بانتفاء الإيمان الذي في القلب وتارة بالعناد، ويجعل هذا كافراً في الشرع، وإن كان معه حقيقة الإيمان الذي هو التصديق، ويلزمه أن يكون كافراً في الشرع، مع أن معه الإيمان الذي هو مثل إيمان الأنبياء والملائكة. والحذاق في هذا المذهب؛ كأبي الحسن والقاضي ومن قبلهم من أنباع جهم، عرفوا أن هذا تناقض يفسد الأصل

فقالوا: لا يكون أحد كافراً إلا إذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا أن كل من حكم الشرع بكفره ؛ فإنه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله ، ولهذا أنكر هذا عليهم جماهير العقلاء ، وقالوا: هذا مكابرة وسفسطة .

وقد احتجوا على قولهم بقوله تعالى: ( لَا تَجَدُ قُوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَللَّهِ وَٱلْمِوْمِ اللَّهِ وَٱلْمِوْمِ أَلْاَخِرِيُواَدُّونَ مَنْ حَادَّاً لَللَّهَ وَرَسُولَهُ ) إلى قوله: (أُوْلَتِهِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ) الآية . قالوا: ومفهوم هذا ، أن من لم يعمل بمقتضاه لم يكتب فى قلوبهم الإيمان .

قالوا: فإن قيل معناه لا يؤمنون إيماناً مجزئاً معتداً به ، أو يكون المعنى : لا يؤدون حقوق الإيمان ، ولا يعملون بمقتضاه . قلنا : هذا عام لا يخصص الإبدليل .

فيقال لهم: هذه الآية فيها نفي الإيمان عمن بواد المحادين لله ورسوله وفيها أن من لا يواد المحادين لله ورسوله فإن الله كتب في قلوبهم الإيمان، وايده بروح منه، وهذا يدل على مذهب السلف أنه لا بد في الإيمان من محبة القلب لله ولرسوله، ومن بغض من يحاد الله ورسوله، ثم لم تدل الآية على أن العلم الذي في قلوبهم بأن محمداً رسول الله يرتفع لا يبقى منه شيء، والإيمان الذي كتب في القلب ليس هو مجرد العلم والتصديق، بل هو تصديق القلب الذي كتب في القلب ليس هو مجرد العلم والتصديق، بل هو تصديق القلب وعمل القلب، ولهذا قال: (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنَـ أُمُّ وَيُدِّخِلُهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِن تَعْفِهَا

ٱلْأَنَّهَ لَرُخَالِدِينَ فِيهَا لَرَضِي ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْدُ أَوْلَيَمِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُؤْلِحُونَ ) فقد وعدهم بالجنة وقد اتفق الجميع على أن الوعد بالجنة لا يكون إلامع الإتيان بللـأمور به وترك المحظور ؛ فعلم أن هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الإعان وأيدهم بروح منه ، قد أدوا الواجبات التي بها يستحقون ما وعد الله به الأبرار المتقين، ودل هذاعلي أن الفساق لم يدخلوا في هذا الوعد، ودلت هذه الآيةعلى أنه لا يوجد مؤمن يواد الكفار ، ومعلوم أن خلقاً كثيراً من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه لم يكذب الرسول ، وهو مع هذا يواد بعض الكفار ؛ فالسلف يقولون : ترك الواجبات الظاهرة دليــل على انتفاء الإعان الواجب من القلب ، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب \_ الذي هو حب الله ورسوله وخشية الله ، ونحو ذلك ــ لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء ، وعند هؤلاء كل من نفي الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلاً ، وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء .

وكذلك حكى ابن فورك عن أبي الحسن الأشعري قال: الإيمان هواعتقاد صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاداً هو علم ، ومنه اعتقاد ليس بعلم ؛ والإيمان بالله \_ وهو اعتقاد صدقه \_ إنما يصح إذا كان عالماً بصدقه في أخباره ، وإنما يكون كذلك إذا كان عالماً بأنه يتكلم والعلم بأنه متكلم بعد العلم بأنه حي ؛ والعلم بأنه حي بعد العلم بأنه فاعل ، والعلم بأنه فاعل ، وهو كون العلم بأنه مقلاً له ، وقال : وكذلك يتضمن العلم بكونه قادراً وله قدرة وعالماً وله العلم والعلم بكونه قادراً وله قدرة وعالماً وله

علم ، ومريداً وله إرادة ، وسائر ما لا يصح العلم بالله إلا بعد العلم به من شرائط الإ عان .

قلت: هذا مما اختلف فيه قول الأشعري وهو أن الجهل ببعض الصفات، هل يكون جهلاً بالموصوف، أم لا ؟ على قولين ، والصحيح الذي عليه الجمهور وهو آخر قوليه ، أنه لا يستلزم الجهل بالموصوف. وجعل إثبات الصفات من الإيمان ، مما خالف فيه الأشعري جهماً فإن جهماً غال في نفي الصفات ، بل وفي نفي الأسماء.

قال أبو الحسن: ثم السمع ورد بضم شرائط أخر إليه، وهو أن لا يقترن به ما يدل على كفر من يأتيه فعلاً وتركا ، وهو أن الشرع أمره بترك العبادة والسجود للصنم ، فلو أتى به دل على كفره ، وكذلك من قتل نبياً أو استخف به ، دل على كفره ، وكذلك من قتل نبياً أو استخف به ، دل على كفره ، وكذلك لو ترك تعظيم المصحف أو الكعبة دل على كفره . قال : وأحد ما استدللنا به على كفره ما منع الشرع ، أن يقرن بالإيمان أو أوجب ضمه إلى الإيمان لو وجد دلنا ذلك على أن التصديق الذي هو الإيمان مفقود من قلبه ، وكذلك كل ما كفر به المخالف من طريق التأويل فإنما كفرناه به لدلالته على فقدما هو إيمان من قلبه ، وكذلك كل ما كفر به المخالف من طريق التأويل فإنما كفرناه به لدلالته على فقدما هو إيمان من قلبه ،

فيقال: لا ربب أن الشارع لا يقضي بكفر من معه الإيمان بقلبه ، لكن دعواكم أن الإيمان هو التصديق ، وأن تجرد عن جميع أعمال القلب ، غلط ولهذا قالوا: أعمال التصديق والمعرفة من قلبه ، ألا ترى أن الشريعة حكمت بكفره ؛ والشريعة لا تحكم بكفر المؤمن المصدق ؛ ولهذا نقول: إن كفر إبليس

لعنه الله كان أشد من كفر كل كافر ، وأنه لم يعرف الله بصفاته قطعاً ، ولا آمن به إيماناً حقيقياً باطناً وإن وجد منه القول والعبادة ، وكذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة لم يوجد في قلوبهم حقيقة الإيمان المعتد به في حال حكمنا لهم بالكفر. قال الله تعالى: (وَلَوْكَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِي وَمَا أُنزِكَ يَكُو مِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ إِللّهِ مَا اللهُ عَده الأمور شرطاً في ثبوت حكم الإيمان ، فثبت أن الإيمان المعرفة بشرائط لا يكون معتداً به دونها .

فيقال: إن قلتم: إنه ضم إلى معرفة القلبشروطاً في ثبوت الحكم أوالاسم لم يكن هذا قول جهم ؛ بل يكون هذا قول من جعل الإيمان \_كالصلاة ، والحج ــ هو وإن كان في اللغة بمعنى القصد والدعاء ، لكن الشارع ضم إليه أموراً إما في الحكم وإما في الحكم والاسم ؛ وهذا القول قد سلم صاحبه أن حكم الإيمان المذكور في الكتاب والسنة لا يثبت بمجرد تصديق القلب؛ بل لابد من تلك الشرائط ، وعلى هذا فلا يمكنه جعل الفاسق مؤمناً إلا بدليل يدل على ذلك ، لا يمجرد قوله : انمعه تصديق القلب ، ومنجعل الإيمان، هو تصديق القلب يقول: كل كافر في النار ليس معهم من التصديق بالله شيء ، لا مع إبليس ولا مع غيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاَّجُونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَتَوُّأ لِلَّذِينِ ٱسْتَكْبُرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُ مِثُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّن ٱلنَّادِ \* قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبُرُوٓا إِنَّا كُلُّ فِيهَ آ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكُمُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ) وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَكَ عَرُوٓ اللَّهِ جَهَنَّمَ زُمَرًّا حَتَّى إِذَاجَاءُوهَا فُتِحَتَّ أَبُوَبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَكُماۤ أَلَمُ

يَأْتِكُمْ رُسُلُّ مِّنَكُمْ يَتُلُونَ عَلَيْكُمْ ءَاينَتِ رَتِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمُ هَنَا قَالُواْ بَانَ وَلَكِنْ حَقَّتَ كِلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَفِرِينَ ) . فقد اعترفوا بأن الرسل أتتهم وتلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا ؛ فقد عرفوا الله ورسوله واليوم الآخر وهم فى الآخرة كفار .

وقال تعالى: ( كُلَّمَا أُلِقِى فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُونَذِيرٌ \* قَالُواْ بِكَي قَدْجَآ عَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلُ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ) فقد د كذبو ا بوجوده

وَكَذَبُوا بَتَنزيله . وأَمَا فِي الآخرة فعرفوا الجميع . وقال تعالى : ( وَلَوْتَرَكَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّمَ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَكَ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ ) عَلَى رَبِّهُمْ قَالَ أَلْيَسَ هَذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَكِي وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ )

وقال تعالى: ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَالِكَ مَاكُنتَ مِنْهُ يَحِيدُ )

إلى قوله: ( لَقَدْ كُنتَ فِ عَفْلَةِ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ )

إلى آيات أخر كثيرة تدل على أن الكفار فىالآخرة بعرفون ربهم فإن كان مجرد المعرفة إيماناً كانوا مؤمنين فى الآخرة .

فإن قالوا: الإيمان في الآخرة لا ينفع ، وإنما الثواب على الإيمان في الدنيا .

قيل: هذا صحيح ، لكن إذا لم يكن الإيمان إلا مجرد العلم ؛ فهذه الحقيقة لا تختلف ، فإن لم يكن العمل من الإيمان ، فالعارف في الآخرة لم يفته شيء من الإيمان ، لكن أكثر ما يدعونه أنه حين مات لم يكن في قلبه من التصديق بالرب شيء ، و نصوص القرآن في غير موضع تدل على أن الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب ، حتى فرعون الذي أظهر التكذيب كان في باطنه مصدقاً . قال تعالى : ( وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْ قَنَتْ هَا أَنفُ شُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا ) وكما قال موسى لفرعون : ( لَقَدْ عَلِمْتَ

مَّا أَنزَلَ هَ وَكُنِّ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآبِر ) ومع هذا لم يكن مؤمناً ؛ بل قال موسى : ( رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمُولِهِ مِ وَاَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِ مِ فَلَا يُؤُمِنُوا حَقَى يَرُوا الله : ( وَدَ أَجِيبَت دَعُوتُ حُمَا ) : ولما قال فرعون : ( ءَامَنتُ الْعَذَابَ ٱلْآلِيمَ ) : قال الله : ( ءَآلُكُنَ وَقَدْ عَصَيْتَ أَنَّهُ لِلاَ إِلَّا إِلَيْهِ بِنُوّا إِسْرَةٍ يل ) . قال الله : ( ءَآلُكُنَ وَقَدْ عَصَيْتَ فَبِينُوا إِسْرَةٍ يل ) . قال الله : ( ءَآلُكُنَ وَقَدْ عَصَيْتَ فَبِينُوا إِسْرَةٍ يل ) . قوصفه بالمعصية ، ولم يصفه بعدم العلم في الباطن عَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ ) . فوصفه بالمعصية ، ولم يصفه بعدم العلم في الباطن كما قال : ( فَعَصَى فِرْعَوْثُ الرَّسُولَ ) ، وكما قال عن إبليس : ( فَسَجَدَ ٱلْمَلْيَكِكُةُ عَلَى الله عن إبليس : ( فَسَجَدَ ٱلْمَلْيَكِكَةُ وَالْمَالِيمِ الله عن الرَّمِ الله عن الرَّمِ الله عن الكفار والاستكبار ومعارضته الأمر ، لم يصفه بعدم العلم ، وقد أخبر الله عن الكفار في غير موضع أنهم كانوا معترفين بالصانع في مثل قوله : ( وَلَين سَأَلْتَهُمْ مَنْ فَوْلُه : ( وَلَين سَأَلْتَهُمْ مَنْ عَلَى عَلَى الله عَنْ الله عَنْ المَا عَنْ عَلَى المَالِقُولُنَ اللهُ ) . في مثل قوله : ( وَلَين سَأَلْتَهُمْ مَنْ فَوْلُه : ( وَلَين سَأَلْتَهُمْ مَنْ فَوْلُونَ اللهُ عَنْ المَالِيمُ كَانُوا معترفين بالصانع في مثل قوله : ( وَلَين سَأَلْتَهُمْ مَنْ فَوْلُهُ : ( وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ فَوْلُهُ : ( وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ فَوْلُهُ : ( وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ الْعَلْمُ مَنْ الْمَالُونُ اللهُ عَنْ الْعَلْمُ الْمَالُونُ اللهُ عَنْ الْمَالُونُ اللهُ عَلَى الْمَالُونُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ اللهُ اللهُ عَنْ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْمُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمُ الْمُولُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَنْ الْمَالُونُ اللهُ الْمُ الْمَالُونُ اللهُ الله

ثم يقال لهم: إذا قلتم هوالتصديق بالقلب، أو باللسان، أو بهما ؛ فهل هو التصديق المجمل؟ أو لا بد فيه من التفصيل؟ فلو صدق أن محمداً رسول الله ولم يعرف صفات الحق، هل يكون مؤمناً أم لا؟ فإن جعلوه مؤمناً. قيل: فإذا بلغه ذلك فكذب به، لم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين، فصار بعض الإيمان أكمل من بعض ؛ وإن قالوا: لا يكون مؤمناً ، لزمهم ألا يكون أحد مؤمناً حتى يعرف تفصيل كل ما أخبر به الرسول ؛ ومعلوم أن أكثر الأمة لا يعرفون ذلك وعنده الإيمان لا يتفاضل إلا بالدوام فقط.

قال أبو المعالي: فإن قال القائل: أصلكم يلزمكم أن يكون إيمان المنهمك في فسقه كإيمان النبي صلى الله عليه وسلم .

قلنا: الذي يفضل إيمانه على إيمان من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوكواختلاج الربب، والتصديق عرض من الأعراض لاببقى وهو متوال للنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لغيره في بعض الأوقات، وزائل عنه في أوقات الفترات، فيثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أعداد من التصديق، ولا يثبت لغيره إلا بعضها، فيكون إيمانه لذلك أكثر وأفضل؛ قال: ولو وصف الإيمان بالزيادة والنقصان وأربد به ذلك كان مستقيماً.

قلت: فهذا هو الذي يفضل به النبي غيره في الإيمان عنده ، ومعلوم أن هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة ، كما قد بسط في مواضع أخرى .

# نە\_\_\_ل

قال الذين نصروا مذهب جهم في الإيمان من المتأخرين - كالقاضي أبي بكر وهذا لفظه - فإن قال قائل: وما الإسلام عندكم؟ قيل له: « الإسلام »: الانقياد والاستسلام؛ فكل طاعة انقاد العبد بها لربه واستسلم فيها لأحره فهي إسلام، والإيمان: خصلة من خصال الإسلام؛ وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً، فإن قال: فلم قلتم: إن معنى الإسلام ما وصفتم؟ قيل: لأجل قوله تعالى: ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ اَمنَا قُلُ لَمْ تُوْمِئُواْ وَلَكِن فُولُوْ أَسْلَمْنَا ) فنفي عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام، وإنما أراد بما أثبته الانقياد والاستسلام، ومنه: (ألقوا إليكم السلم) وكل من استسلم لشيء فقد أسلم، وإنكان أكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم للله ولنبيه،

«قلت »: وهذا الذي ذكروه مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة هو تناقض، فإنهم جعلوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام، فالطاعات كلها إسلام وليس فيها إيمان إلا التصديق، والمرجئة وإن قالوا: إن الإيمان يتضمن الإسلام فهم يقولون: الإيمان هو تصديق القلب واللسان وأما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب، فلا تكون الشهادتان، ولا الصلاة، ولا الزكاة، ولا غيرهن من الإيمان، وقد

تقدم ما بينه الله ورسوله ، من أن الإسلام داخل فى الإيمان ، فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون مسلماً •كما أن الإيمان داخل فى الإحسان ، فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمناً .

وأما التناقض ، فإنهم إذا قالوا: الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، كان من أتى بالإعان إنما أتى بخصلة من خصال الإسلام، لا بالإسلام الواجب جميعه . فلا يكون مسلماً حتى يأتي بالإسلام كله ، كما لا يكون عندهم مؤمنــاً ، حتى يأتي بالإيمانكله، وإلا فمن أتى ببعض الإيمان عنده لا يكون مؤمناً ، ولا فيه شيء من الإيمان ، فكذلك يجب أن يقولوا في الإسلام ، وقد قالوا . كل إعــان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً، وهذا إن أرادوا به أن كل إيمان هو الإسلام الذي أمر الله به ، ناقض قولهم : إن الإيمان خصلة من خصاله ، فجعلوا الإيمان بعضه ولم يجعلوه إياه ، وإن قالوا :كل إيمان فهو إسلام ، أي هو طاعة لله ،وهو جزء من الإسلام الواجب، وهذا مراده . قيل لهم : فعلى هذا يكون الإسلام متعدداً بتعدد الطاعات ، وتكون الشهادتان وحدها إسلاما ، والصلاة وحدها إسلاما، والزكاة إسلاماً، بلكل درهم تعطيه للفقير إسلاماً ، وكل سجدة إسلاماً ، وكل يوم تصومه إسلاماً ، وكل تسبيحة تسبحها في الصلاة أو غيرها إسلاماً.

ثم المسلم إن كان لا بكون مسلماً إلا بفعل كل ما سميتموه إسلاماً ، لزم أن بكون الفساق ليسوا مسلمين مع كونهم مؤمنين ، فجعلتم المؤمنين الكاملي

الإيمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الكرامية ، ويلزم أن الفساق من أهل القبلة ليسوا مسلمين ؛ وهذا شر من قول الخوارج والمعتزلة وغيره ، بل وأن يكون من ترك التطوعات ليس مسلماً ، إذ كانت التطوعات طاعة لله ، إن جعلتم كل طاعة فرضاً أو نفلاً إسلاماً .

ثم هذا خلاف ما احتججتم به من قوله للأعراب: ( لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ الله الله من الله المام دون الإعان، وأيضاً فإخراجكم الفساق من اسم الإسلام إن أخرجتموه، أعظم شناعة من إخراجهم من اسم الإيمان، فوقعتم في أعظم ما عبتموه على المعتزلة، فإن الكتاب والسنة ينفيان عنهم اسم الإيمان، أعظم مما ينفيان اسم الإسلام، واسم الإيمان في الكتاب والسنة أعظم.

وإن قلتم: بلكل من فعل طاعة سمي مسلماً ، لزم أن يكون من فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلماً ، ومن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه أن يكون مسلماً عندكم ، لأن الإيمان عندكم إسلام ، فهن أتى به فقد أتى بالإسلام ، فيكون مسلماً عندكم من تكلم بالشهادتين ولا أتى بشيء من الأعمال .

واحتجاجكم بقوله: ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ اَمَنَّا قُلُ لَمْ تُوْمِنُواْ وَلَكِكِن قُولُواْ اَسْلَمْنَا ) قلتم: نفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام. فيقال: هذه الآية حجة عليكم لأنه لما أثبت لهم الإسلام مع انتفاء الإيمان، دل ذلك على أن الإيمان ليس بجزء من الإسلام، إذ لو كان بعضه لما كانوا مسلمين إن لم يأتوا به، وإن قلتم: أردنا بقولنا: أثبت لهم الإسلام أي إسلاماً ما، فإن كل طاعة من الإسلام

إسلام عندنا ، لزمكم ما تقدم ، من أن يكون صوم يوم إسلاماً ، وصدقة درهم إسلاماً ، وأمثال ذلك .

وهم يقولون: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قالوا: هذا من حيث الإطلاق، وإلا فالتفصيل ما ذكرناه من أن الإيمان خصلة من خصال الإسلام والدين، وليس هو جميع الإسلام والدين، فإن الإسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة وقعت موافقة للأمر. والإيمان أعظم خصلة من خصال الإسلام. واسم الإسلام شامل لكل طاعة انقاد بها العبد لله، من إيمان، وتصديق، وفرض سواه، ونفل، غير أنه لا يصلح التقرب بفعل ما عدا الإيمان من الطاعات دون تقديم فعل الإيمان. قالوا: والدين مأخوذ من التدين؛ وهو قريب من الإسلام في المعنى.

فيقال لهم: إذا كان هذا قولكم: فقولكم: كل مؤمن مسلم وليسكل مسلم مؤمناً يناقض هذا ؛ فإن المسلم هو المطبع لله ، ولا تصح الطاعة من أحد إلا مع الإيمان ، فيمتنع أن يكون أحد فعل شيئاً من الإسلام إلا وهو مؤمن ، ولو كان ذلك أدنى الطاعات ، فيجب أن يكون كل مسلم مؤمناً ، سواء أريد بالإسلام فعل جميع الطاعات ، أو فعل واحدة منها ، وذلك لا يصح كله إلا مع الإيمان ، وحينئذ فالآية حجة عليكم لا لكم.

ثم قولكم: كل مؤمن مسلم، إن كنتم تريدون بالإيمان تصديق القلب فقط، فيلزم أن يكون الرجل مسلماً ولو لم يتكلم بالشهادتين ولا أتى بشيء

من الأعمال المأمور بهـا وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام، بل عامة اليهود والنصاري يعامون أن الرجل لا يكون مسلماً حتى يأتي بالشهادتين أو ما يقوم مقامهما، وقولكم : كل مؤمن مسلم ، لا يريدون أنه أتى بالشهادتين ولا بشيء من المباني الخمس ، بل أتى بما هو طاعة وتلك طاعة باطنة ، وليس هذا هو المسلم المعروف في الكتاب والسنة ، ولا عند الأئمة الأولين والآخرين ، ثم استدللتم بالآية ، والأعراب إنما أنوا بإسلام ظاهر نطقوا فيه بالشهادتين ، سواء كانوا صادقين أو كاذبين ، فأثبت الله لهم الإسلام دون الإيمان ، فيظن من لا يعرف حقيقة الأمر أن هذا هو قول السلف الذي دل عليه الكتاب والسنة من أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، وبينهما من التباين أعظم مما بين قول السلف وقــول المعتزلة في الإيمان والإسلام ؛ فإن قول المعتزلة في الإيمان والإسلام أقرب من قول الجهمية بكثير ، ولكن قولهم في تخليد أهل القبلة أبعد عن قول السلف من قول الجهمية.

فالمتأخرون الذين نصروا قول جهم فى «مسألة الإيمان » يظهرون قول السلف فى هذا وفى الاستثناء ، وفى انتفاء الإيمان الذي فى القلب حيث نفاء القرآن ونحو ذلك . وذلك كله موافق للسلف فى مجرد اللفظ ، وإلا فقولهم فى غاية المباينة لقول السلف ؛ ليس فى الأقوال أبعد عن السلف منه . وقول المعتزلة والخوارج والكرامية فى اسم الإيمان والإسلام أقرب إلى قول السلف من قول

الجهمية ؛ لكن المعتزلة والخوارج يقولون بتخليد العصاة ، وهذا أبعد عن قول السلف من كل قول ، فهم أقرب في الاسم وأبعد في الحكم ؛ والجهمية وإن كانوا في قولهم : بأن الفساق لا يخلدون أقرب في الحكم إلى السلف ، فقولهم في مسمى الإسلام والإيمان وحقيقتهما أبعد من كل قول عن الكتاب والسنة ، وفيه من مناقضة العقل والشرع واللغة ما لا يوجد مثله لغيرهم .

#### فعـــــــل

ومما يدل من القرآن على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال قوله تعالى: ( إِنَّمَا يُوْمِنُ بِتَايَكِتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) فنفي الإيمان عن غير هؤلاء ، فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين، وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين ، وأما سجود التلاوة ففيه نزاع ؛ وقد يحتج بهذه الآية من يوجبه ، لكن ليس هذا موضع بسط هذه المسألة ، فهذه الآية مثل قوله: ( إِنَّمَاٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ) . وقوله : ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ) وقوله ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَوَ إِذَا كَانُواْ مَعَهُ، عَلَىٓ أَمْرِ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَ بُواْ حَتَّى ) ومن ذلك قوله تعالى: ( عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَذِبِينَ \* لَا يَسْتَثْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَلِهِ دُواْبِأُمُولِهِمْ وَأَنفُسِمِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُ إِلْمُنَّقِينَ \* إِنَّمَايَسْتَعْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُ مْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِ مْ يَتَرَدَّدُونَ ) •

وهذه الآبة مثل قوله : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِيُوَآذُونَ مَنْ حَآدَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) وقوله : (وَلَوْكَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِينِ وَمَآ أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَتَّخَذُوهُمْ آوَلِياء ) بين سبحانه أن الإيمان له لوازم وله أضداد موجودة يستلزم شوت لوازمه وانتفاء أضداده ومن أضداده موادة من حاد الله ورسوله ، ومن أضداده استئذانه في ترك الجهاد ، ثم صرح بأن استئذانه إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ودل قوله : (وَاللّهُ عَلِيمُ الْمُنَّقِينَ) على أن المتقين هم المؤمنون .

ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن » وقوله: «لا يؤمن من لا بأمن جاره بوائقه » وقوله: «لا تؤمنوا حتى تحابوا » وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وقوله «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخدير ما يحب لنفسه » وقوله «من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا ».

## قىسىل

وأما إذا قيد الإيمان فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح، فإنه قد يراد بهمافى القلب من الإيمان باتفاق الناس، وهل يراد به أيضاً المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام، أو لا يكون حين الاقتران داخلاً في مسماه ؟ بل يكون لا زماً له، على مذهب أهل السنة، أو لا يكون بعضاً ولا لا زماً، هذا فيه ثلاثة أقوال للناس، كما سيأتي إن شاء الله، وهذا موجود في عامة الأسماء يتنوع مسماها بالإطلاق والتقييد، مثال ذلك اسم « المعروف » و « المنكر » إذا أطلق كما في قوله تعالى: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُمْ عَنِ المُنكِ وقوله: (كُنتُمُ خَيْر أُمَةٍ أُخْرِجَتُ لِلنَاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكر ) وقوله: (كُنتُمُ في أَمْرُونَ وَاللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَى اللّهُ عَرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكر ) وقوله: (وَاللّهُ وَاللّهُ عَنُونَ وَاللّهُ عَنْ وَلَى اللّهُ وَلَى المُولُوفَ كُلّ خير، وفي المنكر كل شر.

ثم قد يقرن بما هو أخص منه كقوله: (لَاخَيْرَ فِي كَثِيرِ مِن نَجُوَ هُمُ إِلَا مَنْ أَمَرَ مِسَدَقَةٍ أَوْمَعُرُوفٍ أَوْ إِصْلَاجٍ بَيْنَ النَّاسِ ) فغاير بين المعروف وبين الصدقة والإصلاح بين الناس \_ كما غاير بين اسم الإيمان والعمل ؛ واسم الإيمان والإصلاح بين الناس \_ كما غاير بين اسم الإيمان والعمل ؛ واسم الإيمان والإسلام \_ وكذلك قوله تعالى: ( إن الصَكَلَوْة تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْسَاءَ وَالْمُنكرِ )

غاير بينهما وقد دخلت الفحشاء فى المنكر فى قوله: (وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ) ثَمِذُكُر مع المنكر اثنين فى قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدُلِ وَٱلْإِحْسَنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْفَ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغِي هنا مغايراً لهما، وقد دخل فى عَنِ ٱلفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ فَى ذَبْكُ الموضعين.

ومن هذا الباب لفظ « العبادة » فإذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله به ، فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به ؛ فيدخل ذلك في مثل قوله : ( وَمَا خَلَقْتُ الجِّنَ وَالْإِنسَ إِلَّالِيَعْبُدُونِ ) وفي قوله : ( وَاعْبُدُوا فَيْ مَلْ قوله : ( وَمَا خَلَقْتُ الجِّنْ وَالْإِنسَ إِلَّالِيَعْبُدُونِ ) وفي قوله : ( وَاعْبُدُوا فَيْ مَلْ قَوله : ( يَنَا يُهُا النَّاسُ اعْبُدُ وَارْبَكُمُ الّذِي خَلَقَكُمُ ) اللّهَ وَلا تَشْرَكُوا بِهِ عَشَيْعًا ) . وقوله : ( يَنَا يُهُا النَّاسُ اعْبُدُ وَارْبَكُمُ الّذِي خَلَقَكُمُ ) وقوله : ( إِنَّا أَنزَلْنا إَلِيْكَ الْحَيْ تَنبَ بِاللّهَ عَلَيْمَ اللّهُ مُعْلِصًا لَهُ الدّينَ ) ( قُلِ اللّهَ الْعَبْدُ اللّه مُعْلِصًا لَهُ الدّينَ ) ( قُلِ اللّهَ الْعَبْدُ اللّهُ مُعْلِصًا لَهُ الدّينِ ) . وقوله : ( قُلْ الْفَعْنَيْرَ اللّهُ وَنْ أَمْرُونِيْ أَعْبُدُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللهُ اللللهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللللهُ الللهُ ا

ثم قد يقرن بها اسم آخر كما فى قوله: (إِيَاكَ مَعْبُدُوَإِيَّاكَ نَسْتَعِبِثُ) وقوله: (وَكَذَلْكُ وَنَّاعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ). وقول نوح ( اَعْبُدُواْ اللَّهَ وَاَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ). وكذلك إذا أفرد اسم « طاعة الله » دخل فى طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة فى طاعته ، وكذا اسم « التقوى » إذا أفرد دخل فيه فعلى كل مأمور به و ترك كل محظور. قال طلق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما فى قوله: ( إِنَّ الْمُنَقِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهُرِ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقِ عِندَمَلِيكِ وَهذا كما فى قوله: ( إِنَّ اللَّهُ قَينَ فِي جَنَّتِ وَنَهُرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقِ عِندَمَلِيكِ وَهذا كما فى قوله: ( إِنَّ اللَّهُ قَينَ فِي جَنَّتِ وَنَهُرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقِ عِندَمَلِيكِ وَهذا كما فى قوله: ( إِنَّ اللَّهُ قِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهُرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقِ عِندَمَلِيكِ وَهَذَا كما فَي قوله وَلَهُ وَلَا وَلَهُ وَلِي وَلَهُ وَلَهُ وَلَا وَلَا وَلَا عَلَيْهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَهُ وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَهُ وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَوْ وَلَا وَلَوْ وَلَا وَلِي وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَالْمُوا وَلَا و

وقد بقرن بها اسم آخر كقوله: ( وَمَن يَتَقِ ٱللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْمَل لَهُ مَغَرَجًا \* وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْمَل لَهُ مَن يَتَقِ وَيَصْبِرْ فَلْ عَلَى ٱللّهِ فَهُوَحَسَّبُهُ ) وقوله: ( إِنّهُ وَمَن يَتَقِ وَيَصْبِرْ فَالِتَهَ ٱللّهَ ٱلّذِى تَسَاءَ لُونَ بِهِ فَاللّهَ ٱللّهَ ٱلدّي ضَيعًا أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ) وقوله: ( وَٱتّقُوا ٱللّهَ اللّهَ وَاللّهَ اللّهَ وَقُولُه : ( اتّقُوا ٱللّهَ وَقُولُوا فَوْلًا سَدِيلًا ) . وقوله: ( اتّقُوا ٱللّهَ وَلَوْلُوا فَوْلًا سَدِيلًا ) . وقوله : ( اتّقُوا ٱللّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُونُ آلِلًا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ) وقوله : ( اتّقُوا ٱللّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُونُ آلِلًا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ) وقوله : ( اتّقُوا ٱللّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُونُ آلِلًا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ) وقوله : ( اتّقُوا ٱللّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُونُ آلِلًا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ )

فقوله: ( ٱتَّقَوُ ٱللَّهَ وَقُولُواْقَولُا سَدِيدًا ) مثل قوله: ( ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ع وَأَنفِقُواْمِمَّاجَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَفِيهِ ) وقوله: ( ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّيِهِ-وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلُّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَيْعِكَنِهِ-وَكُنُبِهِ- وَرُسُلِهِ- لَانُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِمِّن رُسُلِهِ-وَقَالُواْسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ) فعطف قولهم على الإيمان ؛ كما عطف القول السديد على التقوى ؛ ومعلوم أن التقوى إذا أطلقت دخل فيها القول السديد، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول ، وكذلك قوله : ( ءَامِنُواْبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ) ، وإذا أطلق الإعان بالله في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم دخل فيه الإيمان بالرسول، وكذلك قوله: ( كُلُّ ءَامَنَ بِأَللَّهِ وَمَلَتَ إِكْنِهِ - وَرُسُلِهِ ) وإذا أطلق الإيمان بالله دخل فيه الإيمان بهــــذه التوابع ، وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِمَا أُنْزِلَ إِيَّكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ فَلِكَ ) وقوله: (قُولُواْ ءَامَنَ ابِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَهِ عَمَ ) الآية.

وإذا قيل: ( فَعَامِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنّبِيّ الْأُرْتِيّ ) دخل في الإيمان برسوله الإيمان بجميع الكتب والرسل والنبيين ، وكذلك إذا قيل: ( وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ عَنُواْ بِرَسُولِهِ عَلَيْمُ كِفَلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ ) وإذا قيل: ( ءَامِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمّا جَعَلَكُمْ مُشْتَخَلَفِينَ فِيهِ ) دخل في الإيمان بالله ورسوله الإيمان بذلك كله ، والإنفاق يدخل في قوله في الآية الأخرى: ( ءَامِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ) كما يدخل القول السديد في مثل قوله : ( وَلَقَدَّ وَصَّيْنَا اللّهِ يَنَ أُونُواْ الْكِتَبَ ).

وَكَذَلَكُ لَفَظ « البر » إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله: ( وَلَكِنَّ الْبِرَمَنِ اتَّهَىٰ ) وقوله: ( وَلَكِنَّ الْبِرَمَنُ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلَيْ كَةِ وَالْكِنَ وَالْبَيْنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ عَدُوى الْقُرْبِ وَالْمَلْكِينَ وَلَيْكَ اللّهِ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُلْكَالَ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

فالبر إذا أطلق كان مسهاه مسمى التقوى ، والتقوى إذا أطلقت كان مسهاها مسمى البر ، ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُواْعَلَى الْبِرِّوَالنَّقُوْنَى ) .

وكذلك لفظ « الإثم » إذا أطلق دخل فيه كل ذنب ، وقد بقرن بالعدوان كا في قوله تعالى : ( وَلَانَعَاوَنُواْعَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُونِ ) . وكذلك لفظ «الذنوب» إذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم ، كما في قوله : ( يكعبادِي

الذين أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لانَفْ نَطُواْ مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِن اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنوب جَمِيعًا ). ثم قد يقرن بغيره كما في قوله: ( رَبّنا اُغْفِرُ لنا ذُنُوبَنا وَإِسْرَافَنَا فِي آمُرِنَا ) وكذلك لفظ «الهدى » إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله: ( اَهْدِنا اَلْصِرَطَ الْمُسْتَقِيمَ ) والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً . وكذلك قوله: ( هُدَى يَشْقِينَ ) . والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهدا صاروا مفلحين ، وكذلك قول أهل الجنة : ( اَلْحَمَدُ بِلَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ والعمل الصالح .

ثم قد يقرن الهدى إما بالاجتباء كما في قوله ( وَٱجۡنَبَيْنَهُمْ وَهَدَيْنَهُمۡ إِلَى صِرَطِ مُسۡتَقِيمٍ) وكما فى قوله: (شَاكِرَا لِأَنْعُمِةِ ٱجۡتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ) ( اللّهُ يَجۡتَبِيۤ إِلَيْهِ مَن مُسۡتَقِيمٍ) وكما فى قوله: (شَاكِرَا لِأَنْعُمِةِ ٱجۡتَبَنَهُ وَهَدَنهُ) ( اللّهُ يَجۡتَبِيۤ إِلَيْهِ مَن مُنينِبُ ) وكذلك قوله تعالى: ( هُوَالَذِع ٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ, يَشَاءُ وَيَهُ دِى إِلَيْهِ مَن مُنينِبُ ) وكذلك قوله تعالى: ( هُوَالَذِع ٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ, وَإِذَا مِن الْمُحَدَى وَدِينِ الْحَقِ هُو الإسلام، وإذا أَطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا.

ولفظ «الضلال » إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى ، سواء كان عمداً أو جهلا ، ولزم أن بكون معذباً كقوله : ( إِنَّهُمْ أَلْفَوْاءَابَاءَ هُرْضَالِينَ \* فَهُمْ عَلَنَ اللَّهِ مِهُمْ عُلَنَ ) وقوله : ( رَبَّنَا إِنَّا أَطُعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَراءَ نَا فَأَضَلُّونَا السّبِيلا \* رَبَّنا عَالَمِهِمْ مُحْمَونَ ) وقوله : ( فَمَنِ اتّبَعَ هُدَاى فَلا عَرْبَنا وَلا يَضِدُ وَلا يَشْفَى ) ثم قد يقرن بالغي و الغضب كما في قوله : ( مَاضَلَ صَاحِبُكُمْ يَضِدُ وَلا يَضِدُ وَلا يَصْدِ لَا يَضِدُ وَلا يَضِدُ وَالْعَضْبِ كما في قوله : ( مَاضَلَ صَاحِبُكُمْ لَمُ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ وَلِلْهَ وَلِهُ وَلَا يَا مُنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وَمَاغُوَىٰ ). وفى قوله: ( غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا اَلْصَالِينَ ). وقوله: ( إِنَّ الْمُحْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرِ ). وكذلك لفظ « الغي » إذا أطلق تناول كل معصية لله كما فى قوله عن الشيطان: ( وَلَأَغْوِينَهُمُ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ). وقد يقرن بالضلال كما فى قوله: ( مَاضَلَ صَاحِبُكُورُ وَمَاغُوىٰ).

وكذلك اسم « الفقير » إذا أطلق دخل فيه المسكين ، وإذا أطلق لفظ « المسكين » تناول الفقير ، وإذا قرن بينهما فأحدها غير الآخر ؛ فالأول كقوله: ( وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوْتُوهَا الْفُ عَرَاءَ فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ ) وقوله : ( فَكَفَّرَتُهُ وَإِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَكِينَ ) والثاني كقوله: (إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُ قَرَاءَ وَالْمَسَكِينِ) .

و «هذه الأسماء» التى تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد ، والاقتران، تارة يكونان إذا أفرد أحدها أعم من الآخر ، كاسم « الإيمان» و « المعروف »مع العمل ومع الصدق ؛ و « كالمنكر » مع الفحشاء ومع البغي و عو ذلك . و تارة يكونان متساويين في العموم والحصوص ، كلفظ « الإيمان» و « البر » و « التقوى » ولفظ « الفقير » و « المسكين » ؛ فأيها أطلق تناول ما يتناوله الآخر؛ وكذلك لفظ « التلاوة » فإنها إذا أطلقت في مثل قوله : ( الذين عالية عني التبعون مثل ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و غيره قالوا : يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله و يحرمون حرامه و يعملون بمحكمه و يؤمنون يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله و يحرمون حرامه و يعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه . وقيل : هو من التلاوة بمغني الاتباع كقوله : ( وَالْقَمَرِ إِذَا لَلْهَا )

وهذا يدخل فيه من لم يقرأه ، وقيل : بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرها أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله: (أَتُلُ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِنْبِ وَأَقِمِ الصَّكَافَةُ إِنِكَ مِنَ الْكِنْبِ وَأَقِمِ الصَّكَافَةُ إِنِكَ الصَّكَافَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكِ ). قال أحمد بن حنبل وغيره: تلاوة الحكتاب: العمل بطاعة الله كلها ، ثم خص الصلاة بالذكر كما فى قوله: ( وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ وَالْكِنْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ) وقوله: ( فَأَعْبُدُ فِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ )

اِذِكْرِى ) . وَكَذَلْكُ لَفُظُ اتباع ما أَنْزِلَ الله يتناول جميع الطاعات كقوله : ( اَتَّبِعُوا مَا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَبِّكُمْ وَلَا تَنْبِعُوا مِن دُونِهِ اَوْلِيَا آه ) وقوله : ( فَمَنِ اتَّبَعُ هُدَاى فَلَا يَضِ لُّ وَلَا يَشْمُ مِّن رَبِّكُمْ وَلَا تَنْبِعُوا مِن دُونِهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى مُسْتَقِيمًا فَا تَبِعُوهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

وكذلك لفظ «الأبرار» إذا أطلق دخل فيه كل تقي من السهابقين والمقتصدين، وإذا قرن بالمقربين كان أخص، قال تعالى فى الأول: (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي عِلْتِينَ \* لَفَى نَعِيمِ \* وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَلَفِي جَعِيمِ ) وقال فى الثاني: (كَلَّآ إِنَّ كِنَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلْتِينَ \* وَمَا أَدْرَبْكَ مَاعِلْيُونَ \* كِنَابٌ مَ قُومٌ \* يَشْهَدُهُ ٱلْفُرَّيُونَ ) وهذا باب واسع يطول استقصاؤه.

وهو من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة ، وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس ، من جملتها « مسألة الإيمان والإسلام » فإن النزاع في مسهاها أول اختلاف وقع ، افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة ، وكفر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً ، كما قد بسطنا هذا في مواضع أخر ، إذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه ببين أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله على وجه ببين أن الهدى كله مأخوذ من كلام

الله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة ، لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل و ترد بلا دليل ، أو بكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فإن الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله .

ومن هذا الباب أقوال السلف وأعمة السنة في « تفسير الإيمان » فتارة يقولون : هو قول وعمل ونية . وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة . وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا : قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً ؛ وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق .

والناس لهم في مسمى « الكلام » و « القول » عند الإطلاق أربعة أقوال فالذي عليه السلف والفقها، والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً . وقيل : بل مسماه هو اللفظ ، والمعنى ليس جزء مسماه ، بل هو مدلول مسماه ، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة ، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ . وقيل : بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه ، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه ، وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين ، لأن حروف الآدميين

تقوم بهم ، فلا يكون الكلام قائمًا بغير المتكلم ، بخلاف الكلام القرآني ؛ فإنه لا يقوم عنده بالله ، فيمتنع أن يكون كلامه ، ولبسط هذا موضع آخر .

(والمقصود هذا) أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح؛ ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول بتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون مجبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على «المرجئة» الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه «أربعة أقسام» فسروا مرادم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو مدعة.

## فمــــــل

وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لها، والمغايرة على مراتب أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدها هو الآخر ولا جزأه ، ولا يعرف لزومه له كقوله ( خَلَقَ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامِ ) ونحو ذلك ، وقوله: ﴿ وَجِبْرِيلَوَمِيكَىٰلَ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنْجِيلَ \* مِن قَبْلُهُدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ) وهــذا هو الغالب. ويليه أن يكون بينهما لزوم كقوله: ( وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقِّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكُنُّمُواْ ٱلْحَقَّ ) وقوله: ( وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وقوله: ( وَمَن يَكُفُرُ بِٱللَّهِ وَمَلَيْمِكَتِهِ عَكُنُبِهِ عَرُسُلِهِ ) فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله ، فالمعطوف لازم للمعطوف عليه ، وفي الآية التي قبلها المعطوف عليه لازم ، فإنه من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين. وفي الثاني نزاع ، وقوله: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقِّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكْنُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ ها متلازمان ، فإن من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به ، خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوساً ، ومن كتم الحق احتاج أن بقيم موضعه

باطلا فيلبس الحق بالباطل، ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا مد أن يظهر باطلا.

وهكذا « أهل البدع » لا تجد أحداً ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة ، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئاً من السنة ، كَمَا جَاءِ فِي الحَــديث: «ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها » رواه الإمام أحمد. وقد قال تعالى: ( فَنَسُواْحَظَّامِّمَّاذُكِّرُواْ بِهِ عَفَاغَرْيَنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغَضَاءَ ) فلما تركوا حظاً مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَانِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطُنَّا فَهُوَلَهُ,قَرِينٌ ) أي عن الذكر الذي أنزله الرحمن · وقال نعـــالى : ( فَمَنِٱتَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِ لُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَعَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُـرُهُۥيَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ أَعْمَىٰ ) وقال : ( ٱتَّبِعُواْمَآأُنزِلَ إِلَيْكُمُ مِّنزَبِّكُمْ وَلَاتَنَّبِعُواْمِن دُونِهِۦٓٱوْلِيَآءٌ قَلِيلًا مَّاتَذَكَّرُونَ ) فأمر باتباع ما أنزل ونهي عما يضاد ذلك وهو اتباع أُولِياء من دونه ، فمن لم يتبع أحدها اتبع الآخر ، ولهذا قال ( وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ) قال العلماء: من لم يكن متبعاً سبيلهم كان متبعاً غير سبيلهم ، فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب، فليس لأحــد أن يخرج عما أحمعوا عليه .

وكذلك من لم يفعل المأمور ، فعل بعض المحظور ، ومن فعل المحظور ، لم يفعل جميع المأمور ، فلا يمكن الإنسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر، ولا يمكنه ترك كل ماحظر مع تركه لبعض ما أمر، فإن ترك ماحظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ، ومن المحظور ترك المأمور ، فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم ، وكل مالا يمكن فعل الواجب إلا به فعليه فعله ، ولهذا كان لفظ «الأمر» إذا أطلق يتناول النهي ، وإذا قيد بالنهي كان النهى نظير ما تقدم ، فإذا قال تعالى عن الملائكة : ( لَا يَعْصُونَ اللهُ مَا أَمَرهُمُ ) دخل فى ذلك أنه إذا نهاه عن شيء اجتنبوه ، وأما قوله : ( وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) فقد قيل : لا يتعدون ما أمروا به ، وقيل : يفعلونه فى وقته لا يقدمونه ولا يؤخرونه .

وقد يقال : هو لم يقل : ولا يفعلون إلا ما يؤمرون ، بل هذا دل عليه قوله: (لَايَسْمِقُونَهُ بِأَلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ عَيْمَ مُلُونَ) وقد قيل: لا يعصون ما أمرهم به في الماضي ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل، وقد يقال: هذه الآية خبر عما سيكون، ليس ما أمروا به هنا ماضيا بل الجميع مستقبل، فإنه قال: ( قُوَّا أَنْفُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ) وما يتقى به إنما يكون مستقبلاً ، وقد يقال: ترك المأمور تارة يكون لمعصية الآمر وتارة يكون لعجزه، فإذا كان قادراً مريداً. لزم وجود المأمور المقدور ، فقوله ( لَّايَعْصُونَ ) لا يمتنعون عن الطاعة ، وقوله ( وَيُفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) أي هم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شيء منه بل يفعلونه كله فيلزم وجودكل ما أمروا به ،وقد يكون فيضمن ذلكأنهم لايفعلون إلا المأمور به كما يقول القائل: أنا أفعل ما أمرت به أي أفعله ولا أتعـــداه إلى زيادة ولا نقصان.

وأيضاً فقوله: ( لَا يَعْضُونَ ٱللَّهَ مَا آمَرَهُمُ ) إن كان نهاهم عن فعل آخر كان ذلك من أمره ، وإن كان لم ينههم لم يكونوا مذمومين بفعل ما لم ينهوا عنه.

والمقصود أن لفظ « الأمر » إذا أطلق تناول النهي ، ومنه قوله : ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُرُ ) أي أصحاب الأمر ، ومن كان صاحب الأمر كان صاحب النهي ووجبت طاعته في هذا وهذا ، فالنهي داخل في الأمر ، وقال موسى للخضر: ( سَتَجِدُنِيَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِن أتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْنَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) وهذا نهى له عن السؤال حتى يحدث له منه ذكراً ولما خرق السفينة قال له موسى ( أَخَرَقْنُهَ الِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِنْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) فسأله قبل إحداث الذكر ، وقال في الغلام ( أَقَلَلْتَ نَفْسَازَكِيَةً إِغَيْرِنَفْسِ لَّقَدْجِنْتَ شَيَّا أَكُرًا ) فسأله قبل إحداث الذكر ، وقال في الجدار ( لَوْشِنْتَ لَنَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ) وهذا سؤال من جهة المعنى ، فإن السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول: لو نزلت عندنا لأكرمناك، وإن بت الليلة عندنا أحسنت إلينا، ومنه قول آدم ( رَبَّنَاظَلَمَنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرُ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ) وقول نوح ( رَبِّ إِنِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْكَلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمُ وَإِلَّا تَغُفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّن ٱلْخَسِرِينَ ) ومثله كَثير ولهذا قال موسى (إنسَأَلْنُكَ عَنهُمْ عِبَعْدَهَافَلَا تُصَاحِبْنِي) فدل على أنه سأله الثلاث قبل أن يحدث له الذكر ، وهذا معصية لنهيه وقد دخل في قوله ﴿ وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ فدل على أن عاصي النهي عاص الأمر ، ومنه قوله تعالى

( أَلَالَهُ ٱلْخَاتُ وَٱلْأَمْنُ ) وقد دخل النهى فى الأمر . ومنه قوله : ( فَلْيَحْدَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) وقوله : ( وَمَاكَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَامُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمُرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ) فإن نهيه داخل في ذلك .

وقد تنازع الفقهاء في قول الرجل لامرأته: إذا عصيت أمري فأنت طالق، إذا نهاها فعصته هل يكون ذلك داخلاً في أمره؟ على قولين: قيل لا يدخل لأن حقيقة النهى غير حقيقة الأمر، وقيل: يدخل لأن ذلك يفهم منه في العرف معصية الأمر والنهى، وهذا هو الصواب، لأن ما ذكر في العرف هو حقيقة في اللغة والشرع، فإن الأمر المطلق من كل متكلم إذا قيل: أطع أمر فلان، أو فلان يطيع أمر فلان، أو لا يعصي أمره، فإنه يدخل فيه النهى، فلان الناهي آمر بترك المنهي عنه، فلهذا قال سبحانه: (وَلاَ تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ لَمْنَ الناهي آمر بترك المنهي عنه، فلهذا قال سبحانه: (وَلاَ تَلْبِسُوا ٱلْحَقَ بِٱلْبَطِلِ لَكُن الناهي آمر بترك المنهي عنه، فلهذا قال سبحانه: (وَلاَ تَلْبِسُوا ٱلْحَقَ بِٱلْبَطِلِ لَكُن الناهي آمر بترك المنهي عنه، فلهذا قال سبحانه الحق فلم ينه عن كل منهما لتلازمهما، وليست هذه واو الجمع التي يسميها الكوفيون واو الصرف كما قد يظنه بعضهم، فإنه كان يكون المعنى: لا تجمعوا بينهما فيكون أحدها وحده غير منهى عنه.

و «أيضاً » فتلك إنما تجى الإذا ظهر الفرق كقوله: ( وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَهَاكُ اللَّهُ الَّذِينَ جَهَاكُ اللَّهُ اللَّذِينَ عَلَمَ الصَّبِرِينَ ) وقوله: ( الَّوْيُويِقَهُنَّ بِمَاكَسَبُواْوَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ \* وَيَعْلَمُ اللَّذِينَ يُجَدِلُونَ فِي اَيْلِنَا مَا لَهُم مِّن تَجِيصٍ ) . ومن عطف الملزوم قوله تعالى: ( الطَّيعُوا اللَّه وَاطِيعُوا اللَّه وَاللَّه عَوْل اللَّه وَالله عَلْ اللَّه وَالله الله والله الله والله على الله والله والله

الرسول فقد أطاعوا الله كما قال تعالى: ( مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ) وإذا أطاع الله من بلغته رسالة محمد فإنه لا بد أن يطيع الرسول ، فإنه لا طاعة لله إلا بطاعته. و « الثالث » عطف بعض الشيء عليه كقوله : ( حَنفِظُوأ عَلَى ٱلصَّكَوَاتِ وَٱلصَّكَوْةِ ٱلْوُسْطَىٰ ) وقوله ( وَإِذْ أَخَذْنَامِنَ ٱلنَّبِيَّ فَمِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِننُوجِ وَلِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى آبَنِ مَرْيَمَ ) وقوله : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَتِهِكَتِهِ وَرُسُ لِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ) وقوله : ( وَأُوْرَثُكُمْ أَرْضُهُمْ وَدِيكَرَهُمْ وَأَمْوَالْهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَعُوهَا ) و « الرابع » عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين ، كَقُولُه: ( سَيِّج أَسْمَرَيْكِ ٱلْأَعْلَى \* ٱلَّذِي خُلَقَ فَسَوَّىٰ \* وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ \* وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمُرْعَىٰ ) وقوله: ( ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْفِيَٰبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَمِمَارَزَقَنَّهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبَّا لَأَخِرَةِ هُرْيُوقِنُونَ ) وقد جاء في الشعر ما ذكر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله: وألفى قولها كذباً وميناً.

ومن الناس من يدعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله: (شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) وهذا غلط ، مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح ، وغاية ما يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ ، كما ادعى بعضهم أن من هذا قوله :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد فزعموا أنهما بمعنى واحد. واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن الشرعة هي المنهاج، فقال المخالفون لهم: النأي أعم من البعد، فإن النأي كما قل بعده أوكثر ؛ كأنه مثل المفارقة. والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته، وقد قال تعالى: (وَهُمُ يَنْهُوْنَ عَنْهُ وَيَنْفُوْنَ عَنْهُ) وهم مذمومون على مجانبته والتنحي عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين، وليس كلهم كان بعيداً عنه، لا سيما عند من يقول: نزلت في أبي طالب، وقد قال النابغة: \_\_

والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد .

والمرادبه ما يحفر حول الحيمة لينزل فيه الماء ولايدخل الحيمة ، أي صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس بعيداً منها .

#### فمسل

فإذا تبين هذا، فلفظ «الإيمان» إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ «البر»، وبلفظ «التقوى» وبلفظ «الدين» كما تقدم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن «الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان وكذلك لفظ «البر» يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق ، وكذلك لفظ «التقوى» وكذلك « الدين ، أو دين الاسلام » وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية ( لَيْسَ البِر الله الذي يقرب إلى الله والجميع حق ، وقد روى وفسر بالتقوى ، وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله والجميع حق ، وقد روى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر البر بالإيمان .

قال محمد بن نصر : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن يزيد المقري والملائي قالا : حدثنا المسعودي عن القاسم قال : جاء رجل إلى أبي ذر فسأله عن الإيمان فقرأ : ( لَيْسَ الْبِرَأَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ ) إلى آخر الآية ؛ فقال الرجل : ليس عن البر سألتك . فقال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه ، فقرأ عليه الذي قرأت عليك ، فقال له الذي قلت

لي. فلما أبى أن يرضى قال له: إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها .

وقال: حدثنا إسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ عليه: ( لَّيْسَ ٱلْبِرَّأَن تُولُّوا وُجُوهَكُمْ ) إلى آخر الآية ، وروى بإسناده عن عكرمة قال: سئل الحسن بن على بن أبي طالب مقبله من الشام عن الإيمان فقرأ: ( لَيْسَ ٱلْبِرَّأَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ) وروى ابن بطة بإسناده عن مبارك بن حسان قال: قلت لسالم الأفطس: رجل أطاع الله فلم يعصه ، ورجل عصى الله فلم يطعه، فصار المطيع إلى الله فأدخله الجنــة · وصار العاصي إلى الله فأدخله النار ، هل يتفاضلان في الإيمان ؟ قال : لا . قال فذكرت ذلك لعطاء فقال: سلهم الإعمان طيب أو خبيث ؟ فإن الله قال: ( لِيَمِيزَ ٱللهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضِ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ، فِي جَهَنَّمُ أُولَيَهِكُ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ) فسألتهم فلم يجيبوني ، فقال بعضهم : إن الإيمان ببطن ليس معه عمل ، فذكرت ذلك لعطاء فقال: سبحان الله! أما يقرؤون الآمة التي في البقرة: ( لَيْسَ ٱلْبِرَّأَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَيْهِ كَنْ وَالْكِنْبِ وَٱلنَّبِيِّئَ )؟. قال: ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العمل فقال: ( وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ عِذَوِى ٱلْقُرْبَكِ وَٱلْمَتَامَىٰ وَٱلْمَسَكِينَ وَأَبْنَ ٱلسَّبِيلِ \_\_ إلى قوله \_\_ وَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلْمُنَّقُونَ ) فقال : سلهم

هل دخل هذا العمل في هـذا الاسم . وقال : ( وَمَنْأَرَادَٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰلُمَا سَعْيَهُا وَهُوَمُؤْمِنٌ ) فألزم الاسم العمل والعمل الاسم .

والمقصود هذا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل ، لا على إيمان خال عن عمل ، فإذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه ، بل يكون نزاعا لفظياً مع أنهم مخطئون في اللفظ ، مخالفون للكتاب والسنة ، وإن قالوا : إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح ؛ وبعض الناس يحكي هذا عنهم وأنهم يقولون : إن الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضره تركها ، وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون : لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد ، لكن ماعلمت معيناً أحكي عنه هذا القول ، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله ، وقد يكون قول من لا خلاق وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله ، وقد يكون قول من لا خلاق له ؛ فإن كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد ، وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا .

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ) وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَاهُم بِمُوْمِنِينَ \* يُحَدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَغْدَعُوكَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُهُونَ ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَا دَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ )، وفي (يَكْذِبُونَ ) قراءتان مشهورتان فإنهم كذبوا في قولهم: آمنا بالله واليوم الآخر ، وكذبوا الرسول في الباطن وإن صدقوه في الظاهر ، وقال تعالى : ( الَّمَ \* أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيْعَلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَذِبِينَ ) فبين أنه لابد أن يفتن الناس أي يمتحنهم ويبتليهم و يختبره. يقال: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتميزه مما اختلط به ، ومنه قول موسى : ( إِنَّ هِيَ إِلَّافِنْنَكُ تُضِلُّ مِهَامَن تَشَآءُ وَمَّدِي مَن تَشَآهُ ) أي محنتك واختبارك وابتلاؤك، كما ابتلت عادك بالحسنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره ، وابتليتهم بارسال الرسل وإزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر والصادق من الكاذب والمنافق من المخلص فتجعل ذلك سببًا لضلالة قوم وهدي آخرين.

فلما قال فى آية البر: ( أُوْلَتَهِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواً وَأُوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُنَّقُونَ ) دل على أن المراد صدقوا فى قــولهم: آمنا ، فإن هــذا هو القول الذي أمروا به وكانوا يقولونه.

ولم يؤمروا أن يلفظوا بألسنتهم ويقولوا: نحن أبرار أو بررة؛ بل إذا قال الرجل: أنا بر فهذا مزك لنفسه ، ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها برة فقيل: تزكي نفسها، فسهاها النبي صلى الله عليه وسلم زينب؛ بخلاف إنشاء الإيمان بقولهم: «آمناه فإن هذا قد فرض عليهم أن يقولوه، قال تعالى ( قُولُوَا عَامَنَا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ نَاوَمَا أُنزِلَ إِلَى النّبِيونَ مِن رَبِّهِم ) وكذلك في أول آل عمران ( قُلُ أُوقِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُنزِلَ عِلَيْ إِبْرَهِمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَا وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُنزِلَ عِلَيْ النّبِيونَ مِن رَبِّهِم ) وكذلك في أول آل عمران ( قُلُ عَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَيَعْقُوبَ وَالنّابِيقُونَ مِن رَبِّهِمْ ) وكذلك في أول آل عمران ( قُلُ عَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَيَعْقُوبَ وَعَيْسَىٰ وَالنّبِيقُونَ مِن رَبِّهِمْ ) .

وقال تعالى: ( ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْدِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمَلَتَهِ كَنِهِ وَوَلّهُ : (لاَنفُرِقُ ) دليل وَمَلَتَهِ كَنِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ الْانفُرِقُ ) دليل على أنهم قالوا: آمنا ولا نفرق، ولهذا قال: ( وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا ) فجمعوا بين قولهم: آمنا وبين قولهم: سمعنا وأطعنا ، وقد قال في آية البر: ( وَأُولَتَهِكَ هُمُ اللّهُ اللّه وَله الأبرار م المتقين عند الإطلاق والتجريد ، وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد في قوله: ( وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِواللّه ودلت هذه الآبة على الموتران والتقييد في قوله: ( وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِواللّه واحد ، فالمؤمنون أن مسمى الإيمان ومسمى البر ومسمى التقوى عند الإطلاق واحد ، فالمؤمنون م المتقون وم الأبرار .

ولهذاجاء في أحاديث الشفاعة الصحيحة: «يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، وفي بعضها: «مثقال ذرة من خير» وهذا مطابق لقوله تعالى (فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْرًا يَكُوهُ، \* وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ شَرَّا يَكُوهُ) وذلك الذي هو مثقال ذرة من إيمان، وهؤلاء المؤمنون الأبرار الأتقياء م أهل السعادة المطلقة، وم أهل الجنة الذين وعدوا بدخولها بلا عذاب، وهؤلاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا » فإنه ليس من هؤلاء؛ بل من أهل الذنوب المعرضين للوعيد أسوة أمثالهم.

## فمسل

وهذا النوع من نمط «أسماء الله ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسوله ، وأسماء دينه» قال الله تعالى: ( قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أُو ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَانَ أَيَّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى ) وقال تعالى: ( وَيِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسَّنَىٰ فَأَدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَكَمِهِ ) وقال الله تعالى: ( هُوَاللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَّ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ٱلرَّحِيمُ \* هُوَٱللَّهُٱلَّذِي لَآ إِلَهَ إِلَّهُ إِلَهُ إِلَهُ الْمُلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُٱلْمُتَكِيِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّايُشْرِكُونَ \* هُوَٱللَّهُٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرِ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَى يُسَيِّحُ لَهُ مَافِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِمُ فأسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته . ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر ؛ فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه ، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ، ونفسه تستلزم جميع صفاته ، فصــاركل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة ، وعلى أحدها بطريق التضمن ، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم.

وهكذا «أسماء كتابه »القرآن والفرقان ، والكتاب والهدى ، والبيان ، والشفاء

والنور، و نحو ذلك هي بهذه المنزلة. وكذلك « أسماء رسوله » : محمد، وأحمد والماحي، والحاشر، والمقني، ونبى الرحمة، ونبى التوبة، ونبى الملحمة، كل اسم بدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الأخرى، وهكذا ما بثنى ذكره من القصص في القرآن كقصة موسى وغيرها، ليس المقصود بها أن تكون سمرا؛ بل المقصود بها أن تكون عبراً كما قال تعالى: ( لَقَدْكَاكُ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَابِ) بها أن تكون عبراً كما قال تعالى: ( لَقَدْكَاكُ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ) فالذي وقع شيء واحد وله صفات، فيعبر عنه بعبارات متنوعة كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون، وليس هذا من التكرير في شيء.

وهكذا « أسماء دينه » الذي أمر الله به ورسوله يسمى إ عاناً ، وراً ، وتقوى ، وخيراً ، وديناً ، وعملاً صالحاً ، وصراطاً مستقيماً ، ونحو ذلك ؛ وهو في نفسه واحد ، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر ، وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ والباقي كان تابعاً لها لازماً لها ثم صارت دالة عليه بالتضمن ، فإن « الإيمان » أصله الإيمان الذي في القلب ، ولا بد فيه من «شيئين »: تصديق بالقلب ، وإقراره ومعرفته . ويقال لهذا: قول القلب. قال « الجنيد بن محمد »: التوحيد: قول القلب. والتوكل: عمل القلب، فلا بد فيه من قول القلب، وعمله؛ ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب ، مثل حب الله ورسوله ، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما ببغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإعان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة ، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ، ولهــذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ألا وهي القلب ».

وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده ، وقول أبي هريرة تقريب . وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بياناً ، فإن الملك وإن كان صالحاً فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس ، فيكون فيهم صلاح مع فساده ، أو فساد مع صلاحه ؛ بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ».

فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علما وعملاً قلبياً ، لزم ضرورة ملاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أثمة أهل الحديث: قول وعمل ، قول باطن وظاهر ، وعمل باطن وظاهر ، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر ، وإذا فسد فسد ؛ ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العابث: لو خشع قلب هذا لخشمت جوارحه ، فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها قال الله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنَّ خِذُمِن دُونِ اللَّهِ اَندَادًا يُحِبُّونَهُمُ مَا الله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنَّ خِذُمِن دُونِ اللَّهِ اَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ مَا الله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنَّ خِذُمِن دُونِ اللَّهِ اَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ عَامَنُوا أَشَدُّ حُبَّالِلَهِ ) فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبالله من المشركين لأندادم .

وفى الآية «قولان»: قيل: يحبونهم كحب المؤمنين الله، والذين آمنوا أشد حباً لله منهم لأوثانهم. وقيل: يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حباً لله منهم، وهدا هو الصواب؛ والأول قول متناقض وهو باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين لله، وتستلزم الإرادة، والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محباً لله ورسوله؛ مريداً لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه.

ومن هنا يظهر خطأ قول «جهم بن صفوان» ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإعان مجرد تصديق القلب وعلمه ، لم يجعلوا أعمال القلب من الإعان ، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإعان بقلبه ، وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ، ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ، ويهين المصاحف ، ويكرم الكفار غاية الكرامة ، ويهين المؤمنين غاية الإهانة ، قالوا : وهذه كلها معاص لا تنافى الإعان الذي في قلبه ، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا : وإنما ثبت له فى الدنيا أحكام الكفار ، لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم

بالإقرار والشهود ، وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به و بخلاف ما شهد به الشهود ، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة ، قالوا : فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه ، فالكفر عندم شيء واحد وهو الجهل ، والإيمان شيء واحد وهو العلم ، أو تكذب القلب وتصديقه ، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو ؟ .

وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في « الإعان » فقد ذهب إليه كثير من « أهل الكلام المرجئة » . وقد كفر السلف \_ كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم \_ من بقول بهذا القول . وقالوا : إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم ، لا لكونه كذب خبراً . وكذلك فرعون وقومه ، قال الله تعالى فيهم : ( وَحَمَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتُهَا أَنفُسُهُم طُلْمًا وَعُلُوًا ) وقال موسى عليه السلام لفرعون : ( قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزِلَ هَنَ وُلاَ إِلاَ مَن السَّمَوْتِ وَ أَلا رُضِ بَصَابِر ) بعد قوله : ( وَلَقَدْ عَالَيْنَا مُوسَىٰ قِسْعَ عَاينَ مَ بيّنَتُ فَسَنَّلُ بَيْ السَّمَوْتِ وَ أَلا رُضِ بَصَابِر ) بعد قوله : ( وَلَقَدْ عَالَيْنَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ فَسَنْلُ بَيْ إِلَى لاَ ظُنْتُكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلَيْنَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلَيْتُ مَا أَنزِلَ هَنَّ وُلاَ إِلَا رَبُ ٱلسَّمَوْتِ وَ ٱلأَرْضِ بَصَابِرَ وَإِلِي لاَ ظُنْتُكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلَيْتُ مَا أَنزِلَ هَنَّ لِلاَ قَالَ لَهُ مِن الله مَن وَلِي وَالْأَرْضِ بَصَابِرَو إِلِي لاَظُنْتُكَ يَعُومُ وَلَا عَلْمَ مَا أَنزِلَ هَنَّ لَا الله الله مَن وَالله وَلَا مَن مَن مَن مَن مَن مَن مَنْ مَن الله وَالله عَلَيْسَ مَا أَنزِلَ هَنْ قُلْمَ إِلَيْ لاَ قُلْمَا فَي الله وَلَيْسَ مَا أَنزِلَ هَا قُلْمَالًا فَي مَنْ مَنْ وَاللَّهُ مَا فَيْمَ وَاللَّهُ مَنْ مَنْ وَاللَّهُ مَا مُعَالَى اللَّهُ مُنْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا الله الله الله مَنْ وَاللَّهُ مَا مُنْ مَا أَنْ لَكُونُ وَلَا لَا اللّهُ اللّهُ مَنْ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ مَا مُولِلُهُ وَلَقَدْ مَا لَيْنَا مُوسَى مَنْ مَا أَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

فهوسى وهو الصادق المصدوق بقول: ﴿ قَالَلَقَدْعَلِمْتَمَآأَنَزَلَهَـ ۗ وَٰلَآرَبُّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْآيَاتِ وهو السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآيِرَ ﴾. فدل على أن فرعونكان عالمًا بأن الله أنزل الآيات وهو

من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه. قال تعالى: ( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَ اشِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَآبِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّ عُأَبْنَاءَهُمْ وَيَعَدُواْ بِهَا وَيَسَتَخْعِهُ اللهُ عَلَى: ( وَجَحَدُواْ بِهَا وَيَسَتَخْعِهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَهُ عَلَى اللهُ عَ

## فهؤلاء غلطوا في «أصلين »:

(أحدها): ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس معه عمل، وحال، وحركة، وإرادة، ومحبة، وخشية في القلب؛ وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً، فإن «أعمال القلوب» التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أومقامات العارفين أو غير ذلك، كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب، وفيها ما أحبه ولم يفرضه، فهو من الإيمان المستحب، فالأول لا بد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين، وذلك مثل حب الله ورسوله ، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها، بل أن يكون الله وحده دون خشية المخلوقين، ورجاء الله وحده دون رجاء الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه رجاء المخلوقين، والإنابة إليه رجاء المخلوقين، والتسوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه رجاء المخلوقين، والتسوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه

مع خشيته كما قال تعالى : ( هَذَامَاتُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَّنْخَشِي ٱلرَّمْنَ بِٱلْفَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ) ومثل الحب فى الله والبغض فى الله والموالاة لله والمعاداة لله .

و (الثاني): ظهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار ، فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق . وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع ، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار ؛ فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه ، أو لطلب علوه عليه ، أو لهوى النفس ، ويحملهذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق ، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه ، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة ، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقواموغير ذلك ، فيرون في انباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم ، فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون ، مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل

ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل ، إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم ،كقولهم لنوح: ( أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ ) ومعلوم أن انباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه ؛ لكن كرهوا مشاركة أولئك ،

ومثل قول فرعون: ( أَنَوْرُونَ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِدُونَ ) وقول فرعون: ( أَنَوْرُونَ لِيدَا وَلِيثَتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ \* وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَوَلَمْ مُركَ سِنِينَ \* وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَوَلَمْ وَالْمَالِينَ الْعَرِينَ ) ومثل قول مشركي العرب: ( إِن نَتَيْعِ ٱلْمُدُى مَعَكَ نَنَ خَطَفَ مِنْ أَرْضِنَا ) قال الله تعالى: (أَوَلَمْ نُمَكِن لَهُ مُ حَرَمًا عَامِنَا يُجْبَى إِلَيْهِ شَمَرَتُ لَيُ مُنْ مَرَمًا عَامِنَا يُجْبَى إِلَيْهِ شَمَرَتُ لَيْ مُنْ مَنْ مَنْ اللهِ عَلَى اللهِ الله تعالى: ( أَولَمْ نُمَكِن لَهُ مُ حَرَمًا عَامِنَا يُجْبَى إِلَيْهِ شَمَرَتُ لَكُ مُنْ اللهِ عَلَى اللهِ الله تعالى: ( أَولَمْ نُمَكِن لَهُ مُ حَرَمًا عَامِنَا يُجْبَى إِلَيْهِ شَمَرَتُ لَيْ مُنْ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وهذه الأمور وأمثالها ليست حججا تقدح فى صدق الرسل ، بل نبين أنها تخالف إرادتهم وأهواهم وعاداتهم ، فلذلك لم يتبعوهم ، وهؤلاء كلهم كفار ، بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلته ، وليس عندهم حسد له ، وكانوا يعلمون صدقه ، ولكن كانوا يعلمون أن فى

متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم ، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم ، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به ؛ بل لهوى النفس ، فكيف يقال : إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله .

ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافر جاهلا بالحق حتى قالوا: هولا يعرف أن الله موجود حق، والكفر عندم ليس هو الجهل بأي حق كان؛ بل الجهل بهذا الحق المعين. و نحن والناس كلهم يرون خلقا من الكفاريعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق، ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان، إما معاداة أهلهم وإما مال يحصل لهم من جهتهم يقطعونه عنهم، وإما خوفهم إذا آمنوا ألا يكون لهم حرمة عند المسلمين كرمتهم في دينهم، وأمثال ذلك من أغراضهم التي يبينون أنها المانعة لهم من الإيمان، مع علمهم بأن دين الإسلام حق، ودينهم باطل.

والمفسرون متفقون على أنها نرلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض، خاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم ؛ لا لاعتقدادهم أن محمداً كاذب، واليهود والنصارى صادقون ، وأشهر النقول في ذلك أن عبادة بن الصامت قال: يارسول الله إن لي موالي من اليهود وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود ، فقال : عبدالله بن أبي : لكني رجل أخاف الدوائر ولا أبراً من ولاية يهود فنزلت هذه الآية .

«والمرجئة» الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه ، كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها ؛ ولم يكن قولهم مشل قول جهم ؛ فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإعمان مع قدرته عليه . وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرها كفار مع تصديق قلوبهم ، لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قــول جهم، وإن أدخلوها في الإعان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا فإنها لازمة لها ، ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم ، فإنهم رأوا أن الله قد فرق في كتابه بين الإيمان والعمل؛ فقال في غير موضع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ ورأوا أن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال فقال: ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَإِذَا قُمُّتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ) . ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَإِذَا نُودِي لِلصَّلَوْةِ مِن يُوْمِ ٱلْجُمُعَةِ).

وقالوا: لو أن رجلاً آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمناً ، وكان من أهل الجنة ، فدل على أن الأعمال ليست من الإعان . وقالوا: كن نسلم أن الإعان يزيد ، بمعنى أنه كان كلىا أنزل الله آية وجب التصديق بها ، فانضم هذا التصديق إلى التصديق الذي كان قبله ؛ لكن بعد كال ما أنزل الله ما بقى الإعان يتفاضل عندم ، بل إعان الناس كلهم سواء ؛ إعان السابقين الأولين كأبى بكر وعمر ، وإعان أفجر الناس كالحجاج وأبى مسلم الخراساني وغيرها .

والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء منهم يقولون: إن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازا، لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه، ولأنها دليل عليه، ويقولون: قوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »: مجاز.

«والمرجئة ثلاثة أصناف»: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الاشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكره، لكن ذكرنا جمل أقوالهم، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه. و «القول الثاني» من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية، «والثالث» تصديق القلبوقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم، وهؤلاء غلطوا

(أحدها): ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك فإن أتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان مالم يوجب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان ما لم يوجبه على غيرهم، والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن، ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن ، والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً ، فإنه لا بد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر ، لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك . وأما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر ، وأمر أمر مالا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر .

و «أيضاً» لو قدر أنه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر به ، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه ، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة . ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بلناسك ، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة ، فصار يجب من الإيمان تصديقا وعملاً على أشخاص مالا يجب على آخرين .

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم : خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال . فنقول :

إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال، فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين، ولهذا قال تعالى: ( وَلِلَّوَعَلَى النَّاسِحِجُّ البَيْتِ مَن السَّطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنْ عَن الله عَلى: ( وَلِلَّوعَلَى النَّاسِحِجُ البَيْتِ مَن السَّطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَر فَإِنَّ الله غَنى عَن الله عَلى الله على الله الله الله على الله على الله على الله على الله على الله على الله الله الله على اله على الله على الهم على الله على الله على الله على الله على الهم على الله على ال

وكذلك قولهم: من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً، فصحيح لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه، والعمل لم يكن وجب عليه بعد، فهذا مما يجب أن يعرف، فإنه تزول به شبهة حصلت للطائفتين.

فإذا قيل: الأعمال الواجبة من الإيمان. فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس. وأهل السنة والحديث يقولون: جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان الريمان الإيمان الكامل بالمستحبات. ليست من الإيمان الواجب. ويفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل

بالمستحبات كما يقول الفقهاء: الغسل ينقسم إلى مجزئ وكامل. فالجزئ: ما أتى فيه بالواجبات فقط. والكامل: ما أتى فيه بالمستحبات. ولفظ الكال قد يراد به الكال المستحب.

وأما قولهم: إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع ، فهذا صحيح . وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المامور بها . وقد يقرن به الأعمال ، وذكرنا نظائر لذلك كثيرة . وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب . والأعمال الظاهرة لازمة لذلك . لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب ؛ فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب ؛ وحيث عطفت عليه الأعمال ، فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لا مد معه من الأعمال الصالحة .

وغيرهم من المؤمنين. وقوله: ( حَنفِظُواْ عَلَى الصَّكَاوَاتِ وَالصَّكَاوَةِ الْوُسْطَىٰ ) وقوله: ( وَمَاۤ أُمِرُوۤ اللَّالِيَعَبُدُوااللّهَ تُغْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنفآ ءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ الرَّكُوٰةَ ) والصلاة والزكاة من العبادة ، فقوله: ( ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ ) كقوله: ( وَمَآ أُمِرُوۤ اللَّالَالِيَعَبُدُوا اللّهَ تُغْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنفآ ءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكُوٰةَ ) .

فإنه قصد «أولاً» أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره، ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم أنهما عبادتان واجبتان، فلا يكتفي بمطلق العبادة الحالصة دونهما، وكذلك يذكر الإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لا بد منه ، ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لا بد منه ، فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد العال ليس معه العمل الصالح، وكذلك قوله: (الق \* ذَلِكَ اللَّهِ عَلَى الدَينَ يُومِنُونَ الصَّلَاةَ وَمَمَّا رَزَقَنَهُمُ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُومِنُونَ الصَّلَاقَ وَمَمَّا رَزَقَنَهُمُ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُومِنُونَ المَّا أَنزِلَ مِن قَبلِكَ وَإِلَّا خَرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أَوْلَتِكَ عَلَى هُدُى مِن رَبِهِمُ مَا أَنزِلَ مِن قَبلِكَ وَإِلَّا فَحْرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أَوْلَتِكَ عَلَى هُدُى مِن رَبِهِمُ وَأُولَتِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ) .

وقد قيل: إن هؤلاء هم أهل الكتاب الذين آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل على من قبله ، كابن سلام ونحوه ، وإن هؤلاء نوع غير النوع المتقدم الذين يؤمنون بالغيب ، وقد قيل : هؤلاء جميع المتقدمين الذين آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله ، وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وهم صنف واحد ، وإنما عطفوا لتغاير الصفتين كقوله : ( سَبِّج السَّمَريَّكِ اللَّعَلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي فَدَرَفَهَدَى لَتَعَاير الصفتين كقوله : ( سَبِّج السَّمَريَّكِ اللَّعَلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي فَدَرَفَهَدَى

\* وَٱلَّذِى ٓ أُخْرَجُ ٱلۡمَرْعَىٰ \* فَجَعَلَهُ عُنَاءً أُحُونَ ) ؛ فهو سبحانه واحد وعطف بعض صفاته على بعض ، وكذلك قوله: ( وَٱلصَّكَلُوةِ ٱلْوُسْطَىٰ ) ، وهي صلاة العصر .

والصفات: إذا كانت معارف كانت للتوضيح وتضمنت المدح أو الذم. تقول : هذا الرجلهو الذيفعل كذا، وهو الذي فعل كذا ،وهو الذيفعل كذا تعدد محاسنه ، ولهذا مع الإنباع قد يعطفونها وينصبون ، أو يرفعون ، وهـــذا القول هو الصواب، فإن المؤمنين بالغيب إن لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين ولا متقين ، وكذلك الذين آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله إن لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون ، لم يكونوا على هـــدى من ربهم ، ولم يكونوا مفلحين، ولم يكونوا متقين ، فدل على أن الجميع صفة المهتدين المتقين الذين اهتدوا بالكتاب المنزل إلى محمد ، فقد عطفت هذه الصفة على تلك مع أنها داخلة فيها ، لكن المقصود صفة إيمانهم ، وأنهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه ، لا يفرقون بين أحد منهم ؛ وإلا فإذا لم يذكر إلا الإيمان بالغيب ، فقد يقول: من يؤمن ببعض ويكفر ببعض: نحن نؤمن بالغيب.

ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن؛ ويقال: إنها أول سورة نزلت بالمدينة ، افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين ، فإنه من حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم

صار الناس «ثلاثة أصناف»: إما مؤمن ، وإما كافر مظهر للكفر ، وإما منافق؛ بخلاف ما كانوا وهو بكة ؛ فإنه لم يكن هناك منافق ؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره: لم يكن من المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار؛ فإن مكة كانت للكفار مستولين عليها ، فلا يؤمن ويهاجر إلا من هو مؤمن ليس هناك داع يدعو إلى النفاق؛ والمدينة آمن بها أهل الشوكة ؛ فصار للمؤمنين بها عن ومنعة بالأنصار ، فمن لم يظهر الإيمان آذوه ؛ فاحتاج المنافقون إلى إظهار الإيمان، مع أن قلوبهم لم تؤمن ؛ والله تعالى افتتح البقرة ووسط البقرة وختم البقرة بالإيمان بجميع ما جاءت به الأنبياء ؛ فقال في أولها ما تقدم ، وقال في وسطها: ﴿ قُولُوٓاْءَامَنَـابِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْمَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَهِءَمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِ مُلَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآءَ امَنتُم بِدِء فَقَدِ ٱهۡ تَدُواۗ قَالِن فَوَلَوْا فَإِنَّا هُمْ فِي شِقَاقِ ) الآبة : وقال في آخرها : (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ - وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَتَهِ كَنِيْهِ وَكُنْيُهِ وَرُسُلِهِ عَلَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَ الْواْسَعِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ) والآية الأخرى.

وفى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الآيتان من آخر سورة البقرة : من قرأ بهما فى ليلة كفتاه » والآية الوسطى قد ثبت فى « الصحيح » أنه كان يقرأ بها فى ركعتى الفجر : وب « قُلْيَكَأَهْلَ ٱلْكِئْبِ تَعَالَوْ إِلَى كَلْمَةِ سَوَاءً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُونَ ) الآية ، تارة . وب (قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلْكَنْوُنَ ) تَعَالَوْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُونَ ) الآية ، تارة . وب (قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلْكَنْوُرُونَ )

و ( قُلُهُوَ اللهُ أَحَدُ ) تارة. فيقرأ بما فيه ذكر الإيمان والإسلام، أو بما فيه ذكر التوحيد والإخلاص.

فعلى قول هؤلاء يقال : الأعمال الصالحة المعطوفة على الإبمان دخلت في الإيمان، وعطف عليه عطف الخاص على العام؛ إما لذكره خصوصاً بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام . وقيل : بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان ؛ فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ، ولكن هي لازمة له ، فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً ؛ لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الإيمان إذا أطلق ، كما تقدم في كالام النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا عطفت عليه ذكرت ، لئلا يظن الظان أن مجــرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد؛ فكان ذكرها تخصيصاً وتنصيصاً ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلاعداب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً ؛ لا يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل ، وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله : آمنت لا بد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على انتفائه عمن سواهم.

وللجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب «الموجز» وهو أن القرآن نفي الإيمان عن غير هؤلاء ، كقوله: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتُ فَي الإيمان عن غير هؤلاء ، كقوله: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتُ قُلُو مُهُمَّ ) ولم يقل: إن هذه الأعمال من الإيمان ، قالوا: فنحن نقول: من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه .

والجواب عن هذا من وجوه:

(أحدها): أنكم سلمتم أن هذه الأعمال لازمة لإيمان القلب، فإذا انتفت لم يبق فى القلب إيمان ، وهذا هو المطلوب ؛ وبعد هذا فكونها لازمة أو جزءاً ، نزاع لفظي.

( الثاني ): أن نصوصاً صرحت بأنها جزء ، كقوله: «الإيمان بضعوستون أو بضع وسبعون شعبة » .

(الثالث): أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل إيمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم فى طرف ، والخوارج فى طرف ؛ فكيف توافقونهم ومن هذه الأمور إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحجج ، والجهاد ، والإجابة إلى حكم الله ورسوله ؛ وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه ، وإن كفر تموه كان قولكم قول الخوارج .

( الرابع ) : أن قول القائل : إن انتفاء بعض هذه الأعمال يستلزم أن لا يكون فى قلب الإنسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فساده بالاضطرار .

( الحامس ) : أن هذا إذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي .

## فص\_\_\_ل

(الوجه الثاني) من غلط «المرجئة»: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب؛ كما تقدم عن جهمية المرجئة.

(الثالث) ظنهم أن الإعان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له؛ والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لامحالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر؛ ولهذا صاروا يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب مثل أن يقولوا: رجل في قلبه من إلايمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر، وهو لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ويزني بأمه وأخته، ويشرب الخر نهار رمضان؛ يقولون: هذا مؤمن تام الإيمان، فيبقى سائر المؤمنين بنكرون ذلك غانة الإنكار.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا خلف بن حيان ، حدثنا معقل بن عبيد الله العبسي قال: قدم علينا سالم الأفطس بالأرجاء ، فنفر منه أصحابنا نفوراً شديداً منهم ميمون بن مهران ، وعبد الكريم بن مالك ، فإنه عاهد الله أن

الايؤويه وإياه سقف بيت إلا المسجد ، قال معقل : فحججت فدخلت على عطاء ابن أبي رباح في نفر من أصحابي وهو يقرأ: ﴿ حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْعَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓ ٱأَنَّهُمْ قَدّ كُذِبُواْ ) قلت : إن لنا حاجة فأخلنا ، ففعل ؛ فأخبرته أن قوماً قبلنا قد أحدثوا وتكلموا وقالوا: إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين ؛ فقال: أوليس الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ تُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكُوٰةً ۚ وَذَالِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ ). فالصلاة والزكاة من الدين ، قال: فقلت: إنهم يقولون: ليس في الإيمان زيادة ، فقال: أوليس قد قال الله فيما أنزل: ( لِيَزْدَادُوَاْلِيمَنَامَعَ إِيمَنهُم ) هذا الإيمان. فقلت: إنهم انتحلوك. وبلغني أن ابن ذر دخل عليك في أصحاب له ، فعرضوا عليـك قولهم فقبلتــه . فقلت هذا الأمر ، فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، مرتين أو ثلاثاً ثم قال : قدمت المدينة فجلست إلى نافع فقلت: ياأبا عبدالله! إن لي إليك حاجة ، فقال: سر أم علانية ؟ فقلت : لا بل سر : قال : رب سر لا خير فيــ ، فقلت : ليس من ذلك، فلما صلينا العصر قام وأخذ بثوبي، ثم خرج من الخوخة ولم ينتظر القاص، فقال : حاجتك ؟ قال فقلت : أخلني هذا . فقال : تنح ؛ قال : فذكرت له قولهم . فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا: لا إله إلا الله؛ فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » قال: قلت: إنهم يقولون: نحن نقر بأن الصلاة فرض ولا نصلي ؛ وبأن الخمر حرام ونشربها ؛ وأن نكاح الأمهات حرام ونحن ننكح. فنثر يده من يدي وقال: من فعل هذا فهو كافر.

قال معقل: فلقيت الزهري فأخبرته بقولهم. فقال: سبحان الله! وقد أُخذ الناس في هذه الخصومات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ؛ ولا يشرب الخر حين يشربها وهو مؤمن ». قال معقل. فلقيت الحكم بن عتبة فقلت له: إن عبد الكريم وميموناً بلغهما أنه دخل عليك ناس من المرجئة فعرضوا بقولهم عليــك فقبلت قولهم ؛ قال . فقبل ذلك علي ميمون ؛ وعبد الكريم ؟! لقد دخل علي اثنا عشر رجلاً وأنا مريض فقالوا: ياأبا محمد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أناه رجل بأمة سوداء، أو حبشية، فقال: يارسول الله! على رقبة مؤمنة، أفترى هذه مؤمنة؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟»: فقالت: نعم. قال: «وتشهدين أن محمداً رسول الله؟»: قالت: نعم، قال: «وتشهدين أن الجنة حق والنار حق » قالت : نعم ، قال : «وتشهدين أن الله يبعثك من بعد الموت؟». قالت: نعم؛ قال: «فأعتقها فإنها مؤمنة»: فحرجوا وهم ينتحلون ذلك.

قال معقل: ثم جلست إلى ميمون بن مهران ، فقلت ياأبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها ، قال: فقرأ: ( إِذَا الشَّمَسُ كُوِّرَتَ ) حتى إذا بلغ: ( مُطَاعِ ثَمَّ أَمِينِ ) قال: ذاكم جبريل ، والخيبة لمن يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل، ورواه خبل عن أحمد ، ورواه أيضاً عن ابن أبي مليكة قال: لقد أتى علي برهة من الدهر وما أراني أدرك قوماً يقول أحدم: « إنى مؤمن مستكمل الإيمان ، ثم ما رضى حتى قال: إيماني على إيمان جبريل وميكائيل ، وما زال بهم الشيطان ما رضى حتى قال: إيماني على إيمان جبريل وميكائيل ، وما زال بهم الشيطان

حتى قال أحدهم: إني مؤمن وإن نكح أخته وأمه وبنته، والله لقد أدركت كذا وكذا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ ما مات أحد منهم إلا وهو يخشى النفاق على نفسه، وقد ذكر هذا المعنى عنه البخاري في «صحيحه» قال: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم أحد يقول: إيمانه كإيمان جبريل.

وروى البغوي عن عبدالله بن محمد عن ابن مجاهد قال : كنت عند عطاء ابن أبى رباح، فجاء ابنه يعقوب فقال : ياأبتاه إن أصحاباً لي يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل ؛ فقال : يابني ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله .

قلت: قوله عن «المرجئة»: إنهم يقولون: إن الصلاة والزكاة ليستا من الدين، قد يكون قول بعضهم، فإنهم كلهم يقولون: ليستا من الإيمان، وأما من الدين فقد حكي عن بعضهم أنه يقول: ليستا من الدين؛ ولا نفرق بين الإيمان والدين، ومنهم من يقول: بل هما من الدين ويفرق بين اسم الإيمان واسم الدين، وهذا هو المعروف من أقوالهم التي يقولونها عن أنفسهم: ولم أر أنا في كتاب أحد منهم أنه قال: الأعمال ليست من الدين، بل يقولون ليست من الإيمان، وكذلك حكى أبو عبيد عمن ناظره منهم، فإن أباعبيد وغيره يحتجون بأن الاعمال من الدين؛ فذكر قوله: ( اَلْيُومَ أَكُمُلْتُ لَكُمُّ دِينَكُمُ ) إنها نزلت في حجة الوداع، قال أبو عبيد: فأخبر أنه إنما كمل الدين الآن في آخر الإسلام في حجة الوداع، قال أبو عبيد: فأخبر أنه إنما كمل الدين الآن في آخر الإسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وزعم هؤلاء أنه كان كاملاً قبل ذلك

بعشرين سنة من أول ما زل عليه الوحى بمكة حين دعا الناس إلى الإقرار ، حتى قال : لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه هذه الحجة ... إلى أن قال : إن الإيمان ليس بجميع الدين ، ولكن الدين ثلاثة أجزاء : الإيمان جزء ؛ والفرائض جزء ، والنوافل جزء .

قلت: هذا الذي قاله هذا هو مذهب القوم، قال أبو عبيد: وهذا غير ما نطق به الكتاب، ألا تسمع إلى قوله: ( إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) وقال ( وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينَا فَلَن يُقبَلَ مِنْهُ ). وقال: ( وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَا) فأخبر أن الإسلام هو الدين برمته؛ وزعم هؤلاء أنه ثلث الدين.

قلت: إنما قالوا: إن الإيمان ثلث، ولم يقولوا إن الإيمان ثلث الدين لكنهم فرقوا بين مسمى الإيمان ومسمى الدين، وسنذكر إن شاء الله تعالى الكلام في مسمى هذا ومسمى هذا، فقد يحكى عن بعضهم أنه يقول ليستا من الدين ولايفرق بين اسم الإيمان والدين ومنهم من يقول بل كلاها من الدين ويفرق بين اسم الإيمان واسم الدين، والشافعي رضي الله عنه كان معظماً لعطاء ابن أبي رباح، ويقول: ليس في التابعين أتبع للحديث منه، وكذلك أبو حنيفة قال. ما رأيت مثل عطاء، وقد أخذ الشافعي هذه الحجة عن عطاء. فروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي: حدثنا أبي، حدثنا ميمون، حدثنا أبو عثمان بن الشافعي، سمعت أبي يقول ليلة للحميدي: ما يحتج عليهم، يعني أبو عثمان بن الشافعي، سمعت أبي يقول ليلة للحميدي: ما يحتج عليهم، يعني

أَهُلَ الْإِرجَاء بَآيَة أَحج من قوله : ( وَمَآأُمُ وَا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ تُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكُوةَ وَذَالِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ).

وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب «الأم » في (باب النية في الصلاة): يحتج بأن لا تجزئ صلاة إلا بنية بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعده، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية؛ لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر.

وقال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحبح ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت؛ فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين. قال الله تعالى: الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين. قال الله تعالى: ومَا أُمُ وَا إِلاَ لِيعَبُدُوا الله تُخلِصِينَ لَهُ الدِينَ ) الآية. وقال حنبل: سمعت أباعبد الله أحمد بن حنب لل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله ورد على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله.

قلت: وأما احتجاجهم بقوله للأمة « أعتقها فإنها مؤمنة » فهو من حججهم المشهورة ، وبه احتج ابن كلاب ، وكان يقول: الإيمان هو التصديق والقول جميعاً ، فكان قوله أقرب من قول جهم وأنباعه ، وهذا لا حجة فيه ؛ لأن

الإعان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإعان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ، فإن المنافقين الذين قالوا: ( ءَامَنَا بِأَللَهِ وَبِأَلْمَةُ وِالْمَارِوَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ) هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس. ويصومون ويحجون ويغزون ، والمسلمون بنا كونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر ، لا في منا كتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك ؛ بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول — وهو من أشهر الناس بالنفاق — ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ؛ وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين .

وقد تنازع الفقهاء في المنسافق الزنديق الذي يكتم زندقته ، هل يرث ويورث ؟ على قولين ، والصحيح أنه يرث ويورث وإن علم في الباطن أنه منافق ، كما كان الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة ، لا على الحبة التي في القلوب ، فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته ، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها ، وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ؛ فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » لم يدخل فيه المنسافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النسار ؛ بل كانوا يورثون ويرثون ؛ وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين ، وقد أخبر الله عنهم أنهم يصلون ويزكون ومع هذا

لم يقبل ذلك منهم فقال: (وَمَامَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ حَصُواْ فِي يَقْبُ فَا يَعْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ حَصُلُواْ اللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ) وَاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ) وقال (إِنَّ المُمْنَفِقِينَ يُحْنَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَائَى وَقَالُ (إِنَّ الشَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَائَى فَيُرَا أَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا).

وفي « صحبح مسلم » عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » ، وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي ، كما خرج ابن أبي في غزوة بني المصطلق وقال فيها : ( لَهِن رَّجَعْنَ اللهُ الْمُدِينَةِ لَيُخْرِجَ اللهُ الْمُدَينَةِ لَيُخْرِجَ اللهُ الْمُدَينَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ وَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ وَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

«وفي الصحيحين» عن زيد بن أرقم قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر أصاب الناس فيها شدة ، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى بنفضوا من حوله . وقال : (لَإِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى من عند رسول الله حتى بنفضوا من حوله . وقال : (لَإِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْخُرِجَكَ الْأَغُرُ مِنْهَا الْأَذَلُ ) فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأرسل الله عبد الله بن أبي ؛ فسأله فاجتهد يمينه ما فعل ، وقالوا : كذب زيد يارسول الله فوقع فى نفسي مما قالوا شدة ، حتى أزل الله تصديقى فى (إذا جَآءَكَ المُنكفِقُونَ ) فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، فلووا رؤوسهم . وفى غزوة تبوك فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم كما استنفر غيرهم ، فحرج بعضهم معه وبعضهم استنفرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما استنفر غيرهم ، فحرج بعضهم معه وبعضهم تخلفوا ، وكان فى الذين خرجوا معه من هم بقتله فى الطريق ، هموا بحل حزام تخلفوا ، وكان فى الذين خرجوا معه من هم بقتله فى الطريق ، هموا بحل حزام

ناقته ليقع فى واد هناك ، فجاءه الوحي ، فأسر إلى حذيفة أسماءهم ، ولذلك يقال : هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، كما ثبت ذلك في « الصحيح » ومع هذا ففى الظاهر تجري عليهم أحكام أهل إلا يمان .

وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورد في هذا المقام؛ فإن كثيراً من المتأخرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة، والنفاق شعب كثيرة، وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم.

فني « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى لفظ مسلم : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

وفى «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا اؤ تمن خان، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم ، حتى نهاه الله عن ذلك فقال: ( وَلاَ تُصُلِّ عَلَى آَحَدِ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَانَقُمُ عَلَى قَبْرِهِ ) وقال: ( ٱسۡتَغۡفِرُ لَهُمُ أَوْلاَ تَسۡتَغۡفِرُ لَهُمُ إِن تَسۡتَغۡفِرُ لَهُمُ مَاتَ أَبَدًا وَلاَنقُمُ عَلَى قَبْرِهِ ) فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ، ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ، ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة

لا يستحل منهم ما يستحله من الكفار الذين لا يظهرون أنهم مؤمنون ، بل يظهرون الكفر دون الإيمان ، فإنه صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماء هم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » ولما قال لأسامة بن زيد : «أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قال : إنما قالها تعوذاً . قال : «هلا شققت عن قلبه ؟ » وقال . « إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول : « أليس يصلي ، أليس يتشهد ؟ » فإذا قيل له : إنه منافق . قال : «ذاك » .

فكان حكمه صلى الله عليه وسلم في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيره لا يستحل منها شيئًا إلابأمر ظاهر ، مع أنه كان يعلم نفاق كثيره نهم ؛ وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه . قال تعالى : ( وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَفِقُونَ وَمِنْ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ أَعَلَمُهُمْ الله مَنْ عَلَمُهُمْ الله عَلَمُهُمْ الله الله ون الذين لا يعلمون أنه منافق إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ ) وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنه منافق ومن علم أنه منافق لم يصل عليه . وكان عمر إذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصلى عليه حذيفة ، لأن حذيفة كان قد علم أعيانهم . وقد قال الله تعالى : ( يَتَأَيُّهُا عَلَمُ مُؤْمِنَاتِ عَلَمُهُمُ اللهُ أَعْلَمُ اللهُ ا

والله نعالى لما أمر في الكفارة بعتق رقبة مؤمنة ، لم بكن على الناس ألَّا يُعتقوا إلا من يعلمونأن الإيمان في قلبه؛ فإن هذا كما لو قيل لهم: اقتلوا إلا من علمتم أن الإيمان في قلبه. وهم لم يؤمروا أن ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقوا بطونهم ؛ فإذا رأوا رجلاً يظهر الإيمان جاز لهم عتقه ، وصاحب الجارية لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل هي مؤمنة ؟ إنما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرق به بين المسلم والكافر ، وكذلك من عليه نذر لم يلزمه أن يعتق إلا من علم أن الإيمان في قلبه ؛ فإنه لا يعلم ذلك مطلقاً ؛ بل ولا أحد من الخلق يعلم ذلك مطلقاً . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق والله بقول له : ( وَمِحَّنَّ حَوْلَكُمْ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَاتَعْلَمُهُمَ نَعْنُ نَعْلَمُهُمّْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ). فأولئك إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم كحكمه في سائر المؤمنين؛ ولو حضرت جنازة أحدم صلى عليها ، ولم يكن منهياً عن الصلاة إلا على من علم نفاقه ؛ وإلا لزم أن ينقب عن قلوب الناس و يعلم سرائرهم ، وهذا لايقدر عليه بشر .

ولهذا كم كشفهم الله بسورة براءة بقوله: (ومنهم)، (ومنهم) صاريعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك ، فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم ؛ وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم ، وإن كان بعضهم بظن ذلك وبعضهم يعلمه ؛ فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة ، بخلاف حالهم لما نزل القرآن ؛ ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق وما بقي يمكنهم من إظهاره أحياناً ما كان يمكنهم قبل ذلك ، وأنزل الله تعالى : (لَين لَرَينَكِهِ

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضُ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِينَكَ بِهِمْ ثُمَّلًا فَيُحَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا \* مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوۤ أُجِدُواْ وَقُتِّلُواْ تَفْتِيلًا \* مُثَنَّةَ اللَّهِ فَيْ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّ

ولهذا تنازع الفقهاء في استتابة الزنديق . فقيل : يستتاب . واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل أمرهم إلى الله ؛ فيقال له : هذا كان في أول الأمر ، وبعد هذا أزل الله : (ملعونين أينها ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) فعلموا أنهم إن أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا ، فكتموه .

والزنديق: هو المنافق ، وإنما يقتله من يقتله إذا ظهر منه أنه يكتم النفاق ، قالوا : ولا تعلم توبته ، لأن غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهر ؛ وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق ؛ ولو قبلت توبة الزنادقة لم يكن سبيل إلى تقتيلهم ، والقرآن قد توعدهم بالتقتيل .

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أخبر عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة ، وإلا فقد ثبت عنه أن سعداً لما شهد لرجل أنه مؤمن قال : «أو مسلم» وكان يظهر من الإيمان ما تظهره الأمة وزيادة فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا ، فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا ، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب ؛ فالمؤمن المستحق للجنة لا بد أن

يكون مؤمناً فى الباطن بانفاق جميع أهل القبلة ، حتى الكرامية الذين يسمون المنافق مؤمناً ويقولون : الإيمان هو الكلمة ، يقولون : إنه لا ينفع فى الآخرة إلا الإيمان الباطن .

وقد حكى بعضه عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة ، وهو غلط عليهم ؛ إنما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة في أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل ؛ ولهذا أكثر ما اشترط الفقهاء في الرقبة التي تجزئ في الكفارة العمل الظاهر ، فتنازعوا هل يجزئ الصغير ؟ على قولين معروفين للسلف ها روايتان عن أحمد ؛ فقيل : لا يجزئ عتقه ، لأن الإيمان قول وعمل والصغير لم يؤمن بنفسه إنما إيمانه تبع لأبويه في أحكام الدنيا ؛ ولم يشترط أحد أن يعلم أنه مؤمن في الباطن ؛ وقيل : بل يجزئ عتقه ، لأن العتق من الأحكام الظاهرة وهو تبع لأبويه ؛ فكما أنه يرث منهما ويصلي عليه ، ولا يصلي إلا على مؤمن ، فإنه يعتق .

وسلم يصلى عليهم ويستغفر لهم حتى نهي عن ذلك . وعلل ذلك بالكفر ، فكان ذلك دليلاً على أن كل من لم يعلم أنه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وإن كانت فيه بدعة وإن كان له ذنوب .

وإذا ترك الإمام، أو أهل العلم والدين «الصلاة» على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجراً عنها، لم يكن ذلك محرماً للصلاة عليه والاستغفار له، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغال وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له: «صلوا على صاحبكم» وروي أنه كان يستغفر للرجل في الباطن وإن كان في الظاهر يدع ذلك زجراً عن مثل مذهبه، كما روي في حديث محلم بن جثامة.

وليس فى الكتاب والسنة المظهرون للإسلام إلا قسمان: مؤمن أومنافق، فالمنافق فى الدرك الأسفل من النار، والآخر مؤمن، ثم قد يكون ناقص الإيمان فلا يتناوله الاسم المطلق، وقد يكون تام الإيمان، وهذا يأتي الكلام عليه إن شاء الله فى مسألة الإسلام والإيمان، وأسماء الفساق من أهل الملة؛ لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها ولو دعا الناس إليها كافراً فى الباطن، إلا إذا كان منافقاً فأما من كان فى قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط فى بعض ما تأوله من البدع، فهذا قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط فى بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً للما، ولم يكن فى الصحابة من يكفره لا على من أبى طالب ولا غيره، بل حكموا

فيهم بحكمهم فى المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك فى غير هذا الموضع .

وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة ، من كان منهم منافقاً فهو كافر فى الباطن ، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله فى الباطن ، لم يكن كافراً فى الباطن ، وإن أخطأ فى التأويل كائناً ما كان خطؤه ؛ وقد يكون فى بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه فى الدرك الأسفل من النار. ومن قال : إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، بل وإجماع الأبعة الأربعة وغير الأربعة ، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين والسبعين فرقة ، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات ، كما قد بسط الكلام عليهم فى غير هذا الموضع .

وإنما قال الأمّة بكفر هذا ، لأن هذا فرض مالا بقع ، فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات ، مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة ، ونكاح الأمهات ، وهو مع ذلك مؤمن في الباطن ؛ بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه ، ولهذا كان أصحاب أبى حنيفة يكفرون أنواعاً ممن يقول كذا وكذا ؛ لما فيه من الاستخفاف ، ويجعلونه مرتداً ببعض هذه الأنواع مع النزاع اللفظي الذي بين أصحابه وبين الجمهور في العمل : هل هو داخل في اسم الإيمان

أم لا؟ ولهذا فرض متأخروا الفقهاء مسألة يمتنع وقوعهاوهو أن الرجل إذا كان مقراً بوجوب الصلاة فدعي إليها وامتنع واستتيب ثلاثا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل ، هل يموت كافراً أو فاسقاً ؟ على قولين .

وهذا الفرض باطل، فإنه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد أن الله فرضها عليه، وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك، هذا لا يفعله بشر قط، بل ولا يضرب أحد ممن يقر بوجوب الصلاة إلا صلى ، لا ينتهى الأمر به إلى القتل، وسبب ذلك أن القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الإنسان إلا لأمر عظيم مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك فيصبر عليه الإنسان إلا لأمر عظيم مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك فيصبر عليه عليه اطناً وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه اعتقاده أن الفعل يجب عليه باطناً وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من احتمال القتل قط.

ونظير هذا لو قيل: إن رجلاً من أهل السنة قيل له: ترضَّ عن أبى بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلها، ومع عدم الأعذار المانعة من الترضي عنهما، فهذا لا يقع قط. وكذلك لو قيل: إن رجلاً بشهدأن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه ذلك، وليسهناك رهبة ولارغبة يتنع لأجلها، فامتنع منها حتى قتل، فهذا يتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله؛ ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية \_ جهماً ومن وافقه \_ فإنه إذا قدر أنه معذور لكونه أخرس، أو لكونه خائفا من قوم إن

أظهر الإسلام آذوه ونحو ذلك، فهذا يمكن ألا يتكلم مع إيمان في قلبه، كالمكره على كلة الكفر. قال الله تعالى: (إِلَا مَنْ أُكْمِ وَقَلْبُهُ مُطْمَيِنُ إِلَا يَمَنِ أُكِي مَنِ وَقَلْبُهُ مُطْمَيِنُ إِلَا يمَنِ أُكُونَ مَن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِصَدْرًا فَعَلَيْهِ مْ غَضَبُ مِن اللّهِ وَلَهُ مْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم ومن اتبعه، فإنه جعل كل من تكلم بالكفر، من أهل وعيد الكفار، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

فإن قيل: فقد قال تعالى: ( وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ) قيل: وهذا موافق لأولها فإنه من كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدراً، وإلا ناقض أول الآية آخرها، ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره، وذلك يكون بلا إكراه، لم يستثن المكره فقط، بل كان يجب أن يستثنى المكره وغير المكره إذا لم يشرح صدره، وإذا تكلم بكلمة الكفر طوعا فقد شرح بها صدراً وهي كفر، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ( يَحَدُرُ ٱلمُنكَفِقُونَ أَن تُنكَلَّمُ صدراً وهي كفر، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ( يَحَدُرُ ٱلمُنكَفِقُونَ أَن تُنكَلَّمَ الله على اله على الله على اله على الله على

عَلَيْهِ مْسُورَةُ نُنِيَّهُمْ بِمَافِى قُلُوبِهِمُّ قُلِ السَّهِ زِءُواْ إِنَ اللَّهُ مُغْرِجٌ مَّا اَعَدُرُونَ \*
وَلَ بِن سَاَلْتَهُمْ لَيَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلُ أَبِاللَّهِ وَءَايَنِهِ وَرَسُولِهِ عَنْتُمْ قَلْمَ اللَّهِ وَمَاللَّهِ وَءَايَنِهِ وَرَسُولِهِ عَنْتُمْ قَلْمَ اللَّهِ وَمُا اللَّهِ مَعْ لَا يَعْنَظُ لَوْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ طَا إِنهُ عَنْ طَا إِنهُ اللَّهُ عَنْ طَا إِنهُ اللَّهُ عَنْ طَا إِنهُ اللَّهُ مَعْ قُولُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللَّهُ عِلَا اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ الْمُعَلِمُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ الْمُعَالِمُ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْمُ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ عَلَيْ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللْهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ عَلَيْمُ ال

والقرآن ببين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه ، كقوله تعالى: ( وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِاللّهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّرِ بَتُولَى فَرِيقُ مِّنَهُم مِّنَا بَعْدِ ذَالِكَ وَمَا أَوْلَئِكَ فَ بِالْمُوْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عِلَى عَمْمَ اللّهُ اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهُ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولُهِ عَلَى اللهِ وَرَسُولُهِ اللّهِ عَلَى اللهِ وَرَسُولُهِ اللّهِ عَلَى اللهِ وَرَسُولُهُ لَيْكُونَ ) فَنْفَى الْإِيمَانَ عَمَن عَمَلَ اللّهُ عَلَى الله وَرَسُولُهِ اللّهِ عَلَى الله ورسُولُه لِيحَامُ اللّهُ عَلَى الله ورسُولُه لِيحَامُ اللهُ عَلَى الله ورسُولُه لِيحَامُ اللهُ عَلَى الله ورسُولُه لِيحَامُ اللهُ عَلَى اللهُ ورسُولُه لَولَى عَن طاعة الرسُولُ ، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسُولُه ليحكم بينهم سمّعوا وأطاعوا ؛ فبين أن هذا من لوازم الإيمان .

## نمــــل

فإن قيل: فإذا كان الإيمان المطلق بتناول جميع ما أمر الله به ورسوله الهني ذهب بعض ذلك بطل الإيمان فيلزم تكفير أهل الذنوب كما تقوله الخوارج، أو تخليده في النار وسلبهم اسم الإيمان بالكلية كما تقوله المعتزلة، وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة فإن المرجئة منهم جماعة من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير، وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم.

قيل: أولاً ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار؛ فإن هذا القول من البدع المشهورة، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ وسائر أعة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، واتفقوا أيضاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن بأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته. فني «الصحيحين» عنه أنه قال: «لكل نبى دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيامة»، وهذه الأحاديث مذكورة في مواضعها. وقد نقل بعض الناس عن الصحابة في ذلك خلافاً، كما

روى عن ابن عباس أن القائل لاتوبةله، وهذا غلط على الصحابة؛ فإنه لم يقل أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأهل الكبائر ولاقال: إنهم يخلدون في النار، ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال: إن القائل لا توبة له، وعن أحمد بن حنبل في قبول توبة القائل روايتان أيضاً والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد، وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي، فلهذا حصل فيه النزاع.

وأما قول القائل: إن الإعان إذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع ، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء . ثم قالت «الخوارج والمعتزلة» : هو مجموع ما أمر الله به ورسوله ، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث ؛ قالوا : فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت « المرجئة » على اختلاف فرقهم : لا تذهب الكبائر و ترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر ، و نصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان».

ولهذا كان «أهل السنة والحديث » على أنه بتفاضل ، وجمهوره يقولون: يزيد وينقص ، كاروى عن مالك يزيد وينقص ، كاروى عن مالك في إحدى الروابتين ، ومنهم من يقول: يتفاضل ، كعبدالله بن المبارك ، وقد

ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة؛ فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة: عن حماد بن سامة، عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي؛ وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان يزيد وينقص؛ قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته؛ وإذا غفلنا ونسينا فتلك أنقصانه؛ وروى إسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان، عن الحارث بن محمد عن أبي الدرداء قال: الإيمان يزيد وينقص.

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد، حدثنا جرير بن عثمان قال: سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء قال: إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه. وروى إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن عبدالله بن ربيعة الحضرمي، عن أبى هدريرة قال: الإيمان يزيد وينقص.

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن ذر قال ، كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: هاموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله عز وجل وقال أبو عبيد في «الغريب» في حديث على : إن الإيمان يبدو لمظة في القلب ، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة يروي ذلك عن عثمان بن عبدالله عن عمرو بن هند الجملي عن على قال الأصمعي اللمظة: مثل النكتة أو نحوها .

<sup>(</sup>١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب ( فذلك )

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبدالله ابن عكيم قال: سمعت ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً . وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلل قال : كان معاذ بن جبل يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى، وروى أبواليمان: حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد ، أن عبدالله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قم بنا نؤمن ساعة ، فنحن في مجلس ذكر . وهذه الزيادة أثبتها الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن كله .

وصح عن عمار بن ياسر أنه قال: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان الإنصاف من نفسه ، والإنفاق من الإقتار ؛ وبذل السلام للعالم ، ذكره البخاري في «صحيحه » ، وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرها: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً ، والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة .

قال مالك بن دينار: الإيمان يبدو في القلب ضعيفاً ضئيلاً كالبقلة؛ فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ، وأماط عنه الدغل وما يضعفه ويوهنه ، أوشك أن ينمو أو يزداد ، ويصير له أصل وفروع ، وثمرة وظل إلى ما لا يتناهى حتى يصير أمثال الجبال . وإن صاحبه أهمله ولم يتعاهده جاءه عنز فنتفتها ، أو صبى فذهب بها ، وأكثر عليها الدغل فأضعفها أو أهلكها أو أبسها ، كذلك الإيمان .

وقال خيثمة بن عبد الرحمن: الإيمان يسمن فى الخصب، ويهزل فى الجدب فحصبه العمل الصالح ، وجدبه الذنوب والمعاصي . وقيل لبعض السلف : يزداد الإيمان وينقص ؟ قال نعم يزداد حتى يصير أمثال الجبال ، وينقص حتى يصير أمثال الهباء .

وفي حديث حذيفة الصحيح: «حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه ما أعقله؛ وما في قلبه مثقال حبة من خردلمن إيمان» وفي حديثه الآخر الصحيح «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها، نكتت فيه نكتة سوداء؛ وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مشل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود: مرباداً، كالكوز مجنياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب هواه»؛ وفي حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب كفاية، فإنه من أعظم الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه لأنه وصفهم بقوة الإيمان وزيادته في تلك الخصال التي تدل على قوة إيمانهم؛ وتوكلهم على الله في أمور هم كلها.

وروى أبو نعيم من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن عبد الله اليزنى ، عن أبى رافع أنه سمع رجلاً حدثه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : أنحب أن أخبرك بصريح الإيمان ؟ قال : نعم . قال : إذا أسأت أو ظلمت أحداً ، عبدك أو أمتك أو أحداً من الناس ، حزنت وساءك ذلك .

وإذا تصدقت أو أحسنت استبشرت وسرك ذلك ، ورواه بعضهم عن يزيد ، عمن سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأله عن زيادة الإيمان في القلب ونقصانه فذكر نحوه ، وقال البزار : حدثنا محمد بن أبي الحسن البصري ، ثنا هانئ بن المتوكل ، ثنا عبد الله بن سليمان ، عن إسحاق عن أنس مرفوعاً : ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان ، خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن معصية الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل » .

و « أربع من الشقاء : جمود العين وقساوة القلب ، وطول الأمل والحرص على الدنيا » . فالخصال الأولى تدل على زيادة الإيمان وقوته ، والأربعة الأخر تدل على ضعفه ونقصانه .

وقال أبو يعلى الموصلي: ثنا عبد الله القواريري، و يحيى بن سعيد قالا: ثنا يزيد بن زريع، ويحيى بن سعيد قالا: حدثنا عوف حدثني عقبة بن عبد الله المزنى قال يزيد في حديثه في مسجد البصرة: حدثني رجل قد سماه، ونسي عوف اسمه قال: كنت بللدينة في مسجد فيه عمر بن الخطاب. فقال لبعض جلسائه: كيف سمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الإسلام؟ فقال: سمعته يقول: الإسلام بدأ جذعاً؛ ثم ثنياً؛ ثم رباعياً؛ ثم سداسياً؛ ثم بازلاً. فقال عمر: فما بعد البزول إلا النقصان، كذا ذكره أبو يعلي في « مسند عمر » وفي « مسند » هذا الصحابي المبهم ذكره أولى.

قال أبو سليان: من أحسن في ليله كوفي في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله ] (١) .

<sup>(</sup>١) ما بين القوسين المربعين من ص ٢٢٥ ـــ ٢٢٧ زيادة من المخطوطة.

والزيادة قد نطق مها القرآن في عدة آيات ؛ كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُو بُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ وزَادَتُهُمْ إِيمَناً وهـذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت ليس هـو تصديقهم بها عند النزول، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تلبت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن ؛ حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن ؛ فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته ، وهذه زيادة الإيمان ، وقال تعالى : ( ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتْحَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَا لُواْحَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدولم تكن عند آية نزلت فاز دادوا يقيناً وتوكلا على الله ، وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بأن لا يخافوا المحلوق ؛ بل يخافون الخالق وحده ، وقال تعالى : ( وَإِذَامَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَفِنْهُ مِ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتُهُ هَذِهِ ع إِيمَنَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتُهُمْ إِيمَنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ).

وهذه « الزيادة » ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم إيماناً بحسب مقتضاها ؛ فإن كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة ، وإن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ، ولهذا قال : (وَهُمُ يَسْتَبْشِرُونَ ) والاستبشار غير مجرد التصديق ، وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ التَيْنَهُمُ الْكِتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ غير مجرد التصديق ، وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ اتَيْنَهُمُ الْكِتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ في الله عن يُنكِرُ بَعْضَهُ ) ، والفرح بذلك من زيادة الإيمان قال تعالى : ( قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَ تِمِ فَيِذَلِكَ فَلْيُفْرَحُونًا ) . وقال تعالى : ( وَيَوْمَ بِنِ

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِاللّهِ) وقال تعالى: (وَمَاجَعَلْنَا أَصْحَبُ النّارِ إِلّامَلَيْكُ فُّ وَمَاجَعُلْنَاعِدَ تَهُمْ إِلّافِتْنَةً لِلّذِينَ كَفُرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِكْنَبَ وَيَزْدَادُ الّذِينَ امْنُوا إِيمَنَا فَ). وقال: (هُوَا لَذِي أَنزَلَ السّرَكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُ وَالْإِيمَنَامَعَ إِيمَنهِمْ) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديبية ؛ فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان.

والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ، ولهذا قال يوم حنين : (ثُمُّ أَنزَلَ الله سُكِينَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُوُدًا لَوْ تَرَوْهَا ) وقال تعالى : (ثانِ اَنْنَيْن إِذَهُ مَافِ الْفَارِ إِذْ يَعُولُ لِصَحِيهِ وَلَا تَحَلَى الله مَعْنَا فَأَن زَلَ الله الله الله الله الله الله العار ؛ وإنما أزل سكينته وطمأنينته من خوف العدو ، فلما منين قرآن ولا يوم الغار ؛ وإنما أزل سكينته وطمأنينته من خوف العدو ، فلما أزل السكينة في قلوبهم ، مرجعهم من الحديبية ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ويقينه ، واليعان المزيد ، حال للقلب وصفة له ، وعمل مثل طمأنينته وسكونه ويقينه ، واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة ، كايكون بالعم ، والريب المنافي لليقين يكون ريباً في العمل ، وريباً في طمأنينة القلب ، ولهذا جاء في الدعاء المأثور : يكون ريباً في العمل من الحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا » .

وفى حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « سلوا الله العافية واليقين؛ فما أعطي أحد بعد اليقين شيئاً

خيراً من العافية ؛ فسلوها الله تعالى » ؛ فاليقين عند المصائب بعد العلم بأن الله قدرها سكينة القلب وطمأنينته وتسليمه ، وهذا من تمام الإيمان بالقدر خيره وشره ، كما قال تعالى : ( مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَا بِإِذْنِ اللّهِ وَمَن يُؤْمِن بِأُللّهِ يَهْدِ وَشَره ، كما قال تعالى : ( مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَمَن يُؤْمِن بِأُللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ) قال علقمة : ويروى عن ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ، وقوله تعالى : ( يَهْدِ قَلْبَهُ ) هداه لقلبه هو زيادة في إيمانه ؛ كما قال تعالى : ( وَالّذِينَ الْهُندَوُازَادَهُمْ هُدًى ) وقال : ( إِنّهُمْ فِتْ يَةُ فَا إِمَانَهُمْ فِتْ يَةُ وَالْمَانَةُ وَاللّهُ وَا

ولفظ «الإيمان» أكثر ما يذكر في القرآن مقيداً ؛ فلا يكون ذلك اللفظ متناولا لجميع ما أمر الله به ؛ بل يجعل موجباً للوازمه وتمام ما أمر به ، وحينئذ بتناوله الاسم المطلق قال تعالى : ( عَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمُ مُسَّتَ خَلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ عَامَنُواْ مِنكُم وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجُرُكِيرٌ \* وَمَالكُمُ لاَنُومْنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ مُشَتَ خَلَفِينَ فِيهِ فَالنَّذِينَ عَامَنُواْ مِنكُم وَأَنفَقُواْ لَهُمُ أَجُرُكِيرٌ \* وَمَالكُمُ لاَنُومْنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم لِنُواْ مِنْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَنقَكُم إِن كُمْ يُولِينَ \* هُواللَّذِي يُنزِلُ عَلَى عَبْدِهِ عَاينَتِ يَدْعُوكُم لِنُولِ عَلَى عَبْدِهِ عَاينَتِ اللهُ فَي آخر السورة : ( يَتَأَيُّهَا بَيْنَ إِللهُ عَنُولًا بِرَبِي لَا فَي اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

وقد قال بعض المفسرين فى الآية الأولى: إنها خطاب لقريش؛ وفى الثانية إنها خطاب لليهود والنصارى ، وليس كذلك ؛ فإن الله لم يقل قط للكفار: ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ اَمَنُواً ) ثم قال بعد ذلك : ( لِتَكَا يَعْلَمَ أَهْ لُ ٱلْكِتَابِ ٱلَّا يَقْدِرُونَ )

عَلَىٰ اللّهُ وَقَد قال: ( وَمَالَكُورُ لَا نُؤُمِنُونَ بِاللّهُ وَالرّسُولُ يَدْعُولُو لِلُؤُمِنُو اللّهِ وَقَد قال: ( وَمَالكُورُ لَا نُؤُمِنُونَ بِاللّهِ وَالرّسُولُ يَدْعُولُو لِلْوَّمِنُو الْبِرَيِّكُورُ وَقَد قال: ( وَمَالكُورُ لَا نُؤُمِنُونَ بِاللّهِ وَهَذَا لا يَخاطب به كافر؛ وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم، وإنما أخذ ميثاق المؤمنين ببيعتهم له؛ فإن كل من كان مسلماً مهاجراً، كان يبايع النبي صلى الله عليه وسلم، كما بايعه الأنصار ليلة العقبة وإنما دعاهم إلى تحقيق الإيمان وتكميله، بأداء ما يجب من تمامه باطناً وظاهراً كما نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل صلاة؛ وإن كان قد هدى المؤمنين للإقرار بما جاء به الرسول جملة، لكن الهداية المفصلة في جميع ما يقولونه ويفعلونه في جميع أموره لم تحصل، وجميع هذه الهداية الخاصة المفصلة هي من الإيمان المأمور به. وبذلك يخرجهم الله من الظلمات إلى النور.

## فم\_\_\_ل

وزيادة الإيمان الذي أمر الله به ، والذي يكون من عباده المؤمنين بعرف من وجوه :

(أحدها): الإجمال والتفصيل فيما أمروا به، فإنه وإن وجب على جميع الحلق الإيمان بالله ورسوله، ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملاً. فعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجبعلى كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول، ما يجب على من بلغه غيره، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها، لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره، ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطناً وظاهراً، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين، مات مؤمناً بما وجب عليه من الإيمان، وليس ما وجب عليه ولا ما وقع عنه، مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها؛ بل إيمان هذا ما وجوباً ووقوعا، فإن ما وجب عليه من الإيمان أكمل، وما وقع منه أكمل.

وقوله تعالى: ( ٱلْيَوْمَ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ) أي في التشريع بالأمر والنهي ليس المراد أن كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة ، وأنه فعل ذلك ؛ بل في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه وصف النساء

بأنهن ناقصات عقل ودين ، وجعل نقصان عقلها ، أن شهادة امرأتين ، شهادة رجل واحد ، ونقصان دينها أنها إذا حاضت ، لاتصوم ولا تصلى، وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت به ؛ فلا تعاقب على هذا النقصان ، لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله كان دينه كاملاً بالنسبة إلى هذه الناقصة الدين .

(الوجه الثاني): الإجمال والتفصيل فيما وقع منهم، فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط، لكن أعرض عن معرفة أمره، ونهيه، وخبره، وطلب العلم الواجب عليه؛ فلم يعلم الواجب عليه، ولم يعمله؛ بل اتبع هواه، وآخر طلب علمها أمر به فعمل به، وآخر طلب علمه، فعلمه، وآمن به ولم يعمل به وإن اشتركوا في الوجوب، لكن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل به؛ فهؤلاء ممن عرف ما يجب عليه والتزمه، وأقر به، لكنه لم يعمل بذلك كله، وهذا المقر بما جاء به الرسول، المعترف بذنبه الخائف من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل إيماناً ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك؛ ولا هو خائف أن يعاقب؛ بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع أنه مقر بنبوته باطناً وظاهراً.

فكلما علم القلب، ما أخبر به الرسول فصدقه، وما أمر به فالتزمه؛ كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك ؛ وإن كان معه التزام عام وإقرار عام.

وكذلك من عرف أسماء الله ومعانيها ، فآمن بها ؛ كان إيمانه أكمل ممن لم

يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيماناً مجملاً ، أو عرف بعضها ؛ وكما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته و آياته ، كان إيمانه به أكمل .

(الثالث): أن العلم والتصديق نفسه ، يكون بعضه أقوى من بعض ، وأثبت وأبعد عن الشك والريب ، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه ؛ كا أن الحس الظاهر بالشيء الواحد ، مثل رؤية الناس للهلال ، وإن اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض؛ وكذلك سماع الصوت الواحد ، وشم الرائحة الواحدة ، وذوق النوع الواحد من الطعام ، فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة ! والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه ، يتفاضل الناس في معرفتها ، أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

(الرابع) أن التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يعمل به لا يستلزم عمله ؛ فالعلم الذي يعمل به صاحبه، أكمل من العلم الذي لا يعمل به وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ، ورسوله حق ، والجنة حق ، والنارحق وهذا علمه أوجب له محبة الله ، وخشيته ، والرغبة في الجنة ، والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب ذلك ؛ فعلم الأول أكمل ؛ فإن قوة المسبب ، دل على قوة السبب ، وهذه الأمور نشأت عن العلم ، فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه ؛ والعلم بالمحوف ، يستلزم الهرب منه ؛ فإذا لم يحصل اللازم ، دل على ضعف الملزوم ؛ ولهذا قال الذي صلى الله عليه وسلم : « ليس المخبر كالمعاين » فإن موسى لما أخبر ه ولهذا قال الذي صلى الله عليه وسلم : « ليس المخبر كالمعاين » فإن موسى لما أخبر ه

ربه أن قومه عبدوا العجل ، لم يلق الألواح . فلما رآم قد عبدوه ألقاها؛ وليس ذلك لشك موسى فى خبر الله ، لكن الخبر وإن جزم بصدق الخبر ، فقدلا بتصور الخبر به في نفسه ، كما بتصوره إذا عاينه ؛ بل يكون قلبه مشغولاً عن تصور الخبر به ، وإن كان مصدقاً به ؛ ومعلوم أنه عند المعاينة ، يحصل له من تصور الخبر به ما لم يكن عند الحبر ، فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

(الخامس): أن أعمال القلوب، مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله تعالى ورجائه، ونحو ذلك، هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف؛ وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً.

(السادس): أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

(السابع) ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك ، بحيث لا يكون غافلاً عنه ؛ أكمل ممن صدق به وغفل عنه ؛ فإن الغفلة تضاد كال العلم ؛ والتصديق والذكر ، والاستحضار يكمل العلم واليقين ؛ ولهذا قال عمر بن حبيب من الصحابة ، إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته ؛ وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه وهو كذلك ؛ وكان معاذ بن جبل يقول لأصحابه : اجلسوا بنا ساعة نؤمن ، قال تعالى ، ( وَلاَ نُطِعْ مَنْ أَغَفَلْنَا قَلْبَهُ مَن ذِكْرِنَا وَأَتَبَعَ هُونهُ ) وقال تعالى : ( سَيَذَكُرُ مَن يَغْشَى وقال تعالى : ( سَيَذَكُرُ مَن يَغْشَى شَم كلا تذكر الإنسان ما عرفه قبل ذلك ؛ وعمل به ،

حصل له معرفة شيء آخر لم يكن عرفه قبل ذلك وعرف من معاني أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك ، كما في الأثر «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ، وهذا أمر يجده في نفسه كل مؤمن .

وقال تعالى: (أَفَاهُ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُ مُ كَيْفَ بَنَيْنَهَا وَرَايَّنَهَا وَمَالهَا مِن فُرُوجٍ \* وَالْأَرْضَ مَدَدُنهَا وَالْقَيْنَافِيهَا رَوَّ سِى وَأَنْبَتْنَافِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* بَصْرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدِمُنِيبٍ ) ، فالآيات المخلوقة والمتلوة، فيها تبدرة، وفيها تذكرة: ببصرة من العمى، وتذكرة من الغفلة؛ فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف، ويذكر من عرف ونسى، والإنسان يقرأ السورة يكن عرف، ويذكر من عرف ونسى، والإنسان يقرأ السورة مرات، حتى سورة الفاتحة، ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعانى ويزداد علمه له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعانى ويزداد علمه

وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر ، بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه ، ثم كلا فعل شيئاً مما أمر به ، استحضر أنه أمر به فصدق الأمر ، فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلا عنه وإن لم يكن مكذباً منكرا .

( الوجه الثامن ): أن الإنسان قد يكون مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها ، وأمر بها ، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر . بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق ، ثم يسمع الآية أو الحديث ، أو يتدبر ذلك ، أو يفسر له معناه ، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه ، فيصدق بما كان مكذباً به ، ويعرف ما كان منكراً ، وهذا تصديق جديد ، وإيمان جديد ازداد به إيمانه ، ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً ؛ وهذا وإن اشبه المجمل والمفصل لكون قلبه سليا عن تكذيب وتصديق لشيء من التفاصيل ، وعنمعرفة وإنكار لشيء من ذلك ، فيأتيه التفصيل بعد الإجمال على قلب ساذج ؛ وأماكثير من الناس ، بل من أهل العلوم والعبادات ، فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لايعرفون أنها تخالف، فإذا عرفوا رجعوا، وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه ، أو عمل عملاً أخطأ فيــه ، وهو مؤمن بالرسول ، أو عرف ما قاله و آمن به ، لم يعدل عنه ؛ هو من هذا البابوكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب؛ فمن علم ماجاء به الرسول، وعمل به، أكمل ممن أخطأ ذلك؛ ومن علم الصواب بعد الخطأ، وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك .

## فهــــــل

وقد أثبت الله فى القرآن إسلاماً بلا إيمان في قوله تعالى: (قَالَتِ اللهُ عَلَيْ اللهُ ال

«الصحيحين»، عن سعد بن ابى وقاص، قال: أعطى النبى صلى الله عليه وسلم رهطاً ، وفى رواية قسم قسماً ، وترك فيهم من لم يعطه ، وهو أعجبهم إلى ، فقلت: يارسول الله ، مالك عن فلان ؟ فوالله إنى لأراه مؤمناً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مسلماً ». أقولها ثلاثا ، ويرددها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ثم قال: «إنى لأعطى الرجل ، وغيره أحب إلى منه ، مخافة أن يكبه الله على وجهه فى النار »، وفى رواية: فضرب بين عنقي وكتفي ، وقال: «أقتال أي سعد ؟!».

فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان فى قلوبهم ، هل هو إسلام يثابون عليه ؟ أم هو من جنس إسلام المنافقين ؟ فيه قولان مشهوران للسلف والخلف: أحدها: أنه إسلام يثابون عليه ، ويخرجهم من الكفر والنفاق. وهذا مروي عن الحسن ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ،

وأبى جعفر الباقر ؛ وهو قول حماد بن زيد ، وأحمد بن حنبل ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأبى طالب المكي ، وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق .

قال أحمد بن حنبل: حدثنا مؤمل بن إسحق عن عمار بن زيد قال: سمعت هشاماً يقول: كان الحسن ومحمد يقولان: مسلم، ويهابان: مؤمن، وقال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، قال: قال مالك، وشريك، وأبو بكر بن عياش، وعبدالعزيز بن أبى سلمة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد: «الإيمان» المعرفة والإقرار والعمل، إلا أن حماد بن زيد، يفرق بين الإسلام والإيمان، يجمل الإيمان خاصاً، والإسلام عاماً.

و(القول الثانى): أن هذا الإسلام: هو الاستسلام خوف السبى والقتل، مثل إسلام المنافقين. قالوا: وهؤلاء كفار، فإن الإعمان لم يدخل فى قلوبهم ومن لم يدخل الإيمان فى قلبه فهو كافر. وهذا اختيار البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، والسلف مختلفون فى ذلك.

قال محمد بن نصر: حدثنا إسحاق، أنبأنا جرير، عن مغيرة، قال: أنيت إبراهيم النخعي، فقلت: إن رجلاً خاصمنى يقال له: سعيد العنبري، فقال إبراهيم ليس بالعنبري ولكنه زبيدي. قوله: (قَالَتِٱلْأَعْرَابُ اَمَنَا قُلُلَمْ تَوْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوَ أَسَّلَمْنَا) فقال: هو الاستسلام، فقال إبراهيم: لا، هو الإسلام.

وقال: حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن

مجاهد: ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَا قُلُ لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ السّلمنا خوف السبى والقتل. ولكن هذا منقطع ، سفيان لم يدرك مجاهداً . والذين قالوا: إن هذا الإسلام هو كإسلام المنافقين ، لا يثابون عليه ، قالوا: لأن الله نفى عنهم الإيمان ، ومن نفي عنه الإيمان فهو كافر. وقال هؤلاء: الإسلام هو الإيمان ، وكل مسلم مؤمن . وكل مؤمن مسلم ، ومن جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين ، لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى: ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ اَمَنُواْ إِذَا فُودِ كَ لِلصَّلَوْةِ عَالَى: ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَن عَر مؤمنين ، لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى: ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ اللهُ ال

وجواب هذا أن يقال: الذين قالوا من السلف: إنهم خرجوا من الإعان إلى الإسلام، لم يقولوا: إنه لم يبق معهم من الإعان شيء 'بل هذا قول الخوارج، والمعتزلة. وأهل السنة الذين قالوا هذا ، يقولون: الفساق يخرجون من النار بالشفاعة . وإن معهم إعانا يخرجون به من النار . لكن لا يطلق عليهم اسم الإعان ، لأن الإعان المطلق ، هو الذي يستحق صاحبه الثواب ، و دخول الجنة ، وهؤلاء ليسوا من أهله ، وهم يدخلون في الخطاب بالإعان ، لأن الخطاب بذلك هو لمن دخل في الإعان وإن لم يستكمله ، فإنه إنما خوطب ليفعل تمام الإعان ، في يكون قد أتمه قبل الخطاب ؟! وإلا كنا قد تبينا أن هذا المأمور من فكيف يكون قد أتمه قبل الخطاب ؟! وإلا كنا قد تبينا أن هذا المأمور من الإعان قبل الخطاب؛ وإنما صارمن الإيمان بعد أن أمروا به ، فالخطاب . ( يَتَأَيُّهَا الإيمان قبل الخطاب ؛ وإنما صارمن الإيمان بعد أن أمروا به ، فالخطاب . ( يَتَأَيُّهَا

وحقيقته أن من لم يكن من المؤمنين حقاً ، يقال فيه : إنه مسلم ، ومعه إيمان يمنعه الخلود في النار ، وهذا متفق عليه بين أهل السنة . لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان ؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه ، فقيل : يقال مسلم ، ولا يقال : مؤمن . وقيل : بل يقال : مؤمن .

والتحقيق أن يقال: إنه مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته ولا يعطي اسم الإيمان المطلق؛ فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق؛ واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله، لأن ذلك إيجاب عليه وتحريم عليه، وهو لازم له كما يلزمه غيره، وإنما الكلام في اسم المدح المطلق؛ وعلى هذا فالحطاب بالإيمان يدخل فيه « ثلاث طوائف »: يدخل فيه المؤمن حقاً، ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة، وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار؛ وهو في الباطن ينفي عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبت له الإسلام والإيمان أن ولا يمان الظاهر؛ ويدخل فيه الذين أسلموا وإن لم تدخل حقيقة الإسلام والإيمان في قلوبهم؛ لكن معهم جزء من الإيمان والإسلام يثابون عليه.

ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم ، وليس معهم من الكبار ما يعاقبون عليه كأهل الكبار ، لكن يعاقبون على ترك المفروضات ، وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم ؛ فإنهم قالوا : آمنا من غير قيام منهم بما أمروا به باطنا وظاهراً . فلا دخلت حقيقة الإيمان في قلوبهم ، ولا جاهدوا في سبيل الله ، وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبائر المعرضين للوعيد ؛ كالذين يصلون ويزكون و يجاهدون ، ويأتون الكبائر ؛ وهؤلاء لا يخرجون من الإسلام ؛ بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي : هل يقال : إنهم مؤمنون كا سنذكره إن شاء الله ؟.

وأما «الخوارج» ، «والمعتزلة» فيخرجونهم من اسم الإيمان والإسلام؛ فإن الإيمان والإسلام عندهم واحد ؛ فإذا خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإيمان والإسلام؛ لكن الخوارج تقول: هم كفار ؛ والمعتزلة تقول: لامسلمون ولا كفار ؛ ينزلونهم منزلة بين المنزلتين ؛ والدليل على أن الإسلام المذكور فى الآية هو إسلام يثابون عليه وأنهم ليسوا منافقين أنه قال: ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَا قُلُ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَاكِن قُولُوا أَسَلَمْنَا وَلَمَا يَدْخُلِ الإِيمَن فِي قُلُوبِكُم ) ثم قال: ( وَإِن تُطِيعُوا الله ورسوله مع وَرَسُولَهُ رُلايلِت مُ مِن أَعْمَالِكُمْ شَيْعًا ) ؛ فدل على أنهم إذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الإسلام؛ آجرهم الله على الطاعة . والمنافق عمله حابط فى الآخرة .

وأيضاً فإنه وصفهم بخلاف صفات المنافقين ، فإن المنافقين وصفهم بكفر في قلوبهم ، وأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون ؛ كما قال تعالى: ( وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللّهِ وَبِالْيُوْ مِ الْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ \* يُحَدِيعُونَ اللّهَ وَالّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَغْدَعُونَ إِلّا اَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُهُونَ \* فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مُرَضًا) الآيات. وقال: (إِذَا جَآءَكَ الْمُنفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَقَالَ اللّهُ يُعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَقَالَ: (إِذَا جَآءَكَ الْمُنفِقِينَ لَكَذِبُونَ عَالمَت افقون يصفهم في القرآن لرَسُولُهُ وَاللّهُ يُشَمِّهُ وَإِنَّهُ مِن اللّهِ اللّهُ عَلَيْهُ مِن اللّهُ وَاللّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنفِقِينَ لَكَذِبُونَ عَالمَ اللّهِ فَي قلوبهم من بالكذب؛ وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، وبأ ن في قلوبهم من الكذب؛ وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، وبأ ن في قلوبهم من الكذب؛ وأنهم يقولون عليه ؛ وهؤلاء لم يصفهم بشيء من ذلك ، لكن لما ادعوا الايمان قال للرسول: (قُل لَمْ تُوْمِئُوا وَلَكِنَ قُولُواْ السَّلَمْ اللّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلُوا لَهُ مَنْ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلُوا لَهُ مَنْ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلُوا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهِ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهِ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ عَمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ ولَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَلْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلُولُولُهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ الللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ ولَا الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّ

ونفي الإيمان المطلق لا يستلزم أن يكونوا منافقين ، كما في قوله : ( يَسْعَلُونَكَعَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ يَلِّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَقُواْ اللَّهَ وَاَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَالْمَالُونَكُونَ الْأَنْفَالُ يَقِوالرَّسُولِ فَاتَقُواْ اللَّهَ وَاصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَالْمَالُونَ وَمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتَ قُلُو بُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ أَيْنَكُ وَلَا اللَّهُ وَعِلْورَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* اللَّهُ وَحِلَتُ قُلُو بُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ يُنفِقُونَ \* أُولَتِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًا ) ومعلوم اللَّيْنِ يُقيمُونَ الصَّلَوْةَ وَمِمَّا رَزَقَنَهُمْ يُنفِقُونَ \* أُولَتِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا ) ومعلوم اللَّذِينَ يُقيمُونَ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمِمَّا رَزَقَنَعُهُمْ يُنفِقُونَ \* أُولَتِكَ هُمُ اللَّمُونَ حَقًا ) ومعلوم أَنفون يَقيمُونَ عَلَيْ وَمِن اللَّهُ الْعُلُولُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وهذا حال أكثر الداخلين في الإسلام ابتداء ؛ بل حال أكثر من لم يعرف

حقائق الإيمان؛ فإن الرجل إذا قوتل حتى أسلم كما كان الكفار يقاتلون حتى يسلموا ، أو أسلم بعد الأسر أو سمع بالإسلام فجاء فأسلم؛ فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول ولم تدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان، فإن هذا إيما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك ؛ إما بفهم القرآن وإما بمباشرة أهل الإيمان والاقتداء عا يصدر عنهم من الأقوال والأعمال ، وإما بهداية خاصة من الله يهديه بها . والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلى الدخول فيه ، وإن كان قد ولد عليه و تربى بين أهله فإنه يحبه ، فقد ظهر له بعض محاسنه و بعض مساوئ الكفار .

وكثير من هؤلاء قد يرتاب إذا سمع الشبه القادحة فيه ولا يجاهد في سبيل الله؛ فليس هو داخلاً في قوله: (إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اللَّهِ عَلَيْنَ اَمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْمَ الله وَ فليس هو منافقاً في الباطن مضمراً للكفر، فلا هو من المؤمنين حقاً ولا هو من المنافقين، ولا هو أيضاً من أصحاب الكبائر، بل يأتي بالطاعات الظاهرة ولا يأتي بحقائق الإيمان التي يكون من المؤمنين حقاً؛ فهذا معه إيمان وليس هو من المؤمنين حقاً ويثاب على ما فعل من المطاعات، ولهذا قال : ( وَلَكِن قُولُوَ الشَلَمَنَا) ولهذا قال : ( يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَّ السَّلُمُ اللَّهُ الله يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَدَن كُمُ لِلْإِيمَانِ الله يكون إن كُنتُمُ صَادِقِينَ) بعني في قول كم : ( وَلَكِن قُولُو الله يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَن كُمُ لِلْإِيمَانِ الله إن كُنتُمُ صَادِقِينَ) بعني في قول كم : ( وَامَانًا ).

يقول: إن كنتم صادقين، فالله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ؛ وهذا

يقتضي أنهم قد يكونون صادقين في قولهم: (عَامَنَا) . ثم صدقهم، إما أن يراد به اتصافهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك م الصادقون؛ وإما أن يراد به أنهم لم يكونوا كالمنافقين ، بل معهم إيمان وإن لم يكن لهم أن يدعوا مطلق الإيمان ، وهذا أشبه والله أعلم لأن النسوة الممتحنات قال فيهن: ( فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَتِ فَلاَنْ حِعُوهُنَّ إِلَى ٱلكُفَّارِ) ولا يمكن نفي الربب عنهن في المستقبل ولأن الله إيما كذب المنافقين ولم يكذب غيره ؛ وهؤلاء لم يكذبهم ولكن قال: ( لَمَ تُوَمِنُوا ) كما قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيمه ما يحب لنفسه » وقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » و «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وهؤلاء ليسوا منافقين .

وسياق الآية يدل على أن الله ذمهم الكونهم منوا بإسلامهم لجهلهم وجفائهم وأظهروا ما في أنفسهم مع علم الله به ؛ فإن الله تعالى قال : ( قُلُ أَتُعَ لِمُونَ اللهَ يِعِلَمُ مَا فِي السّمَوَتِ وَمَا فِي اللّهِ تعالى قال : ( قُلُ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ) في لو لم يكن في قلوبهم شيء من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم ؛ فإن الإسلام الظاهر يعرفه كل أحد . ودخلت الباء في قوله : ( أَتُعَ لِمُونَ اللهَ بدينهم ) لأنه ضمن معنى كل أحد . ودخلت الباء في قوله : ( أَتُع لِمُونَ الله بدينكم وهو يعلم ما في يخبرون و يحدثون كأنه قال : أنخبرونه و تحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الأرض . وسياق الآية بدل على أن الذي أخبروا به الله هو ما ذكره الله عنهم من قوطم : ( ءَامَنًا ) فإنهم أخبروا عما في قلوبهم .

وقد ذكر المفسرون أنه لما نزلت هاتان الآبتان ، أتوا رسول الله على الله عليه وسلم يحلفون أنهم مؤمنون صادقون ، فنزل قوله تعالى : ( قُلُ أَتُعُلِمُونَ الله عليه وسلم يحلفون أنهم مؤمنون صادقون ، فنزل قوله تعالى : ( قُلُ التَّعُلِمُونَ الله يَدِينِكُمُ ) وهذا بدل على أنهم كانواصادقين أولاً فى دخولهم فى الآبة ، فى الآبة بهاد حتى يدخلوا به فى الآبة ، فى الدين ، لأنه لم يتجدد لهم بعد نزول الآبة جهاد حتى يدخلوا به فى الآبة ، إنما هو كلام قالوه وهو سبحانه قال: ( وَلَمَّايَدَخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمُ ) ولفظ: ( الله عَلَيْ بَعُهُ مَا يقرب حصوله ويحصل غالباً . كقوله : ( أَمْ حَسِبَتُمُ أَن تَدْخُلُوا الْجَنّةُ وَلَمَا يَعْلَمُ اللّهُ اللّهُ يَنْ جَلهَ لَوْ أَمِن كُمُ ) وقد قال السدي : نزلت هذه الآبة في أعراب مزينة وجهينة وأسلم ، وأشجع وغفار ، وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون : آمنا بالله لياً منوا على أنفسهم ، فلما استنفروا في سورة الفتح وكانوا ، فنزلت فيهم هذه الآبة .

وعن مقاتل: كانت منازلهم بين مكة والمدينة ، وكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا ، ليأمنوا على دمائهم وأموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية استنفرهم فلم ينفروا معه .

وقال مجاهد: نزلت في أعراب بنى أسد بن خزيمة ، ووصف غيره حالهم . فقال : قدموا المدينة في سنة مجدبة ، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارهم ، وكانوا يمنون على رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقولون: أتيناك بالأثقال والعيال، فنزلت فيهم هذه الآية، وقد قال قتادة في قوله: ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُّواْ عَلَى إِسْلَامَكُوْ بِلِاللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُو أَنَّ هَدَىٰكُو لِلإِيمَنِ إِن كُنتُوَ صَلِدِقِينَ قال : منوا على النبي على الله عليه وسلم حين جاءوا فقالوا: إنا أسلمنابغير قتال، لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فقال الله لنبيه : ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُّواْ عَلَى الله إِسْلَامَكُوْ أَنَّ اللهُ لَنبيه : ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُّواْ عَلَى الله لنبيه : ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُواْ عَلَى اللهِ لنبيه : ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُواْ عَلَى اللهِ لنبيه : ( يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُواْ عَلَى اللهِ لنبيه : ( يَمُنُونَ عَلَيْكُ أَنَ أَسْلَمُواْ قُل لاَ تَمُنُونَ عَلَيْكُ أَنَّ أَسْلَمُواْ قُلُ لاَ عَلْمَا لِللهِ لنبيه عَلَيْكُ أَلْ اللهِ لنبيه عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْقُ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُ أَنْ أَسْلَمُواْ قُلُولُونَ عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ عَلَيْكُ أَنْ أَسْلَمُ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَى اللهُ لنبيه عَلْمُ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونَ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونُ اللهُ لنبيه عَلْمُ لَا لَهُ لنبيه عَلَيْكُونُ اللهُ لنبيه عَلْمُ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونُ اللهُ اللهُ لنبيه عَلْمُ اللهُ لنبيه عَلَيْكُونُ اللهُ لنبيه اللهُ لنبيه عَلَيْكُونُ اللهُ اللهُ لنبيه اللهُ الل

وقال مقاتل بن حيان: هم أعراب بني أسد بن خزيمة ، قالوا: يارسول الله أتيناك بغير قتال ، و تركنا العشائر والأموال ، وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الإسلام ؛ فلنا بذلك عليك حق : فأنزل الله تعالى: ( يَمُنُّونَ عَلَيْكُ وَلَا الله تعالى: ( يَمُنُّونَ عَلَيْكُ وَأَنَّ هَدَكُمُ لِلإِيمَنِ إِن كُنتُو صَدِقِينَ ) . فله بذلك المن علي حم وفيهم أنزل الله : ( وَلا نُبْطِلُوا أَعَمَلَكُمْ ) فله بذلك المن علي حتمت بنار ، كل موجبة من ركبها ومات عليها لم ويقال: من الكبائر التي ختمت بنار ، كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يتب منها .

وهذا كله يبين أنهم لم يكونوا كفاراً في الساطن؛ ولا كانوا قد دخلوا فيما يجب من الإيمان؛ وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الأصناف فقال: ( إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَتِ أَكُمُ مُ لَا يَعْقِلُونَ ) ولم يصفهم بكفر ولا نفاق؛ لكن هؤلاء يخشى عليهم الكفر والنفاق، ولهذا ارتد بعضهم لأنهم لم يخالط إلايمان بشاشة قلوبهم، وقال بعد ذلك ( يَتَأَيُّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَآء كُمُ

ْ فَاسِقُ اللَّهِ وَهُ اللَّهِ وَهُذَهُ الآية زَلْتُ فِي الوليدُ بن عَقْبَةً ، وكان قد كذب فيما أُخبر .

قال المفسرون: رَلْت هذه الآية في الوليد بن عقبة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم ، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية ، فسار بعض الطريق ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتلي ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إليهم، فنزلت هذه الآية . وهذه القصة معروفة من وجوه كثيرة ، ثم قال تعالى في تمامها: ﴿ وَأَعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْيُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرِ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِيُّمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآبِهَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَّا فَإِن كَبَعَتْ إِحْدَنْهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرَىٰ ) الآية . ثم نهاهم عن أن يسخر بعضهم ببعض ، وعن اللمز والتنابز بالألقاب وقال: ( بِئُسَ ٱلِاَسْمُ ٱلفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ ) وقد قيل: معناه: لا تسميه فاسقاً ولا كافراً بعد إيمانه، وهذا ضعيف، بل المراد: بئس الاسم أن تـكونوا فساقا بعد إيمانـكم ، كما قال تعالى فى الذي كذب: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقُ أُ بِنَبَإِ فَتَبَيَّنُوا ) فسهاه فاسقاً.

وفي « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ، يقول : فإذا ساببتم المسلم وسخرتم منه ولمزتموه استحققتم أن تسموا فساقاً ، وقد قال في آية القذف : ( وَلاَنَقَبَلُواْ لَهُمُّ شَهَادَةً أَبَدَاً وَأُولَكِكَ هُمُ اللهُ الله

فساقاً كنتم قد استحققتم اسم الفسوق بعد الإيمان، وإلا فهم فى تنابزهم ما كانوا يقولون: فاسـق،كافر، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضاً.

وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الآية : لا تسميه بعد الإسلام بدينه قبل الإسلام ، كقوله لليهودي إذا أسلم: يايهودي ، وهذا مروي عن ابن عباس وطائفة من التابعين ، كالحسن ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ،والقرظي ، وقال عكرمة: هو قول الرجل: يا كافر! يامنافق! وقال عبد الرحمن بن زيد: هو تسمية الرجل بالأعمال ،كقوله: يازاني ياسارق يافاسق وفي تفسير العوفى عن ابن عباس قال : هو تعيير التائب بسيئات كان قد عملها ، ومعلوم أن اسم الكفر، واليهودية ،والزاني، والسارق وغير ذلك من السيئات ليست هياسم الفاسق ، فعلم أن قوله : ﴿ بِئُسَ ٱلْإَسَّمُ ٱلْفُسُوقُ ﴾ لم يرد به تسمية المسبوب باسم الفاسق ، فإن تسميته كافراً أعظم ، بل إن الساب يصير فاسقاً لقوله : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ثم قال: ( وَمَن لَّمْ يَتُبُ فَأُوْلَيْكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ) فجعلهم ظالمين إذا لم يتوبوا من ذلك وإن كانوا يدخلون في اسم المؤمنين ، ثم ذكر النهي عن الغيبة ، ثم ذكر النهي عن التفاخر بالأحساب، وقال : ﴿ إِنَّا أَكُرُمَكُمْ عِندَاللَّهِ أَنْقَكُمُ ) . ثم ذكر قول الأعراب : ( ءَامَنَّا ) .

فالسورة تنهيعن هذه المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى

المؤمنين، فالأعراب المذكورون فيها من جنس المنافقين. وأهل السباب والفسوق والمنادين من وراء الحجرات وأمثالهم، ليسوا من المنافقين، ولهذا قال المفسرون: إنهم الذين استنفروا عام الحديبية، وأولئك وإن كانوا من أهل الكبائر فلم يكونوا في الباطن كفاراً منافقين.

قال ابن إسحاق: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديبية \_ استنفر من حول المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصد، فتناقل عنه كثير منهم، فهم الذبن عنى الله بقوله: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلِّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَعَلَتْنَآ أَمُولُنَا وَأَهْلُونَا فَأَسْتَغْفِرْ لَنَا) أَى ادع الله أَن يَغفر لنا تخلفنا عنك ( يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِ مِمَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ) اي ما يبالون ، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب، والمنافقون قال فيهم: ﴿ وَإِذَاقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكُبِرُونَ \* سَوَآءٌ عَلَيْهِ مَ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمَ أَمْ لَمْ تَشَتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ) ولم يقل مثل هذا في هؤلاء الأعراب، بل الآية دليل على أنهم لو صدقوافي طلب الاستغفار نفعهم استغفار الرسول لهم ثم قال: ( سَتُدَعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسِ شَدِيدٍ نُقَائِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجَرًا حَسَنَا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ) فوعدهم الله بالثواب على طاعة الداعي إلى الجهاد ، و توعده بالتولي عن طاعته .

وهذا كخطاب أمثالهم من أهل الذنوب والكبائر ؛ بخلاف من هو كافر

فى الباطن، فإنه لا يستحق الثواب بمجرد طاعة الأمر حتى يؤمن أولاً ، ووعيده ليس على مجرد توليه عن الطاعة في الجهاد ، فإن كفره أعظم من هذا .

فهذا كله بدل على أن هؤلاء من فساق الملة ، فإن الفسق بكون تارة بترك الفرائض ، وتارة بفعل المحرمات ، وهؤلاء لما تركوا ما فرض الله عليهم من الجهاد وحصل عندهم نوع من الريب الذي أضعف إيمانهم ، لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم ، وإن كانوا صادقين في أنهم في الباطن متدينون بدين الإسلام .

وقول المفسرين: لم يكونوا مؤمنين نفي لما نفاه الله عنهم من الإيمان كما نفاه عن الزاني، والسارق، والشارب، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وعمن لا يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه؛ وعمن لا يحيب إلى حكم الله ورسوله، وأمثال هؤلاء. وقد يحتج على ذلك بقوله: ( بِئُسَراً لِاَسَّمُ ٱلفُسُوقُ بَعَداً لَإِيمَانِ ) كما قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» فذم من استبدل اسم الفسوق بعد الإيمان؛ فدل على أن الفاسق لا يسمى مؤمناً فدل ذلك على أن هؤلاء الأعراب من جنس أهل الكبائر لا من جنس المنافقين.

وأما ما نقل من أنهم أسلموا خوف القتل والسبى؛ فهكذا كان إسلام غير المهاجرين والأنصار، أسلموا رغبة ورهبة ، كإسلام الطلقاء من قريش بعد أن قهرهم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وإسلام المؤلفة قلوبهم من هؤلاء ومن أهل نجد وليس كل من أسلم لرغبة أو رهبة كان من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل

من النار؛ بل يدخلون في الإسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداة للرسول، ولا استنارت قلوبهم بنور الايمان ولا استبصروا فيه؛ وهؤلاء قد يحسن إسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كأكثر الطلقاء، وقد يبقى من فساق الملة ؛ ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً إذا قال له منكر ونكير: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هاه! هاه! لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

وقد تقدم قول من قال: إنهم أسلموا بغير قتال؛ فهؤلاء كانوا أحسن إسلاماً من غيره، وأن الله إنما ذمهم لكونهم منوا بالإسلام وأنزل فيهم ( وَلا نُبْطِلُواْ أَعْمَلَكُونَ ) وأنهم من جنس أهل الكبائر.

أمر لهم بأن يقولوا ذلك والمنافق لا يؤمر بشيء، ثم قال: ( وَإِن تُطِيعُواْاللَّهَ وَرَسُولُهُ لِاَ يَلْتَكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ) والمنافق لا تنفعه طاعة الله ورسوله حتى يؤمن أولاً.

وهذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على أنه يستشى فى الإيمان دون الإسلام وأن أصحاب الكبائر يخرجون من الإيمان إلى الإسلام . قال الميموني : سألت أحمد بن حنبل عن رأبه في : أنا مؤمن إن شاء الله ؟ فقال : أقول : مؤمن إن شاء الله وأقول : مسلم ولا أستثنى ، قال : قلت لأحمد : تفرق بين الإسلام والإيمان ؟ فقال لي : نعم ، فقلت له : بأي شيء تحتج ؟ قال لي : ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَا قُل لَمْ تُؤْمِنُ وأولَكِن قُولُو ٱلسَّلَمْنَا ) ، وذكر أشياء . وقال الشالنجي : سألت أحمد عمن قال : أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث ولا أعلم ما أنا عند الله ؟ قال : ليس بمرجي .

وقال أبو أبوب سليان بن داود الهاشمي : الاستثناء جائز ، ومن قال : أنا مؤمن حقاً ، ولم يقل : عند الله ، ولم يستثن ؛ فذلك عندي جائز وليس بمرجي وبه قال أبو خيثمة وابن أبي شيبة ؛ وذكر الشالنجي أنه سأل أحمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهده ، أي يطلب الذنب بجهده ، إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم ؛ هل يكون مصراً من كانت هذه حاله ؟ قال : هو مصر مثل قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » يخرج من الإيمان ، ويقع في الإسلام ، ومن نحو قوله : « ولا يشرب الخر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا في الإسلام ، ومن نحو قوله : « ولا يشرب الخر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا

يسرق السارق حين بسرق وهو مؤمن » ومن نحو قول ابن عباس في قوله: ( وَمَن لَمْ يَحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَا بِكَهُمُ الْكَفِرُونَ ) فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة ، مثل الإيمان بعضه دون بعض ؛ فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه . وقال ابن أبي شيبة : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » : لا يكون مستكمل الإيمان ، يكون ناقصاً من إيمانه .

قال الشالنجي: وسألت أحمد عن الإيمان والإسلام. فقال: الإيمان قول وعمل؛ والإسلام: إقرار، قال: وبه قال أبو خيمة. وقال ابن أبي شيبة: لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام؛ وإذا كان على المخاطبة فقال: قد قبلت الإيمان، فهو داخل في الإسلام؛ وإذا قال: قد قبلت الإسلام فهوداخل في الإيمان، وقال محمد بن نصر المروزي: وحكى غير هؤلاء أنه سأل أحمد ابن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » فقال: من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم، ولا أسميه مؤمناً، ومن أتى دون ذلك، يريد دون الكبائر، أسميه مؤمناً ناقص الإيمان.

قلت: أحمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا الفرق، وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف، وهو المتأخر عنه، قال أبو بكر الأثرم في « السنة » سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء في الإيمان ما تقول فيه ؟ فقال: أما أنا فلا أعيبه أي من الناس من يعيبه. قال أبو عبد الله: إذا كان يقول: إن الإيمان قول

وعمل يزيد وينقص، فاستثنى مخافة واحتياطاً ، ليس كما يقولون على الشك ؛ إنما يستثنى للعمل. قال أبو عبد الله : قال الله تعالى : ( لَتَدَخُلُنَ ٱلْمُسْجِدَ ٱلْحَرَامَإِن شَاءَاللهُ ) أي أن هذا استثناء بغير شك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى أهل القبور : « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» أي لم يكن بشك في هذا ، وقد استثناه وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « وعليها نبعث إن شاء الله » بعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن أكون أخشاكم القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن أكون أخشاكم للله » قوية للاستثناء في الإعان .

قلت لأبي عبد الله : وكأنك لاترى بأساً أن لا يستثني . فقال : إذا كان ممن يقول الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ؛ فهو أسهـل عندي ؛ ثم قال أبو عبد الله : إن قوماً تضعف قلوبهم عن الاستثناء ، كالتعجب منهم ، وسمعت أُبا عبد الله وقيل له : شبابة أي شيء تقــول فيه ؟ : فقال : شبابة كان يدعي الإرجاء ، قال : وحكى عن شبابة قول أخبث من هذه الأقاويل ، ما سمعت عن أحد بمثله؛ قال أبو عبد الله: قال شبابة: إذا قال: فقد عمل بلسانه كمايقولون فإذا قال فقد عمل بجارحته ، أي بلسانه حين تكلم به ؛ ثم قال أبو عبد الله : هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغني ، قيل لأبي عبد الله : كنت كتبت عن شبابة شيئًا ؟ فقال : نعم كنت كتبت عنه قديمًا يسيراً قبل أن نعلم أنه يقول بهذا ، قلت لأبي عبد الله : كتبت عنه بعــد ؟ قال : لا ولا حرفا .قيل لأبي عبد الله : يزعمون أن سفيان كان يذهب إلى الاستثناء في الإيمان. فقال : هذا مذهب سفيان ، المعروف به الاستثناء ، قلت لأبي عبد الله : من يرويه عن

سفيان فقال كل من حكى عن سفيان في هذا حكاية كان يستثنى، قال وقال وقال وكيع عن سفيان: الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث؟ ولاندري ما هم عند الله قلت لأبى عبد الله: فأنت بأي شيء تقول ؟ فقال: نحن نذهب إلى الاستثناء.

قلت لأبي عبد الله: فأما إذا قال: أنا مسلم فلا يستثنى ؟ فقال: نعم لا يستثنى إذا قال: أنا مسلم: قلت لأبي عبد الله: أقول: هذا مسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه ، فذكر حديث معمر عن الزهري: فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل، قال أبو عبد الله: حدثناه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قيل لأبي عبد الله: فنقول: الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك ، فذكر قوله «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال كذا، أخرجوا من كان في قلبه مثقال كذا » فهو يدل على ذلك وذكر عند أبي عبد الله عيسى الأحمر، وقوله في الإرجاء فقال: نعم وذلك خبيث القول وقال أبو عبد الله: حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن زيد، سمعت هشاماً يقول: كان الحسن ومحمد يقولان: مسلم، ويهابان: مؤمن.

قلت لأبى عبد الله: رواه غير سويد؟ قال: ما علمت بذلك، وسمعت أبا عبد الله يقول: الإيمان قول وعمل. قلت لأبى عبد الله: فالحديث الذي يروى « أعتقها فإنها مؤمنة » قال: ليس كل أحد يقول: إنها مؤمنة يقولون أعتقها. قال: ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال بن على لا يقول « فإنها مؤمنة »

وقد قال بعضهم بأنها مؤمنة ، فهي حين نقر بذاك فحكمها حكم المؤمنة ، هذا معناه . قات لأبي عبد الله : تفرق بين الإيمان والإسلام ؟ فقال : قد اختلف الناس فيه ، وكان حماد بن زيد \_ زعموا \_ يفرق بين الإيمان والإسلام ، قيل له : من المرجئة ؟ قال : الذين بقولون : الإيمان قول بلا عمل .

قلت: فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإعان فلم يبق معه منه شيء ، كا تقوله الخوارج والمعتزلة ، فإنه قد صرح في غير موضع : بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار ، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وليس هذا قوله ولا قول أحد من أئمة أهل السنة ، بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين ، لكن إذا كان معه بعض الإيمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح ، وصاحب الشرع قد نفي الاسم عن هؤلاء فقال : « لا يزني النازي حين يزني وهو مؤمن » ؛ وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » وقال : « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وأقسم على ذلك مرات وقال : « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » .

و «المعتزلة» ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية، واسم الإسلام أيضاً، ويقولون: ليس معه شيء من الإيمان والإسلام، ويقولون: ننزله منزلة بين منزلتين، فهم يقولون: إنه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة، وهذا هو الذي أنكر عليهم

وإلا لونفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئاً من الإعدان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة ، وكل أهل السنة متفقون على أنه قد سلب كال الإعان الواجب فزال بعض إعانه الواجب لكنه من أهل الوعيد ، وإنما ينازع فى ذلك من يقول : الإعان لا يتبعض من الجهمية والمرجئة فيقولون : إنه كامل الإعان ، فالذي ينفي إطلاق الاسم يقول : الاسم المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب ، كقولنا : متق ، وبر ، وعلى الصراط المستقيم ، فإذا كان الفاسق لاتطلق عليه هذه الأسماء ، فكذلك اسم الإعان ، وأما دخوله فى الخطاب ، فلأن المخاطب باسم الإعان كل من معه شيء منه ، لأنه أمر لهم ، فعاصيهم لا تسقط عنهم الأمر .

وأما ما ذكره أحمد في الإسلام، فاتبع فيه الزهري حيث قال: فكانوا يرون الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، في حديث سعد بن أبي وقاص، وهذا على وجهين، فإنه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة، وهذا هو الإسلام الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: « الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » وقد يراد به الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة، وليس هذا هو الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام. لكن قد يقال: إسلام الأعراب كان من هذا، فيقال. الأعراب وغير هم كانوا إذا أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ألزموا بالأعمال الظاهرة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة، بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها.

فكل من قالها فهو مسلم ، فهذه إحدى الروايات عنه ، والرواية الأخرى : لا يكون مسلماً حتى بأتى بها وبصلى ، فإذا لم يصل كان كافراً . و « الثالثة » أنه كافر بترك الزكاة أيضاً . و« الرابعة » أنه يكفر بــــترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ما إذا لم يقاتله ، وعنه أنه لو قال : أنا أؤديها ولا أدفعها إلى الإمام ، لم يكن للإمام أن يقتله ، وكذلك عنه رواية أنه يكفر بترك الصيام والحج ، إذا عزم أنه لا يحج أبداً. ومعلوم أنه على القول بكفر تارك المباني يمتنع أن يكون الإسلام مجرد الكلمة ، بل المراد أنه إذا أتى بالكلمة دخل في الإسلام ، وهذا صحيح، فإنه يشهد له بالإسلام ولا يشهد له بالإعان الذي في القلب، ولا يستثني في هذا الإسلام، لأنه أمر مشهور ، لكن الإسلام الذي هو أداء الخس كما أمر به يقبل الاستثناء ، فالإسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها.

وقد صار الناس في مسمى الإسلام على «ثلاثة أقوال»: قيل: هو الإيمان، وها اسمان لمسمى واحد. وقيل: هو الكلمة، وهذان القولان لهما وجه سنذكره، لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الحمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام؛ وإذا أفرد الإسلام، وإذا أفرد الإسلام، وإذا أفرد الإسلام، وإذا أفرد الإسلام، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا زاع، وهذا

هو الواجب؛ وهل يكون مسلماً ولا يقال له : مؤمن؟ قد تقدم الكلام فيه . وكذلك هل يستلزم الإسلام للإيمان ؟ هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه ، والوعد الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم الإيمان وأما اسم الإسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة ، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه .

وبالإسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى: ( وَمَن يَبْتَغ غَيْر اَلْإِسْكَمِ دِينَا فَلَن يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُو فِي الْآخِرَةِ مِن الْخَسِرِينَ ) وقال: ( إِنَّ الدِينَ عِن دَلَيْهِ اللّهِ الْإِسْلَامُ ) وقال نوح: ( يَنقُومِ إِن كَان كَبُرَ عَلَيْكُم مَقامِي وَتَذَكِيرِي بِعَاينتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ قَوَكَ لَمْتُ فَعَلَى اللّهِ قَوَكَ لَمْتُ فَعَلَى اللّهِ قَوَكَ لَمْتُ فَعَلَى اللّهِ قَوَلَ عَلَيْكُم وَمَا اللّهِ فَا اللّهِ فَا اللّهِ وَاللّهِ وَالْمَرْتُ اللّهِ فَا اللّهِ مَن اللّه اللّهِ مَن اللّه وَاللّه وَاللّ

وكذلك أخبر عن إبراهيم أن دينه الإسلام فقال تعالى: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةِ إِبْرَهِ عَمَ إِلَّا مَن الْمِر عَن إبراهيم أن دينه الإسلام فقال تعالى: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةِ إِبْرَهِ عَم إِلَّا مَن سَفِهَ نَفُسَةً وَلَقَد اصطفَى يَنهُ فِي الدُّني الْمَالِ فَي الْآخِرَةِ لَمِن الصَّلِحِينَ \* وَوَصَّى بِهَ آ إِبْرَهِ عُم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَانِي إِنَّ اللَّهُ اصطفَى لَكُمُ الدِينَ فَلا تَمُوثُن إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ )

وقال: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينَا مِّمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُو مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّبَعَ مِلَةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّجَدَ اللَّهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا) وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُو مُحْسِبُ فَلَهُ وَالْجُرُهُ وَعِندَ رَبِّهِ وَلَاخُو فَى عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ عَندَرَبِهِ وَلَاخُو فَى عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ مَعَ فَوْلَه : (إِنَّ اللَّذِينَ عَنْ مَا مَنُ وَاللَّهِ وَالْمَعْ وَاللَّهِ وَالْمُو وَالْمَلُ الصالح فى قوله: (إِنَّ اللَّذِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعُولُ وَالْمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ و

وأما « الإسلام المطلق المجرد » فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالإيمان المطلق المجرد ، كقوله: ( سَابِقُوۤ أَإِكَ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتُ لِلَّذِينَ عَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ )

وقال: ( وَبَشِرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَرَيِّهِمْ ) . وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالإ عان كقوله: ( فَاَمَنَ لَهُ رُلُوطٌ ) ووصفه بذلك فقال: ( فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ \* ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓ الإِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَتِهِكَ لَمُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُه تَدُونَ \* وَتِلْكَ حُجَّتُ نَا ءَاتَيْنَهَ آ إِبْرَهِي مَعَلَى قَوْمِهِ ) ووصفه بأعلى طبقات الإعان ، وهو أفضل البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم . والخليل إنمــا دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال : ﴿ وَٱرْزُقُ آهْلَهُ مِنَ ٱلشَّمَرَتِ مَنْءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ) وقال: ( وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ) ( وَقَالَمُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنْمُ ءَامَنْهُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَّكُلُوٓ أَإِن كُنْهُم مُّسْلِمِينَ ) بعد قوله: ( فَمَآءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّاذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلِا يُهِمُ أَن يَفْنِنَهُمُ ) وقال: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَ الِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُّوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبُلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوة قُوبَشِراً لَمُؤْمِنِينَ) وقد ذكرنا البشرى المطلقة للمسلمين في قوله: ( وَنَزَّلْنَاعَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِبْيَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُثْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ).

وقد وصف الله السحرة بالإسلام والإيمان معاً فقالوا: ( ءَامَنَا بِرَتِ الْعَلَمِينَ \* رَبِّ مُوسَىٰ وَهَدُونَ ) وقالوا: ( وَمَانَنِقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَا بِنَايَتِ رَبِّنَا لَمَا جَاءَتْنَا) وقالوا: ( إِنَّا نَظْمَعُ أَنَ يَغْفِر لَنَارَبُّنَا خَطْدِينَا آنَ كُنَّا آوَلَ الْمُؤْمِنِينَ ) وقالوا: ( إِنَّا نَظْمَعُ أَن يَغْفِر لَنَارَبُّنا خَطْدِينَا آنَ كُنَّا آوَلَ الْمُؤْمِنِينَ ) ووصف الله أنبياء وقالوا: ( رَبَّنَا آفَرِغُ عَلَيْنَا صَبِّرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ) . ووصف الله أنبياء بني إسرائيل بالإسلام في قوله: ( إِنَّا آنَزَلْنَا ٱلتَّوْرَيْةَ فِيهَا هُدَى وَنُورُ أَيْعَكُمُ بِهَا بِي

النَّبِيُّوكَ الَّذِينَ أَسَلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ) والأنبياء كلهم مؤمنون. ووصف الحواريين بالإيمان والإسلام فقال تعالى: ( وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّكَ أَنْ ءَامِنُواْ فِي وَلِيْسُولِي قَالُواْ ءَامَنَا وَاشْهَدْ بِأَنْنَا مُسْلِمُونَ ) و ( قَالَ الْحَوَارِيُّوكَ غَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَالشَّهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ).

وحقيقة الفرق أن الإسلام دين . و « الدين » مصدر دان يدين ديناً : إذا خضع وذل ، و «دين الإسلام» الذي ارتضاد الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده ؛ فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ماسواه . فمن عبده ، وعبد معه إلها آخر ، لم يكن مسلماً ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً ، والإسلام هو الاستسلام لله ، وهو الخضوع له ، والعبودية عبادته لم يكن مسلماً ، والإسلام هو الاستسلام لله ، وهو الخضوع له ، والعبودية له ، هكذا قال أهل اللغة : أسلم الرجل إذا استسلم ؛ فالإسلام في الأصل من باب العمل ، عمل القلب والجوارح .

وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب؛ والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم « الإيمان » بإيمان القلب وبخضوعه ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر « الإسلام » باستسلام مخصوص ، هو المبانى الخس. وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم: يفسر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا، وذلك النوع أعلى. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « الإسلام علانية والإيمان في القلب » فإن الأعمال الظاهرة يراها الناس ، وأما

ما في القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن؛ لكن لهلوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوماً ، فلهسذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق ، فلا يدل (۱) فني حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه ، وفسر المؤمن بأمرباطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك ، فإن من كان مأموناً سلم الناس منه ؛ وليس كل من سلموا منه يكون مأموناً ، فقد يترك أذاهم وهم لايأمنون إليه ، خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة ؛ لا لإيمان في قلبه .

وفى حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإسلام؟ قال « إطعام الطعام . ولين الكلام » قال : فما الإيمان قال « السهاحة والصبر » فإطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الإنسان لمقاصد متعددة ، وكذلك لين الكلام ، وأما السهاحة والصبر فحلقان في النفس . قال تعالى : ( وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِوتَوَاصَوْا بِالْمَرْمَةِ ) وهذا أعلى من ذاك ، وهو أن يكون صباراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على المكاره ، وهذا ضد الذي خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ؛ فإن ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ، ولا صبر عند المصيبة .

<sup>(</sup>١) بياض بالأصل.

وتمام الحديث: فأي الإسلام أفضل ؟ قال « من سلم المسلمون من لسانه ويده » قال: يا رسول الله أى المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال « أحسنهم خلقاً » قال : يا رسول الله أي القتل أشرف ؟ قال « من أريق دمه وعقر جواده » قال يا رسول الله فأي الجهاد أفضل ؟ قال « الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » قال يا رسول الله فأي الصدقة أفضل ؟ قال « جهد المقل » قال يا رسول الله فأي الصلاة أفضل ؟ قال « طول القنوت » قال يا رسول الله فأي المحجرة أفضل ؟ قال « من هجر السوء » وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير ، تارة يروى مرسلاً ، وتارة يروى مسنداً ، وفي رواية : أي الساعات أفضل ؟ قال « جوف الليل الغابر » وقوله : « أفضل الإيمان الساحة والصبر » يروى من وجه آخر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا في سائر الأحاديث إنما يفسر الإسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الأعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال : والله يا رسول الله ما أنيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن لا آنيك ، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به ؟ قال : الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قال « أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك إلى الله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد أشرك بعد إسلامه »وفي رواية قال « أن تقول : أسلمت وجهي لله وتخليت عبد أشرك بعد إسلامه وفي رواية قال « أن تقول : أسلمت وجهي لله تقول وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم » وفي لفظ تقول « أسلمت نفسي لله وخليت وجهي إليه » وروى محمد بن نصر من حديث خالد « أسلمت نفسي لله وخليت وجهي إليه » وروى محمد بن نصر من حديث خالد

ابن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق ، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً . وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتسلم على بني آدم إذا لقيتهم ، فإن ردوا عليك ، ردت عليك وعليهم الملائكة ، وإن لم يردوا عليك ردت عليك للائكة ولعنتهم إن سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم ، فمن انتقص منهن شيئاً فهو سهم في الإسلام تركه ، ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » .

وقد قال تعالى: (يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُواْ فِ ٱلسِّلْمِكَ آفَّةً) قال مجاهد: لا ينافي قول من قال : نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب أو فيمن لم يسلم ، لأن هؤلاء كالهم مأمورون أيضاً بذلك، والجمهور يقولون: ﴿ فِي ٱلسِّــلِّمِ ﴾ أى في الإسلام، وقالت طائفة: هو الطاعة ، وكلاها مأثور عن ابن عباس،وكلاهما حقى، فإن الإسلام هو الطاعة كما تقدم أنه من باب الأعمال. وأما قوله: (كافة) وهذا هو الصحيح، فإن الإنسان لا يؤمر بعمل غيره، وإنما يؤمر بما يقدر عليه، وقوله: (ٱدْخُلُواْ) خطاب لهم كلهم فقوله (كَآفَّةً) إن أريد به مجتمعين لزم أن يترك الإنسان الإسلام حتى يسلم غيره فلا يكون الإسلام مأموراً به إلا بشرط موافقةالغير له كالجمعة ، وهذا لا يقوله مسلم، وإن أريد بكافة :أي ادخلوا جميعكم، فكل أوامر القرآن كقوله: ( ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ) ( وَأَقِيمُواْ ٱلصَّكَلُوٰةَ

وَءَاتُواْ الزَّكُوةَ ) كلها من هذا الباب، وما قيل فيها كافة، وقوله تعالى: ( وَقَائِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَة ) أى قاتلوم كلهم لا تدعوا مشركاً حتى تقاتلوه ، فإنها أنزلت بعد نبذ العهود، ليس المراد: قاتلوم مجتمعين أو جميعكم، فإن هذا لا يجب، بل يقاتلون بحسب المصلحة ، والجهاد فرض على الكفاية ، فإذا كانت فرائض الأعيان لم يؤكد المأمورين فيها بكافة ، فكيف يؤكد بذلك فى فروض الكفاية؟! وإنما المقصود تعميم المقاتلين. وقوله: (كَمَا يُقَائِلُونَ كُمِّ كَافَةً) فيه احتمالان .

والمقصود أن الله أمر بالدخول في جميع الإسلام كا دل عليه هذا الحديث، فكل ماكان من الإسلام وجب الدخول فيه، فإن كان واجباً على الأعيان لزمه فعله، وإن كان واجباً على الكفاية اعتقد وجوبه، وعزم عليه إذا تعين، أو أخذ بالفضل ففعله، وإن كان مستحباً اعتقد حسنه وأحب فعله، وفي حديث جرير أن رجلاً قال: يارسول الله صف لي الإسلام. قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وتقر عاجاء من عند الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان و تحج البيت، قال: أقررت؛ في قصة طويلة فيها أنه وقع في أخاقيق جرذان، وأنه قتل وكان جائعاً وملكان يدسان في شدقه من ثمار الجنة. فقوله: «وتقر بما جاء من عندالله». هو الإقرار بأن محمداً رسول الله فإنه هو الذي جاء بذلك.

وفي الحديث الذي يرويه أبو سليمان الداراني: حديث الوفد الذين قالوا: نحن المؤمنون، قال: «فما علامة إيمانكم؟» قالوا: خمس عشرة خصلة: خمس أمرتنا رسلك أن نعمل بهن، وخمس أمرتنا رسلك أن

نؤمن بهن ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها في الإسلام إلا أن تكره منها شيئاً. قال : « فما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بهـا »؟ قالوا: أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت .قال : «وما الخمس التي أمرتكم أن تؤمنوا بها؟ ،قالوا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: «وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية وثبتم عليهافي الإسلام؟ » قالوا: الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء ». فقال صلى الله عليه وسلم: «وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرونخصلة :إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا تزولون وعنه منتقلون ، واتقــوا الله الذي إليه ترجعون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون».

فقد فرقوا بين الخمس التي بعمل بها فجعلوها الإسلام ؛ والخمس التي يؤمن بها فجعلوها الإيمان ؛ وجميع الأحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على مثل هذا.

وفي الحديث الذي رواه أحمد من حديث أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أسلم نسلم» قال.

وما الإسلام قال : «أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإعان» قال: وما الإيمان؟قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت، قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: «الهجرة» قال : وما الهجرة ؟ قال : « أن تهجر السوء » قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد قال : وما الجهاد ؟ قال : «أن تجاهد الكفار إذا لقيتهم ولا تغل ولا تجبن، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «ثم عملان ها أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما» قالها ثلاثاً: «حجة مبرورة: أو عمرة» وقوله : «ها أفضل الأعمال» أي بعد الجهاد: لقوله . «ثم عملان » ، ففي هذا الحديث جعل الإيمان خصوصاً في الإسلام ، والإسلام أعم منه ، كما جعل الهجرة خصوصاً في الإيمان والإيمان أعم منها، وجعل الجهاد خصوصاً من الهجرة والهجرة أعم منه . فالإسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين .

وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، ولا تكون عبادته مع إرسال الرسل إلينا إلا بما أمرت به رسله، لا بما يضاد ذلك فإن ضد ذلك معصية، وقد ختم الله الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون مسلماً إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام. فمن قال: الإسلام الكلمة وأراد هذا فقد صدق، ثم لا بد من التزام ما أمر به الرسول من الأعمال الظاهرة، كالمبانى الخس، ومن ترك من ذلك شيئاً نقص إسلامه

بقدر ما نقص من ذلك ، كما في الحديث : من انتقص منهن شيئاً فهو سهم من الإسلام تركه ».

وهذه الأعمال إذا عملها الإنسان مخلصاً لله تعالى فإنه يثيبه عليها ، ولا يكون ذلك إلا مع إقراره بقلبه أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيكون معه من الإيمان هذا الإقرار ، وهذا الإقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين مالا يقبل الريب ، ولا أن يكون مجاهداً ولا سائر ما يتميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن ، وخلق كثير من المسلمين باطناً وظاهراً معهم هذا الإسلام بلوازمه من الإيمان ، ولم يصلوا إلى اليقين والجهاد ، فهؤلاء يثابون على إسلامهم وإقراره بالرسول مجملا ، وقد لا يعرفون أنه جاء بكتاب ، وقد لا يعرفون أنه جاء ملك ، ولا أنه أخبر بكذا ، وإذا لم يبلغهم أن الرسول أخبر بذلك لم يكن عليهم الإقرار المفصل به ، لكن لا بد من الإقرار بأنه رسول الله وأنه صادق فى عليهم الإقرار المفصل به ، لكن لا بد من الإقرار بأنه رسول الله وأنه صادق فى كل ما يخبر به عن الله .

ثم الإيمان الذي يمتساز به فيه تفصيل وفيه طمأنينة ويقين ، فهذا متميز بصفته وقدره في السكمية والكيفية ، فإن أولئك معهممن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هؤلاء .

وأيضاً فني قلوبهم من اليقين والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء وأولئك م المؤمنون حقاً. وكل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً ؛ فإن الإيمان يستلزم الأعمال ، وليس كل مسلم مؤمناً هذا الإيمان المطلق ، لأن

الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص، وهذا الفرق يجده الإنسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل ، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إيما يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطام الله ذلك ، وإلا فكثير من الناس لايصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد ، ولو شككوا لشكوا ، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا ، وليسوا كفاراً ولا منافقين ، بل ليس عنده من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ، ولا عنده من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال ، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة . وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ربهم ، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق .

 الدُّنْيَاوَالْكَخِرَةَ ذَلِكَ هُو الْمُسْرَانُ الْمُبِينُ ) ولهذا ذم الله المنافقين بأنهم دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى : (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنكِفِقِينَ لَكَلِابُوكَ النَّهُ مُنتَّا فَصَدُّواْ عَنسَبِيلِ اللَّهِ ) - إلى قوله - ( ذَلِكَ بِالنَّهُمُ عَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَى قُلُومِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ) وقال في الآية الأخرى ( يَحَدَرُ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَى قُلُومِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ) وقال في الآية الأخرى ( يَحَدَرُ الْمُنكَفِقُونَ ) أَن اللَّهِ وَاللَّهُ وَعَالِيهِ وَرَسُولِهِ عَنْ لَكُمْ نَعُدَرُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَعَالِيهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَعَالِيهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْتُهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا لَهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَكُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَلِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَّهُ وَلَا لَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلِلْمُ وَلَا لَا الللْهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا مَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا لَا الللَّهُ وَلِهُ وَلَا لَا اللْهُ وَلِولُوا اللَّهُ وَلِهُ اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَا فَلَا لَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِلَ

وقول من يقول عن مثل هذه الآيات: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم ، لا يصح ، لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر ، فلا يقال : قد كفرتم بعد إيمانكم ، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا ؛ بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبينما في قلوبهم من النفاق ، وتكلموا بالاستهزاء ، صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين ، وقد قال تعالى: ( يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَنِهِدِ ٱلْكُفَّارَوَٱلْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَلِهُمْ جَهَنَّمُ وَيِثْسَ ٱلْمَصِيرُ \* يَعْلِفُونِ بِاللَّهِ مَاقَالُواْ وَلَقَدْقَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَالَمٌ يَنَالُواْ وَمَانَقَكُمُواْ إِلَّا أَنَ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, مِن فَضَلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَمُكَّو وإِن يَسَوَلُواْ يُعَذِّبُهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ) فهنا قال: ﴿ وَكَفَرُواْبَعُدَ إِسْلَمِهِمْ ﴾ . فهذا الإسلام قد يكون من جنس إسلام الأعراب فيكون قوله: بعد

إيمانهم وبعد إسلامهم سواء ، وقد يكونون ما زالوا منافقين ، فلم يكن لهم حال كان معهم فيها من الإيمان شيء ، لكونهم أظهروا الكفر والردة ؛ ولهذا دعام إلى التوبة فقال : ( فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَمُّكَّ وَإِن يَتَولُواْ ) بعد التوبة عن التوبة (يعَزَبُهُمُ اللهُ عَذَابًا ألِيمًا فِي الدُّنيَا وَٱلْآخِرَةِ) وهذا إنما هو لمن أظهر الكفر ، فيجاهده الرسول بإقامة الحد والعقوبة . ولهذا ذكر هذا في سياق قوله : ( جَهِدِ الرسول بإقامة الحد والعقوبة . ولهذا قال في تمامها : ( وَمَا لَهُ مُ فِي ٱلأَرْضِ

وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم فإن هؤلاء حلفوا بالله ماقالوا، وقد قالوا كلة الكفر التي كفروا بهـــا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا · وهو يدل على أنهم سعوا في ذلك ، فلم يصلوا إلى مقصوده ؛ فإنه لم يقل : هموا بما لم يفعلوا ، لكن (بِمَالَهُ يَنَالُواْ) فصدر منهم قول وفعل ، قال تعالى : ﴿ وَلَـهِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُكَ إِنَّمَاكُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فاعترفوا واعتذروا ؛ ولهذا قيل : ( لَاتَعْنَذِرُواْقَدُكُفَرَّتُمْ بَعْدَإِيمَنِكُمْ إِن نَعْفُ عَن طَآيِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبُ طَآبِهَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ) فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتواكفراً ، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، فبين أن الاستهزاء بالله وآيانه ورسوله كفر بكفر به صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كان عندهم إيمـان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفراً ، وكان كفراً كفروا به ، فإنهم لم يعتقدوا جوازه ، وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة أنهم أبصروا ثم عموا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وآمنوا ثم كفروا . وكذلك قال قتادة ومجاهد : ضرب المثل لإقب الهم على المؤمنين ؛ وسماعهم ماجاء به الرسول ، وذهاب نورهم ، قال : ( مَثَلُهُمْ كَمَثُلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَازًا فَلَمَّا أَضَاءَ تُمَاحَوْلَهُ . ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَرَّكُهُمْ فِي ظُلْمَتِ لِلَّائِمِرُونَ \* صُمَّ بُكُمُ عُمْ يُفَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) إلى ما كانوا عليه .

قال المفسرون : إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ ، سألوا الله أن يتم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة . قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين ، إلا يعطى نوراً يوم القيامة ؛ فأما المنافق فيطفأ نوره ، وأما المؤمن فيشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق ، فهو يقول: (رَبُّنَا أَتُمِمْ لَنَانُورَنَا) ، وهو كما قال: فقد ثبت في « الصحيحين » من حديث ابي هريرة وابي سعيد \_ وهو ثابت من وجوه أخر \_ عن النبي صلى الله عليه وسلم. ورواه مسلم من حديث جابر وهومعروف من حديث ابن مسعود وهو أطولها \_ ومن حديث أبي موسى في الحديث الطويل الذي يذكر فيه أنه ينادي يوم القيامة : «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا حاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم : فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ». وفي رواية: « فيكشف عن ساقه »: وفي رواية فيقول: «هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ، فيقولون : نعم . فيكشف عن ساقه ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . فتبقى ظهورهم مثل صياصي البقر فيرفعون رؤوسهم فإذا نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ويطفأ نور المنافقين فيقولون ذرونا نقتبس من نوركم ».

فبين أن المنافقين يحشرون مع المؤمنين في الظاهر ، كما كانوا معهم في الدنيا ثم وقت الحقيقة هؤلاء يسجدون لربهم ، وأولئك لا يتمكنون من السجود .

فإنهم لم يسجدوا في الدنياله ، بل قصدوا الرياء للناس ، والجزاء في الآخرة هو من جنس العمل في الدنيا ، فلهذا أعطوا نوراً ثم طفئ ، لأنهم في الدنيا دخلوا في الإيمان ، ثم خرجوا منه . ولهذا ضرب الله لهم المثل بذلك . وهذا المثل ، هو لمن كان فيهم آمن ثم كفر ، وهؤلاء الذين يعطون في الآخرة نوراً ثم يطفأ .

ولهذا قال: ( فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) إلى الإسلام فى الباطن وقال قتادة ومقاتل: لا يرجعون عن ضلالهم ، وقال السدي: لا يرجعون إلى الإسلام ، يعنى فى الباطن ، وإلا فهم يظهر ونه ، وهذا المثل إنما يكون في الدنيا، وهذا المثل مضر وب لبعضهم وهم الذين آمنوا ثم كفر وا. وأما الذين لم يز الوا منافقين فضرب لهم المثل الآخر ، وهو قوله: ( أَوْكَصَيِبِ مِنَ السَّمَآ فِيهِ ظُلُمَتُ وَرَعْدُ وَبَرْقُ ) وهذا أصح القولين. فإن المفسرين اختلفوا ، هل المثلان مضر وبان لهم كلهم ، أو هذا المثل لبعضهم ؟ فإن المفسرين اختلفوا ، هل المثلان مضر وبان لهم كلهم ، أو هذا المثل لبعضهم ؟ على «قولين » . و « الثاني » هو الصواب لأنه قال: ( أو كصيب ) وإنما يثبت بها أحد الأمرين ؛ فدل ذلك على أنهم مثلهم هذا وهذا ، فإنهم لا يخرجون عن المثلين بل بعضهم يشبه هذا و بعضهم يشبه هذا و بعضهم يشبه هذا ، ولو كانوا كلهم يشبهون المثلين لم يذكر (أو ) بل يذكر الواو العاطفة .

وقول من قال: (أو) ههنا للتخيير ـ كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين ـ ليس بشيء ، لأن التخيير بكون في الأمر والطلب لا يكون في الخبر ، وكذلك قول من قال: (أو) بمعنى الواو أو لتشكيك المخاطبين ،

أو الإبهام عليهم ليس بشيء ، فإن الله يريد بالأمثـال البيان والتفهيم ، لا يريد التشكيك والإبهام .

والمقصود تفهيم المؤمنين حالهم وبدل على ذلك أنه قال في «المثل الأول»:

( صُمُّ أَبَكُمُّ عُمْنُ ) وقال في «الثاني»: ( يَجَعَلُونَ أَصَدِعَهُمْ فِيَ اذَانِهِم مِنَ الصَّوَعِي حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ كُيطُ إِلْكَفِرِينَ \* يَكَادُ البّرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَدُوهُمُ كُلُمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْشَاءَ اللّهُ لَذَهَب بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَدُوهِمْ إِنَّ اللّهُ عَلَيْهُمْ قَامُوا وَلَوْشَاءَ اللّهُ لَذَه بَسِمْعِهِمْ وَأَبْصَدُوهِمْ إِنَّ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ قَامُوا وَلَوْشَاءَ اللّهُ لَذَه بَسِمعهم وأبصاره، وفي «الله الشاني» أنهم يسمعون ويبصرون ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصاره، وفي «الأول» كانوا يبصرون ثم صاروا في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمي . وفي «الشاني» إذا أضاء لهم البرق مشوا فيه وإذا أضاء لم عليهم قاموا ، فلهم «حالان» : حال ضياء وحال ظلام ، والأولون أظلمة ، فالأول حال من كان في ضوء فصار في ظلمة ، والشاني حال من لم يستقر لا في ضوء ولا في ظلمة ، بل تختلف عليه الأحوال التي حال من لم يستقر لا في ضوء ولا في ظلمة ، بل تختلف عليه الأحوال التي حوب مقامه واسترابته .

يبين هذا أنه سبحانه ضرب للكفار أيضاً مثلين بحرف (أو) فقال: ( وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابِ بِقِيعَةِ يَعْسَبُهُ الظَّمْ الْمُالُمُ مَّالِ بِقِيعَةِ يَعْسَبُهُ الظَّمْ الْمُالُمُ مَا اللهُ فقال: ( وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابِ بِقِيعَةِ يَعْسَبُهُ الظَّمْ الْمَالَةِ مَا أَوْ جَمَانَهُ أَوْ اللهُ سَرِيعُ الْفِسَابِ \* أَوْ كَالَّهُ اللهُ مَنْ اللهُ الل

مثل الكفر الذي يحسب صاحبه أنه على حق وهو على باطل ، كمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإنه لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ؛ فلهذا مشل بسراب بقيعة و « الثانى » مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيئاً ، بل هو فى ظلمات بعضها فوق بعض من عظم جهله لم بكن معه اعتقاد أنه على حق ؛ بل لم يزل جاهلاً ضالاً فى ظلمات متراكمة .

و «أيضاً » فقد يكون النافق والكافر تارة متصفاً بهذا الوصف وتارة متصفاً بهذا الوصف، فيكون التقسيم في المثلين لتنوع الأشخاص ولتنوع أحوالهم، وبكل حال فليس ما ضرب له هذا المشل هو مماثل لما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثلين صورة ومعنى، ولهذا لم يضرب للإيمان إلا مثل واحد، لأن الحق واحد فضرب مثله بالنور، وأولئك ضرب لهم المثل بضوء لاحقيقة له كالسراب بالقيعة أو بالظلمات المتراكمة، وكذلك المنافق بضرب له المثل بمن أبصر مم عمي، أو هو مضطرب بسمع وببصر ما لا ينتفع به . فتبين أن من المنافقين من كان آمن ثم كفر باطناً، وهذا مما استفاض به النقل عند أهل العلم بالحديث والتفسير والسير أنه كان رجال قد آمنوا ثم نافقوا، وكان يجري ذلك لأساب:

منها أمر القبلة لما حولت ارتد عن الإيمان لأجل ذلك طائفة ، وكانت محنة المتحن الله بها الناس . قال تعالى : ( وَمَاجَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَ ٓ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَنَقِلِبُ عَلَى عَلَيْهَ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ) مَن يَنَقِيبُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَى عَقِبَيْةً وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ )

قال: أي إذا حولت؛ والمعنى أن الكعبة هي القبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قبلتكم؛ فإن الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق، وقبلة إبراهيم وغيرهمن الأنبياء، ولم يأمر الله قط أحداً أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى ولا غيرها؛ فلم نكن لنجعلها لك قبلة دائمة ، ولكن جعلناها أولاً قبلة لنمتحن بتحويلك عنها الناس فيتبين من يتبع الرسول ممن بنقلب على عقبيه ، فكان في شرعها هذه الحكمة.

وكذلك أيضاً لما انهزم المسلمون يوم أحد وشج وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته ، ارتد طائفة نافقوا قال تعالى : ﴿ وَلَاتَهِنُواْ وَلَا تَحْتَرَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلُونَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ \* إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحُ فَقَدْمَسَ ٱلْقَوْمَ قَرْحُ مِّشْ أَلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَابَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآةً وَٱللَّهُ لَا يُحِبُ ٱلظَّلِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَنْفِرِينَ )، وقال تعالى: ( وَمَا أَصَلَبَكُمُ يَوْمَ الْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ \* وَلِيعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوُاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلُ لِلَّهِ أَوِادْ فَعُواْ قَالُواْ لَوْنَعْلَمُ قِتَ اللَّا لَا تَتَبَعْنَكُمُ هُمُ لِلْكُفْر يَوْمَيِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِم مَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ) فقوله: ( وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ) ظاهر فيمن أحدث نفاقاً وهو يتناول من لم ينافق قبل ، ومن نافق ثم جدد نفاقاً ثانياً . وقوله : ﴿ هُمُ لِلْكُفْرِ يَوْمَيِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ) ببين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساويا وإما أن يكونوا للإيمان أقرب، وكذلك كان ؛فإن ابن أبيّ لما انخزل عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد. انخزل معه ثلث الناس قيل: كانوا نحو ثلاثمائة ، وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين فى الباطن ، إذ لم يكن لهم داع إلى النفاق .

فإن ابن أبي كان مظهراً لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به ؛ وكان كل يوم جمعة يقوم خطيباً في المسجد بأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ما في قلبه يظهر إلا لقليل من الناس إن ظهر ، وكان معظماً في قومه ؛ كانوا قد عزموا على أن يتوجوه و يجعلوه مثل الملك عليهم ؛ فلما جاءت النبوة بطل ذلك فحمله الحسد على النفاق ، وإلا فلم يكن له قبل ذلك دين يدعو إليه ؛ وإنما كان هذا في اليهود، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بدينه وقد أظهر الله حسنه ونوره مالت إليه القلوب لا سيما لما نصره الله يوم بدر ، ونصره على يهود بني قينقاع صار معه الدين والدنيا ؛ فكان المقتضى للإيمان في عامة الأنصار قائمًا ، وكان كثير منهم يعظم ابن أبي تعظيماً كثيراً ويواليه ، ولم بكن ابن أبي أظهر مخالفة توجب الامتياز ؛ فلما انخزل يوم أحـــد وقال : يدع رأ بي ورأيه ، وبأخذ برأي الصبيان \_ أو كما قال \_ انخزل معه خلق كثير ، منهم من لم ينافق قبل ذلك.

وفي الجملة: فني الأخبار عمن نافق بعد إيمانه مايطول ذكره هنا؛ فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الإسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا من

المؤمنين حقاً الذين امتحنوا فثبتوا على الإعان ، ولا من المنافقين حقاً الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة . وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم ، إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيراً وينافق أكثرهم أو كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالباً ؛ وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة ، وإذا كانت العافية ، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوه كانوا مسلمين ، وهم مؤمنون بالرسول باطناً وظاهراً لكن إيماناً لا يثبت على المحنة .

ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم. وهؤلاء من الذين قَالُوا: ( ءَامَنًا ) فقيل لهم: ( قُللَّم تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوٓ الْسَلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِ قُلُوبِكُمْ ) أي الإيمان المطلق · الذي أهله هم المؤمنون حقاً ، فإن هذا هو الإعان إذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة. ولهذا قال تعالى : ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عِثْمٌ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَهَدُواْ بِأُمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ) فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب ؛ بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم ، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علماً وعملاً ؛ وإلا فإذا كان عالماً بالحق ؛ ولكن المصيبة أوالخوف أورثه جزعا عظيماً ، لم يكن صاحب يقين. قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالَاشَدِيدًا ). وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ، ثم بتوب الله عليه : وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ، ويدفعه الله عنه . والمؤمن ببتلى بوساوس الشيطان ، وبوساوس السكفر التى يضيق بها صدره . كا قالت الصحابة : يارسول الله ! إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السهاء إلى الأرض ، أحب إليه من أن يتكلم به . فقال : « ذاك صريح الإيمان » وفي رواية : « ما يتعاظم أن يتكلم به » قال : « الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » أي حصول هذا الوسواس ، مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب ، هو من صريح الإيمان ؛ كالمجاهد الذي جاءه العدو ، فدافعه حتى غلبه ؛ فهذا أعظم الجهاد و « الصريح » الخالص ، كاللبن الصريح . وإنما صار صريحاً ، لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فحلص الإيمان فصار صريحاً .

ولا بد لعامة الخلق من هذه الوساوس؛ فمن الناس من يجيبها فيصير كافراً أو منافقاً؛ ومنهم من قد غر قلبه الشهوات والذبوب فلا يحس بها إلا إذا طلب الدين ، فإما أن يصير مؤمناً وإما أن يصير منافقاً؛ ولهذا بعرض للناس من الوساوس فى الصلاة ما لا يعرض لهم إذا لم يصلوا ، لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به ؛ فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيره ، ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيره ، لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه ؛ بل هو مقبل على هواه فى غفلة عن ذكر ربه . وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة ذكر ربه . وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة في فالمناه العلم والعبادة من الوساوس العلم والعبادة عن العبادة من العبادة بالله و مقبل على هواه فى غفلة عن في وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة في في العبادة من الوساوس والشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة في في الهي و العبادة و العبادة المناه العلم والعبادة باله و العبادة و العبادة

فإنه عدوه يطلب صده عن الله. قال تعالى: ( إِنَّ الشَّيَطَانَ الكُوْعَدُوُّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّ الله من الشيطان الرجيم عَدُوًّ ) ولهذا أمر قارئ القـرآن ، أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فإن قراءة القرآن على الوجه المأمور به ، نورث القلب الإيمان العظيم ، وتزيده يقيناً وطمأنينة وشفاء . وقال نعالى: ( وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَاهُوَشِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينِ وَلاَيزِيدُ الظّالِمِينَ إِلّا خَسَارًا ) وقال تعالى: ( هَذَابيَانُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَقِينَ ) وقال تعالى: ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وقال تعالى: ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وَمَا نَعْالى: ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وَمَا نَعْالَى: ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وَمَا نَعْالَى : ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وَمَا نَعْالَى : ( فَأَمَّا الَّذِينَ ) وَمَا نَعْالَى الله وَالْمَا وَمُوافِقَالُونَ ) .

وهذا مما بجده كل مؤمن من نفسه ؛ فالشيطان بربد بوساوسه أن بشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن ؛ فأمر الله القارئ إذا قرأ القرآن ، أن يستعيذ منه قال تعالى : ( فَإِذَاقَرَأْتَ الْقَرْءَانَ فَاسْتَعِدُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيطُنِ الرَّحِيمِ \* إِنَّهُ لِيَسَ لَهُ سُلُطَنَ عَلَى اللّهِ مِنَ الشَّيطُنِ الرَّحِيمِ \* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلُطَنَ عَلَى اللّهِ مِنَ الشَّيطُنِ الرَّحِيمِ \* إِنَّهُ اللّهُ سُلُطَن الله عَلَى اللّهِ مِن السّعيذ بالله مستجير به ، لاجئ إليه ، مستغيث به وَالّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُوك ) فإن المستعيذ بالله مستجير به ، فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيراً به من الشيطان ؛ فالعائذ بغيره مستجير به ؛ فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيراً به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان و بجيره منه ؛ ولذلك قال الله تعالى : ( آدفَعَ متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان و بجيره منه ؛ ولذلك قال الله تعالى : ( آدفَعَ بِاللّهِ مِن الشيطان و بحيره منه ؛ ولذلك قال الله تعالى : ( آدفَعَ بِاللّهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلى : ( آدفَعُ اللّهِ اللهُ الل

وفي « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إني لأعلم كلمة لو

قالها لذهب عنه ما يجد ، أعدوذ بالله من الشيطان الرجيم » فأمر سبحانه بالاستعادة عند طلب العبد الحير، لئلا يعوقه الشيطان عنه ؛ وعند ما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنات ؛ وعند ما يأمره الشيطان بالسيئات . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الشيطان بأتى أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق الله ؟ فيقول : من خلق الله ؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته » فأمر بالاستعدادة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير ؛ كما يفعل العدو مع عدوه .

وكلما كان الإنسان أعظم رغبة فى العلم والعبادة ، وأقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ، ورغبته وإرادته فى ذلك أتم ؛ كان ما يحصل له إن سلمه الله من الشيطان أعظم ؛ وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم . ولهذا قال الشعبي : كل أمة علماؤها شرارها ، إلا المسلمين فإن علماء هم خياره .

وأهل السنة في الإسلام؛ كأهل الإسلام في الملل؛ وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤه؛ فعلماؤه شراره، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم؛ وكذلك أهل السنة، أئمتهم خيار الأمة، وأئمة أهل البدع، أضر على الأمة من أهل الذنوب. ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج؛ ونهى عن قتال الولاة الظلمة؛ وأولئك لهم

نهمة في العلم والعبادة ؛ فصار بعرض لهممن الوساوس التي تضلهم \_وهم يظنونها هـدى ، فيطبعونها \_ ما لا بعرض لغيره ، ومن سلم من ذلك منهم كان من أتحـة المتقين مصابيح الهدى ، وينابيع العـلم ؛ كما قال ابن مسعود لأصحابه : كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الحكمة ، سرج الليـل ؛ جدد القلوب ، أحلاس البيوت ، خلقان الثياب ؛ تعرفون في أهل السماء ، وتخفون على أهل الأرض .

## قمــــــــل

ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بهـــا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيره ؛ ولهذا قال الفقهاء: «الأسماء ثلاثة أنواع» نوع يعرف حده بالشرع ، كالصلاة والزكاة : ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر : ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ، ولفظ المعروف في قوله : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ) وَنحو ذلك . وروي عن ابن عباس أنه قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمـــه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب. فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك، قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله ، وكذلك لفظ الخر وغيرها ، ومن هناك يعرف معناها ، فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه ، وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها ، فذاك من جنس علم البيان . وتعليل الأحكام ، هو زيادة في العلم ، وبيان حكمة ألفاظ القرآن ؛ لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا.

واسم الإعمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله؛

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتساج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعال العرب و محو ذلك ؛ فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله ، فإنه شاف كاف ؛ بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة ، بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان ، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول، وبعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمــام الإيمان وأنه لم يكن يجعــلكل من أذنب ذنباً كافراً ، ويعلم أنه لو قدر أن قوماً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك؛ ونقر بألسنتنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه ، فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد؛ ولا نصل الرحم،ولا نفعل شيئاً من الحير الذي أمرت به ، ونشرب الخر ؛ وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ، ونأخذ أموالهم ، بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك ؛ هل كان يتوهم عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم ألّا يدخل أحد منكم النار ، بلكل مسلم بعلم بالاضطرار أنه بقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به ، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك .

وكذلك كل مسلم يعلم أن شارب الحمر والزانى والقاذف والسارق ، لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين يجب قتلهم ، بل القرآن والنقل المتوانر عنه ، يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام ،

كما ذكر الله فى القرآن جلد القاذف والزانى ، وقطع السارق ، وهذا متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مرتدين لقتلهم . فكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل ، لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق ، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها. إما في دلالة الألفاظ. وإما في المعانى المعقولة. ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله ، فإنها تكون ضلالاً ، ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك عما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين؛ وكذلك ذكر في رسالته إلى أبي عبد الرحمن الجرجاني في الرد على المرجئة ، وهذه طريقة سائر أئمة السلمين . لا يعدلون عن بيان الرسول إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ؛ ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم ، أو غير الحق ، وهذا مما حرمه الله ورسوله. وقال نعالى في الشيطان: ( إِنَّمَايَأُمُرُكُم بِٱلسُّوَءِ وَٱلْفَحْسَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَانْعُلْمُونَ ) وقال تعالى : ( أَلَمُ يُؤْخَذُ عَلَيْهِم مِيثَقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَآيِقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقّ ) وهذا من تفسير القرآن بالرأي الذي جاء فيه الحديث: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

مثال ذلك أن «المرجئة» لما عداوا عن معرفة كلام الله ورسوله ، أخذوا يتكلمون في مسمى «الإيمان» و« الإسلام» وغيرها بطرق ابتدعوها ، مثل أن

يقولوا: «الإيمان في اللغة» هو التصديق، والرسول إنما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق؛ ثم قالوا: والتصديق إنما يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، ثم عمدتهم في أن الإيمان هو التصديق قوله: (وَمَآأَنتَ بِمُؤْمِنِلّنا) أي بمصدق لنا.

فيقال لهم: «اسم الإيمان» قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ ، وهو أصل الدين ، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور : ويفرق بين السعداء والأشقياء ، ومن يوالي ومن يعادي ، والدين كله تابع لهذا؛ ، وكل مسلم محتاج إلى معرفة ذلك؛ أفيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا كله . ووكله إلى هاتين المقدمتين؟ . ومعلوم أن الشاهدالذي استشهدوا به على أن الإيمان هو التصديق أنه من القرآن. ونقل معنى الإيمان متواتر عن النبي صلى الله عليهوسلم أعظم من تواتر لفظ الكلمة ، فإن الإيمان يحتـــاج إلى معرفة جميع الأمة فينقلونه ، بخلاف كلة من سورة . فأكثر المؤمنين لم يكونوا يحفظون هذه السورة ، فلا يجوز أن يجعل بيان أصل الدين مبنيـاً على مثل هذه المقدمات، ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم ، وسلكوا السبل ، وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، ومن الذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات ، فهذا كلام عام مطلق .

ثم يقال: «هاتان المقدمتان» كلاها ممنوعة ، فمن الذي قال: إن لفظ الإيمان مرادف للفظ التصديق؟ وهب أن المعنى يصح إذا استعمل في هذا الموضع ، فلم

قلت: إنه يوجب الترادف؟ ولو قلت: ما أنت بمسلم لنا ، ما أنت بمؤمن لنا ، صح المعنى ، لكن لم قلت : إن هذا هو المراد بلفظ مؤمن؟ وإذا قال الله: (أقِيمُوا الصّلاة) . ولو قال القائل : أنموا الصلاة ، ولازموا الصلاة ، التزموا الصلاة ، كان المعنى صحيحاً . لكن لا يدل هذا على معنى : أقيموا . فكون اللفظ يرادف اللفظ ؛ يراد دلالته على ذلك .

ثم يقال: ليس هو مرادفاً له، وذلك من وجوه:

(أحدها): أن يقال المخبر إذا صدقته: صدقه، ولا يقال: آمنه و آمن به. بل يقال: آمن له، كما قال: ( فَعَامَنَ لَهُ رُوطُ ) وقال: ( فَعَاءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةُ مِن قَوْمِهِ ) وقال فرعون: ( ءَامَنتُمْ لَهُ وَقَبُلُ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ) وقالوا لنوح: ( أَنُوْمِنُ لِكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ) وقال تعالى: ( قُلِّ أُذُنُ حُيرٍ لَكُمْ مُ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَيُؤمِنُ لِلْمُؤمِنِينَ ) . ( فَقَالُواْ وَقَالُ تعالى: ( قُلِّ أُذُنُ حُيرٍ لَكُمُ مَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَيُؤمِنُ لِلْمُؤمِنِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِيدُونَ ) وقال : ( وَإِن لِمَؤُمِنُ أَلِي فَقَالُواْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَوْمُ مُهُمَا لَنَا عَلِيدُونَ ) وقال : ( وَإِن لِمَؤُمِنُواْ لِي

فان قيل: فقد يقال: ما أنت بمصدق لنا. قيل: اللام تدخل على مايتعدى بنفسه إذا ضعف عمله، إما بتأخيره أوبكونه اسم فاعل أومصدراً، أو باجتماعهما، فيقال: فلان يعبد الله و يخافه ويتقيه، ثم إذا ذكر باسم الفاعل قيل: هو عابد لربه متق لربه، خائف لربه، وكذلك تقول: فلان يرهب الله ثم تقول: هو راهب لربه، وإذا ذكرت الفعل وأخرته، تقويه باللام، كقوله: (وَفِي نُسُخَتِهَا مُدَى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وقد قال: ( فَإِيّنَى فَأَرَهَبُونِ) فعداه هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ) وقد قال: ( فَإِيّنَى فَأَرَهَبُونِ ) فعداه

بنفسه، وهناك ذكر اللام، فإن هنا قوله: ( فَإِيّنَى) أَتَم من قوله: فلي. وقوله، هنا لك (لِرَبِّهِمُ ) أَتَم من قوله: ربهم، فإن الضمير المنفصل المنصوب، أكمل من ضمير الجر بالياء (١)، وهناك اسم ظاهر، فتقويته باللام أولى وأتم من تجريده؛ ومن هذا قوله: ( إِنكُشُتُم لِلرُّء التَّه بُرُونَ) ويقال: عبرت رؤياه، وكذلك قوله: ( وَإِنَّهُمُ لَنَا لَغَايَظُونَ ) وإنحا يقال: غظته، لا يقال: غظت له، ومثله كثير، فيقول القائل: ما أنت بمصدق لنا، أدخل فيه اللام، لكونه اسم فاعل، وإلا فإنما يقال: صدقته، لا يقال: صدقته اله وهذا بخلاف لفظ الإيمان، فإنه تعدى إلى الضمير باللام دامًا ؛ لا يقال: آمنته قط، وإنما يقال: آمنت له كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بلفظ الإقال: أمنت له كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقاً.

(الثاني): أنه ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى ، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت ، كما يقال: كذبت . فهن قال: السهاء فوقنا ، قيل له : صدق كما يقال : كذب ، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب ، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة ؛ كقوله : طلعت الشمس ، وغربت ، أنه يقال : آمناه ، كما يقال : صدقناه ، ولهذا ؛ المحدثون والشهود ونحوم ؛ يقال : صدقنام ؛ وما يقال صدقناه ، ولهذا ؛ المحدثون والشهود ونحوم ؛ يقال : صدقنام ؛ وما يقال المنا للمم ؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن . فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه الخبر ، كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه الخبر ؛ ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ آمن له ، إلا في هذا النوع ؛ والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء

<sup>(</sup>١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب ( باللام )

يقال: صدق أحدها صاحبه ولا يقال: آمن له، لأنه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه ولهذا قال: ( فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ ) ( أَنْوَيْنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَكَ ) . ( عَامَنتُمُ لَهُ ) ( أَنْوَيْنُ لِلِشَرَيْنِ مِثْلِنَكَ ) . ( عَامَنتُمُ لَهُ ) ( وَيُؤْمِنُ لِللّهُ وَمُولِينَكَ ) فيصدقهم فيما أخبروا به . مما غاب عنه وهو مأمون عنده على ذلك، فاللفظ متضمن معنى التصديق ومعنى الائتمان والأمانة؛ كما يدل عليه الاستعال والاشتقاق ، ولهذا قالوا: ( وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنِ لَنا ) أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ؛ لأنهم لم بكونوا عنده من يؤتمن على ذلك . فلو صدقوا لم يأمن لهم .

(الثالث): أن لفظ الإيمان في اللغة، لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أوكذبت ويقال: صدقناه أو كذبناه ، ولا يقال لكل مخبر : آمنا له أو كذبناه ؛ ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له ؛ بل المعروف في مقابلة الإعان لفظ الكفر . بقال : هو مؤمن أو كافر ، والكفر لا يختص بالتكذيب ؛ بل لو قال : أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك ، لكان كفره أعظم ؛ فلما كان الكفر المقابل للإعان ليس هو التكذيب فقط ، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط ، بل إذا كان الكفر ، يكون تكذيباً ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب؛ فلا بد أن يكون الإعمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقياد لا يكني مجرد التصديق؛ فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر، فيجب أن يكون كل مؤمن مسلماً منقاداً للأمر ، وهذا هو العمل.

فإن قيل : فالرسول صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان بما يؤمن به .

قيل: فالرسول ذكر ما يؤمن به لم يذكر ما يؤمن له ، وهو نفسه يجب أن يؤمن به ويؤمن له ، فالإيمان به من حيث ثبوته غيب عنا أخبرنا به وليس كل غيب آمنا به علينا أن نطيعه ، وأما ما يجب من الإيمان له فهو الذي يوجب طاعته ، والرسول يجب الإيمان به وله ، فينبغي أن يعرف هذا ، وأيضاً فإن طاعته طاعة لله ، وطاعة الله من تمام الإيمان به .

( الرابع): أن من الناس من يقول: الإيمان أصله في اللغة من الأمن الذي هو ضد الخوف؛ فآمن أي صار داخلاً في الأمن وأنشدوا ...''

وأما « المقدمة الثانية » فيقال: إنه إذا فرض أنه مرادف للتصديق فقولهم: إن التصديق لا يكون إلا بالقلب أو اللسان ؛ عنه جوابان .

«أحدها» المنعبل الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت في «الصحيح» عن النبي صلى الشعليه وسلم أنه قال : « العينان تزنيان وزناها النظر ؛ والأذن تزني وزناها السمع ؛ واليد تزني وزناها البطش ؛ والرجل تزنى وزناها المشي والقلب يتمنى ذلك ويشتهي ؛ والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . وكذلك قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف . قال الجوهري : والصديق منسال الفسيق : الدائم التصديق . ويكون الذي يصدق قوله بالعمل . وقال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، وهذا

<sup>(</sup>١) بياض في الأصل.

مشهور عن الحسن يروى عنه من غير وجه ، كما رواه عباس الدوري : حدثنا حجاج ؛ حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمنى ؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال . من قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ، ذلك بأن الله يقول : ( إِلَيْهِ يَصَعَدُ ٱلْكِلْمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّلِحُ يَرْفَعُهُ ) ورواه ابن بطة من الوجهين .

وقوله: ليس الإيمان بالتمني \_\_ يعني الكلام \_\_ وقوله: بالتحلي يعنى أن يصير حلية ظاهرة له، فيظهره من غير حقيقة من قلبه، ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، فالعمل يصدق أن في القلب إيماناً وإذا لم يكن عمل، كذب أن في قلبه إيماناً، لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر. وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم.

وقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده ، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن هذه المسائل . فأجابه عنها : سألت عن الإيمان ، فالإيمان هو التصديق ، أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول ، وباليوم الآخر . وسألت عن التصديق . والتصديق : أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن ، وما ضعف عن شيئ منه وفرط فيه عرف أنه ذنب ، واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه ، فذلك منه وفرط فيه عرف أنه ذنب ، واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه ، فذلك

هو التصديق . وتسأل عن الدين ، فالدين هو العبادة ، فإنك لن تجد رجلاً من أهل الدين ترك عبادة أهل دين ، ثم لا يدخل فى دين آخر إلا صار لادين له . وتسأل عن العبادة والعبادة هي الطاعة ، ذلك أنه من أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه ، فقد آثر عبادة الله ، ومن أطاع الشيطان فى دينه وعمله ، فقد عبد الشيطان ، ألا ترى أن الله قال للذين فرطوا : (أَلَمُ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَنبَنِي عَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُ وَاللَّهَ يُطن ) وإنما كانت عبادتهم الشيطان أنهم أطاعوه فى دينهم .

وقال أسد بن موسى: حدثنا الوليد بن مسلم الأوزاعي ، حدثنا حسان ابن عطية قال: الإيمان في كتاب الله صار إلى العمل . قال الله تعالى: (إِنَّمَا اللهُ وَعِلْتُ قُلُوبُهُمْ ) الآية . ثم صيرهم إلى العمل فقال: المُوَّمِنُونَ اللهِ يَعْدُونَ السَّمَا وَعَلَى اللهُ وَعِلْتُ عُلُوبُهُمْ ) الآية . ثم صيرهم إلى العمل فقال: (اللهِ يَعْدُونَ الصَّلَوْةَ وَمِمَّارَزَقُنْهُمْ يُنفِقُونَ ) قال: وسمعت الأوزاعي يقول: قال الله تعالى: ( فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ الزَّكُوةَ فَإِخُونُكُمْ فِي الدِينِ ) والإيمان بالله باللسان ، والتصديق به العمل .

وقال معمر عن الزهري : كنا نقول الإسلام بالإقرار ، والإيمان بالعمل والإيمان : قول وعمل قرينان ، لا ينفع أحدها إلا بالآخر ، وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله ؛ فإن كان عمله أوزن من قوله : صعد إلى الله ؛ وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله . ورواه أبو عمرو الطلمنكي بإسناده

المعروف. وقال معاوية بن عمرو: عن أبى إسحاق الفزاري عن الأوزاعي قال: لا يستقيم الإيمان إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة.

قلت حديث أبى ذر هــذا مروي من غير وجه ؛ فإن كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول ، فلا كلام ، وإن كانوا رووه بالمعنى ، دل على أنه من المعروف في لغتهم أنه يقال : صــدق قوله بعمله ؛ وكذلك قال شيخ الإسلام الهروي : الإيمان تصديق كله .

وكذلك « الجواب الثاني » أنه إذا كان أصله التصديق ، فهو تصديق

مخصوص ، كما أن الصلاة دعاء مخصوص ، والحج قصد مخصوص ، والصيام إمساك مخصوص ؛ وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلة في مسهاه عند الإطلاق ؛ فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ، ويبقى النزاع لفظياً : هل الإيمان دال على العمل بالتضمن أو باللزوم ؟

ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظى ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء \_ كحاد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم \_ متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإعان جبريل فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعمل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب ، كما تقوله الجماعة . ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل الناركما تقوله الجماعة والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار . فليس بين فقها. الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخــبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ، ولـكن « الأقوال المنحرفة » قول من يقول بتخليدهم في النار ، كالخوارج ، والمعتزلة . وقول غلاة المرجئة الذين يقولون : ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار؛ بل نقف في هذا كله . وحكى عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام. ويقال للخوارج: الذي نفى عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الإيمان ؛ هو لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام ؛ بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ، ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحصن ، ولم يقتله قتل المرتد ؛ فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة ، وهذا يرجم بالحجارة بلا استتابة . فدل ذلك على أنه وإن نفى عنهم الإيمان ، فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوجهم وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر .

وبسبب الكلام في «مسألة الإعان» تنازع الناس، هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسهاها في اللغة، أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة، لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء؟. وهكذا قالوا في اسم «الصلاة» و « الزكاة» و « الصيام » «والحج» إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي، لكن زاد في أحكامها. ومقصودهم أن الإيمان هو مجرد التصديق، وذلك يحصل بالقلب واللسان. وذهبت طائفة ثالثة إلى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف، فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز، وبالنسبة إلى عرف الشارع حقيقة.

والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة ، كما يستعمل نظائرها ، كقوله تعالى : ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ) فذكر حجاً خاصاً ، وهو حج البيت ، وكذلك قوله : ( فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِاعْتَ مَرَ ) فلم يكن لفظ الحج متناولاً لكل قصد، بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسهمن غير تغيير اللغة ، والشاعر إذا قال:

## وأشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

كان متكلماً باللغة ، وقد قيد : لفظه : بحج سب الزبرقان المزعفر . ومعلوم أن ذلك الحج المخصوص دلت عليه الإضافة ، فكذلك الحج المخصوص الذي أمر الله به دلت عليه الإضافة أو التعريف باللام : فإذا قيل : الحج فرض عليك ، كانت لام العهد تبين أنه حج البيت وكذلك «الزكاة» هي اسم لما تزكو به النفس؛ وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها ، والإحسان إلى الناس من أعظم ما تزكو به النفس ؛ كما قال تعالى : ( خُذُمِنْ أَمُولِكِمْ صَدَقَةً تُطُهِّرُهُمْ وَتُزَكِّهِم عِهَا ) وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به . قال تعالى . ( وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُورَ حَمْتُهُ مُ مَازَكَى مِن مُومِّن أَحَدِ أَبداً ) وأصل زكاتها بالتوحيد وإخلاص الدين لله ؛ قال تعالى : ( وَوَيْلٌ أَلْمُشْرِكِينَ \* الدِّينَ لاَيْوَتُونَ الزَّكَوْة ) وهي عند المفسرين التوحيد ، تعالى : ( وَوَيْلٌ أَلْمُشْرِكِينَ \* الدِّينَ لاَيْوَتُونَ الزَّكَوْة ) وهي عند المفسرين التوحيد ، تعالى : ( وَوَيْلٌ أَلْمُشْرِكِينَ \* الدِّينَ لاَيْوَتُونَ الزَّكَوْة ) وهي عند المفسرين التوحيد ، تعالى : ( وَوَيْلٌ أَلْمُشْرِكِينَ \* الدِّينَ لاَيْوَتُونَ الزَّكُومَة ) وهي عند المفسرين التوحيد .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب، وسماها الزكاة المفروضة؛ فصار لفظ الزكاة إذا عرف باللام ينصرف إليها لأجل العهد، ومن الأسماء مايكون أهل العرف نقلوه وينسبون ذلك إلى الشارع، مثل لفظ «التيمم» فإن الله تعالى قال: (فَتَيَمَّمُواْصَعِيدَاطَيِّبًا فَامَسَحُواْ بِوُجُوهِكُمُ وَأَيدِيكُم مِّنْهُ) فلفظ « التيمم» استعمل في معناه المعروف في اللغة، فإنه أمر بتيمم الصعيد ثم أمر بمسح الوجوه والأيدي منه ؛ فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه هذا المسح ؛ وليس

هو لغة الشارع ، بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي بكون بعده ، ولفظ «الإيمان» أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وكذلك لفظ «الإسلام» بالاستسلام لله رب العالمين ؛ وكذلك لفظ «الكفر» مقيداً ؛ ولكن لفظ «النفاق» قد قيل : إنه لم تكن العرب تكلمت به ، لكنه مأخوذ من كلامهم ، فإن نفق يشبه خرج ، ومنه نفقت الدابة إذا ماتت ، ومنه نفقاء اليربوع ، والنفق في الأرض قال تعالى : ( فَإِنِ السِّمَطَعَتَ النَّبَيْعِي نَفَقافِ نافقاء اليربوع ، والنفق في الأرض قال تعالى : ( فَإِنِ السِّمَطَعَتَ النَّبَيْعِي نَفَقافِ وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك منافقاً عليه ؛ لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول. فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها ؛ وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً .

وقد بين الرسول تلك الخصائص؛ والاسم دل عليها؛ فلا يقال: إنها منقولة، ولا إنه زيد في الحكم دون الاسم؛ بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع؛ لم يستعمل مطلقاً، وهو إنما قال: (أَقِيمُوا الصَّلَوة) بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها؛ فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها؛ لم يرد لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه. ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة: إنه عام للمعنى اللغوي؛ أو إنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحوذلك؛ فأقو الهم ضعيفة، فإن هذا اللفظ إنما ورد خبراً أو أمراً، فالخبر كقوله: (أَرَايَتَ فَا اللّهِ عَبْدًا إِذَاصَلَتَ ) وسورة (آقراً) من أول ما نزل من القرآن، وكان

بعض الكفار إما أبو جهل أو غيره قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال : لئن رأيته يصلى لأطأن عنقه . فلما رآه ساجداً رأى من الهـول ما أوجب نكوصه على عقبيه ؛ فإذا قيل : ( أَرَءَيْتَ الَذِي يَنْهَىٰ \* عَبْدًا إِذَاصَلَىٰ ) فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا إجمال في اللفظ ولاعموم .

ثم إنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي صلى الله عليه وسلم لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة ذلك اليوم ، وكان جبرائيل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم . والمسلمون يأتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم . فإذا قيل لهم : (أقِيمُوا الصَّلَوةَ ) عرفوا أنها تلك الصلاة ، وقيل : إنه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفى النهار ، فكانت أيضاً معروفة ، فلم يخاطبوا باسم من هدده الأسماء إلا ومسماه معلوم عنده . فلا إجمال في ذلك ، ولا يتناول كل ما يسمي حجاً ودعاء وصوماً ، فإن هذا إنما يكون إذا كان اللفظ مطلقاً ، وذلك لم يرد .

وكذلك «الإيمان» و «الإسلام» وقد كان معنى ذلك عندم من أظهر الأمور وإنما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وم يسمعون وقال: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم» ليبين لهم كال هذه الأسماء وحقائقها التي ينبغى أن تقصد لئلا يقتصروا على أدنى مسمياتها، وهذا كما في الحديث الصحيح أنه قال: « ليس المسكين هذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس إلحافاً » فهم كانوا يعرفون المسكين وأنه المحتاج، وكان ذلك

مشهوراً عنده فيمن يظهر حاجته بالسؤال، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يظهر حاجته بالسؤال والناس يعطونه تزول مسكنته بإعطاء الناس له، والسؤال له بمنزلة الحرفة، وهو وإن كان مسكناً يستحق من الزكاة إذا لم يعط من غيرها كفايته، فهو إذا وجد من يعطيه كفايته لم يبق مسكناً، وإنما المسكين المحتاج الذي لايسأل ولا يعرف فيعطى. فهذا هو الذي يجب أن يقدم في العطاء، فإنه مسكين قطعاً، وذاك مسكنته تندفع بعطاء من يسأله، وكذلك قوله: «الإسلام مسكين قطعاً، وذاك مسكنته تندفع بعطاء من يسأله، وكذلك قوله: «الإسلام يكتني بالإقرار بالشهادتين؛ وكذلك الإيمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل، لا يكتني فيه بالإيمان المجمل، ولهذا وصف الإسلام بهذا.

وقد انفق المسامون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر ، وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها ، ونحن إذا قلنا : أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب ، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب ، وأما هذه المبانى ففي تكفير تاركها نزاع مشهور . وعن أحمد : في ذلك نزاع ، وإحدى الروايات عنه : أنه يكفر من ترك واحدة منها ، وهو اختيار أبى بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب . وعنه رواية ثانية : لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ، ورواية ثالثة : لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ، ورابعة : لا يكفر الا بترك الصلاة . وخامسة : لا يكفر بترك شيء منهن . وهذه أقوال معروفة للسلف . قال الحكم بن عتية : من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ، ومن ترك النكاة متعمداً فقد كفر . ومن ترك صوم الزكاة متعمداً فقد كفر . ومن ترك صوم

رمضان متعمداً فقد كفر. وقال سعيد بن جبير: من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله. ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله. ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله. وقال الضحاك: لا ترفع الصلاة إلا بالزكاة. وقال عبد الله بن مسعود: من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له. رواهن أسد بن موسى.

وقال عبد الله بن عمرو: من شرب الخر ممسياً أصبح مشركا، ومن شربه مصبحاً أمسى مشركاً، فقيل لإبراهيم النخعى: كيف ذلك؟ قال: لأنه يترك الصلاة، قال أبو عبد الله الأخنس في كتابه: من شرب المسكر فقد تعرض لترك الصلاة، ومن ترك الصلاة فقد خرج من الإيمان. ومما يوضح ذلك أن جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، كان في آخر الأمر بعد فرض الحج، والحج إنما فرض سنة تسع أو عشر.

وقد اتفق الناس على أنه لم يفرض قبل ست من الهجرة ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر الناس بالإيمان . ولم يبين لهم معناه إلى ذلك الوقت ، بل كانوا يعرفون أصل معناه وهذه المسائل لبسطها موضع آخر .

و (المقصود هذا) أن من نفى عنه الرسول اسم «الإيمان» أو «الإسلام» فلابد أن يكون قد ترك بعض الواجبات فيه وإن بقى بعضها، ولهذا كان الصحابة والسلف يقولون: إنه يكون فى العبد إيمان ونفاق. قال أبو داود السجستانى: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن أبى المقدام عن

أبي يحيى قال: سئل حذيفة عن المنافق. قال: الذي يعرف الإسلام ولا يعمل به. وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن حذيفة قال: القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب الحكافر، وقلب مصفح، وذلك قلب المنافق وقلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق؛ همثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماه طيب؛ ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم؛ فأيهما غلب عليه غاب. وقد روى مرفوعاً؛ وهو في «المسند» مرفوعاً.

وهذا الذي قاله حذيفة بدل عليه قوله تعالى: (هُمُ لِلْكُفْرِيَوْمَ إِذَا أَوْرَبُ مِنْهُمُ لِلْإِيمَانِ) فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب، فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب، وروى عبد الله بن المبارك عن عوف بن أبى جميلة عن عبد الله بن عمرو بن هند عن على بن أبي طالب قال: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيماناً ازداد القلب بياضا، حتى إذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد القلب سواداً، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود في القلب، وأيم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجد تموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجد تموه أسود.

وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. رواه أحمد وغيره وهذا كثير في كلام السلف، يبينون أن القلب قد يكون فيسه

إيمان ونفاق ، والكتاب والسنة بدلان على ذلك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شعب الإيمان ، وذكر شعب النفاق وقال : «من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى بدعها » وتلك الشعبة قد بكون معها كثير من شعب الإيمان ، ولهذا قال : « و يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من أيمان » فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار ، وأن من كان معه كثير من النفاق ، فهو بعذب في النار على قدر ما معه من ذلك ، ثم يخرج من النار .

وعلى هذا فقوله للأعراب: ( لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوٓ الْسَلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فَي قلوبهم وذلك لا يمنع أن في قلوبهم شعبة منه كا نفاه عن الزاني والسارق، ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن لا يأمن جاره بوائقه وغير ذلك كا تقدم ذكره، فإن في القرآن والحديث ممن نفي عنه الإيمان لترك بعض الواجبات شيئا كثيرا.

وحينت فنقول: من قال من السلف: أسلمنا، أي استسلمنا خوف السيف، وقول من قال: هو الإسلام، الجميع صحيح، فإن هذا إنما أراد الدخول في الإسلام والإسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون، فيدخل فيه من كان في قلبه إيمان ونفاق، وقد علم أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله أسود، فهذا هو الذي يكون في الدرك الأسفل من النار، ولهذا كان الصحابة يخشون النفاق على أنفسهم، ولم يخافوا

التكذيب لله ورسوله ، فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقيناً ، وهذا مستند من قال : أنا مؤمن حقاً ، فإنه أراد بذلك ما يعلمه من من نفسه من التصديق الجازم ولكن الإيمان ليس مجرد التصديق بل لابد من أعمال قلبية تستلزم أعمالا ظاهرة كما تقدم فحب الله ورسوله من الإيمان ، وحب ما أمر الله به ، وبغض ما نهى عنه ، هذا من أخص الأمور بالإيمان ، ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أن : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » فهذا يحب الحسنة ويفرح بها ، ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها وإن فعلها بشهوة غالبة ، وهذا الحب والبغض من خصائص ويسوؤه فعلها وإن فعلها بشهوة غالبة ، وهذا الحب والبغض من خصائص

ومعلوم أن الزانى حين يزنى إنما يزنى لحب نفسه لذلك الفعل، فلو قام بقلبه خشية الله التى تقهر الشهوة أو حب الله الذي يغلبها ؛ لم يزن، ولهذا قال تعالى عن يوسف عليه السلام: (كَذَلِكَ لِنَصَّرِفَ عَنْهُ السُّوَ وَالْفَحَشَآءً إِنّهُ وَلَهُذَا قال تعالى عن يوسف عليه السلام: (كَذَلِكَ لِنَصَّرِفَ عَنْهُ السُّوَ وَالْفَحَشَآءً إِنّهُ وَمِنْ عِنْ وَالله عَنْ كان مخلصاً لله حق الإخلاص لم يزن وإنما يزنى لخلوه عن ذلك ، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه لم ينزع منه نفس التصديق ولهذا قيل : هو مسلم وليس بمؤمن ؛ فإن المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصدقاً ، وإلا كان منافقاً ؛ لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الأحوال مصدقاً ، وإلا كان منافقاً ؛ لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الأحوال في الأعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقاً بما جاء به الرسول ، وهو في الأعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقاً بما جاء به الرسول ، وهو

مع ذلك يرائى بأعماله ، ويكون أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد فى سبيله ، وقد خوطب بهذا المؤمنون فى آخر الأمر فى سورة براءة فقيل لهم: ( إِن كَانَءَابَآ وَكُمُ وَأَبْنَآ وُكُمُ وَإِخْوَنُكُمُ وَأَزُوَجُكُمُ وَأَزُوَجُكُمُ وَأَرُوَكُمُ وَأَمُولُ فَقيل لهم : ( إِن كَانَءَابَآ وُكُمُ وَأَبْنَآ وُكُمُ وَإِخْونُكُمُ وَأَزُونَجُكُمُ وَأَزُونَجُكُمُ وَأَرُونُكُمُ وَأَمُولُ فَقيل لهم : ( إِن كَانَءَابَآ وَكُمُ وَأَبْنَا وُكُمُ وَإِخْوَنُكُمُ وَأَرُونَكُمُ وَأَرُونَكُمُ وَأَرُونَكُمُ وَأَرُونَكُمُ وَأَمُولُ وَالله وَله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله والله وَالله وَالله والله والل

وقد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحب إليــه مما سواها ؛ وإنما المؤمن من لم يرتب ، وجاهد عاله ونفسه في سبيل الله ، فمن لم تقم بقلبه الأحوال الواجبة في الإعمان، فهو الذي نفي عنه الرسول الإعان وإن كان معه التصديق، والتصديق من الإيمان، ولا بدأن يكون مع التصديق شيء من حب الله وخشية الله ، و إلا فالتصديق الذي لا يكون معه شيءمن ذلك ليس إيماناً ألبتة ، بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس ، وهذا هو الذي أنكره السلف على الجهمية . قال الحميدي : سمعت وكيعاً يقول : أهل السنة يقولون: الإعمان قول وعمل ، والمرجئة يقولون: الإعان قول. والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة · وفي رواية أخرى عنه: وهذا كفر . قال محمد بن عمر الكلابي: سمعت وكيعاً يقول: الجهمية شر من القدرية ، قال: وقال وكيع: المرجئة: الذين يقولون: الإقرار يجزئ عن العمل؛ ومن قال هذا فقد هلك؛ ومن قال: النية تجزئ عن العمل، فهو كفر، وهو قول جهم، وكذلك قال أحمد بن حنبل.

ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة ، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك ، وقد ذكرنا عن الشافعي – رضى الله عنه – ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله فى «الأم» : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعده ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية السحابة والتابعين من الثلاثة إلا بالآخر ؛ وذكر ابن أبي حاتم – فى «مناقبه» – : سمعت حرملة يقول : اجتمع حفص الفرد ومصلان الأباضى عند الشافعي فى دار الجروي ، فتناظرا معه في الإيمان فاحتج مصلان فى الزيادة والنقصان وخالفه حفص الفرد ، فحمي الشافعي و تقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، فطحن حفصا الفرد ، وقطعه .

وروى أبو عمرو الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: أملى علينا إسحاق بن راهويه أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص الاشك أن ذلك كما وصفنا، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة الحكمة ؛ وآحاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وهلم جرأ على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالعراق ؛ ومالك بن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن، على ما فسرنا وبينا، أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقال إسحاق: من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقت الظهر إلى المغرب،

والمغرب إلى نصف الليل ، فإنه كافر بالله العظيم ، يستتاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال تركها لا يكون كفراً ، ضربت عنقه \_ يعني تاركها . وقال ذلك \_ وأما إذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد ، قال : واتبعهم على ما وصفنا من بعدم من عصرنا هذا أهل العلم ، إلا من بابن الجماعة واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك قوم لا يعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام \_ وله كتاب مصنف في الإيمان ، قال ... : هذه تسمية من كان يقول : الإيمان قول وعمل نزمد وينقص . من أهل مكة : عبيد بن عمير الليثي ، عطاء بن أبي رباح ، مجاهد بن جبر . ابن أبي مليكة ؛ عمرو بن دينار ؛ ابن أبي نجيح ، عبيد الله بن عمر ؛ عبد الله بن عمرو ابن عثمان، عبد الملك بن جريح ، نافع بن جبير ؛ داود بن عبد الرحمن العطار ؛ عبد الله بن رجاء . ومن أهل المدينة : محمد بن شهاب الزهري ، ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أبو حازم الأعرج . سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يحيى بن سعيد الأنصاري ، هشام بن عروة بن الزبير . عبدالله بن عمر العمري ، مالك بن أنس ، محمد بن أبي ذئب ، سليمان بن بلال ، عبد العزيز بن عبد الله \_ يعني الماجشون \_ ، عبد العزيز بن أبي حازم . ومن أهــل اليمن : طاووس اليماني ، وهب بن منبه ، معمر بن راشد ، عبد الرزاق بن هام . ومن أهل مصر والشام: مكحول، الأوزاعي، سعيد بن عبد العزيز، الوليد بن مسلم، يونس بن يزيد الأيلي، يزيد بن أبي حبيب، يزيد بن شريح، سعيد بن آبي أيوب ، الليث بن سـعد ، عبد الله بن أبي جعفر ، معاوية بن أبي صالح ، حيوة

ابن شريح، عبد الله بن وهب . ومن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة: ميمون بن مهران ، يحيى بن عبد الكريم ،معقل بن عبيد الله ، عبيد الله بن عمرو الرقى ، عبد الملك بن مالك ، المعافى بن عمران ، محمد بن سلمة الحراني ، أبو إسحاق الفزاري ، مخلد بن الحسين ، على بن بكار ، يوسف بن أسباط، عطاء بن مسلم ، محمد بن كثير ، الهيثم بن جميل . ومن أهل الكوفة : علقمة , الأسود بن يزيد ، أبو وائل وسعيد بن جبير ، الربيع بن خيم ، عام الشعبي ، إبراهيم النخعي ، الحكم بن عتيبة ، طلحة بن مصرف ، منصور بن المعتمر ، سلمة ابن كهيل ، مغيرة الضبي ، عطاء بن السائب ، إسماعيل بن أبي خالد ، أبو حيان، يحيى بن سعيد ، سليمان بن مهران الأعمش ، يزيد بن أبي زياد ، سفيان بن سعيد الثوري ، سفيان بن عيينة ، الفضيل بن عياض ، أبو المقدام ، ثابت بن العجلان ، ابن شبرمة . ابن أبي ليلى ، زهير ، شريك بن عبد الله ، الحسن بن صالح ، حفص بن غياث ، أبو بكر بن عياش ، أبو الأحوص، وكيع بن الجراح، عبد الله بن غير ، أبو أسامة ، عبد الله بن إدريس ، زيد بن الحباب ، الحسين بنو عبيد.

ومن أهل البصرة: الحسن بن أبي الحسن ، محمد بن سيرين ، قتادة ابن دعامة ، بكر بن عبد الله المزنى ، أيوب السختياني ، يونس بن عبيد ، عبد الله بن عون ، سليمان التيمي ، هشام بن حسان الدستوائي ، شعبة ابن الحجاج ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، أبو الأشهب ، يزيد بن إبراهيم ،

أبو عوانة ، وهيب بن خالد ، عبد الوارث بن سعيد ، معتمر بن سليمان التيمي ، يحيى بن سعيد القطان ، عبد الرحمن بن مهدي ، بشر بن المفضل ، يزيد بن زريع ، المؤمل بن إسماعيل ، خالد بن الحارث ، معاذ بن معاذ بن أبو عبد الرحمن المقري .

ومن أهل واسط : هشيم بن بشير ، خالد بن عبد الله ، علي بن عاصم ، يزيد بن هارون ، صالح بن عمر بن علي بن عاصم .

ومن أهــل المشرق: الضحاك بن مزاحم، أبو جمرة، نصر بن عمران، عبد الله بن المبــارك، النضر بن شميل، جرير بن عبد الحميد الضي.

قال أبو عبيد: هؤلاء جميعاً يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ وهو قول أهل السنة المعمول به عندنا.

قلت: ذكر من الكوفيين من قال ذلك أكثر مما ذكر من غيرهم، لأن الإرجاء في أهل الكوفة كان أولاً فيهم أكثر، وكان أول من قاله حماد ابن أبي سليمان، فاحتاج علماؤها أن يظهروا إنكار ذلك، فكثر منهم من قال ذلك؛ كما أن التجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدوثه من خراسان، كثر من علماء خراسان ذلك الوقت من الإنكار على الجهمية مالم يوجد قط لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع بها، كما جاء في حديث: "إن لله عند كل بدعة يكاد بها الإسلام وأهله من يتكلم بعلامات الإسلام؛ فاغتنموا تلك الحجالس، فإن الرحمة تنزل على أهلها » أو كما قال.

وإذا كان من قول السلف: أن الإنسان بكون فيه إيمان ونفاق ، فكذلك في قولهم: أنه بكون فيه إيمان وكفر ، ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كاقال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: (وَمَن لَمْ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأَوْلَتَهِكُ هُمُ الْكَفْرُونَ ) قالوا: كفروا كفراً لا ينقل عن الملة ، وقد انبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أمّة السنة .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب « الصلاة » : اختلف الناس فى تفسير حديث جبرائيل هذا ، فقال طائفة من أصحابنا : قول النبي صلى الله عليه وسلم : «الإيمان أن تؤمن بالله » وما ذكر معه كلام جامع مختصر له غور وقد وهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه على غير تأويله قلة معرفة منهم بلسان العرب، وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد أعطى جوامع الكلم وفواتحه، واختصر له الحديث اختصاراً . أما قوله : ﴿ إِلاِّ عَانَ أَنْ تؤمن بالله » فأن توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر ، مجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة ، فإذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت مساخطه . وأما قوله : « وملائكته » فأن تؤمن بمن سمى الله لك منهم في كتابه ، وتؤمن بأن لله ملائكة سواهم ، لا يعرف أسماءهم وعددهم إلا الذي خلقهم . وأما قوله : «وكتبه» فأن تؤمن عما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة؛ وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها ، وتؤمن بالفرقان ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب.

إعانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان ، وإيمانك بالفرقان إقرارك به واتباعك ما فيه .

وأما قوله : « ورسله » فأن تؤمن بما سمى الله في كتابه من رسله ، وتؤمن بأنلله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم ، وتؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل. إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإعمانك عحمد إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما عاء به، فإذا اتبعت ماجاء به أديت الفرائض وأحللت الحلال وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات ، وسارعت في الخيرات ، وأما قوله : « واليوم الآخر» فأن تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وبكل ماوصف الله به يوم القيامة . وأما قوله : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » فأن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تقل : لو كان كذا لم يكن كذا ، ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا . قال : فهذا هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

## فعيل

ومما بسأل عنه أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس؛ فلماذا قال: الإسلام هذه الخمس، وقد أجاب بعض الناس بأنهذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيام العبد بها يتم إسلامه، وتركه لها يشعر بأنحلال قيد انقياده.

و «التحقيق » أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً ، الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان . فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين . وهذه هي الخمس ، وما سوى ذلك فإيما يجب بأسباب لمصالح ، فلا يعم وجوبها جميع الناس ؛ بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية ، كالجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ ومايتبع ذلك من إمارة ، وحكم ، وفتيا ، وإقراء ، وتحديث ، وغير ذلك . وإما أن يجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه ، وقد يسقط بإسقاطه . وإذا بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه ، وقد يسقط بإسقاطه . وإذا قضاء الديون ، ورد الغصوب ، والعواري والودائع ، والإنصاف من المظالم من قضاء الديون ، ورد الغصوب ، والعواري والودائع ، والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض ؛ إنما هي حقوق الآدميين، وإذا أبرئوا منها سقطت .

وتجب على شخص دون شخص فى حال دون حال ، لم تجب عبادة محضة لله على كل عبد قادر ؛ ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى ، بخلاف الخسة فإنها من خصائص المسلمين .

وكذلك ما يجب من صلة الأرحام، وحقوق الزوجة، والأولاد والجيران والشركاء ، والفقراء . وما يجب من أداء الشهادة ، والفتيا ، والقضاء ، والإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ؛ كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار ، لو حصلت بدون فعل الإنسان لم تجب ؛ فما كان مشتركا فهو واجب على الكفاية ، وما كان مختصاً فإنما يجب على زيد دون عمرو ، لا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر ســوى الخس ؛ فإن زوجة زيد وأقاربه ليست زوجة عمرو وأقاربه فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا ، بخلاف صوم رمضان ، وحج البيت ، والصلوات الخمس ، والزكاة ؛ فإن الزكاة وإن كانت حقــاً مالياً فإنها واجبة لله ؛ والأصناف الثمانية مصارفها ؛ ولهذا وجبت فيها النيــة ، ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه ، ولم تطلب من الكفار . وحقوق العباد لا يشترط لها النية ، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه برئت ذمته ، ويطالب بها الكفار ، وما بجب حقاً لله تعالى كالكفارات هو بسبب من العبد ، وفيها شوب العقوبات فإن الواجب لله « ثلاثة أنواع » : عبادة محضة كالصلوات ، وعقوبات محضة كالحدود ، وما بشهها كالكفارات. وكذلك كفارات الحج، وما بجب بالنذر فإن ذلك يجب بسبب فعل من العبد ، وهو واجب في ذمته .

وأما « الزكاة » فإنها تجب حقاً لله في ماله . ولهذا بقال: ليس في المال حق سوى الزكاة أي ليس فيه حق بجب بسبب المال سوى الزكاة ، وإلا ففيه واجبات بغير سبب المال، كما تجب النفقات للأقارب، والزوجة، والرقيق والبهائم، ويجب حمل العاقلة، وبجب قضاء الدبون، وبجب الإعطاء في النائبة ويجب إطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية ؛ إلى غير ذلك من الواجبات المالية. لكن بسبب عارض، والمال شرط وجوبها ، كالاستطاعة في الحج ، فإن البدن سبب الوجوب والاستطاعة شرط ، والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه؛ حتى لو لم يكن في بلده من يستحقها حملها إلى بلدة أخرى ، وهي حق وجب لله تعالى . ولهذا قال من قال من الفقهاء : إن التكليف شرط فيها، فلا تجب على الصغير والمجنون. وأما عامة الصحابة والجمهور ، كمالك والشافعي وأحمد ، فأوجبوها في مال الصغير والمجنون ، لأن ما لهما من جنس مال غيرها ووليهما يقوم مقامهما ، نخلاف بدنهما . فإنه إنما يتصرف بعقلهما ؛ وعقلهما ناقص. وصار هذا كما نجب العشر في أرضهما مع أنه إنما يستحقه الثمانية . وكذلك إبجاب الكفارة في مالها. والصلاة والصيام إنما تسقط لعجز العقل عن الإيجاب ، لاسيما إذا انضم إلى عجز البدن كالصغير . وهذا المعنى منتف في المال فإن الولي قام مقامهما في الفهم كما يقوم مقامهما في جميع ما يجب في المال ، وأما بدنهما فلا يجب عليهما فيه شيء .

## فعـــــل

قال محمد بن نصر: واستدلوا على أن الإعان هو ما ذكره بالآيات التي تلوناها عند ذكر تسمية الله الصلاة وسائر الطاعات إيماناً ، واستدلوا أيضاً بما قص الله من إباء إبليس حين عصى ربه في سجدة واحدة أمر أن يسجدها لآدم فأباها . فهل جحد إبليس ربه وهو يقول : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغُويْـكَنِي ﴾ ؟! ويقول : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرُنِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) إعاناً منه بالبعث ، وإعاناً بنفاذ قدرته في إنظاره إياه إلى يوم يبعثون ، وهل جحد أحداً من أنبيائه أو أنكر شيئاً من سلطانه وهو يحلف بعزته ؟ وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة أم بها فأباها؟ قال: واستدلوا أيضاً ما قص الله علينا من نبأ ابني آدم ( إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَنُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمُ يُنْقَبِّلُ مِنَ ٱلْآخَرِ ) إلى قوله: ( فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْحَكِيرِينَ ) قالوا: وهل جحد ربه ؟ وكيف بجحده وهو يقرب القربان ؟ . قالوا : قال الله تعالى : ( إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاللِّينَ اللَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُواْ شَجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكُبُرُونَ ) ولم يقل: إذا ذكروا بها أقروا بها فقط. وقال: ( ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَبَ يَتْلُونَهُ, حَقَّ تِلاَوْتِهِ عَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ) يعني يتبعونه حق اتباعه فإن قيل: فهل مع ما ذكرت من سنة ثابتة ، تبين أن العمل داخل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ؟ قيل: نعم عامة السنن والآثار تنطق بذلك ، منها حديث وفد عبد القيس ؛ وذكر حديث شعبة وقرة بن خالد عن أبي جمرة عن ابن عباس كما تقدم ، ولفظه « آمركم بالإيمان بالله وحده » ثم قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمس ما غنمتم » وذكر أحاديث كثيرة توجب دخول الأعمال في الإيمان مثل قوله في حديث (۱)

ثم قال أبو عبد الله محمد بن نصر : اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فقالت طائفة منهم : إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرجه من الإسلام، ولا يزيل عنه اسمه، وفرقوا بين الإيمان والإسلام، وقالوا: إذا زنى فليس بمؤمن وهو مسلم ، واحتجوا لتفريقهم بين الإسلام والإيمان . بقوله : ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنًا ) الآية ، فقالوا: الإيمان خاص يثبت الاسم به بالعمل مع التوحيد ، والإسلام عام يثبت الاسم بالتوحيد والخروج من ملل الكفر واحتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص، وذكره عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً . فقلت : يا رسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلانا وهو مؤمن. فقال رسولالشُّصلي اللهُ عليه وسلم: «أو مسلم » أعادها ثلاثاً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أو مسلم » ثم قال :

« إنى لأعطي رجالاً وأمنع آخرين وهم أحب إلي منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم فى النار » قال الزهري : فنرى أن الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل.

قال محمد بن نصر : واحتجوا بإنكار عبدالله بن مسعود على منشهد لنفسه بالإيمان فقال: أنا مؤمن . من غير استثناء ، وكذلك أصحابه من بعده ، وجل علماء الكوفة على ذلك . واحتجوا بحديث أبي هريرة : « يخرج منه الإيمان فإن رجع رجع إليه» ، وبما أشبه ذلك من الأخبار ، وبما روى عن الحسن ومحمد بن سيرين أنهما كانا يقولان: مسلم ، ويهابان: مؤمن؛ واحتجوا بقول أبي جعفر الذي حدثناه إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثني أبي، عن فضيل بن بشار ، عن أبي جعفر محمد بن على أنه سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن» ، فقال أبو جعفر : هذا الإسلام ودور دارة واسعة ، وهذا الإيمان ودور دارة صغيرة في وسلط السكبيرة ، فإذا زنى أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُسلِم الناس وآمن عمرو بن العاص» ، حدثنا بذلك يحيى بن يحيى ، حدثنـــا ابن لهيعة عن شريح بن هانئ عن عقبة بن عامر الجهني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص».

وذكر عن حماد بن زيد أنه كان يفرق بين الإيمان والإسلام، فجعل

الإيمان خاصاً والإسلام عاما. قال: فلنا في هؤلاء أسوة وبهم قدوة، مع ما يثبت ذلك من النظر، وذلك أن الله جعل اسم المؤمن اسم ثناء و تزكية ومدحة، أوجب عليه الجنة فقال: ( وَكَانَ بِاللَّهُ وَمِنِينَ رَحِيمًا \* تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ مَسَلَمٌ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهِ فَضَلَا كَبِيرًا) وقال: ( وَيَشِر اللَّهُ وَمِنِينَ بِأَنَّ هُمْ مِن اللَّهِ فَضَلَا كَبِيرًا) وقال: ( وَبَشِر اللَّهُ مِن اللَّهِ فَضَلَا كَبِيرًا) وقال: ( وَبَشِر اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهِ فَضَلَا كَبِيرًا) وقال: ( وَبَشِر اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْهُ وَاللَّهُ وَالْهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَ

قال: ثم أوجب الله النار على الكبائر، فدل بذلك على أن اسم الإعمان زائل عمن أتى كبيرة. قالوا: ولم نجده أوجب الجنمة باسم الإسلام، فثبت أن اسم الإسلام له ثابت على حاله، واسم الإيمان زائل عنه.

فإن قيل لهم في قولهم هذا: ليس الإيمان ضد الكفر ، قالوا: الكفر ضد لأصل الإيمان ، لأن للإيمان أصلاً وفروعاً ، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر ، فإن قيل لهم ؛ فالذين زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم أزال عنهم اسم الإيمان هل فيهم من الإيمان شيء ؟ قالوا: نعم أصله ثابت ، ولولا ذلك لكفروا . ألم تسمع إلى ابن مسعود أنكر على الذي شهد أنه مؤمن ثم قال : لكنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يخبرك أنه قد آمن من جهة أنه صدق ، وأنه لا يستحق اسم المؤمن إذا كان يعلم أنه مقصر ،

لأنه لا يستحق هذا الاسم عنده إلا من أدى ما وجب عليه وانتهى عما حرم عليه من الموجبات للنار التي هي الكبائر .

قالوا: فلما أبان الله أن هذا الاسم بستحقه من قد استحق الجنة ، وأن الله قد أوجب الجنة عليه . وعلمنا أنا قد آمنا وصدقنا ؛ لأنه لا بخرج من التصديق إلا بالتكذيب ؛ ولسنابشاكين ولا مكذبين : وعلمنا أنا عاصون له مستوجبون للعذاب وهو ضد الثواب الذي حكم الله به للمؤمنين على اسم الإعمان ؛ علمنا أنا قد آمنا وأمسكنا عن الاسم الذي أثبت الله عليه الحكم في الجنة وهو من الله اسم ثناء ، وتزكية ، وقد نهانا الله أن نزكي أنفسنا ، وأمرنا بالخوف على أنفسنا ، وأوجب لنا العذاب بعصياننا ، فعلمنا أنا لسنا بمستحقين بأن نتسمى مؤمنين إذ أوجب الله على اسم الإيمان الثناء والتزكية والرأفة والرحمة والمغفرة والجنة ؛ وأوجب على الكبائر النار ، وهذان حكان متضادان .

فإن قيل: فكيف أمسكتم عن اسم الإعان أن تسموا به وأنتم تزعمون أن أصل الإيمان في قلوبكم وهو التصديق بأن الله حق، وما قاله صدق ؟ قالوا: إن الله ورسوله وجماهير المسلمين سموا الأشياء بما غلب عليها من الأسماء ، فسموا الزاني فاسقاً ، والقاذف فاسقاً وشارب الخر فاسقاً ، ولم يسموا واحداً من هؤلاء متقياً ولا ورعاً ؛ وقد أجمع المسلمون أن فيه أصل التقوى والورع ، وذلك أنه يتقي أن يكفر أو يشرك بالله شيئاً . وكذلك يتقي الله أن بترك الغسل من الجنابة أو الصلاة ، ويتقي أن بأتي أمه ، فهو في جميع ذلك متق ، وقد أجمع من الجنابة أو الصلاة ، ويتقي أن بأتي أمه ، فهو في جميع ذلك متق ، وقد أجمع

المسلمون من الموافقين والمخالفين أنهم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً إذا كان يأتي بالفجور ، فلما أجمعوا أن أصل التقى والورع ثابت فيه ، وأنه قد يزيد فيه فرعاً بعد الأصل كتورعه عن إتيان المحارم ، ثم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً مع إتيانه بعض الكبائر ، بل سموه فاسقاً وفاجراً مع علمهم أنه قد أتى ببعض التقى والورع ، فمنعهم من ذلك أن اسم التقى اسم ثناء و تزكية ، وأن الله قدأوجب عليه المغفرة والجنة .

قالوا: فلذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً زانياً. وإن كان في قلبه أصل اسم الإيمان، لأن الإيمان اسم أثني الله به على المؤمنسين وزكاهم به وأوجب عليه الجنة ، فمن ثم قلنا : مسلم ولم نقل : مؤمن ، قالوا : ولو كان أحدمن المسلمين الموحدين يستحق ألا يكون في قلبه إيمان ولا إسلام لكان أحق الناس بذلك أهل النار الذين دخلوها ، فلما وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن الله يقول: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمــان » ثبت أن شر المسلمين في قلبه إيمان ، ولما وجدنا الأمة تحكم عليه بالأحكام التي ألزمها الله للمسلمين ولا يكفرونهم ، ولا يشهدون لهم بالجنة : ثبت أنهم مسلمون إذ أجمعوا أن يمضوا عليهم أحكام المسلمين ، وأنهم لا يستحقون أن يسموا مؤمنين إذكان الإسلام يثبت للملة التي يخرج بها الإنسان من جميع الملل فتزول عنه أسماء الملل إلا اسم الإسلام وتثبت أحكام الإسلام عليه وتزول عنه أحكام جميع الملل.

فإن قال لهم قائل : لِمَ كُم تقولوا : كافر إن شاء الله ، تريدون به كمال الكفر، كما قلتم: مؤمنون إن شاء الله تريدون به كمال الإيمان؟ قالوا: لأن الكافر منكر للحق ، والمؤمن أصل إيمانه الإقرار ، والإنكار لا أول له ولا آخر فتنتظر به الحقائق، والإيمان أصله التصديق، والإقرار ينتظر به حقائق الأداء لما أقر ، والتحقيق لما صدق ؛ ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل ، فسأل أحدها حقه ، فقال : ليس لك عندي حق ، فأنكر وجحد فلم يبق له منزلة يحقق بها ما قال إذا جحد وأنكر ، وسأل الآخر حقه فقال : نعم لك على كذا وكذا ، فليس إقراره بالذي يصل إليه بذلك حقه دون أن يوفيه ؛ فهو منتظر له أن يحقق ما قال بالأداء ويصدق إقراره بالوفاء ، ولو أقر ثم لم يؤد إليه حقه كان كمن جحده في المعنى إذ استويا في الترك للأداء، فتحقيق ما قال أن يؤدى إليه حقه ؛ فإن أدى جزءاً منه حقق بعض ما قال ووفي ببعض ما أقربه . وكلما أدى جزءاً ازداد تحقيقاً لما أقربه . وعلى المؤمن الأداء أبداً عما أقر به حتى يموت. فمن ثم قلنا: مؤمن إن شاء الله ولم نقل: كافر إن شاء الله.

قال محمد بن نصر : وقالت طائفة أخرى من أصحاب الحديث بمثل مقالة هؤلاء ، إلا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر ولإقراره بالله ، وبما قال ولم يسموه مؤمناً . وزعموا أنهم مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر ؛ لا كافر بالله ؛ وقالوا : كفر لا ينقل عن الملة ؛ وقالوا : محال ولكن كافر من طريق العمل . وقالوا : كفر لا ينقل عن الملة ؛ وقالوا : محال أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن »

والكفر ضد الإعان ، فلا يزول عنه اسم الإعان إلا واسم الكفر لازم له لأن الكفرضد الإعان ، إلا أن الكفر كفران : كفر هو جحد بالله وعاقال فذاك ضده الإقرار بالله والتصديق به وعاقال ، وكفر هو عمل فهو ضدالإعان الذي هو عمل ، ألا ترى إلى ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » قالوا : فإذا لم يؤمن فقد كفر ، ولا يجوز غير ذلك إلا أنه كفر من جهة العمل ، إذ لم يؤمن من جهة العمل ، لأنه لا يضيع ما فرض عليه ويرتكب الكبائر إلا من قلة خوفه وإنما يقل خوفه من قلة تعظيمه لله ووعيده ، فقد ترك من الإعان التعظيم الذي صدر عنه الحوف والورع فأقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن إذا لم يأمن جاره بوائقه .

ثم قد روى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وأنه قال: «إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر! فلم يكن كذلك باء بالكفر». فقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بقتاله أخاه كافراً وبقوله له: يا كافر! كافراً؛ وهذه الكلمة دون الزنا، والسرقة، وشرب الخر، قالوا: فأما قول من احتج علينا فزعم أنا إذا سميناه كافراً لزمنا أن يحم عليه بحمم الكافرين بالله، فنستتيه و نبطل الحدود عنه؛ لأنه إذا كفر فقد زالت عنه أحكام المؤمنين وحدوده، وفي ذلك إسقاط الحدود وأحكام المؤمنين على كل أمن أتى كبيرة، فإنا لم نذهب في ذلك إلى حيث ذهبوا ولكنا نقول: للإيمان أصل وفرع، وضد الإعمان الكفر في كل معنى، فأصل الإيمان الإقرار والتصديق الذي والتصديق، وفرعه إكال العمل بالقلب والبدن، فضد الإقرار والتصديق الذي

هو أصل الايمان: الكفر بالله وبما قال، وترك التصديق به وله، وضد الإيمان الذي هو عمل ، وليس هو إقرار ، كفر ليس بكفر بالله ينقل عن الملة؛ ولكن كفر تضييع العمل ، كما كان العمل إيماناً ، وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله ، فلما كان من ترك الإيمان الذي هو إقرار بالله كافراً ، يستثاب ومن ترك الإيمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم، أو ترك الورع عن شرب الخمر والزنا ، قد زال عنه بعض الإيمان ، ولا يجب أن يستتاب عندنا ولا عند من خالفنا من أهل السنة وأهـل البدع ممن قال: إن الإيمان تصديق وعمل ، إلا الخوارج وحدها ، فكذلك لا يجب بقولنا: كافر من جهة تضييع العمل أن يستتاب، ولا تزول عنه الحدود، كما لم يكن بزوال الإيمان الذي هو عمل استتابة ، ولا إزالة الحدود والأحكام عنه · إذ لم يزل أصل الإيمان عنه فكذلك لابجب علينا استتابته وإزالة الحدود والأحكام عنه بإثباتنا له اسم الكفر من قبل العمل ، إذ لم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله أو بما قال .

قالوا: ولما كان العلم بالله إيماناً، والجهل به كفراً، وكان العمل بالفرائض إيماناً، والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر، لأن أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم قد أقروا بالله أول ما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم، ولم يعلموا الفرائض التى افترضت عليهم بعد ذلك، فلم يكن جهلهم بذلك كفراً، ثم أنزل الله عليهم الفرائض، فكان إقراره بها والقيام بها إيماناً، وإنما يكفر من الله عليهم الفرائض، فكان إقراره بها والقيام بها إيماناً، وإنما يكفر من جحدها لتكذبه خبر الله؛ ولو لم يأت خبر من الله، ما كان مجهلها كافراً

وبعد مجيء الخبر ، من لم يسمع بالخبر من المسلمين ، لم يكن بجهلها كافراً . والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر .

قالوا: فمن ثم قلنا: إن ترك التصديق بالله كفر؛ وإن ترك الفرائض مع تصديق الله أنه قد أوجبها كفر؛ ليسبكفر بالله، إنما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل: كفرتني حتي و فعمتى، يريد ضيعت حتى وضيعت شكر نعمتى؛ قالوا: ولنا في هذا قدوة بمن روى عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، إذ جعلوا للكفر فروعاً دون أصله ، لا ينقل صاحبه عن ملة الإسلام، كما أثبتوا للإيمان من جهة العمل فروعا للأصل لا ينقل تركه عن ملة الإسلام، من ذلك قول ابن عباس في قوله: ( وَمَن لَمْ يَحَكُمُ بِمَا أَنزَلَ الله فَأُولَت لِكَهُمُ أَلْكَفِرُونَ ). قال محمد بن نصر: حدثنا ابن يحيى ، حدثنا سفيان ابن عينة عن هشام يعني ابن عروة عن حجير، عن طاووس عن ابن عباس: ( وَمَن لَمْ يَحَكُمُ بِمَا أَنزَلَ الله فَأُولَت لِكَهُمُ الْكَفِرُونَ ) ليس بالكفر الذي يذهبون إليه.

حدثنا محمد بن مجيى ومحمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله : ( وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَتَ بِكَ هُمُ ٱلْكَنْفِرُونَ ) قال هي به كفر ، قال ابن طاووس : وليس كمن كفر بالله و ملائد كمته وكتبه ورسله .

حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس، عن

أبيه ، عن ابن عباس قال : هو به كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبه أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : قلت لابن عباس : ( وَمَن لَدَيَعَكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ) فهو كافر . قال : هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله .

حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاووس عن المه الله عن الملة .

حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن سعيد المكي عن طاووس قال ليس بكفر ينقل عن الملة .

حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

قال محمد بن نصر : قالوا : وقد صدق عطاء ، قد يسمى الكافر ظالماً ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً ، فظم ينقل عن ملة الإسلام ، وظلم لا ينقل . قال الله تعالى : ( الله تعالى ) وذكر حديث ابن مسعود المتفق عليه قال : لما نزلت : ( الله تأو الله توالوا : يني من الله عليه وسلم وقالوا : يني من وقالوا الله عليه وسلم ين الله عليه وسلم وقالوا : النا لم يظلم نفسه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك . ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : ( إك الشِرْك لَظُلُم عَظِيمٌ ) إنما هو الشرك .

حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهال عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان إذ ادخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه ، فدخل ذات يوم فقرأ ، فأتى على هذه الآية ( الذّينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْمِسُوا إِيمَنهُم بِظُلْمٍ ) إلى آخر الآية ، فانتعل وأخذ رداءه ثم أي إلى أبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر أتيت قبل على هذه الآية ( الذينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْمِسُوا إِيمَنهُم بِظُلْمٍ ) وقد نرى أنا نظم ونفعل . فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذلك ، يقول الله : ( إِنَ الشِّرَكَ اَلْهُ المُّرَاكُ الشُرك .

قال محمد بن نصر : وكذلك «الفسق فسقان» : فسق بنقل عن الملة وفسق لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر فاسقاً ، والفاسق من المسلمين فاسقاً ، ذكر الله إبليس فقال : ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِرَيِهِ ) وكان ذلك الفسق منه كفراً ، وقال الله تعالى : ( وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَا أُوبَهُمُ النَّارُ ) يريد الكفار ، دل على ذلك قوله : الله تعالى : ( وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَا أُوبَهُمُ النَّارُ ) يريد الكفار ، دل على ذلك قوله : ( كُلَّمَا أَرَادُوَ أَنَ يَغْرُجُواْ مِنْهَا أُوبِهُمُ النَّارُ ) يريد الكفار ، دل على ذلك قوله : ثَكَلِّبُونَ ) وسمي الفاسق من المسلمين فاسقا ولم يخرجه من الإسلام . والله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَتِ مُّمَ لَرَا أَنْوَا إِنَّ رَبِعَةُ فَهُمَانَةً فَاجْلِدُوهُمْ وَمُنْ فَيهِ كَالُمَ مُنْ الْمُسْقُونَ ) وقال تعالى : و مَن فقالت العلماء و مَن فَضَ فِيهِ كَالْمَ مَنْ فَيهِ كَالْمَرَ فَنْ وَلَا فَسُوقَ وَلَا حِدالَ فِي الْمَعْ فَالْدَ العلماء في تفسير الفسوق ها هنا : هي المعاصى .

قالوا: فلما كان الظلم ظلمين والفسق فسقين ، كذلك الكفر كفران:

(أحدها) ينقل عن الملة ، و (الآخر) لا ينقل عن الملة ، وكذلك الشرك «شركان »: شرك في التوحيد ينقل عن الملة ، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء قال تعالى: ( فَمَنَكَانَيَرْجُواْلِقَاءَرَيِّهِ عَلَيْعُمَلْ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَة رَبِّهِ عَلَيْعُمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَة رَبِّهِ عَلَيْعُمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَة رَبِّهِ عَلَيْهِ وسلم : أَعَدا ) يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الطيرة شرك » .

قال محمد بن نصر : فهذان مذهبان ها في الجملة محكيان عن أحمد بن حنبل في موافقيه من أصحاب الحديث ، حكى الشالنجي إسماعيل بن سعيد أنه سأل أحمد ابن حنبل عن المصر على الكبائر بطلبها بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصيام، هل يكون مصراً من كانت هذه حاله؟ قال: هو مصر، مثل قوله: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام ، ومن نحو قوله: «لايشرب الخرحين بشربها وهو مؤمن، ولايسرق حين بسرق وهو مؤمن » ومن نحو قول ابن عباس في قوله : ( وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَكَيِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ ) فقلت له: ما هذا الكفر ؟ فقال: كفر لا ينقل عن الملة ، مثل الإيمان بعضه دون بعض ، وكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه . وقال ابن أبي شيبة : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : لا بكون مستكمل الإيمان ، يكون ناقصاً من إيمانه قال : وسألت أحمد بن حنبل عن « الإسلام ، والإيمان » فقال : الإيمان قول وعمل ، والإسلام إقرار . قال : وبه قال أبو خيثمة ، وقال ابن أبي شيبة لا يكون الإسلام إلا بإيمان ، ولا إيمان إلا بإسلام.

«قلت»: وقد نقدم تمام الكلام بتلازمهما وإن كان مسمى أحدها ليس هو مسمى الآخر. وقد حكى غير واحد إجماع أهل السنة والحديث على أن الإيمان قول وعمل. قال أبو عمر بن عبد البر فى «التمهيد»: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلاما ذكر عن أبى حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعة لاتسمى إيماناً قالوا إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به ... إلى أن قال:

وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود ابن على والطبري ومن سلك سبيلهم ؛ فقالوا: الإيمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنيـــة الصادقة. قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر. ألا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ... الحديث يريد مستكمل الإيمان ، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك ، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا إلى القبلة وانتحلوا دعوة الإسلام ، من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا

بتلك الأحوال ، واحتج على ذلك ؛ ثم قال : وأكثر أصحاب مالك على أن الإيمان والإسلام شيء واحد.

قال: وأما قول المعتزلة ، فإلا يمان عنده جماع الطاعات ، ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق ؛ لا مؤمن ولا كافر ، وهؤلاء هم المتحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين . . . إلى أن قال: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وعليه جماعة أهل الآثار ؛ والفقهاء من أهل الفتيا في الأمصار وروى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ومعن بن عيسى وابن نافع أنه يزيد وينقص ؛ وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث ، والحمد للله .

ثم ذكر حجج المرجئة ؛ ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ، ونحو ذلك . وبالموارثة وبحديث عبادة : «من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة » وقال : الإيمان حرانب بعضها فوق بعض ؛ فليس ناقص الإيمان ككامل الإيمان . قال الله تعالى : ( إِنَّمَا المُؤمِّنُونَ الّذِينَ إِذَا ذُكِر اللهُ وَجِلَتُ قُلُوبُهُم ) أي حقاً . ولذلك قال : (هُمُ المُؤمِّنُونَ حَقاً ) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من أمنه الناس ؛ والمسلم من سلم المسامون من لسانه ويده » بعني حقاً من أمنه الناس ؛ والمسلم من سلم المسامون من لسانه ويده » بعني حقاً ومن هذا قوله : « أكمل المؤمنين إيماناً » . ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص !

وقوله: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ». وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له» يدل على أن بعض الإيمان أوثق وأكمل من بعض وذكر الحديث الذي رواد الترمذي وغيره: « من أحب لله وأبغض لله » الحديث. وكذلك ذكر أبو عمرو الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة. وقال أبو طالب المكي: مباني الإسلام الحمسة: يعنى الشهادتين ؛ والصلوات الحمس ؛ والزكاة وصيام شهر رمضان ؛ والحج. قال وأركان الإيمان سبعة: يعنى الحمسة المذكورة في حديث جبرائيل، والإيمان بالقدر ؛ والإيمان بالجنة والنار ، وكلاها قد رويت في حديث جبربل كما سنذكر إن شاء الله تعالى.

قال: والإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ؛ والإيمان بكتب الله وأنبيائه والإيمان بالملائكة والشياطين ؛ يعنى \_ والله أعلم \_ الإيمان بالفرق بينهما ؛ فإن من الناس من يجعلهما جنساً واحداً ؛ لكن تختلف باختلاف الأعمال ، كما يختلف الإنسان البر والفاجر ، والإيمان بالجنة والنار ؛ وأنهما قد خلقتا قبل آدم . والإيمان بالبعث بعد الموت ، والإيمان بجميع أقدار الله خيرها وشرها وحلوها ومرها ؛ أنها من الله قضاء وقدراً ومشيئة وحكما ، وأن ذلك عدل منه وحكمة بالغة ؛ استأثر بعلم غيبها ومعنى حقائقها .

قال : وقد قال قائلون : إن الإيمان هو الإسلام ، وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات ، وهذا يقرب من مذهب المرجئة : وقال آخرون : إن

الإسلام غير الإيمان وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتفاير ، وهذا قريب من قول الإباضية ؛ فهذه مسألة مشكلة تحتاج إلى شرح وتفصيل ، فمثل الإسلام من الإيمان ، كمثل الشهادتين إحداها من الأخرى في المعنى والحكم ، فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الأعيان . وإحداها مرتبطة بالأخرى في المعنى والحسكم كشيء واحد ، كذلك الإعان والإسلام أحدهامر تبط بالآخر ، فهما كشيء واحد ، لا إيمان لمن لا إسلام له ؛ ولا إسلام لمن لا إيمان له إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه ، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الإيمان ؛ واشترط للإيمان الأعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك ( فَمَن يَعْمَلُ مِن َ الصَّلِحَنتِ وَهُوَمُؤْمِنٌ ا فَلَاكُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ) وقال في تحقيق الإيمان بالعمل: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ عُمُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُولَتِهِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَى ) فَن كان ظاهره أعمال الإسلامولا يرجع إلى عقود الإيمان بالغيب فهو منافق نفاقاً ينقل عن الملة ومن كان عقده الإيمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافركفراً لا يثبت معه توحيد ؛ ومن كان مؤمناً بالغيب مما أخبرت به الرسل عن الله عاملاً بما أمر الله فهو مؤمن مسلم ؛ ولولا أنه كذلك لـكان المؤمن يجوز ألَّا يسمى مسلماً ؛ ولجاز أن المسلم لا يسمى مؤمناً بالله .

وقد أجمع أهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم؛ وكل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه قال: ومثل الإيمان فى الأعمال كمثل القلب في الجسم لا ينفك أحدها عن الآخر؛ لا يكون ذو جسم حي لا قلب له؛ ولا ذو قلب بغير

جسم؛ فهما شيئان منفردان؛ وها فى الحكم والمعنى منفصلان (1)؛ ومثلهما أيضاً مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة . لا يقال: حبتان لتفاوت صفتهما . فكذلك أعمال الإسلام من الإسلام هو ظاهر الإيمان ؛ وهو من اعمال الجوارح ، والإيمان باطن الإسلام وهو من أعمال القلوب .

وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : « الإسلام علانية ؛ والإيمان في القلب»؛ وفي لفظ : «الإيمان سر» فإلاسلام أعمال الإيمان ؛ والإيمان عقود الإسلام ؛ فلا إيمان إلا بعمل ؛ ولا عمل إلا بعقد . ومثل ذلك مثل العمــل الظاهر والباطن؛ أحدها مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجـوارح؛ ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» أي لا عمل إلا بعقد وقصد ، لأن « إنما » تحقيق للشيء ونفي لما سواه ؛ فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات؛ وعمل القلوب من النيات؛ فمثل العمل من الإيمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام إلابهما ؛ لأن الشفتين تجمع الحروف؛ واللسان يظهر الكلام؛ وفي سقوط أحدها بطلان الكلام؛ وكذلك في سقوط العمل ذهاب الإيمان؛ ولذلك حين عدد الله نعمه على الإنسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله: ﴿ أَلَوْ نَجْعَلَلَّهُ مَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَنَيْنِ ) بمعنى أَلَم نجعله ناظراً متكلما ؛ فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لأنهما مكان له وذكر الشفتين؛ لأن الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم إلا بهما.

ومثل «الإيمان» و « الإسلام » أيضاً كفسطاط قائم فى الأرض له ظاهر (١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب ( مرتبطان )

وأطناب وله عمود فى باطنه ، فالفسطاط مثل الإسلام له أركان من أعمال العلانية والجوارح ، وهي الأطناب التى تمسك أرجاء الفسطاط والعمود الذي فى وسط الفسطاط . مثله كالإيمان لا قوام للفسطاط إلا به ، فقد احتاج الفسطاط إليها ، إذ لا قوام له ولا قوة إلا بهما ، كذلك الإسلام في أعمال الجوارح لا قوام له إلا بالإيمان ، والإيمان من أعمال القلوب لا نفع له إلا بالإسلام ، وهو صالح الأعمال .

و «أيضاً » فإن الله قد جعل ضد الإسلام والإيمان واحداً ، فلو لا أنهما كشيء واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدها واحداً فقال: (كَيْفَيَهُ دِى الله قَوْمًا كَفُرُوا بَعْدَ إِدَا نَتُم مُسْلِمُونَ ) . قَوْمًا كَفُرُوا بَعْدَ إِدَا نَتُم مُسْلِمُونَ ) . فقل ضدها الكفر . قال: وعلى مشل هذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام من صنف واحد ؛ فقال في حديث ابن عمر: «بني الإسلام على خمس » وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس إنهم سألوه عن الإيمان فذكر هذه الأوصاف ، فدل بذلك على أنه لا إيمان باطن إلا بإسلام ظاهر ولا إسلام ظاهر علانية إلا بإيمان سر ، وأن الإيمان والعمل ، قرينان لا ينفع أحدها بدون صاحبه .

قال: فأما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل بين الإيمان والإسلام فإن ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعانى التي وصفناها أن تكون عقوداً من تفصيل أعمال الجوارح مما يوجب الأفعال

الظاهرة التي وصفها أن تكونعلانية ، لا أن ذلك يفرق بين الإسلام والإيمان في المعنى باختلاف و تضاد ، ليس فيه دليل أنهما مختلفان في الحكم ، قال : ويجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن ، فيكون ما ذكره من عقود القلب وصف قلبه ، وما ذكره من العلانية وصف جسمه .

قال: و «أيضاً » فإن الأمة مجتمعة أن العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبريل من وصف الإيمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الإسلام أنه لا يسمى مؤمناً ، وأنه إن عمل بجميع ما وصف به الإسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الإيمان أنه لا يكون مسلماً ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

قلت : كأنه أراد بذلك إجماع الصحابة ومن اتبعهم ، أو أنه لا يسمي مؤمناً في الأحكام ، وأنه لا يكون مسلماً إذا أنكر بعض هذه الأركان ، أو علم أن الرسول أخبر بها ولم يصدقه ، أو أنه لم ير خلاف أهل الأهواء خلافاً ؛ وإلا فأبو طالب كان عارفاً بأقوالهم ، وهذا \_ والله أعلم \_ مراده ، فإنه عقد « الفصل الثالث والثلاثين » في بيان تفصيل الإسلام والإيمان ، وشرح عقود معاملة القلب من مذهب أهل الجماعة ، وهذا الذي قاله أجود مما قاله كثير من الناس ، لكن ينازع في شيئين .

(أحدها): أن المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون معه الإيمان الواجب المفصل المذكور في حديث جبريل.

و (الشانى): أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يطلق مؤمناً دون مسلم في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: « أو مسلم » لكونه ليس من خواص المؤمنين وأفاضلهم ، كأنه يقول : لكونه ليس من السابقين المقربين بل من المقتصدين الأبرار ، فهذان مما تنازع فيهما جمهور العلماء ، ويقولون : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل «أو مسلم» لكونه لم يكن من خواص المؤمنين وأفاضلهم كالسابقين ، المقربين ، فإن هذا لو كان كذلك لكان ينفي الإيمان المطلق عن الأبرار المقتصدين المتقين الموعودين بالجنة بلاعذاب إذا كانوا من أصحاب اليمين، ولم يكونوا من السابقين والمقربين ؛ وليس الأمر كذلك ، بل كل من أصحاب اليمين مع السابقين المقربين ، كلهم مؤمنون موعودون بالجنة بلا عذاب، وكل من كان كذلك فهو [مؤمن] باتفاق المسلمين من أهل السنة، وأهل البدع؛ ولو جاز أن ينفي الإيمان عن شخص لكون غيره أفضل منه إيماناً نفي الإيمان عن أكثر أولياء الله المتقين ، بل وعن كثير من الأنبياء ، وهذا في غاية الفساد ، وهذا من جنس قول من يقول : نفي الاسم لنفي كاله المستحب.

وقد ذكرنا أن مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله ؛ بل هذا الحديث خص من قيل فيه مسلم وليس بمؤمن ، فلا بد أن يكون ناقصاً عن درجة الأبرار المقتصدين أهل الجنة ، ويكون إيمانه ناقصاً عن إيمان هؤلاء كلهم ، فلا يكون قد أتى بالإيمان الذي أمر به هؤلاء كله ، ثم إن كان قادراً على ذلك الإيمان وترك الواجب ، كان مستحقاً للذم ، وإن قدراً نه لا يقدر على ذلك الإيمان الذي انصف به هؤلاء ، كان عاجزاً عن مثل إيمانهم ، ولا يكون هذا وجب عليه ، فهو وإن

دخل الجنة لا يكون كمن قدر أنه آمن إيماناً مجملاً ومات قبل أن يعلم تفصيل الإيمان وقبل أن يتحقق به ويعمل بشيء منه ، فهو يدخل الجنة ، لكن لا يكون مثل أولئك .

لكن قد يقال: الأبرار أهل اليمين م أيضاً على درجات ، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » وقد قال الله تعالى: (لَّا يَسْتَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِ الضَّرَدِ) الآية فدرجة المؤمن القوي في الجنة أعلى وإن كان كل منهما كمل ما وجب عليه ، وقد يريد أبو طالب وغيره بقولهم: ليس هذا من خواص المؤمنين هذا المعنى: أي ليس ايمانه كإيمان من حقق خاصة الإيمان سواء كان من الأبرار أو من المقربين ، وإن لم يكن ترك واجباً لعجزه عنه او لكونه لم يؤمر به ، فلا يكون مذموماً ، ولا يمدح مدح أولئك ، ولا يلزمأن يكون من أولئك المقربين .

فيقال: وهذا أيضاً لا ينفي عنه الإيمان. فيقال: هو مسلم لا مؤمن ، كما يقال: ليس بعالم ولا مفت ، ولا من أهل الاجتهاد ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهذا كثير ، فليس كل ما فضل به الفاضل يكون مقدوراً لمن دونه ، فكذلك من حقائق الإيمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس ، بل ولا أكثرهم ، فهؤلاء يدخلون الجنة ، وإن لم يكونوا ممن "محققوا محقائق الإيمان التي فضل الله بها غيرهم ، ولا تركوا واجباً عليهم وإن كان واجباً على غيرهم ، ولهذا كان من الإيمان غيرهم ، ولهذا كان من الإيمان

ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العلم ، والإسلام الظاهر من جنس العمل ، والإسلام الظاهر من جنس العمل ؛ وقد قال تعالى : ( وَاللَّذِينَ الْهَنَّدَوْا زَادَهُرَّهُدًى وَءَانَاهُمْ تَقُونَهُمْ ) : وقال : ( هُوَالَّذِي َأَنزَلَ السَّكِينَة فِي قُلُوبِ وقال : ( هُوَالَّذِي َأَنزَلَ السَّكِينَة فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانَهُمْ ) .

ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ؛ ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فَضَلًّا مِنْهُ وَجِزَاءَ عَلَى عَمَلَ سَابِقَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَلَوْأَنَّهُمْ فَعَلُواْمَايُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَمُّمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيتًا \* وَإِذَا لَا تَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا آجُرًا عَظِيمًا \* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَطاً مُّسْتَقِيمًا ) كَمَا قال : ( ٱتَّقُواْٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ - يُؤْتِكُمْ كِفَالَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ - وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) وَكَمَا قَالَ: ( أُولَتِيكَ كَتَبَفِ قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوجٍ مِّنْهُ) ولهذا قيل: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم؛ وهذا الجنس غير مقدور للعباد ؛ وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضاً بفضل الله وإعانته وإقداره لهم ؛ لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم ، كالقيام والقعود ، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم ؛ إذا قيــل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على ما لا يقدر عليه غيره فهــذا أيضاً حق وهو من جنس هذا المعنى. قال تعالى : ( إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَيْمِ كَدِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبِتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ) وقد قال: ﴿ إِذَا لَقِيتُهُ فِئَكَةً فَأَثَّبُتُوا ﴾ فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي إلى الملائكة أنهم يفعلونه بالمؤمنين. والمقصود أنه قد بكون من الإيمان مابؤمر به بعض الناس ويذم على تركه ، ولا يذم عليه بعض الناس بمن لا يقدر عليه ، ويفضل الله ذاك بهذا الإيمان ، وإن لم يكن المفضول ترك واجباً ، فيقال : وكذلك في الأعمال الظاهرة بؤمر القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ، ويؤمر بعض الناس بما لا يؤمر به غيره ؛ لكن الأعمال الظاهرة قد يعطى الإنسان مثل أجر العامل إذا كان يؤمن بها ويريدها جهده ، ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » ، وكما قال تعالى : فضًا لَا الله عليه الله المن المؤلورة أولي الفرر » ، وكما قال تعالى : فضًا لَا الله المن أموا لهم وأنفُسِم على القديرين دَرَجة أولى الضرر . »

وفى «الصحيحين» عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزرمثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً». وفي حديث أبى كبشة الأنماري: «ها في الأجر سواء ، وها في الوزر سواء» ، رواه الترمذي وصححه ولفظه: « إنما الدنيا لأربعة: رجل آتاه الله علماً ومالاً فهو يتقى في ذلك المال ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ، يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته ، فأجرها سواء ، وعبد

رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزرها سواء » .

ولفظ ابن ماجه: «مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فهو يقول: لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً ، فهو يختبط في ماله ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته علماً ولا مالا وهو يقول: لو كان لى مثل مال هذا عملت مثل الذي يعمل ، فهما في الوزر سواء ».

كالشخصين إذا تماثلا في إيمان القلوب معرفة وتصديقاً وحباً وقوة وحالا ومقاماً ، فقد بتماثلان ، وإن كان لأحدها من أعمال البدن ما يعجز عنه بدن الآخر ، كما جاء في الأثر: أن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «ليس الشديد ذو الصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» وقد قال: « رأبت كأني أنزع على قليب ، فأخذها ابن أبي قحافة ، فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ، فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ، فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في

يده غرباً ، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى صدر الناس بعطن » ، فذكر أن أبا بكر أضعف ، وسواء أراد قصر مدته أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر ، فلا ربب أن أبا بكر أقوى إيماناً من عمر . وعمر أقوى عملاً منه كما قال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ؛ وقوة الإيمان أقوى وأكمل من قوة العمل ، وصاحب الإيمان بكتب له أجر عمل غيره ، وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لأبى بكر فإنه هو الذي استخلفه .

وفى «المسند» من وجهين عن النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم وزن بالأمة فرجح ، ثم وزن عمر بالأمة فرجح ، ثم وزن عمر بالأمة فرجح ، وكان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الإيمان والعلم ما لم يكن عنده ، فهو قد دعاه إلى ما فعله من خير وأعانه عليه بجهده ، والمعين على الفعل إذا كان يريده إرادة جازمة كان كفاعله ، كا ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من جهز غازياً فقد غزا ، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » وقال : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله » وقال : «من فطر صائماً فله مثل أجره» .

وقد روي الترمذي «من عزى مصاباً فله مثل أجره » وهذا وغيره مما يبين أن الشخصين قد بتماثلان في الأعمال الظاهرة ، بل بتفاضلان وبكون المفضول فيها أفضل عند الله من الآخر ، لأنه أفضل في الإيمان الذي في القلب ، وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب فلا بكون المفضول فيها أفضل عند الله ألبتة ،

وإن كان المفضول لم يهبه الله من الإيمان ما وهبه للفاضل ، ولا أعطي قلبه من الأسباب التي بها ينال ذلك الإيمان الفاضل ما أعطى المفضول (1)، ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض ، وإن كان الفاضل أقل عملاً من المفضول ، كما فضل الله نبينا صلى الله عليه وسلم \_ ومدة نبوته بضع وعشرون سنة \_ على نوح وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وفضل أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على من عمل من أول إلنهار إلى صلاة الظهر ، وعلى من عمل من صلاة الظهر إلى العصر ، فأعطى الله أمة محمد أجرين ، وأعطى كلا من أولئك أجراً أجراً ، لأن الإيمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل ، وكان أولئك أكثر عملاً ؛ وهؤلاء أعظم أجراً ، وهو فضله يؤنيه من يشاء بالأسباب التي تفضل بها عليهم وخصهم بها .

وهكذا سائر من يفضله الله تعالى، فإنه يفضله بالأسباب التى بستحق بها التفضيل بالجزاء، كما يخص أحد الشخصين بقوة ينال بها العلم، وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والإخلاص؛ وغير ذلك مما يفضله الله به، وإنما فضله في الجزاء بما فضل به من الإيمان. كما قال تعالى: ( وَقَالَت طَآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ فَي الجزاء بما فضل به من الإيمان. كما قال تعالى: ( وَقَالَت طَآيَفِهُ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَبِ اَوْنُوا بِاللّهِ مَن الإيمان. كما قال تعالى: ( وَقَالَت طَآيَفِهُ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَبِ اَوْنُوا بِاللّهِ مَن الإيمان. كما قال تعالى: ( وَقَالَت طَآيَقِهُ مِّنْ أَهْلِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللللللللللللللللللللللللللللللل

<sup>(</sup>١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب ( الفاضل )

وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب، وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب، وقد عرف أنه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق.

وإذا كان من الإيمان ما يعجز عنه كثير من الناس و يختص الله به من يشاء فذلك مما يفضلهم الله به ، وذلك الإيمان بنفي عن غيرهم ، لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل ، فإن الذم إيما يكون على ترك مأمور أو فعلل محظور . لكن على ما ذكره أبو طالب . يقال : فمثل هؤلاء مسلمون لا مؤمنون باعتبار ويقال : إنهم مؤمنون باعتبار آخر ، وعلى هذا ينفي الإيمان عمن فاته الكال المستحب ؛ بل الكال الذي يفضل به على من فاته ، وإن كان غير مقدور للعباد بل ينفى عنه الكال الذي وجب على غيره ، وإن لم يكن في حقه لا واجباً ولا مستحباً ، لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ، ولم يعرف في كلامه إلا أن نفي مستحباً ، لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ، ولم يعرف في كلامه إلا أن نفي الإيمان يقتضي الذم حيث كان ، فلا ينفي إلا عمن له ذنب ، فتبين أن قوله : «أو مسلم » توقف في أداء الواجبات الباطنة والظاهرة كما قال جماهير الناس .

ثم طائفة يقولون: قد يكون منافقاً ليس معه شيء من الإيمان، وهم الذين يقولون: الأعراب المذكورون منافقون ليس معهم من الإيمان شيء، وهذا هو القول الذي نصره طائفة، كمحمد بن نصر، والأكثرون يقولون: بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من أعمالهم، وإن كان فيهم شعبة نفاق؛ بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله، ولهذا فيهم مسلمين؛ ولهذا قال: ( أَنْ هَدَكُمُ لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمُ صَلِاقِينَ ) كما

قالوا مثل ذلك فى الزاني والسارق وغيرها ممن نفى عنه الإيمان ، مع أن معه التصديق . وهذا أصح الأقوال الثلاثة فيهم .

وأبو طالب جعل من كان مذموماً لترك واجب، من المؤلفة قلوبهم الذين لم يعطوا شيئاً، وجعل ذلك الشخص مؤمناً غيره أفضل منه. وأما الأكثرون فيقولون: إثبات الإسلام لهم دون الإيمان كإثباته لذلك الشخص كان مسلماً لا مؤمناً كلاهما مذموم، لا لحجرد أن غيره أفضل منه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» ولم يسلب عمن دونه الإيمان. وقال تعالى: ( لَا يَسَتَوِى مِن كُرُمَّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَائلًا أُولَئِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّن ٱلّذِينَ وَقَال تعالى: ( لَا يَسَتَوِى مِن كُرُمَّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَائلًا أُولَئِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّن ٱلّذِينَ وَقَال تعالى: ( لَا يَسَتَوَى مِن كُرُمَّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَائلًا أُولَئِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّن ٱلّذِينَ وَقَال تعالى: ( لَا يَسَتَوَى مِن كُرُمَّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَائلًا أُولَئِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّن ٱللّذِينَ وَاللّذِينَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ

فأثبت الإيمان للفاضل والمفضول، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر» وقال لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة » وكان يقول لمن يرسله في جيش أو سرية: «إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن ننزلهم على حكم الله، فلاتنزلهم على حكم الله، فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم؛ ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك ». وهذه الأحاديث الثلاثة في «الصحيح» وفي حديث سليمان عليه السلام: وأسألك حكماً يوافق حكمك.

فهذه النصوص وغيرها تدل على ما اتفق عليه الصحابة والتابعون لهم

بإحسان أن أحد الشخصين قد يخصه الله باجتهاد يحصل له به من العلم ما يعجز عنه غيره فيكون له أجران ، وذلك الآخر عاجز له أجر ولا إثم عليه ؛ وذلك العلم الذي خص به هذا ، والعمل به باطناً ، وظاهراً زيادة فى إيمانه ، وهو إيمان يجب عليه ، لأنه قادر عليه . وغيره عاجز عنه فلا يجب . فهذا قد فضل بإيمان واجب عليه وليس بواجب على من عجز عنه .

وهذا حال جميع الأمة فيما تنازعت فيه من المسائل الخبرية والعملية إذا خص أحدها بمعرفة الحق فى نفس الأمر مع اجتهاد الآخر وعجزه كلاها محمود مثاب مؤمن ، وذلك خصه الله من الإيمان الذي وجب عليه بما فضله به على هذا ؛ وذلك المخطئ لا يستحق ذماً ولاعقاباً ، وإن كان ذاك لو فعل مافعل ذم وعوقب ، كما خص الله أمة نبينا بشريعة فضلها به ، ولو تركنا مما أمرنا به فيها شيئاً ، لكان ذلك سبباً للذم والعقاب ؛ والأنبياء قبلنا لا يذمون بترك ذلك لكن محمد صلى الله عليه وسلم فضله الله على الأنبياء وفضل أمته على الأمم من غير ذم لأحد من الأنبياء ، ولا لمن اتبعهم من الأمم .

وأيضاً فإذا كان الإنسان لا يجب عليه شيء من الإيمان إلا ما يقدر عليه وهو إذا فعل ذلك كان مستحقاً لما وعد الله به من الجنة ، فلو كان مثل هذا يسمى مسلماً ولا يسمى مؤمناً لوجب أن يكون من أهل الوعد بالجنة من يسمى مسلماً لا مؤمناً كالأعراب ، وكالشخص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم «أو مسلم» وكسائر من نفي عنه الايمان مع أنه مسلم ، كالزاني ، والشارب

والسارق، ومن لا يأمن جاره بوائقه، ومن لا يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه؛ وغير هؤلاء، وليس الأمركذلك.

فإن الله لم يعلق وعد الجنة إلا باسم الإيمان ، لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام وإخباره أنه دينه الذي ارتضاه؛ وأنه لا يقبل ديناً غيره، ومع هذا فما قال: إن الجنة أعدت للمسلمين ، ولا قال: وعد الله المسلمين بالجنة ، بل إنما ذَكَرَ ذَلَكَ باسم الإيمانَ كَقُولُه: ( وَعَدَاللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحَنِّهَا ٱلْأَنَّهَارُ ) فهو بعلقها باسم الإيمان المطلق ، أو المقيد بالعمل الصالح ، كقوله: ( إِنْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُولَيِّكَ هُرْخَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ \* جَزَآؤُهُمْ عِندَرَبِّهُمْ جَنَّكُ عَدْنِ تَجْرِي مِن تَحْيِهَا ٱلْأَنْهَرُ ﴾ وقوله : ﴿ وَبَشِّرِٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَ لَرَّكُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقَا فَالُواْ هَنذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَامِن قَبْلُ ) وقوله: ( إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِلِحَاتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَرَبِّهِمْ وَلاَخُونُ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ ) وقوله: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ فَيُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضَّلِهِ) وقوله: ( فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَأَعْتَصَمُواْ بِهِ عَسَكُيدٌ خِلَّهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَطًا مُّسْتَقِيمًا ) وقوله: ( وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَتِ سَنُدُ خِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَ رُخَلِدِينَ فِهِمَ ٱلْبَدُّ لَمُّ مِهِمَ ٱلْزُورَجُ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْ خِلُهُمْ ظِلَّا ظَلِيلًا وفي الآية الأخرى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ وقال : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ ٱلصَّكِلِحَاتِ فَيُوفِيهِمْ أُجُورَهُمُّ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ) وقال : ( وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرُ عَظِيمٌ ) وقال: ( فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ) وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ
لَانُكُلِّقُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أَوْلَئِهِكَ أَصْعَكُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة ، وبالسلامة من العذاب ، علق باسم الإيمان المطلق، والمقيد بالعمل الصالح، ونحو ذلك؛ وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ، ولم يعلق باسم الإسلام . فلو كان من أتى من الإيمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً ، لكان من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وإن لم يسم مؤمناً ، وليس الأمركذلك، بل الجنة لم تعلق إلا باسم الإيمان، وهذا أيضاً مما استدل بهمن قال: إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام ، كما علق باسم الإيمان وكما علق باسم «التقوى» واسم «البر» في مثل قوله: (إِنَّالُلْنَقِينَ فِيجَنَّتِ وَنَهَرٍ ) وقوله: ( إِنَّالْأَبْرَارَلَفِينَعِيمٍ ) وباسم أُولِياء الله ، كَقُولُه: ( أَلَآ إِنَ أَوْلِيآءَ ٱللَّهِ لَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَعْزَنُونَ \* ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ \* لَهُمُ ٱلْبُشَرَىٰ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَفِ ٱلْآخِرَةِ ۚ لَائْبَدِيلَ لِكِلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ) فلما لم يجر اسم الإسلام هذا المجرى ، علم أن مسماه ليس ملازما لمسمى الإيمان كما يلازمه اسم البر والتقوى وأولياء الله ، وأن اسم الإسلام بتناول من هو من أهل الوعيد وإن كان الله يثيبه على طاعته ، مثل أن يكون في قلبه إيمان، ونفاق يستحق به العذاب، فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار ؛ لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان.

وهكذا سائر أهل الكبائر إيمانهم ناقص ، وإذا كان في قلب أحدم شعبة نفاق عوقب بها إذا لم يعف الله عنه ، ولم يخلد في النار ، فهؤلاء مسلمون وليسوا مؤمنين ومعهم إيمان . لكن معهم أيضاً ما يخالف الإيمان من النفاق ، فلم تكن تسميتهم مؤمنين بأولى من تسميتهم منافقين ، لاسيما إن كانوا للكفر أقرب منهم للإيمان، وهؤلاء يدخلون في اسم الإيمان في أحكام الدنيا، كما يدخل المنافق المحض وأولى ؛ لأن هؤلاء معهم إيمان يدخلون به في خطاب الله ب ( يَتَأَيُّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ) ، لأن ذلك أمر لهم بما ينفعهم ونهي لهم عما يضرهم ، وهم محتاجون إلى ذلك ، ثم إن الإيمان الذي معهم إن اقتضى شمول لفظ الخطاب لهم فلا كلام، وإلا فليسوا بأسوأ حالاً من النافق المحض، وذلك المنافق يخاطب بهذه الأعمال وتنفعه في الدنيا ويحشر بها مع المؤمنين يوم القيامة ، ويتميز بها عن سائر الملل يوم القيامة كما تميز عنهم بها في الدنيا ، لكن وقت الحقيقة يضرب ( فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورِلَّهُ بَاكُ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ \* يُنَادُونَهُمْ ٱلْمُ نَكُن مَّعَكُمْ ۚ قَالُواْ بِلَيْ وَلَلْكِنَّكُمْ فَنَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَربَضَتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّى جَآءَ أَمْنُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُمْ مِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ \* فَالْيُومَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِذَيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأُوكَكُمْ النَّارُّهِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ) وقد قال تعالى: ( إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي ٱلدَّرُكِ ٱلْأَسْفَكِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تِجَدَلَهُمْ نَصِيرًا \* إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَأَعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَتِهِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا ).

فإذا عمل العبد صالحاً لله : فهذا هو الإسلام الذي هو دين الله ، ويكون

معه من الإيمان ما يحشر به مع المؤمنين يوم القيامة ؛ ثم إن كان معه من الذنوب ما يعذب به عذب وأخرج من النار ؛ إذا كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان وإن كان معه نفاق ؛ ولهذا قال تعالى في هؤلاء: ( فَأُولَكِيكَ مَعَ ٱلمُؤْمِنِينَ وَسُوفَ وَإِن كَان معه نفاق ؛ ولهذا قال تعالى في هؤلاء: ( فَأُولَكِيكَ مَعَ ٱلمُؤْمِنِينَ أَجُرًا عَظِيمًا ) فلم يقل : إنهم مؤمنون بمجرد هذا ، إذ لم يذكر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، بل هم معهم ، وإنما ذكر العمل الصالح وإخلاصه لله ، وقال : ( فَأُولَكِيكَ مَعَ ٱلمُؤْمِنِينَ ) فيكون لهم حكمهم .

وقد بين تفاضل المؤمنين في مواضع أخر وإنه من أتى بالإيمان الواجب استحق الثواب ، ومن كان فيه شعبة نفاق وأتى بالكبائر ، فذاكمن أهل الوعيد، وإيمانه ينفعه الله به ؛ ويخرجه به من النار ولو أنه مثقال حبة خردل لكن لا يستحق به الاسم المطلق المعلق به وعد الجنة بلا عذاب . وتمام هذا أن الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب الكفر أو النفاق ، ويسمى مسلماً ، كما نص عليه أحمد .

وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب النفاق ؛ وقد يكون مسلما وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية ، كما قال الصحابة : ابن عباس وغيره : كفر دون كفر . وهذا قول عامة السلف ، وهو الذي نص عليه أحمد وغيره ممن قال في السارق ، والشارب ، ونحوه ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «إنه ليس بمؤمن» . والشارب ، ونحوه ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «إنه ليس بمؤمن» . إنه يقال لهم : مسلمون لا مؤمنون ؛ واستدلوا بالقرآن والسنة على نفي اسم الإيمان مع إثبات اسم الإسلام ، وبأن الرجل قد بكون مسلماً ومعه كفر

لا ينقل عن الملة ، بل كفر دون كفر ، كما قال ابن عباس وأصحابه فى قوله : (وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَت لِكَ هُمُ الْكَنفِرُونَ ) قالوا : كفر لا ينقل عن الملة، وكفر دون كفر ، وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم .

وهذا أيضاً مما استشهد به البخاري في «صحيحه» فإن كتاب «الإيمان» الذي افتتح به «الصحيح» قرر مذهب أهل السنة والجماعة ، وضمنه الرد على المرجئة ، فإنه كان من القائمين بنصر السنة والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وقد انفق العلماء على أن اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين، لأنهم استسلموا ظاهراً. وأتوا بما أتوا به من الأعمال الظاهرة بالصلاةالظاهرة، والزكاة الظاهرة ، والحج الظاهر ، والجهاد الظاهر ، كما كان الني يجري عليهم أحكام الإسلام الظاهر ، واتفقوا على أنه من لم يكن معه شيء من الإيمــان فهو كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَكِلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ . وفيها قراءتان (در ْك ودرك ) قال أبو الحسين بن فارس: الجنة درجات والنار دركات. قال الضحاك: الدرج: إذا كان بعضها فوق بعض. والدرك: إذا كان بعضها أسفل من بعض، فصار المظهرون للإسلام بعضهم في أعلى درجة في الجنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال في الحديث الصحيح : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم سلوا الله ليالوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ننبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شــفاعتي يوم القيامة» وقوله: صلى الله عليه وسلم: « وأرجو أن أكون» مثل قـوله: « إني لأرجو أن أكون أخشى الأمة لله لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده » ولا ربب أنه أخشى الأمة لله وأعلمهم بحدوده.

وكذلك قوله: « اختسأت دءوني شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات لا بشرك بالله شيئاً ». وقوله: « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » وأمثال هذه النصوص ، وكان يستدل به أحمد وغيره على الاستثناء في الإيمان كما نذكره في موضعه .

والمقصود أن خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة ، والمنسافقون في الدرك الأسفل من النار ، وإن كانوا في الدنيا مسلمين ظاهراً تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة ؛ فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمى مسلماً ، إذ ليس هو دون المنافق الحض ، وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان ، بل اسم المنافق أحق به ، فإن ما فيه يباض وسوادوسواده أكثر من بياضه هو باسم الأسود أحق منه باسم الأبيض كما قال تعالى: (هُمُ لِلْكُفْرِيَّوْمَيْدٍ أَقْرَبُ مِنهُم لِلْإِيمَانِ) وأما إذا كان إيمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد ، لم يكن أيضاً من المؤمنين الموعودين بالجنة ، وهذا حجة لما ذكره محمد بن نصر عن أحمد ، ولم أره أنا فيما بلغي من بالجنة ، وهذا حجة لما ذكره الحلال ونحوه . وقال محمد بن نصر : وحكى غير هؤلاء عن أحمد أنه قال : من أتى هذه الأربعة : الزنا والسرقة وشرب الحمر ، والنهبة عن أحمد أنه قال : من أتى هذه الأربعة : الزنا والسرقة وشرب الحمر ، والنهبة التى يرفع الناس فيها أبصارهم إليه ، أو مثلهن أو فوقهن ، فهو مسلم ولا أسميه التي يرفع الناس فيها أبصارهم إليه ، أو مثلهن أو فوقهن ، فهو مسلم ولا أسميه

مؤمناً، ومن أتى دون الكبائر نسميه مؤمناً ناقص الإيمان، فإن صاحب هذا القول يقول: لما نفى عنه النبى صلى الله عليه وسلم الإيمان، نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول لم ينفه إلا عن صاحب كبيرة، وإلا فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنب فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنب للكبائر، لكنه ناقص الإيمان عمن اجتنب الصغائر، فما أتى بالإيمان الواجب، ولكن خلطه بسيئات كفرت عنه بغيرها، ونقصت بذلك درجته عمن لم يأت بذلك.

وأما الذين نفى عنهم الرسول الإيمان ، فننفيه كما نفاه الرسول ، وأولئك وإن كان معهم التصديق وأصل الإيمان فقد تركوا منه ما استحقوا لأجله سلب الإيمان ، وقد يجتمع فى العبد نفاق وإيمان ، وكفر وإيمان ، فالإيمان المطلق عند هؤلاء ما كان صاحبه مستحقاً للوعد بالجنة .

وطوائف «أهل الأهواء» من الخوارج والمعتزلة ، والجهمية والمرجئة ، كراميهم وغير كراميهم يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق ، ومنهم من يدعي الإجماع على ذلك ، وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه الإجماع على ذلك ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع مخالفة صريح المعقول ؛ بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد ، وقالوا : لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ، ومعصية يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محموداً من وجه مذموماً من يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محموداً من وجه مذموماً من

وجه، ولا محبوباً مدعواً له من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً عندهم بل من دخل إحداها لم يدخل الأخرى عندهم، ولهذا أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار . وحكى عن غالية المرجئة أنهم وافقوهم على هذا الأصل، لكن هؤلاء قالوا: إن أهل الكبائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك.

وأما أهل السنة والجماعة والصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ؛ وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامية والكلابية والأشعرية ، والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم ، فيقولون : إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها ، وله حسنات دخل مها الجنة ، وله معصية وطاعة باتفاق ، فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه ؛ لكن تنازعوا في اسمه . فقالت المرجئة : جهميتهم وغير جهميتهم : هو مؤمن كامل الإيمان. وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان، ولو لا ذلك لما عذب، كما أنه ناقص البر والتقوى بانفاق المسلمين وهل بطلق عليه اسم مؤمن ؟ هذا فيه القولان ، والصحيح التفصيل . فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة . قيل : هو مؤمن وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة . قيل : ليس هذا النوع من المؤمنين

الموعودين بالجنة ، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه ، ولهذا قال من قال : هو مؤمن بإيمان فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان ، والذين لا يسمونه مؤمناً من أهل السنة ومن المعتزلة بقولون : اسم الفسوق بنافي اسم الإيمان لقوله : ( بِئْسَ الإَسْمَ الْفَسُوقُ بَعَدَا لَإِيمَانِ ) وقوله : ( أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كُمَن كَانَ فَاسِقًا ) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ».

وعلى هذا الأصل فبعض الناس بكون معه شعبة من شعب الكفر ، ومعه إيمان أيضاً ، وعلى هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسمية كثير من الذنوب كفراً ، مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان فلا يخلد في النار .كقوله « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، وقوله : «لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وهـ ذا مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في « الصحيح » من غير وجه ، فإنه أمر في حجة الوداع أن ينادي به في الناس، فقد سمى من بضرب بعضهم رقاب بعض بلاحق كفاراً ؛ وسمى هذا الفعل كفراً؛ ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَآبِفَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنَـٰتَلُواْ فَأُصَّلِحُواْبَيْنَهُمَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَاٱلْمُؤْمِنُونَإِخْوَةٌ ﴾ فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكلية ، ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة . كما قال بعض الصحابة : كفر دون كفر . وكذلك قوله : « من قال لأخيه يا كافر! فقد باءبها أحدهما » فقد سماه أخاه حين القول ؛ وقد أخبر أن أحدهما باء بها ، فلو خرج أحدها عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه ، بل فيه كفر . وكذلك قوله في الحديث الصحيح: « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وفي حديث آخر: « كفر بالله من تبرأ من نسب وإن دق » وكان من القرآن الذي نسخ لفظه: « لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم » فإن حق الوالدين مقرون بحق الله في مشل قوله: رغبوا عن آبائكم » فإن حق الوالدين مقرون بحق الله في مشل قوله: ( أَنِ الشَّكُرُ لِي وَلِالدَيْكَ إِلَى المصيرُ ) وقوله: ( وَقَضَىٰ رَبُكَ أَلَا تَعْبُدُ وَالْ إِلَا إِيّاهُ وَلِالدِيْنِ إِحْسَناً ) فالوالد أصله الذي منه خلق ، والولد من كسبه . كما قال: ( مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لُهُ وَمَا كَسَبَ ) فالمجد لها شعبة من شعب الكفر، فإنه جحد ( مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لُهُ وَمَا كَسَبَ ) فالمجد لها شعبة من شعب الكفر، فإنه جحد لما منه خلقه ربه ، فقد جحد خلق الرب إياه ، وقد كان في لغة من قبلنا يسمى الرب أباً ، فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ، ولكن ليس هذا كمن جحد الخالق بالكلية ، وسنت كلم إن شاء الله على سائر الأحاديث .

والمقصود هنا ذكر «أصل جامع» تنبى عليه معرفة النصوص، ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنة، فإن الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمى الإيمان والإسلام لكثرة ذكرها، وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلا كثر التكلم فيه، فتكلم به مطلقاً ومقيداً بقيد، ومقيد بقيد آخر في موضع آخر. كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك. ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارده كذلك؛ فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعال عامة، وعلم مأخذ

الشبه أعطى كل ذي حق حقه ، وعلم أن خير الكلام كلام الله ، وأنه لا بيان أتم من بيانه ؛ وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه .

فالمسلمون: سنيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومتفقون على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على أن من أطاع الله ورسوله فإنه يدخل الجنة ؛ ولا يعــذب ، وعلى أن من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ إليه فهو كافر وأمثال هذه الأمور التي هي أصول الدين وقواعد الإيمــان التي اتفق عليها المنتسبون إلى الإسلام والإيمان ، فتنازعهم بعد هذا في بعض أحكام الوعيد أو بعض معانى بعض الأسماء أمر خفيف بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه ، مع أن المخالفين للحق البين من الكتاب والسنة هم عند جمهور الأمة معروفون بالبدعة؛ مشهود عليهم بالضلالة ؛ ليس لهم في الأمة لسان صدق ولا قبول عام ، كالخوارج والروافض والقدرية ونحوه ، وإنما تنازع أهل العلم والسنة في أمور دقيقة تخفي على أكثر الناس؛ ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله. والرد إلى الله ورسوله في « مسألة الإسلام ، والإيمان » يوجب أن كلا من الاسمين وإن كان مسماه واجباً لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمناً ، مساماً . فالحق في ذلك ما بينه النبي على في حديث جبريل، فجعل الدين وأهله « ثلاث طبقات »: أولها : الإسلام ، وأوسطها الإيمان ، وأعلاها الإحسان ، ومن وصل إلى العليا

فقد وصل إلى التي تليها. فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم؛ وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً.

وهكذا جاء القرآن ، فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة . قال تعالى : 
( مُمَّ أَوْرَثِنَا ٱلْكِئَبُ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْ نَامِنْ عِبَادِ نَا فَعِنْهُ مُ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ إِلَّكَ عَرَبَ بِإِذِن ٱللَّهِ قَالِمَ هُو ٱلْفَصْلُ ٱلْكَبِيرُ) فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه ، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك الحرم ؛ والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه . وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد إلى هذه الثلاثة في سورة (الواقعة) و ( المطففين ) و ( هل أتى ) وذكر الكفار أيضاً ، وأما هنا فجعل التقسيم المصطفين من عباده .

وقال أبو سليمان الخطابي: ما أكثر ما يغلط الناس في « هذه المسألة » فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، واحتج بالآية، وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد. فاحتج بقوله: ( فَأَخْرَجْنَامَنَكَانَ فِيهَامِنَ الْمُشَامِينَ » فَاوَجَدْنَافِيهَاغَيْرَبَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) قال الخطابي: وقد فيهامِنَ الْمُمُومِينَ \* فَاوَجَدْنَافِيهَاغَيْرَبَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) قال الخطابي: وقد تحكلم رجلان من أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول واحد من هذين ورد الآخر منهما على المتقدم، وصنف عليه كتاباً ببلغ عدد أوراقه المائتين. قال الخطابي: والصحيح من ذلك، أن يقيد الكلام في هذا، ولا يطلق؛ وذلك الناسلم قد يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن

مسلم فى جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات ، واعتدل القول فيها ، ولم يختلف شىء منها .

«قلت»: الرجلان اللذان أشار إليهما الخطابي، أظن أحدها وهو السابق محمد بن نصر، فإنه الذي عامته بسط الكلام في أن الإسلام والإيمان شيء واحد من أهل السنة والحديث، وما عامت لغيره قبله بسطاً في هذا. والآخر الذي رد عليه أظنه .. (١) لكن لم أقف على رده؛ والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما، كأبي جعفر، وحمد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدى، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره؛ ولا عامت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء، فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان؛ ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كاذ كره الخطابي.

وكذلك ذكر أبو القاسم التيمي الأصبهاني وابنه محمد شارح «مسلم» وغيرها أن المختار عند أهل السنة أنه لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليمه النص ، وقد ذكر الخطابي : في « شرح البخاري » كلاماً يقتضي تلازمهما مع افتراق اسميهما ، وذكره البغوي في « شرح السنة » فقال : قد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس كذلك ، لأن الأعمال ليست من الإيمان

<sup>(</sup>١) بياض بالأصل.

و التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل الجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل جاء كم يعلمكم دينكم » والتصديق والعمل بتناولها اسم الإسلام والإيمان جميعاً ؛ يدل عليه قوله تعالى: ( إِنَّ الدِينَ عِنداً اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) وقوله تعالى: ( وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيناً فَلَن يُقبَلُ مِن أَن الدِين أَن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولا يكون الدين في محل الرضى والقبول إلا بانضام التصديق إلى العمل.

«قلت»: تفريق النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل وإن اقتضى أن الأعلى هو الإحسان والإحسان يتضمن الإيمان، والإيمان يتضمن الإسلام، فلا يدل على العكس ولو قدر أنه دل على التلازم فهو صريح بأن مسمى هذا ليس مسمى هذا ، لكن التحقيق أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران كما قد بيناه، ومن فهم هذا انحلت عنه إشكالات كثيرة فى كثير من المواضع حاد عنها طوائف \_ «مسئلة الإيمان» وغيرها \_ وما ذكره من أن الدين لا يكون فى محل الرضى والقبول إلا بانضهام التصديق إلى العمل، يدل على أنه لا بد مع العمل من الإيمان؛ فهذا يدل على وجوب الإيمان مطلقاً ، لكن لا يدل على أن العمل الذي هو الدين ، ليس اسمه إسلاماً ، وإذا كان الإيمان شرطاً فى قبوله لم يلزم أن يكون ملازماً له ؛ ولو كان ملازماً له لم يلزم أن يكون ملازماً له ؛ ولو كان ملازماً له لم يلزم أن يكون مداه .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: قوله صلى الله عليه وسلم: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله » إلى آخره؛ والإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » إلى آخره. قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الإسلام ومعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده أو انحلاله.

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث، وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان، مقومات ومتمات وحافظات له، ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين، والصلاة والزكاة، والصوم، وإعطاء الحس من المغنم؛ ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة، لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه على الكامل منه في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

واسم «الإسلام» يتناول أيضاً ما هو «أصل الإيمان» وهو التصديق ويتناول «أصل الطاعات» فإن ذلك كله استسلام، قال: فحرج مما ذكرناه وحققناه أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان؛ وأن كل مؤمن مسلم، وليس

كل مسلم مؤمناً ، قال : فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون ؛ وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم .

فيقال: هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة لما قد بين من أقوال الأثمة ، وما دل عليه الكتاب والسنة ما يظهر به أن الجمهور يقولون: كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، وقوله: إن الحديث ذكر فيه أصل الإيمان وأصل الإسلام ، قد يورد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن الإيمان والإسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود ؛ فيكون ماذكره مطابقاً لهما لا لأصلهما فقط ، فالإيمان هو الإيمان بما ذكره باطناً وظاهراً ؛ لكن ماذكره من الإيمان تضمن الإسلام ، كما أن الإحسان تضمن الإيمان .

وقول القائل: أصل الاستسلام هو الإسلام الظاهر فالإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له ظاهراً وباطناً ، فهذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله كادلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، ومن أسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره ، فإنه لم يؤمر أن يشق عن قلوب الناس ، وأيضاً فإذا كان الإسلام يتناول التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ، فيلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً ، وهو خلاف ما نقل عن الجمهور ، ولكن لا بد فى الإسلام من تصديق يحصل به أصل الإيمان ، وإلا لم يثب عليه ؛ فيكون الإسلام من تصديق يحصل به أصل الإيمان ، وإلا لم يثب عليه ؛ فيكون

حينئذ مسلماً مؤمناً ،فلا بدأن بتبين المسلم الذي ليس بمؤمن و دخوله في الإسلام و النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هذا جبريل أناكم يعلمكم دينكم » وقوله: «الإسلام هو الأركان الخمسة » لا يعني به من أداها بلا إخلاص لله بل مع النفاق ، بل المراد من فعلها كما أمر بها باطناً وظاهراً ، وذكر الخمس أنها هي الإسلام لأنها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالى على كل عبد مطيق لها ، وما سواها إما واجب على الكفاية لمصلحة إذا حصلت سقط الوجوب ، وإما من حقوق الناس بعضم على بعض وإن كان فيها قربة ونحو ذلك . وتلك تابعة لهذه كما قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » « وأفضل الإسلام أن تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» ونحو ذلك : فهذه الخس هي الأركان والمباني كما في الإيمان .

وقول القائل: الطاعات ثمرات التصديق الباطن، يراد به شيئان: يراد به أنها لوازم له، فمتى وجد الإيمان الباطن وجدت، وهذا مذهب السلف وأهل السنة، ويراد به أن الإيمان الباطن قد يكون سبباً، وقد يكون الإيمان الباطن تاما كاملاً وهي لم توجد، وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيره، وقد ذكرنا فيا تقدم أنهم غلطوا في ثلاثة أوجه:

( أحدها ) : ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب ، كمحبة الله وخشيته وخوفه والتوكل عليه والشوق إلى لقائه .

و (الثاني): ظنهم أن الإيمان الذي في القلب بكون تاماً بدون العمل الظاهر، وهذا يقول به جميع المرجئة.

و (الثالث): قولهم كل من كفره الشارع فإنما كفره لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى، وكثير من المتأخرين لا يميزون بين مذاهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية؛ لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو فى باطنه يرى رأي الجهمية والمرجئة في الإيمان، وهو معظم للسلف وأهل الحديث فيظن أنه يجمع بينهما أو يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف.

قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: وقالت «طائفة ثالثة» وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: الإعان الذي دعا الله العباد الله وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه فقال: ( وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرُ ) وقال: ( وَرَضِيتُ ضد الكفر الذي سخطه فقال: ( وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرُ ) وقال: ( وَرَضِيتُ لَكُمُّ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً ) وقال: ( فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيكُهُ دِيشَرَحُ صَدِّرُهُ اللِإِسْلَامِ وَقال: ( أَفَمَن شَرَحَ ٱللهُ صَدْرَهُ اللِإِسْلَامِ بَمثل ما مدح به الإيمان. وجعله اسم ثناء وتزكية، فأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى ، وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه ، وما ارتضاه فقد أجبه وامتدحه ، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغبوا فيه إليه وسألوه إياه ، فقال إبراهيم وإسماعيل: ( رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن دُرِّيَتِنَاۤ أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ) وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عِمُ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عِمُ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عَلْمَ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عِمْ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عَلْمَ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عَلْمَ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عِمْ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهُ عِمْ بَنِيهِ وقال يوسف: ( وَوَضَى بِهَا إِنْهِ عَلْمَ بَنِيهِ وقال يوسف : ( وَوَضَى بِهَا إِنْهُ عِمْ بَنِيهِ وقال يوسف : ( وَوَضَى بِهَا إِنْهُ عَلْمَ بَنِهُ وقال يوسف : ( وَوَضَى بِهَا إِنْهُ عَلْمَ بَنِهُ عِلْمَ بَنِهُ وقال يَسْلِمَا وَالْهُ وَالْمُ يَعْمُ بَنِيهِ وقال يُعْلِمُ الْمَالِمُ الْمُ الْمِ عَلَى بَالْهِ وَالْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

وَيَعْقُوبُ يَبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ) وقال فى ( وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْمُحِتَبَ وَالْمُأْمِيَّةِ وَالْمَا لَمْتُ أَفَا لِلَّالَةِ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْ اللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَهِمَ وَإِسْمَعِيلَ موضع آخر: ( قُولُواْ ءَامَنَ ابِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَهِمَ وَإِسْمَعِيلَ مَوضع آخر: ( فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِدِ عَفَدِاهُ مَتَدُواْ ) في مَا الله بأن من أسلم فقد اهتدى ، ومن آمن فقد اهتدى ، فسوى بينهما .

قال: وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان، وأنهما لا يفترقان، ولا يتباينان في موضع غير هذا، فكرهنا إعادته في هذا الموضع كراهة التطويل والتكرير، غير أنا سنذكر من الحجة ما لم نذكره في غيرهذا الموضع، ونبين خطأ تأويلهم، والحجج التي احتجوا بها من الكتاب والأخبار على التفرقة بين الإسلام والإيمان.

«قلت»: مقصود محمد بن نصر المروزي ـ رحمه الله ـ : أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح ؛ وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم فلا بد أن يكون معه إيمان ، وهذا صحيح ، وهو متفق عليه ، ومقصوده أيضاً ، أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان ، وهذا لا يعرف فيه نزاع لفظي ، ومقصوده أن مسمى أحدها هو مسمى الآخر ، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف . وإن قيل : هما متلازمان . فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ، وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم مسمى هذا هو مسمى هذا ، وهو مين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى المين المهورين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى الإسلام المشهورين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى

الإيمان كما نصر؛ بل ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف، ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف أن المؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله، فكل مسلم مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف بل وبين فرق الأمة كلهم يقولون: إن المؤمن الذي وعد بالجنة لا بدأن يكون مسلما، والمسلم الذي وعد بالجنة لا بدأن يكون مؤمناً، وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من الأولين والآخرين فهو مؤمن مسلم.

ثم إن أهل السنة يقولون : الذين يخرجون من النــــار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك ، وإنما النزاع في إطلاق الاسم ، فالنقول متواترة عن السلف بأن الإيمان قول وعمل ، ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في الإسلام ، ولكن كما كان الجمهور الأعظم يقولون: إن الإسلام هو الدين كله اليس هو الكلمة فقط خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري ، فكانوا يقولون : إن الصلاة والزكاة الإيمان ، ظن أنهم يجعلونها شيئاً واحداً ، وليس كذلك ؛ فإن الإيمان مستلزم للإسلام باتفاقهم ، وليس إذا كان الإسلام داخلاً فيــه بلزم أن يكون هو إياه ؛ واما الإسلام فليس معه دليل على أنه يستلزم الإيمان عند الإطلاق، ولكن هل يستلزم الإيمان الواجب أو كمال الإيمان؟ فيه نزاع ، وليس معه دليل على أنه مستلزم للإيمان، ولكن الأنبياء الذين وصفهم الله بالإسلام كلهم كانوا مؤمنين، وقد وصفهم الله بالإيمان ولو لم يذكر ذاك عنهم فنحن نسلم قطعاً أن الأنبياء كلهم مؤمنون .

وكذلك السابقون الأولون كانوا مسلمين مؤمنين.

ولو قدر أن الإسلام يستلزم الإيمان الواجب ، فغاية ما يقال : إنهما متلازمان ، فكل مسلم مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وهذا صحيح إذا أريد أن كل مسلم يدخل الجنــة معه الإيمان الواجب. وهو متفق عليــه إذا أريد أن كل مسلم يثاب على عبادته ، فلا بد أن يكون معـه أصـل الإيمان فحا من مسلم إلا وهو مؤمن · وإن لم يكن هو إلا يمان الذي نفء النبي صلى الله عليه وسلم ، عمن لا يحب لأخيـه ما يحب لنفسـه ، وعمن يفعــل الكبائر ، وعن الأعراب وغيره ، فإذا قيل : إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدها هو الآخر ،كالروح والبدن ، فلا يوجـــد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح ، وليس أحدها الآخر ، فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح ، بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحــدها هو مسمى الآخر ؛ وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح ، فما من بدن حي إلا وفيه روح ، ولكن الأرواح متنوعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف مها ائتلف وما تناكر مها اختلف ، وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منورا بذكر الله والخشوع وفهم القرآن وإن كانت صلاته بشاب عليها ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا، فهكذا الإسلام الظاهر غنزلة الصلاة الظاهرة ، والإيمان غنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبر القرآن ، فكل من خشع قلب

خشعت جوارحه ، ولا ينعكس ، ولهذا قيل : : إياكم وخشوع النفاق ، وهو أن يكون الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحقائقها .

والناس فى «الإيمان ، والإسلام» على ثلاث مراتب : ظالم لنفسه ، ومقتصد وسابق بالخيرات . فالمسلم ظاهراً وباطناً إذا كان ظالماً لنفسه ، فلا بد أن يكون معه إيمان ؛ ولكن لم يأت بالواجب ولا ينعكس ، وكذلك فى الآخر . وسيأتى إن شاء الله .

والآيات التي احتج بها محمد بن نصر تدل على وجوب الإسلام وأنه دين الله ، وأن الله يحبه ويرضاه ، وأنه ليس له دين غيره ، وهـ ذا كله حق ؛ لكن ليس في هذا ما يدل على أنه هو الإيمان ؛ بل ولا يدل على أن بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة ، كما ذكره في حجة القول الأول ، فإن الله وعد المؤمنين بالجنة في غير آية ، ولم يذكر هذا الوعد باسم الإسلام وحينئذ ، فمدحه وإيجابه ومحبة الله له تدل على دخوله في الإيمان؛ وأنه بعض منه، وهذا متفق عليه بين أهل السنة كلهم يقولون: كل مؤمن مسلم، وكل من أتى بالإيمان الواجب فقد أتى بالإسلام الواجب لكن النزاع في العكس؛ وهذا كما أن الصلاة يحبها الله ويأمر بها ويوجبها ويثني عليهـا وعلى أهلها في غير موضع ، ثم لم يدل ذلك على أن مسمى الصلاة مسمى الإيمان ، بل الصلاة تدخل في الإيمان، فكل مؤمن مصل، ولا يلزم أن يكونكل من صلى وأتى الكائر مؤمناً.

وجميع ما ذكره من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن فيها التفريق بين مسمى الإيمان والاسلام إذا ذكرا جميعاً ، كما في حديث جبريل وغيره وفيها أيضاً أن اسم الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. قال أبو عبد الله بن عامد في كتابه المصنف في « اصول الدين »:

قد ذكرنا أن الإعمان قول وعمل ، فأما الإسلام فكلام أحمد يحتمل روايتين : (إحداها) أنه كالإعمان . (والثانية) : أنه قول بلا عمل . وهو نصه في رواية إسماعيل بن سعيد ، قال : والصحيح أن المذهب رواية واحدة أنه قول وعمل ، ويحتمل قوله : إن الإسلام قول يريد به أنه لا يجب فيه ما يجب في الإيمان من العمل المشروط فيه لأن الصلاة ليست من شرطه ، إذ النص عنه أنه لا يكفر بتركه الصلاة .

قال: وقد قضينا أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين ، وذكرنا اختلاف الفقهاء ، وقد ذكر قبل ذلك أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين مختلفين ، وبه قال مالك ، وشريك ، وحماد بن زيد ، بالتفرقة بين الإسلام والإيمان ، قال : وقال أصحاب الشافعي ، وأصحاب أبي حنيفة : إنهما اسمان معناها واحد ، قال : ويفيد هذا أن الإيمان قد تنتني عنه تسميته مع بقاء الإسلام عليه ، وهو بإتيان الكبائر التي ذكرت في الخبر ، فيخرج عن تسمية الإيمان ، إلا أنه مسلم ؛ فإذا تاب من ذلك عاد إلى ما كان عليه من الإيمان . ولا تنتني عنه تسمية الإيمان بارتكاب الصغائر من الذنوب ، بل الاسم باق عليه ، ثم ذكر أدلة ذلك ، ولكن ما ذكره

فيه أدلة كثيرة على من يقول: الإسلام مجرد الكلمة ، فإن الأدلة الكثيرة تدل على أن الأعمال من الإسلام ؛ بل النصوص كلها تدل على ذلك ، فمن قال: إن الأعمال الظاهرة المأمور بها ليست من الإسلام ، فقوله باطل ، بخلاف التصديق الذي في القلب ، فإن هذا ليس في النصوص ما يدل على أنه من الإسلام ، بل هو من الإيمان ، وإنما الإسلام الدين ، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسلم وجهه وقلبه لله ، فإخلاص الدين لله إسلام ، وهذا غير التصديق ، ذاك من جنس عمل القلب ، وهذا من جنس علم القلب .

وأحمد بن حنبل، وإن كان قد قال في هذا الموضع: إن الإسلام هو البع هنا الكلمة، فقد قال في موضع آخر: إن الأعمال من الإسلام، وهو انبع هنا الزهري رحمه الله، فإن كان مراد من قال ذلك، إنه بالكلمة يدخل في الإسلام ولم يأت بتمام الإسلام، فهذا قريب. وإن كان مراده أنه أتي بجميع الإسلام وإن لم يعمل فهذا غلط قطعاً، بل قد أنكر أحمد هذا الجواب، وهو قول من قال: يطلق عليه الإسلام وإن لم يعمل، متابعة لحديث جبريل، فكان بنبغي أن يذكر قول أحمد جميعه.

قال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن الإسلام والإيمان فقال: «الإيمان » قول وعمل ، والإسلام الإقرار . وقال: وسألت أحمد عمن قال في الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم إذ سأله عن الإسلام ، فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ فقال: نعم . فقال قائل: وإن لم يفعل الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو مسلم أيضاً ؟ فقال: هذا معاند للحديث .

فقد جعل أحمد من جعله مسلماً إذا لم يأت بالخمس معانداً للحديث ، مع قوله: إن الإسلام الإقرار ، فعل ذلك على أن ذلك أول الدخول في الإسلام ، وأنه لا يكون قائماً بالإسلام الواجب حتى بأتي بالخمس، وإطلاق الاسم مشروط بها ، فإنه ذم من لم يتبع حديث جبريل . وأيضاً فهو في أكثر أجوبت يكفر من لم يأت بالصلاة ؛ بل و بغيرها من المباني ، والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين، فعلم أنه لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل ؛ وإن قدر أنه أراد ذلك ، فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المباني الأربعة . وأكثر الروايات عنه فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المباني الأربعة . وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك ، والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يجعلونها من الإسلام ، كالشافعي ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فكيف لا يجعلها أحمد من الإسلام ؟! وقوله في دخولها في الإسلام أقوى من قول غيره . وقد روى عنه أنه جعل حديث سعد معارضاً لحديث عمر ، ورجح حديث سعد .

قال الحسن بن على : سألت أحمد بن حنبل عن الإيمان أوكد أو الإسلام؟ قال : جاء حديث عمر هذا، وحديث سعد أحب إلى . كأنه فهم أن حديث عمر يدل على أن الأعمال هي مسمى الإسلام، فيكون مسهاه أفضل . وحديث سعد يدل على أن مسمى الإيمان أفضل ، ولكن حديث عمر لم يذكر الإسلام الا الأعمال الظاهرة فقط ؛ وهذه لا تكون إيماناً إلا مع الإيمان الذى فيكون حينئذ بعض الإيمان ، فيكون فيكون حينئذ بعض الإيمان ، فيكون مسمى الإيمان أفضل كا دل عليه حديث سعد ، فلا منافاة بين الحديثين .

وأما تفريق أحمد بين الإسلام والإيمان ، فكان يقوله تارة ، وتارة يحكي

الخلاف ولا يجـزم به . وكان إذا قرن بينهما « تارة » بقول الإسلام الكلمة . « وتارة » لا يقول ذلك وكذلك التكفير بترك المباني ، كان تارة يكفر بها حتى يغضب ؛ وتارة لا يكفر بها . قال الميموني : قلت : يا أبا عبد الله تفرق بين الإسلام والإعـان ؟ قال : نعم . قلت بأي شيء تحتج ؟ قال : عامة الأحاديث تدل على هذا ، ثم قال : « لا يزي الزاني حين يزى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » وقال الله تعالى : ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ عَلَى الله على الإسلام والإعان . قال : وحماد بن زيد يفرق بين الإسلام والإعان . قال : وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال : قال مالك وشريك ، وذكر قولهم وقول حماد بن زيد : فرق بين الإسلام والإعان .

قال أحمد: قال لي رجل: لو لم يجئنا في الإيمان إلا هذا لكان حسناً. قلت لأبي عبد الله: فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن؟ قال: نعم. قلت فإذا كانت المرجئة يقولون: إن الإسلام هو القول. قال: هم يصيرون هذا كله واحداً، ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبربل ومستكمل الإيمان. قلت: فمن ههنا حجتنا عليهم؟ قال: نعم. فقد ذكر عنه الفرق مطلقاً واحتجاجه بالنصوص.

وقال صالح بن أحمد: سئل أبي عن الإسلام والإيمان قال: قال ابن أبى ذئب: الإسلام: القول ، والإيمان: العمل . قيل له: ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان، وذكر حديث سعد، وقول النبي صلى الله عليه وسلم .

فهو فى هذا الحديث لم يختر قول من قال: الإسلام: القول؛ بل أجاب بأن الإسلام غير الإيمان ، كما دل عليه الحديث الصحيح مع القرآن.

وقال حنبل: حدثنا أبو عبد الله بحديث بريدة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بسكم لا حقون » ... الحديث. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول في هذا الحديث: حجة على من قال: الإيمان قول. فمن قال: أنا مؤمن [ فقد خالف ] قوله: من المؤمنين والمسلمين. فبين المؤمن من المسلم، ورد على من قال: أنا مؤمن مستكمل الإيمان، وقوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » وهو يعلم أنه ميت يشد قول من قال: أنا مؤمن إن شاء الله بكم لاحقون » وهو يعلم أنه ميت يشد قول من قال: أنا مؤمن إن شاء الله بكم لاحقون » وهو يعلم أنه ميت يشد قول من قال: أنا مؤمن إن شاء الله بالاستثناء في هذا الموضع.

وقال أبو الحارث سألت: أباعبد الله قلت: قوله: «لا يزى الزانى حين يزى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخرحين بشربها وهو مؤمن ». قال: قدنأولوه فأما عطاء فقال: يتنحى عنه الإيمان. وقال طاووس: إذا فعل ذلك زال عنه الإيمان. وروي عن الحسن قال: إن رجع راجعه الإيمان. وقد قيل: يخرج من إلايمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام. وروى هذه المسألة صالح فإن مسائل أبى الحارث يرويها صالح أيضاً. وصالح سأل أباه عن هذه القصة فقال فيها: هكذا يروى عن أبي جعفر قال: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » قال: يخرج من الإسلام، فالإيمان مقصور فى الإسلام،

فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام. قال الزهري \_ بعنى \_ لما روى حديث سعد: «أو مسلم » فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل قال أحمد: وهو حديث متأول والله أعلم.

فقد ذكر أقوال التابعين ولم يرجح شيئاً ، وذلك والله أعلم لأن جميع ما قالوه حق ، وهو يوافق على ذلك كله ، كما قد ذكر في مواضع أخر أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، ونحو ذلك . وأحمد وأمثاله من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره ؛ بل التأويل عندم مثل التفسير ، وبيان ما يؤول إليه اللفظ ، كقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ومحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن ، وإلا فما ذكره التابعون لا مخالف ظاهر الحديث بل يوافقه ، وقول أحمد يتأوله ، أى يفسر معناه ؛ وإن كان ذلك يوافق ظاهره لئلا يظن مبتدع أن معناه أنه صار كافراً لا إيمان معه بحال ؛ كما تقوله الخوارج فإن الحديث لا يدل على هذا ؛ والذي نفى عن هؤلاء الإيمان كان يجعلهم مؤمنين .

قال المروذي: قيل لأبي عبد الله: نقول نحن المؤمنون؟ فقال: نقول: نحن المسلمون. قلت لأبي عبد الله: نقول: إنا مؤمنون. قال: ولكن نقول: إنا مسلمون. وهذا لأن من أصله الاستثناء في الإيمان، لأنه لا يعلم أنه مؤد لجميع ما أمره الله به، فهو مثل قوله: أنا بر، أنا تقى، أنا ولي الله؛ كما يذكر في

موضعه ؛ وهذا لا يمنع ترك الاستثناء إذا أراد: إلي مصدق ، فإنه يجزم بما في قلبه من التصديق ؛ ولا يجزم بأنه ممثل لكل ما أمر به ؛ وكما يجزم بأنه يحب الله رسوله ، فإنه ببغض الكفر ، ونحو ذلك مما يعلم أنه في قلبه ؛ وكذلك إذا أراد بأنه مؤمن في الظاهر ؛ فلا يمنع أن يجهزم بما هو معلوم له ؛ وإنما يكره ما كرهه سائر العلماء من قول المرجئة إذ يقولون : الإعمان شيء متماثل في حميع أهله ، مثل كون كل إنسان له رأس ؛ فيقول أحدم : أنا مؤمن حقاً وأنا لي وأنا مؤمن عند الله ، ونحو ذلك ؛ كما يقول الإنسان : لي رأس حقاً ، وأنا لي رأس في علم الله حقاً ؛ فمن جزم به على هذا الوجه ، فقد أخرج الأعمال والناطنة والظاهرة عنه ؛ وهدذا منكر من القول وزور عند الصحابة والتابعين ، ومن انبعهم من سائر المسلمين ؛ وللناس في «مسألة الاستثناء » كلام يذكر في موضعه .

فيقال: بل يدل على نقيض ذلك ، لأن القوم لم يقولوا: أسلمنا ؛ بل قالوا: آمنا والله أمرهم أن يقولوا: أسلمنا ، ثم ذكر تسميتهم بالإسلام فقال: ( بَلِٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىكُمْ لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ) في قولكم: آمنا ، ولو كان الإسلام هو الإيمان لم يحتج أن يقول: ﴿ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فإنهم صادقون في قولهم: (أَسُلَمْنَا) مع أنهم لم يقولوا، ولكن الله قال: ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ أَسْلَمُواًّ قُل لَا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسَلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم ) أي: يمنون عليك ما فعلوه من الإسلام، فالله تعالى سمي فعلهم إسلاماً ، وليس في ذلك ما يدل على أنهم سموه إسلاماً ؛ وإنما قالوا: آمنا ثم أخبر أن المنة تقع بالهداية إلى الإيمان ، فأما الإسلام الذي لا إيمان معه ، فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف ؛ فلا منة لهم بفعله وإذا لم يمن الله عليهم بالإيمان كان ذلك كإسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم. فأما إذا كانوا صادقين في قولهم: آمنا ، فالله هو المان عليهم بهذا الإيمان وما يدخل فيه من الإسلام ، وهو سبحانه نفي عنهم الإعان أولاً ، وهنا علق منة الله به على صدقهم ، فدل على جواز صدقهم .

وقد قيل: إنهم صاروا صادقين بعد ذلك ، ويقال: المعلق بشرط لا يستلزم وجود ذلك الشرط، ويقال: لأنه كان معهم إيمان ما . لكن ما هو الإيمان الذي وصفه ثانياً؟ بل معهم شعبة من الإيمان.

قال محمد بن نصر : وقال الله تعالى : ﴿ وَمَاۤ أُمِرُوۤ اْ إِلَّالِيَعَبُدُوا اللهَ تُعْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الآية وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْ دَاللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ فسمى إقام الصلاة وإيتاء

الزكاة ديناً قيما وسمى الدين إسلاما ، فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم الذي أخبر الله أنه عنده الدين وهو الإسلام \_ بعضا . قال : وقد جاء معينا هذه الطائفة التي فرقت بين الإسلام والإيمان على أن الإيمان قول وعمل ، وأن الصلاة والزكاة من الإيمان وقد سماها الله دينا ، وأخبر أن الدين عنده الإسلام فقد سمى الله الإسلام عاسمى به الإيمان ، وسمى الإيمان عاسمى به الإسلام ، وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم . فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة ، ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل .

فيقال: أما قوله إن الله جعل الصلاة والزكاة من الدين ، والدين عنده هو الإسلام ، فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل ، ورده على من جعل العمل خارجا من الإسلام كلام حسن ، وأما قوله : إن الله سمى الإيمان باسمى به الإيمان فليس كذلك ، فإن الله إنما قال : إلاسلام وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان فليس كذلك ، فإن الله إنما قال : ولكن (إنَّ الدِين عند الله الإيمان ؛ ولكن هذا الدين من الإيمان ، وليس إذا كان منه يكون هو إياه ؛ فإن الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه ، وقوله ؛ والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهما . وأما الإسلام فهو عمل محض مع قول ، والعلم والتصديق ليس جزء مسماه ، لكن يلزمه جنس التصديق فلا يكون عمل إلا بعلم لكن لا يستلزم الإيمان المفصل الذي بينه الله ورسوله ، كما قال تعالى : بعلم لكن لا يستلزم الإيمان المفصل الذي بينه الله ورسوله ، كما قال تعالى :

فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أَوْلَكِيْكَ هُمُ ٱلصَّكِدِقُونَ) وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ ذَادَتْهُمْ إِيمَنْ اوَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكِّمُلُونَ ﴾ .

وكذا سائر النصوص التي تنفي الإيمان عمن لم يتصف بما ذكره ، فإن كثيراً من المسلمين مسلم باطنا وظاهراً ومعه تصديق مجمل ، ولم يتصف بهذا الإعان ، وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ والله تعالى قال: ( ( وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ) ولم يقل : ومن يبتغ غير الإسلام علماً ومعرفة وتصديقاً وإيماناً ، ولا قال : رضيت لكم الإسلام تصديقاً وعلماً ، فإن الإسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع ؛ فمن ابتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، والإيمان طمأنينة ويقين ، أصله علم وتصديق ومعرفة والدين تابع له ، يقال : آمنت بالله وأسلمت لله . قال موسى : ( يَفَوُّم إِن كُنْتُمْ ءَامَنهُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓ أَ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ) فلو كان مسهاها واحداً كان هذا تكريراً ، وكذلك قوله: (إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ قال: والصادقين والصابرين والخاشعين: فالمؤمن متصف بهذا كله ، لكن هذه الأسماء لا تطابق الإيمان في العموم والخصوص ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك ما كمت » كما ثبت في « الصحيحين » أنه كان يقول ذلك إذا قام من الليل ، وثبت في « صحيح مسلم » وغيره أنه كان يقول: في سجوده: « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت » وفي الركوع بقول : « لك ركعت ولك

أسلمت وبك آمنت » ولما بين النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كل منهما قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » ومعلوم أن السلامة من ظلم الإنسان غير كونه مأموناً على الدم والمال ، فإن هذا أعلى ، والمأمون يسلم الناس من ظلمه وليس من سلموا من ظلمه يكون مأموناً عندم .

قال محمد بن نصر: فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار ، وأن العمل ليس منه ، فقد خالف الكتاب والسنة . وهذا صحيح ؛ فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام . قال : ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل .

فيقال: بل بينهما فرق، وذلك أن هؤلاء الذين قالوه من أهل السنة كالزهري ومن وافقه بقولون: الأعمال داخلة في الإيمان، والإسلام عنده جزء من الإيمان والإيمان عنده أكمل، وهذا موافق للكتاب والسنة. ويقولون: الناس بتفاضلون في الإيمان وهذا موافق للكتاب والسنة، و المرجئة يقولون: الإيمان بعض الإسلام والإسلام أفضل؛ ويقولون إيمان الناس متساو فإيمان الصحابة وأفجر الناس سواء، ويقولون: لا يكون مع احد بعض الإيمان دون بعض، وهذا مخالف للكتاب والسنة.

وقد أجاب أحمد عن هذا السؤال كما قاله في إحدى روايتيه: إن الإسلام هو الكلمة. قال الزهري: فإنه تارة يوافق من قال ذلك ، وتارة لايوافقه،

بل يذكر ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الإسلام غير الإيمان ؛ فلما أجاب بقول الزهري قال له الميموني : قلت ياأبا عبدالله ! تفرق بين الإسلام والإيمان ؟ قال : نعم ؛ قلت : بأى شيء تحتج ؟ قال : عامة الأحاديث تدل على هذا ، ثم قال : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » وقال تعالى : ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَا قُلُلَمْ تُوَمِئُوا وَلَكِن قُولُوا السَّلَم عَلَى الله : فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن ؟ قال : فعم ، قلت : فإذا كانت المرجئة تقول : إن الإسلام هو القول ، قال : هم يصيرون هذا كله واحداً و يجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ، ومستكل الإيمان ؛ قلت : فن ههنا حجتنا عليهم ؟ قال : نعم . فقد أحاب أحمد : بأنهم يجعلون الفاسق مؤمناً مستكمل الإيمان على إيمان جبريل .

وأما قوله: يجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً، فهذا قول من يقول: الدين والإيمان شيء واحد، فالإسلام هو الدين، فيجعلون الإسلام والإيمان شيئاً وحداً؛ وهذا القول قول المرجئة فيما يذكره كثير من الأعة، كالشافعي وأبي عبيد وغيرها، ومع هؤلاء يناظرون، فالمعروف من كلام المرجئة: الفرق بين لفظ الدين والإيمان، والفرق بين الإسلام والإيمان، ويقولون: الإسلام بعضه إيمان وبعضه أعمال، والأعمال منها فرض ونفل، ولكن كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل إليهم من كلام أهل البدع كما تجدم في الجهمية؛ إما يحكون عنهم أن الله في كل مكان، وهذا قول طائفة منهم كالنجارية، وهو قول عوامهم عنهم أن الله في كل مكان، وهذا قول طائفة منهم كالنجارية، وهو قول عوامهم

وعبادهم ، وأما جمهور نظارهم من الجهمية ، والمعتزلة ، والضرارية ، وغيرهم ، فإنما يقولون : هو لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو فوق العالم .

وكذلك كلامهم في «القدرية» يحكون عنهم إنكارالعلم والكتابة، وهؤلاء هم القدرية الذين قال ابن عمر فيهم: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى بريء منهم وأنهم برءاء مني، وهم الذين كانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه بمن يعصيه، ولا من يدخل الجنة بمن يدخل النارحي فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه! ولهذا قالوا: الأمر أنف، أي: مستأنف؛ يقال: روض أنف إذا كانت وافرة لم ترع قبل ذلك، يعني أنه مستأنف العلم بالسعيد والشقي، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتباب، فلا يكون العمل على ما قد قدر فيحتذي به حذو القدر، بل هو أمر مستأنف مبتدأ، والواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله مبتدأ، والواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله مبتدأ، والواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله مبتدأ ، والواحد من الناس خلقاً، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبع ض الناس بخلق ثم لا يفري

يقول: إذا قدرت أمراً أمضيته وأنفذته ، بخلاف غيرك فإنه عاجز عن إمضاء ما يقدره ، وقال تعالى : ( إِنَّاكُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ) وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون ، وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده ، وعلمه وإرادته قائم بنفسه ، وقد بتكلم به ويخبر به كما في قوله : ( لَأَمْلَأَنَ

جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ) وقال: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلُ مُسَمَّى ) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَامِنُنَا لِعِبَادِنَاٱلْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّا جُندَنَاهُمُ ٱلْعَلِبُونَ ) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَأَخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كُلِمَةُ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِي بَيْنَهُمْ ) وهو سيحانه كتب مايقدره فيما يكتبه فيه ، كما قال: (أَلَوْتَعْلَمْ أَنَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّكَمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَالِكَ فِكِتَنْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه: كن كتاباً ؛ فكان كتاباً ، ثم أنزل تصديق ذلك في قوله ( أَلَوْ تَعْلَمْ أَبَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّكَمَآءِ وَٱلْأَرْضِّ إِنَّ ذَالِكَ فِي كِتَبْ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ) وقال تعالى : ( مَأَأَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٓ أَنفُسِكُمُ إِلَّا فِ كِتَابِ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأُهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ) وقال: ﴿ وَلَقَدْكَ تَبْنَكَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَاعِبَادِى ٱلصَّلِحُونَ ) وقال: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَايَشَآءُ وَيُثْبِثُ وَعِندَهُ وَأُمُّ ٱلْكِتَٰبِ) وقال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا ا أَتَجُعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِمَاءَ وَنَحُنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَّ قَالَ إِنَّ أَعْلَمُ مَا لَانْعَلَمُونَ ) فالملائكة قد عامت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء ، فكيف لا يعلمه الله ، سواء علموه بإعلام الله \_ فيكون هو أعلم عا علمهم إياه ، كما قاله أكثر المفسرين: \_ أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم ، كما قاله : طائفة منهم ، أو بغير ذلك والله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذين لا علم لهم إلا ما علمهم وما أوحاه إلى أنبيائه وغيرهم مما سيكون هو أعلم به منهم ، فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .

وأيضاً فإنه قال للملائكة : ( إِنِّ جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ) قبل أن يأمره بالسجود لآدم ، وقبل أن يمتنع إبليس ؛ وقبل أن ينهى آدم عن أكله من الشجرة ، وقبل أن يأكل منها ويكون أكله سبب إهباطه إلى الأرض ، فقد علم الله سبحانه أنه سيستخلفه مع أمره له ولإبليس بما يعلم أنهما يخالفانه فيه، ويكون الخلاف سبب أمره لهما بالإهباط إلى الأرض والاستخلاف في الأرض .

وهذا ببين أنه علم ما سيكون منهما من مخالفة الأمر، فإن إبليس امتنع من السجود لآدم وأبغضه فصار عدوه، فوسوس له حتى يأكل من الشجرة فيذنب آدم أيضاً، فإنه قد تألى إنه ليغوينهم أجمعين، وقد سأل الإنظار إلى يوم يبعثون فهو حريص على إغواء آدم وذريته بكل ما أمكنه ، لكن آدم تلقى من ربه كلات فتاب عليه واجتباه ربه وهداه بتوبته ، فصار لبني آدم سبيل إلى نجاتهم وسعادتهم ما يوقعهم الشيطان فيه بالإغواء ، وهو التوبة ، قال تعالى : ( لِيُعُذِبَاللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُونَاتِهِ ) .

وقدر الله قد أحاط بهذا كله قبل أن يكون، وإبليس أصر على الذنب، واحتج بالقدر، وسأل الإنظار ليهلك غيره، وآدم تاب وأناب، وقال هو وزوجته: ( رَبَّنَاظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّرَ تَغْفِرُ لَنَاوَرَ حُمَّنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخُسِرِينَ ) فتاب الله عليه فاجتباه وهداه، وأنزله إلى الأرض ليعمل فيها بطاعته؛ فيرفع الله بذلك درجته، ويكون دخوله الجنة بعد هذا أكمل مما كان، فمن أذنب من أولاد آدم فاقتدى بأبيه آدم في التوبة كان سعيداً، وإذا تاب وآمن وعمل صالحاً

بدل الله سيئانه حسنات ، وكان بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة ، كسائر أولياء الله المتقين . ومن انبع منهم إبليس فأصر على الذنب ، واحتج بالقدر ، وأراد أن يغوي غيره كان من الذين قال فيهم : ( لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِتَن تَبِعَكَ مِنْهُمُ أَمْعَينَ ).

والمقصود هنا ذكر القدر؛ وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قدر الله مقادير الحلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ؛ وكان عرشه على الماء » وفي «صحيح البخاري » عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وفي « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه أخبر : أن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار ، وما يعمله العباد قبل أن يعملوه .

وفى «الصحيحين» عن عبدالله بن مسعود: «أن الله ببعث ملكا بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح فيه ، فيكتب أجله ورزقه وعمله ، وشقي أو سعيد» . وهذه الأحاديث تأتي إن شاء الله في مواضعها . فهذا القدر هو الذي أنكره «القدرية» الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة . وقد روى أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له : سيسويه من أبناء المجوس ، وتلقاه عنه معبد الجهني ، ويقال : أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة ، فقال معبد الجهني ، ويقال : أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة ، فقال

رجل: احترقت بقدر الله تعالى. فقال آخر: لم يقدر الله هذا. ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر؛ فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقى من الصحابة ، كعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس ، وواثلة بن الأسقع ، وكان أكثره بالبصرة والشام ، وقليل منه بالحجاز ؛ فأكثر كلام السلف فى ذم هؤلاء القدرية : ولهذا قال وكيع بن الجراح : القدرية يقولون ؛ الأمر مستقبل ، وإن الله لم يقدر الكتابة والأعمال ؛ والمرجئة يقولون : القول يجزئ من العمل ؛ والجهمية يقولون : المعرفة تجزئ من القول والعمل . يجزئ من العمل ؛ والجهمية يقولون : المعرفة تجزئ من القول والعمل . قال وكيع : وهو كله كفر ورواه ابن '' .

ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ؛ ودخل فيه كتير من أهل النظر والعباد ، صار جمهور القدرية بقرون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق . وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان . وقول أولئك كفره عليه مالك ، والشافعي ، وأحمد وغيره . وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ؛ وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عهم العلم . وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم ، لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له ، وهدذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره : أن من كان داعية إلى بدعمة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس ، وإن كان في الباطن مجتهداً ، وأقل عقوبته أن يهجر ، فلا يكون له مرتبة في الدين في الباطن مجتهداً ، وأقل عقوبته أن يهجر ، فلا يكون له مرتبة في الدين

<sup>(</sup>١) بياض في الأصل.

لا يؤخذ عنه العلم ولا يستقضى ، ولا نقبل شهادته ، ونحو ذلك . ومذهب مالك قريب من هـذا ، ولهذا لم يخرج أهل الصحيح لمن كان داعية ، ولكن رووا م وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن رأي القدرية ، والمرجئة والخوارج ، والشيعة .

وقال أحمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة ، وهذا لأن «مسألة خلق أفعال العباد ، وإرادة الكائنات » مسألة مشكلة ، وكما أن القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطئوا فيها ،فقد أخطأ فيها كثير ممن رد عليهم أو أكثره ، فإنهم سلكوا في الرد عليهم مسلك جهم بن صفوان ، وأنباعه ، فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره ، ونفوا رحمت بعباده ، ونفوا ما جعله من الأسباب خلقاً وأمراً ، وجحدوا من الحقائق الموجودة في مخلوقاته وشرائعه ما صار ذلك سبباً لنفور أكثر العقلاء الذين فهموا قولهم عما يظنونه السنة ، إذ كانوا يزعمون أن قول أهل السنة في القدر هو القول الذي ابتدعه جهم ، وهذا لبسطه موضع آخر .

وإنما المقصود هذا أن «السلف» في ردم على المرجئة والجهمية والقدرية وغيرم، يردون من أقوالهم ما يبلغهم عنهم وما سمعوه من بعضهم. وقد يكون ذلك قول طائفة منهم، وقد يكون نقلاً مغيراً. فلهذا ردوا على المرجئة الذين يجعلون الدين والإيمان واحداً؛ ويقولون هو القول. وأيضاً فلم يكن حدث في زمنهم من المرجئة من يقول: الإيمان هو مجرد القول بلا تصديق ولا معرفة

في القلب. فإن هذا إنما أحدثه ابن كرام ، وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام . وأما سائر ما قاله ، فأقسوال قيلت قبله ، ولهذا لم يذكر الأشعري ولا غيره ممن يحكي مقالات الناس عنه قولا انفرد به إلا هذا .

وأما سائر أقواله فيحكونها عن ناس قبله ولا يذكرونه . ولم يكن ابن كرام في زمن أحمد بن حنبل ، وغيره من الأئمة ، فلهذا يحكون إجماع الساس على خلاف هذا القول ؛ كما ذكر ذلك أبو عبدالله أحمد بن حنبل وأبو ثور وغيرها . وكان قول المرجئة قبله : إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب ، وقول جهم : إنه تصديق القلب ؛ فلما قال ابن كرام : إنه مجرد قول اللسان . صارت أقوال المرجئة ثلاثة ، لكن أحمد كان أعلم بمقالات الناس من غيره ، فكان يعرف قول الجهمية في الإيمان ، وأما أبو ثور . فلم يكن يعرف ، ولا يعرف إلا مرجئة الفقهاء ، فلهذا حكى الإجماع على خلاف قول الجهمية والكرامية .

قال أبو ثور فى رده على المرجئة كما روى ذلك أبو القاسم الطبري اللالكائي وغيره: عن إدريس بن عبد الكريم قال: سأل رجل من أهل خراسان أباثور عن الإيمان وما هو، أيزيد وينقص؟ وقول هو أو قول وعمل؟ أو تصديق وعمل؟ فأجابه أبو ثور بهذا فقال: سألت رحمك الله وعفا عنا وعنك عن الإيمان ما هو، يزيد وينقص؟ وقول هو أو قول وعمل أو تصديق وعمل؟ فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم.

إعلم يرحمنا الله وإياك: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح ، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال : أشهد أن الله عز وجل واحد ، وأن ما جاءت به الرسل حق ، وأقر بجميع الشرائع ، ثم قال : ما عقد قلبي على شيء من هذا ؛ ولا أصدق به ؛ أنه ليس بمسلم ، ولو قال : المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام ، ثم قال : لم يعقد قلى على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن ، فلما لم يكن بالإقرار إذالم يكن معه التصديق مؤمناً ، ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً ، حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه . فإذا كان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان ، كان عندهم مؤمناً ، وعند بعضهم لا يكون مؤمناً حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً ، فلما نفوا أن يكون الإعان بشيء واحد ، وقالوا : بكون بشيئين في قول بعضهم ، وثلاثة أشــياء في قول غــيرهم . لم يكن مؤمناً إلا عا أجمعوا عليه من هذه الثلاثة الأشياء ؛ وذلك أنه إذا حاء بهذه الثلاثة الأشياء. فكلهم يشهد أنه مؤمن ؛ فقلنا بما أجمعوا عليه من التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

فأما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان ، فيقال لهم : ماذا أراد الله من العباد إذ قال لهم : أقيموا الصلاة وآنوا الزكاة ، الإقرار بذلك أو الإقرار والعمل ؟ فإن قالت : إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل ؛ فقد كفرت عند أهل العلم . (ك) امن قال : إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة ؟ وإن قالت : أراد منهم الإقرار قيل : فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً وإن قالت : منهم المساق .

لم زعمتم أنه بكون مؤمناً بأحدها دون الآخر ، وقد أرادها جميعاً ؟ أرأيتم لو أن رجلاً قال : اعمل جميع ما أمر به الله ولا أقر به ، أبكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : لا . قيل لهم : فإن قال : أقر بجميع ما أمر الله به ، ولا أعمل به ؛ أبكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : نعم . قيل ما الفرق ؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً فإن جاز أن يكون بالآخر إذا عمل فإن جاز أن يكون بالآخر إذا عمل به ولم يقر مؤمناً ، لا فرق بين ذلك . فإن احتج فقال : لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أبكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل ؟ قيل له : إنما يطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله : أن يعمله في وقته إذا جاء ، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار مجميع ما يكون به مؤمناً ؛ ولو قال : أقر ولا أعمل لم يطلق عليه اسم الإيمان .

قلت: بعني الإمام أبو ثور \_ رحمه الله \_ أنه لا يكون مؤمناً إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار ، وإلا فلو أقر ولم يلتزم العمل لم يكن مؤمناً. وهدا الاحتجاج الذي ذكره أبو ثورهو دليل على وجوب الأمرين: الإقرار والعمل وهو يدل على أن كلا منهما من الدين ، وأنه لا يكون مطيعاً لله ، ولا مستحقا للثواب ولا ممدوحا عند الله ورسوله إلا بالأمرين جميعا ، وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة عن الدين والإيمان جميعا . وأما من يقول : إنها من الدين ويقول : إن الفاسق مؤمن حيث أخذ ببعض الدين وهو الإيمان عندهم ، وترك ويقول : إن الفاسق مؤمن حيث أخذ ببعض الدين وهو الإيمان عندهم ، وترك بعضه ؛ فهذا يحتج عليه بشيء آخر ، لكن أبو ثور وغيره من علماء السنة عامة احتجاجهم مع هدذا الصنف ، وأحمد كان أوسع علما بالأقوال والحجج من احتجاجهم مع هدذا الصنف ، وأحمد كان أوسع علما بالأقوال والحجج من

أبي ثور. ولهذا إنما حكى الإجماع على خلاف قول الكرامية ؛ ثم إنه تورع فى النطق على عادته ، ولم يجزم بنني الخلاف ؛ لكن قال : لا أحسب أحداً يقول هذا ، وهذا فى رسالته إلى أبى عبد الرحيم الجوزجانى ، ذكرها الخلال فى كتاب «السنة » \_ وهو أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد فى مسائل الأصول الدينية وإن كان له أقوال زائدة على ما فيه ، كما أن كتابه فى العلم أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد فى الأصول الفقهية .

قال المروذي: رأيت أبا عبد الرحيم الجوزجانى عند أبى عبد الله، وقد كان ذكره أبو عبد الله فقال: كان أبوه مرجئا، أو قال: صاحب رأي. وأما أبو عبد الرحيم فأثنى عليه، وقد كان كتب إلى أبى عبد الله من خراسان يسأله عن الإيمان وذكر الرسالة من طريقين عن أبى عبد الرحيم، وجواب أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم: أحسن الله إلينا وإليك فى الأمور كلها، وسلمنا وإياك من كل شر برحمته، أتانى كتابك تذكر ما تذكر من احتجاج من احتج من المرجئة. واعلم رحمك الله أن الخصومة فى الدين ليست من طريق أهل السنة وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه، أو أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم، وشهدوا تنزيله، وما قصه الله له في القدرآن، وما عنى به، وما أراد به أخاص هو أم

عام؟ فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة ، فهذا تأويل أهل البدع؛ لأن الآبة قد نكون خاصة ويكون حكمها حكما عاما ، ويكون ظاهرها على العموم ، وإيما قصدت لشيء بعينه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله وما أراد ، وأصحابه أعلم بذلك منا ، لمشاهدتهم الأمر وما أريد بذلك ، فقد تكون الآبة خاصة ؛ أى معناها مثل قوله تعالى : ( يُوصِيكُواللهُ فِي اَولك عليه ما فرض حَظِ اللهُ أَنْ شَيَيْنِ) وظاهرها على العموم، أي من وقع عليه اسم (ولد) فله ما فرض الله ، فجاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يرث مسلم كافراً .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم \_ وليس بالثبت \_ إلا أنه عن أصحابه أنهم لم يورثوا قاتلاً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن الكتاب أن الآية إنما قصدت للمسلم لا للكافر ، ومن حملها على ظاهرها لزمه أن يورث من وقع عليه اسم الولد كافراً كان أوقاتلاً ، وكذلك أحكام الوارث من الأبوين وغير ذلك مع آي كثير يطول بها الكتاب ، وإنما استعملت الأمة السنة من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه ، إلا من دفع ذلك من أهل البدع والخوارج وما يشبههم ، فقد رأيت إلى ما خرجوا .

قلت: لفظ المجمل والمطلق والعام كان فى اصطلاح الأئمة ، كالشافعي وأحمد ، وأبي عبيـد وإسحاق وغيرهم سواء ، لا يريدون بالمجمل ما لابفهم منه ، كافسره به بعض المتـأخرين وأخطأ فى ذلك ، بل المجمل ما لا بكني وحده فى

العمل به وإن كان ظاهره حقًّا ، كما في قوله تعالى : ﴿ خُذْمِنَأُمُوَلِمِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرَكِّمِهم بَهَا ) فهذه الآية ظاهرها ومعناها مفهوم ، ليست مما لا يفهم المرادبه؛ بل نفس ما دلت عليه لا يكفي وحده في العمل فإن المــأمور به صدقة تكون مطهرة مزكية لهم ، وهذا إنما يعرف ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أحمد يحذر المسكلم في الفقه هذين « الأصلين». المجمل والقياس. وقال: أكثر ما يخطىء الناس من جهة التـــأويل والقياس، يريد بذلك ألا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق قبل النظرفيما يخصه وبقيده؛ ولايعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص هل تدفعه ، فإن أكثر خطأ الناس تمسكهم بما يظنونه من دلالة اللفظ والقياس ؛ فالأمور الظنية لا يعمل بها حتى ببحث عن المعارض بحثاً يطمئن القلب إليه ، وإلا أخطأ من لم يفعل ذلك ، وهذا هو الواقع في المتمسكين بالظواهر والأقيسة، ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طريق أهل البدع. وله في ذلك مصنف كبير .

وكذلك التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار ، طريق أهل البدع . ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء قولاً فاسداً ، وإنما الصواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وقوله تعالى : (يُوصِيكُواللهُ فِي آوُلَكِ كُم ) سموه عاماً وهو مطلق في الأحوال ، يعمها على طريق البدل كما يعم قوله : (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةِ) جميع الرقاب ، لا يعمها كما يعم لفظ الولد

للأولاد. ومن أخذ بهذا لم يأخذ بما دل عليه ظاهر لفظ القرآن ، بل أخذ بما ظهر له مما سكت عنه القرآن ، فكان الظهور لسكوت القرآن عنه ، لالدلالة القرآن على أنه ظاهر ، فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول ؛ وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد ، وإلا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق ؛ بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن يسمى ظاهر القرآن ، كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة .

قال أحمد: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار ، فما يقول في المعرفة ؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار ؟ وهل يحتاج أن بكون مصدقا بما عرف ؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين ، وإن زعم أنه يحتاج أن بكون مقراً ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء ؛ وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق ، فقد قال قولاً عظيماً ، ولا أحسب أحداً يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الأشياء .

قلت أحمد وأبو ثور وغيرها من الأئمة كانوا قدعر فوا أصل قول المرجئة، وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه؛ فلا يكون إلا شيئاً واحداً فلا يكون ذا عدد: اثنين أو ثلاثة، فإنه إذا كان له عدد، أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه، بل لا يكون إلا شيئاً واحداً، ولهذا قالت الجهمية: إنه شيء واحد في القلب. وقالت الكرامية: إنه شيء واحد على اللسان، كل ذلك فراراً من

تبعض الإيمان وتعدده ، فلهذا صاروا يناظرونهم بما يدل على أنه ليس شيئاً واحداً ، كما قلتم . فأبو ثور احتج بما اجتمع عليه «الفقهاء المرجئة» من أنه تصديق وعمل ، ولم يكن بلغه قول متكلميهم وجهميتهم ، أو لم يعد خلافهم خلافاً ، وأحمد ذكر أنه لا بد من المعرفة والتصديق مع الإقرار ، وقال : إن من جعد المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً ، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام ! ولهذا لم يذهب إليه أحد قبل الكرامية ، مع أن الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ؛ ولكن تقول : لا يدخل في اسم الإيمان حذراً من تبعضه وتعدده ، لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه ، بل ذلك يقتضي أن يجتمع في القلب إيمان وكبر ، واعتقدوا الإجماع على نفي ذلك ، كا ذكر هذا الإجماع الأشعري وغيره .

وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه، ولهذا دخل في «إرجاء الفقهاء » جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من « مرجئة الفقهاء » بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال ؛ لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب ، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله ، لا سيا وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهورالفسق ، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال ، فلهذا عظم القول في ذم « الإرجاء » حتى قال إبراهيم النخعى : لفتنتهم \_ يعني المرجئة \_ أخوف على هذه الأمة من فتنة قال إبراهيم النخعى : لفتنتهم \_ يعني المرجئة \_ أخوف على هذه الأمة من فتنة

الأزارقة . وقال الزهرى : ما ابتدعت فى الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء . وقال الأوزاءي : كان يحيى بن أبى كثير ، وقتادة يقولان : ليس شيء من الأهواء أخوف عنده على الأمة من الإرجاء . وقال شريك القاضى ـ وذكر المرجئة فقال ـ : هم أخبث قوم ، حسبك بالرافضة خبثاً ، ولكن المرجئة يكذبون على الله . وقال سفيان الثوري : تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابرى وقال قتادة : إنما حدث الإرجاء بعد فتنة فرقة ابن الأشعث .

وسئل ميمون بن مهران عن كلام «المرجئة » فقال: أنا أكبر من ذلك وقال سعيد بن جبير لذر الهمدانى: ألا تستحي من رأي أنت أكبر منه ؟! وقال أيوب السختياني: أنا أكبر من دين المرجئة ، إن أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل المدينة من بنى هاشم يقال له: الحسن . وقال زاذان: أتينا الحسن ابن محمد فقلنا: ما هذا الكتاب الذي وضعت ؟ وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي: يا أبا عمر لو ددت أني كنت مت قبل أن أخرج هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب ، فإن الخطأ في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث ؛ ولا كالخطأ في غيره من الأسماء ، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم ولا كالخطأ في غيره من الأسماء ، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق .

وأحمد \_ رضي الله عنه \_ فرق بين المعرفة التى فى القلب وبين التصديق الذي فى القلب ، فإن تصديق اللسان هو الإقرار ؛ وقد ذكر ثلاثة أشياء ، وهذا يحتمل « شيئين » يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفته ، وهذا قول

ابن كلاب، والقلانسى. والأشعري وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب، فإن تصديق القلب قوله. وقول القلب عندم ليس هو العلم، بل نوعاً آخر؛ ولهذا قال أحمد: هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؛ وهل يحتاج إلى أن يكون مصدقاً بما عرف؛ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقراً ومصدقاً بما عرف فهو من ثلاثة أشياء، فإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق. فقد أي عظيا ولا أحسب امرءاً يدفع المعرفة والتصديق.

والذين قالوا: الإعمان هو الإقرار . فالإقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان. والمرجئة لم تختلف أن الإقرار باللسان فيـــه التصديق ؛ فعلم أنه أراد تصديق القلب ومعرفته مع الإقرار باللسان ؛ إلا أن يقال : أراد تصديق القلب واللسان جميعاً مع المعرفة والإقرار ؛ ومراده بالإقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى: ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِي ثَقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَامَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَ بِهِ - وَلَتَنصُرُنَّهُ وَالْ عَأَفَرَرَثُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِيٌّ قَالُوا أَقَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنامَعَكُم مِّن الشَّاهِدِينَ ) فالميثاق المأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه ، وقد أمروا بهذا ، وليس هذا الإقرار تصديقاً، فإن الله تعالى لم يخبر هم بخبر ؛ بل أوجب عليهم إذا جاء هم ذلك الرسول أن يؤمنوا به وينصروه. فصدقوا بهــذا الإقرار والتزموه ، فهذا هو إقرارهم. والانسان قد يقر للرسول بمعنى انه يلتزم ما بأمر به مع غير معرفة ، ومن غير تصديق له بأنه رسول الله ، لكن لم يقل أحد من المرجئة : إن هذا الإقرار يكون إيماناً .

بل لابد عنده من الإقرار الحبري وهو أنه يقر له بأنه رسول الله كما يقر المقر عا يقر به من الحقوق ، ولفظ الإقرار بتناول الالتزام والتصديق ولابد منها ، وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ؛ والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الإيمان وتارة يجعلون الإيمان التصديق والالتزام معاً ، هذا هو الإقرار الذي يقوله فقهاء المرجئة : إنه إيمان ، وإلا لو قال : أنا أطيعه ولا أصدق أنه رسول الله ، أو أصدقه ولا ألتزم طاعته ، لم بكن مسلماً ولا مؤمناً عنده .

وأحمد قال : لابد مع هـذا الإقرار أن بكون مصدقاً ، وأن يكون عارفاً ، وأن بكون مصدقاً بما عرف. وفي رواية أخرى : مصدقاً بما أقر ، وهـذا يقتضي أنه لابد من تصديق باطن ، ويحتمل أن يكون لفـظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعاً ، كما قد ذكرنا شواهده أنه يقال : صدق بالقول والعمل ، فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلب أنه رسول الله قد خضع له وانقاد ؛ فصدقه بقول قلب ه وعمل قلبه محبة وتعظيماً · وإلا فمجرد معرفة قلب أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ولما حاء به ، إما حسداً وإماكبراً ، وإما لمحبة دينه الذي يخالفه وإما لغير ذلك ، فلا يكون إعاناً . ولابد في الإيمان من علم القلب وعمله فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له ، تابعاً له ، محبا له معظما له ، فإن هذا لا بد منه ، ومن دفع هذا عن أن يكون من الإيمان ، فهو من جنس من دفع المعرفة من أن تكون من الإيمان ، وهـــذا أشبه بأن يحمل عليه كلام أحمد؛ لأن وجوب انقياد القلب مع معرفت ظاهر ثابت مدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، ومن نازع من الجهمية في أن انقياد القلب من الإيمان فهو كمن نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الإيمان ، فكان حمل كلام أحمد على هذا هو المناسب لكلامه في هذا المقام .

وأيضاً فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالى عن الانقياد الذي يجعل قول القلب؛ أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن بوجب شيئين لا بتصور الفرق بينها، وأكثر الناس لا بتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب، والأشعري من الفرق ،كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق، وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب، قالوا: ففي قلبه خبر بخلاف علمه، فدل على الفرق. فقال لهم الناس: ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علماً حقيقياً ولا خبراً حقيقياً، ولما أثبتوه من قول القلب المخالف للعلم والإرادة، إنما بعود إلى تقدير علوم وإرادات لا إلى جنس الخالف للعلم والإرادة، إنما بعود إلى تقدير علوم وإرادات لا إلى جنس الخريخالفها.

ولهذا قالوا: إن الإنسان لا عكنه أن يقوم بقله خبر بخلاف علمه؛ وإنما عكنه أن يقول ذلك بلسانه، وأما أنه يقوم بقلبه خبر مخلاف ما يعلمه، فهذا غير ممكن، وهذا مما استدلوا به على أن الرب تعالى لا يتصور قيام الكذب

بذاته ، لأنه بكل شيء عليم ، ويمتنع قيام معنى بضاد العلم بذات العالم ، والخبر النفساني الكاذب بضاد العلم .

فيقال لهم: الخبر النفساني لوكان خلافاً للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما يقولون مثــل ذلك في مواضع كثيرة ، وهي من أقوى الحجج التي يحتج بهــا القاضي أبو بكر وموافقوه في مسألة العقلوغيرها ، كالقاضي أبي بعلى ، وأبي محمد ابن اللبان ، وأبى علي بن شاذان ، وأبى الطيب ، وأبى الوليد الباجي ، وأبى الخطاب، وابن عقيل وغيرهم؛ فيقولون: العقل نوع من العلم، فإنه ليس بضدله فإن لم يكن نوعا منه كان خلافاً له ، ولو كان خلافاً لجاز وجوده مع ضدالعقل وهذه الحجة وإن كانت ضعيفة \_ كما ضعفها الجمهور ، وأبو المعالي الجويني ممن ضعفها \_ فإن ما كان مستلزماً لغيره لم يكن ضداً له ، إذ قد اجتمعا ، وليس هو من نوعه ؛ بل هو خلاف له على هذا الاصطلاح الذي يقسمون فيه كل اثنين إلى أن يكونا مثلين ، أو خلافين أو ضدين ، فالملزوم كالإرادة مع العلم أو كالعلم مع الحياة ، ونحو ذلك ليس ضداً ولا مثلاً ؛ بل هو خلاف ، ومع هذا فلا يجوز وجوده مع ضد اللازم، فإن ضد اللازم ينافيه ، ووجود الملزوم بدون اللازم محال ، كوجود الإرادة بدون العلم ، والعلم بدون الحياة ، فهذان خلافان عندهم ، ولا يجوز وجود أحدها مع ضد الآخر .

كذلك العلم هو مستلزم للعقل، فكل عالم عاقل، والعقل شرط في العلم، فليس مثلاً له ولا ضداً ولا نوعاً منه، ومع هذا لا يجوز وجوده معضد العقل،

لكن هذه الحجة تقال لهم فى العلم مع كلام النفس الذي هو الخسبر ، فإنه ليس ضداً ولا مثلاً ، بل خلافاً ؛ فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب ، فبطلت تلك الحجة على امتناع الكذب النفساني من العالم ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق.

ثم احتج «الإمام أحمد» على أن الأعمال من الإيمان بحجج كثيرة فقال وقد سأل وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا خمساً من المغم » فجعل ذلك كله من الإيمان. قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الإيمان» وقال: « أكمل المؤمنين النبي صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الإيمان». وقال « الإيمان الإيمان» وقال « الإيمان الإيمان من وقال « الإيمان الإيمان من أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله » مع أشياء كثيرة، منها: « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»: وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المنافق: « ثلاث من كن فيه فهو منافق » مع حجج كثيرة. وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه وسلم في تارك المهاد و عن أصوبه من بعده ، ثم ما وصف الله تعالى في كتابه و سلم في تارك و المهاد و عن ألبه و عليه و النبي صلى الله في كتابه و سلم في تارك و عن ألبه و عنه و عنه

من زيادة الإيمان في غير موضع ، مثل قوله : ( هُوَالَذِينَ أَنزَلَ السَّكِينَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيرَّدَادُوَالِيمَنَامَعَ إِيمَنِهِمَ ) وقال : ( لِيسّتَيْفِن الّذِينَ أُوتُوا الْكِئنَ وَيَزْدَادَ اللّذِينَ امْنُوا إِيمَننا ) وقال : ( وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَنتُهُ وَزَادَتُهُمْ إِيمَننا ) وقال اللّذِينَ امْنُوا إِيمَنا فَأَمّا اللّذِينَ امْنُوا فَزَادَتُهُمْ إِيمَننا وقال ( فَمِنهُ هُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمُ زَادَتُهُ هَذِوة إِيمَنا فَأَمّا اللّذِينَ امْنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهُمْ إِيمَننا وقال : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللّذِينَ امْنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْمَ الْمُؤْمِنُونَ اللّهِ اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْمَ الْمَثَوْلِيمَ وَأَنفُسِهِ مَّ فِي سَكِيلِ اللّهِ أَوْلَيْهِ كَهُمُ الصَّكِيدِ قُونَ ) وقال تعالى : ( فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّكَوْةَ وَءَاتُوا الزّكَوْةَ وَءَاتُوا الزّكُوةَ وَخَلُوا سَبِيلَهُمْ ) وقال تعالى : ( فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّكُوةَ وَءَاتُوا الزّكُوةَ وَالْوَالِيمَ مُوا الصَّكَوْةُ وَيُؤْتُوا الزّكُوةَ وَيَالَو اللّهَ عَلَى : ( فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّكُوةَ وَءَاتُوا الضَّكُوةَ وَيُؤْتُوا الزّكُونَ وَقَالَ تعالى : ( وَمَا أُمِن اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْقَلَادِةَ وَيُؤْتُوا الزّكُونَ وَذَالِكَ دِينُ الْقَيَعَةِ ). وقال : ( وَمَا أُلِيكَ عَلَيْ اللّهِ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ اللّهِ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ ال

قال أحمد: وبلزمه أن يقول: هو مؤمن بإقراره، وإن أقر بالزكاة فى الجملة ولم يجد فى كل مائتى درهم خمسة، أنه مؤمن، فيلزمه أن يقول: إذا أقر ثم شد الزنار فى وسطه وصلى للصليب وأتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلها إلا أنه فى ذلك مقر بالله؛ فيلزمه أن يكون عنده مؤمنا، وهده الأشياء من أشنع ما يلزمهم.

«قلت»: هذا الذي ذكره الإمام أحمد من أحسن ما احتج الناس به عليم، جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها، وهذا الإلزام لا محيد لهم عنه. ولهذا لما عرف متكلمهم مثل جهم ومن وافقه أنه لازم التزموه. وقالوا: لوفعل

[مافعل] من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك كافراً فى الباطن؛ لكن يكون دليلاً على المكن أنه يكون كافراً فى على المكفر فى أحكام الدنيا، فإذا احتج عليهم بنصوص تقتضي أنه يكون كافراً فى الآخرة. قالوا: فهذه النصوص تدل على أنه فى الباطن ليس معه من معرفة الله شيء، فإنها عندهم شيء واحد، فحالفوا صريح المعقول وصريح الشرع.

وهذا القول مع فساده عقلاً وشرعا ، ومع كونه عند التحقيق لا يثبت إيمانا ، فإنهم جعلوا الإيمان شيئا واحداً لا حقيقة له ، كما قالت الجهمية ومن وافقهم مثل ذلك في وحدة الرب أنه ذات بلا صفات . وقالوا بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة ، وما يقوله [ ابن كلاب] من وحدة الكلام وغيره من الصفات .

فقولهم فى الرب وصفاته وكالامه والإيمان به يرجع إلى تعطيل محض وهذا قد وقع فيه طوائف كثيرة من المتأخرين المنتسين إلى السنة والفقه والحديث المتبعين للأئمة الأربعة ، المتعصين للجهمية والمعتزلة ؛ بل وللمرجئة أيضا ؛ لكن لعدم معرفتهم بالحقائق التى نشأت منها البدع يجمعون بين الضدين ؛ ولكن من رحمة الله بعباده المسلمين أن الأئمة الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، مثل الأعمة الأربعة وغيره كالك ، والثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وكالشافعي وأحمد ، وإسحاق ، وأبى عبيد ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد ؛ كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم فى القرآن والإيمان وصفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى فى الآخرة ، وأن

القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الإيمان لابد فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم الله ورسوله كان كافراً باطنا وظاهراً عندم كلهم ، ومن كان موافقا لقول جهم في الإيمان بسبب انتصار أبي الحسن لقوله في الإيمان ، يبقى تارة يقول بقول المسلف والأعمة ، وتارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم ، وعارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم ، وعارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم ، والمائمة في مسألة سب الله ورسوله رأيت طائفة من الحنبلين ، والشافعيين والمالكيين ، إذا تكلموا بكلام الأعمة قالوا: إن هذا كفر باطنا وظاهراً .

وإذا تكلموا بكلام أولئك قالوا: هذاكفر فى الظاهر، وهو فى الباطن يجوز أن بكون مؤمنا تام الإيمان، فإن الإيمان عندهم لا يتبعض. ولهذا لما عرف القاضى عياض هذا من قول بعض أصحابه، أنكره ونصر قول مالك وأهل السنة، وأحسن فى ذلك.

وقد ذكرت بعض ما بتعلق بهذا في كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » وكذلك تجدم في مسائل الإيمان يذكرون أقوال الأئمة ، والسلف ويبحثون بحثا يناسب قول الجهمية ، لأن البحث أخذوه من كتب أهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسائل الإيمان .

والرازي لما صنف « مناقب الشافعي » ذكر قوله فى الإيمان . وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع من الصحابة والتابعين . ومن لقيه استشكل قول الشافعي جداً لأنه كان قد انعقد فى نفسه شبهة أهل البدع فى الإيمان : من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية

وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ؛ لكن هو لم يذكر إلا ظاهر شبهتهم . والجواب عما ذكروه هو سهل ، فإنه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ؛ لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء .

والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون: إن الذنب يقدح في كمال الإيمان، ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء، فذلك المجموع الذي هو الإيمان لم يبق مجموعا مع الذبوب، لكن يقولون بقي بعضه: إما أصله وإما أكثره وإما غير ذلك؛ فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه.

ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة ؛ لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم إن كان متبعضاً متعدداً عند من يقول بذلك ، وهم الخوارج والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد ؛ فيثبتون واحداً لا حقيقة له ؛ كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم .

ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم فى هذا ، اعتقادهم أنه لا يجتمع فى الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر ، أو ما هو إيمان وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي ، إجماع

السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة ؛ بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان .

ولهذا نظائر متعددة ؛ يقول الإنسان قولاً مخالفاً للنص والإجماع القديم حقيقة ويكون معتقداً أنه متمسك بالنص والإجماع. وهذا إذا كان مبلغ علمه واجتهاده؛ فالله يثيبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن، وهم لما توهموا أن الإيمان الواجب على جميع الناس نوع واحد؛ صار بعضهم يظن أن ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل. فقال لي مرة بعضهم : الإيمان من حيث هو إيمان لا يقبل الزيادة والنقصان . فقلت له : قولك من حيث هو ؛ كما تقول : الإنسان من حيث هو إنسان ، والحيوان من حيث هو حيوان، والوجود من حيث هو وجود، والسواد من حيث هو سواد وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان والصفات ؛ فتثبت لهذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج ، وإنما هو شيء يقدره الإنسان في ذهنه كما يقدر موجوداً لا قديماً ولا عادثاً ولا قائماً بنفسه ولا بغيره، ويقدر إنساناً لا موجوداً ولامعدوماً ، وبقول : الماهية من حيث هي هي لا توصف بوجود ولا عدم ، والماهية من حيث هي هي شيء يقدره الذهن ، وذلك موجود في الذهن لا في الخارج. وأما تقدير شيء لا يكون في الذهن ولا في الخارج فممتنع، وهذا التقدير لا يكون إلا في الذهن كسائر تقدير الأمور الممتنعة ؛ مثل تقدير صدور العالم عن صانعين ونحو ذلك ؛ فإن هذه المقدرات في الذهن. فهكذا تقدير إيمان لايتصف به مؤمن ؛ بله هو مجرد عن كل قيد . وتقدير إنسان لا بكون موجوداً ولا معدوماً ؛ بل ما ثم إيمان إلا مع المؤمنين ، ولا ثم إنسانية إلا ما اتصف بها الإنسان ؛ فكل إنسان له إنسانية تخصه وكل مؤمن له إيمان يخصه ؛ فإنسانية زيد تشبه إنسانية عمرو ليست هي هي . وإذا اشتركوا في نوع الإنسانية فعني ذلك أنهما يشتبهان فيما يوجد في الخارج ويشتركان في أمر كلي مطلق يكون في الذهن .

وكذلك إذا قيل: إعان زيد مثل إعان عمرو؛ فإعان كل واحد يخصه . فلو قدر أن الإعان يتماثل لكان لكل مؤمن إعان يخصه وذلك الإعان مختص معين ليس هو الإعان من حيث هو هو ؛ بل هو إعان معين ، وذلك الإعان يقبل الزيادة . والذين ينفون التفاضل في هذه الأمور بتصورون في أنفسهم إعاناً مطلقاً أو إنساناً مطلقاً ، أو وجوداً مطلقا مجردا عن جميع الصفات المعينة له ثم يظنون أن هذا هو الإعان الموجود في الناس ، وذلك لا يقبل التفاضل ولا يقبل في نفس متصوره .

ولهذا يظن كثير من هؤلاء أن الأمور المشتركة في شيء واحدهي واحدة بالشخص والعين ؛ حتى انتهى الأمر بطائفة من علمائهم علماً وعبادة إلى أن جعلوا الوجود كذلك ؛ فتصوروا أن الموجودات مشتركة في مسمى الوجود ، وتصوروا هــذا في أنفسهم ، ثم ظنوا أنه الله ؛ فعلوا الرب هو هــذا الوجود الذي لا يوجد قط إلا في نفس متصوره ؛ ولا يكون في الخارج .

وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا أعداداً مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الأفلاطونية ، وزماناً مجرداً عن الحركة والمتحرك ، وبعداً مجرداً عن الأجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج ، وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الأذهان بما في الأعيان ، وهؤلاء قد يجعلون الواحد اتنين والاتنين واحداً ؛ فتارة يجيئون إلى الأمور المتعددة المتفاضلة في الخارج فيجعلونها واحدة أو متماثلة ، ونارة يجيئون إلى ما في الخارج من الحيوان والمكان والزمان فيجعلون الواحد اتنين والمتفلسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا ، فجاءوا إلى صفات الرب التي هي أنه عالم وقادر ، فجعلوا هذه الصفة هي عين الأخرى وجعلوا الصفة هي الموصوف .

وهكذا القائلون بأن الإيمان شيء واحدوأنه متماثل في بني آدم ، غلطوا في كونه واحداً وفي كونه متماثلاً كما غلطوا في أمثال ذلك من مسائل « التوحيد » و « الصفات » و « القرآن » ونحو ذلك ؛ فكان غلط جهم وأتباعه في الإيمان كغلطهم في صفات الرب الذي يؤمن به المؤمنون ، وفي كلامه وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف ؛ بل عامة الصفات التي يتصف بها الموصوفون تقبل التفاضل ؛ ولهذا كان العقل يقبل التفاضل ، ولهذا كان العقل يقبل التفاضل ، والإيجاب أقوى من إيجاب ، وكذلك المعرفة التي في القلوب تقبل التفاضل وتحريم أقوى من تحريم . وكذلك المعرفة التي في القلوب تقبل التفاضل

على الصحيح عند أهل السنة ، وفي هذا كله نراع ، فطائفة من المنتسبين إلى السنة تنكر التفاضل في هذا كله كما يختار ذلك القاضي أبو بكر وابن عقيل ، وغيرها.

وقد حكى عن أحمد في التفاضل في المعرفة روابتــان . وإنــكار التفاضل في هذه الصفات هو من جنس أصل قول المرجئة ، ولكن يقــوله من يخالف المرجئة ، وهؤلاء بقولون : التفاضل إنما هو في الأعمال ، وأما الإيمان الذي في القلوب فلا يتفاضل ، وليس الأمركما قالوه ، بل جميع ذلك يتفاضل ، وقد يقولون: إن أعمال القلب تنفاضل؛ بخلاف معارف القلب ، وليس الأمر كذلك، بل إيمان القلوب يتفاضل من جهــة ما وجب على هذا، ومن جهة ما وجب على هذا ، فلا يستوون في الوجوب . وأمة محمد وإن وجب عليهم جميعهم الإيمان بعد استقرار الشرع ، فوجوب الإيمان بالشيء المعين موقوف على أن يبلغ العبد إن كان خبراً ، وعلى أن يحتاج إلى العمل به إن كان أمراً ، وعلى العلم به إن كان علماً ، وإلا فلا يجب على كل مسلم أن يعرف كل خبر وكل أمر في الكتاب والسنة ، ويعرف معناه ويعلمه ؛ فإن هذا لا يقدر عليه أحد .

فالوجوب يتنوع بتنوع الناس فيه ؛ ثم قدرهم فى أداء الواجب متفاوتة ؛ ثم نفس المعرفة تختلف بالإحمال والتفصيل ، والقوة والضعف ، ودوام الحضور ، ومع الغفلة ، فليست المفصلة المستحضرة الشابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، كالمجملة التي غفل عنها ، وإذا حصل له ما يرببه فيها وذكرها في قلبه ثم رغب إلى الله في كشف الريب . ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل محبة الله ورسوله ، وخشية الله ، والتوكل عليه ، والصبر على حكمه ، والشكر له والإنابة إليه ، واخلاص العمل له مما يتفاضل الناس فيها تفاضلاً لا بعرف قدره الإ الله عز وجل ، ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو إما جاهل لم يتصوره ، وإما معاند .

قال الإمام أحمد: فإن زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته ، وأنها غير محمدودة ، فما يقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله ؟ هل بقرون بهم في الجملة ؟ ويزعمون أنه من الإيمان ؛ فإذا قالوا: نعم ؛ قيل لهم: هل تحدونهم وتعرفون عدده ؟ أليس إنما يصيرون في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة ثم بكفون عن عدده ؟ فكذلك زيادة في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة ثم بكفون عن عدده ؟ فكذلك زيادة الإيمان وبين أحمد أن كونهم لم يعرفوا منتهى زيادته ، لا يمنعهم من الإقرار بهما في الجملة ؛ كما أنهم يؤمنون بالأنبياء والكتب وه لا يعرفون عدد الكتب والرسل .

وهذا الذي ذكره أحمد ، وذكره محمد بن نصر ، وغيرها ، يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل ، وأن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عنده .

وأما قول من سوى بين الإسلام والإيمان وقال: إن الله سمى الإيمان بما سمى به الإسلام ؛ وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان ، فليس كذلك ، فإن الله

ورسوله قد فسر الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وبين أيضاً أن العمل بما أمر به يدخل في الإيمان ،ولم يسم الله الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت إسلاماً ؛ بل إنما سمى الإسلام الاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به ،كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه فهذا هو الذي سماه الله إسلاماً وجعله ديناً وقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَا لَإِسْلَامِ مِينَا فَلَن يُقْبَلَمِنْهُ ) ولم يدخل فيما خص به الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ؛ بل ولا أعمال القلوب ، مثل حب الله ورسوله ونحو ذلك ، فإن هذه جعلها من الإيمان ، والمسلم المؤمن يتصف بها ، وليس إذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الإسلام ، بل هي من الإيمان ، والإسلام فرض ، والإيمان فرض ، والإسلام داخل فيه ؛ فمن أنى بالإيمان الذي أمر به ، فلا بد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة، ومن أتى بما يسمى إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان الإ بدليل منفصل ، كما علم أن من أثنى الله عليه بالإسلام من الأنبياء وأتباعهم إلى الحواربين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين ، كما قال الحواريون : (ءَامَنَّا بِاللَّهِوَٱشْهَــَدْبِأَنَّـَامُسْــلِمُونَـــ) وقال : (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِبِّينَ أَنْ ءَامِنُواْ بِ وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ولهذا أمرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد، كما قال: ﴿ قُولُوٓا ءَامَنَكَابِٱللَّهِوَمَاۤ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَهِ عَمَوَ إِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِمَآءَامَنتُم بِهِ-فَقَدِ اُهْتَدَواً وَإِن فَوَلَوْا فَإِنَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُفِيكَ هُمُ اللَّهُ

وَهُوَٱلسَّمِيعُٱلْعَكِيمُ ) وقال فى الآبة الأخرى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَٱلْإِسْلَكِمِ دِينَا فَلَن يُقْبَلُونُهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَٱلْخَسِرِينَ ﴾ .

وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود ، وهو خاسر في الآخرة ، فيقتضى وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه ، لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى الإيمان ؛ بل أمرنا أن نقول : (ءَامَنَابِاللّهِ) وأمرنا أن نقول ( وَنَحَنُ لَهُ مُسَلِمُونَ ) ؛ فأمرنا باثنين ؛ فكيف نجعلهما واحداً !؟

وإذا جعلوا الإسلام والإيمان شيئاً واحداً . فإماأن يقولوا : اللفظ مترادف، فيكون هذا تكريراً محضاً ثم مدلول هذا اللفظ عين مدلول هذا اللفظ، وإما أن يقولوا : بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى ، كما في أسماء الله وأسماء كتابه ؛ لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً ، ولكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف ، وتارة بهذا الوصف ؛ فلا يقول قائل قد فرض الله عليك الصلوات الحس ، والصلاة المكتوبة ، وهذا هو هذا . والعطف بالصفات يكون إذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح أو الذم ؛ كقوله : ( سَيِّج اَسَمَريكِ بَكُون إذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح أو الذم ؛ كقوله : ( سَيِّج اَسَمَريكِ ولر بك يخلق فسوى .

وقال محمد بن نصر المروزي \_ رحمه الله \_ فقد بين الله في كتابه وسنة رسوله أن الإسلام والإيمان لا يفترقان ، فمن صدق بالله فقد آمن به ، ومن آمن بالله فقد خضع له ، وقد أسلم له ؛ ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما

نهى الله عنه فقد استكمل الإيمان والإسلام المفترض عليه ، ومن ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الإيمان ولا الإسلام ، إلا أنه أنقص من غيره فى الإسلام والإيمان من غير نقصان من الإقرار بأن الله حق ، وما قال حق لاباطل وصدق لا كذب ، ولكن ينقص من الإيمان الذي هو تعظيم لله وخضوع للهيبة والجلال والطاعة للمصدق به وهو الله ، فمن ذلك بكون النقصان لا من إقراره بأن الله حق ، وما قال صدق .

فيقال: ما ذكره بدل على أن من أنى بالإعان الواجب فقد أنى بالإسلام؛ وهذا حق، ولكن ليس فيه ما يدل عن أن من أنى بالإسلام الواجب فقد أنى بالإعان، فقوله: من آمن بالله فقد خضع له وقد استسلم له حق؛ لكن أي شيء في هذا يدل على أن من أسلم لله وخضع له، فقد آمن به وبملائكته وبكتبه ورسله والبعث بعد الموت؟ وقوله: إن الله ورسوله قد بين أن الإسلام والإعان لا يفترقان، إن أراد أن الله أوجبهما جميعاً ونهى عن التفريق بينهما، فهذا حق؛ وإن أراد أن الله جعل مسمى هذا مسمى هذا، فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك، وما ذكر قط نصاً واحداً يدل على اتفاق المسلمين.

وكذلك قوله: من فعل ما أمر به وانتهى عما نهي عنه فقد استكمل الإيمان والإسلام، فهذا صحيح إذا فعل ما أمر به باطناً وظاهراً، وبكون قد استكمل الإيمان والإسلام الواجب عليه، ولا بلزم أن يكون إيمانه وإسلامه مساوياً للإيمان والإسلام الذي فعله أولوا العزم من الرسل، كالحليل إبراهيم، ومحمد

خاتم النبيين ، عليهما الصلاة والسلام ، بلكان معه من الإيمان والإسلام مالا يقدر عليه غيره ممن ليسكذلك ولم يؤمر به .

وقوله: من ترك من ذلك شيئًا فلن يزول عنه اسم الإسلام والإيمان إلا أنه أنقص من غيره في ذلك. فيقال: إن أريد بذلك أنه بقى معه شيء من الإسلام والإيمان، فهذا حق كما دلت عليه النصوص، خلافاً للخوارج والمعتزلة وإن أراد أنه بطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنة ؛ فهذا خلاف الكتاب والسنة ، ولو كان كذلك لدخلوا في قوله: ( وَعَدَاللّهُ فَهذا خلاف الكتاب والسنة ، ولو كان كذلك لدخلوا في قوله : ( وَعَدَاللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ مِنْتِ جَنَّتِ جَرِّي مِن تَحَيْهَا ٱلْأَنْهَادُ ) وأمثال ذلك مما وعدوافيه الجنة بلا عذاب .

وأبضاً: فصاحب الشرع قد نفى عنهم الاسم فى غير موضع ، بل قال : « قتال المؤمن كفر » ، وقال : « لا ترجعوا بعدى كفاراً بضرب بعض كم رقاب بعض » وإذا احتج بقوله : ( وَإِن طَآبِهَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقَّنَ تَلُوا ) ونحو ذلك ، قيل : كل هؤلاء إنما سموا به مع التقييد بأنهم فعلوا هذه الأمور ليذكر ما يؤمرون به هم وما يؤمر به غيره .

وكذلك قوله: لا يكون النقصان من إقرارهم بأن الله حق وما قاله صدق، فيقال: بل النقصان يكون في الإيمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن علمهم فلا نكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته، وما قاله من أمر ونهي، ووعد ووعيد، كمعرفة غيرهم وتصديقه؛ لا من جهة الإجمال والتفصيل، ولامن

جهة القوة والضعف ، ولا من جهة الذكر والغفلة ، وهذه الأمور كلها داخلة في الإيمان بالله وبما أرسل به رسوله ، وكيف يكون الإيمان بالله وأسمائه وصفائه متماثلاً في القلوب ؟! أم كيف بكون الإيمان بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه غفور رحيم ، عزيز حكيم ، شديد العقاب ؛ ليس هو من الإيمان به ؟! فلا يمكن مسلماً أن يقول : إن الإيمان بذلك ليس من الإيمان به ولا يدعى تماثل الناس فيه .

وأما ما ذكره من أن الإسلام بنقص كما بنقص الإعان ، فهذا أبضاً حق كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ؛ فإن من نقص من الصلاة والزكاة أو الصوم أو الحج شيئاً ، فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك . ومن قال : إن الإسلام هو الكلمة فقط ، وأراد بذلك أنه لا يزيد ولا ينقص ، فقوله خطأ . وردالذين جعلوا الإسلام والإعان سواء إنما بتوجه إلى هؤلاء ؛ فإن قولهم في الإسلام يشبه قول المرجئة في الإعان .

ولهذا صار الناس في الإيمان والإسلام على « ثلاثة أقوال » فالمرجئة يقولون: الإسلام أفضل ؛ فإنه يدخل فيه الإيمان . وآخرون يقولون: الإيمان والإسلام سواء ، وهم المعتزلة والخوارج ، وطائفة من أهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر عن جمهوره ، وليس كذلك . والقول الثالث أن الإيمان أكل وأفضل ، وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع ، وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ثم هؤلاء منهم من يقول: الإسلام مجرد القول، والأعمال ليست من الإسلام. والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها، وأحمد إنما منع الاستثناء فيه على قول الزهري: هو الكلمة. هكذا نقل الأثرم، والميمونى وغيرها عنه. وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال: الإسلام الكلمة، فيستثنى في الإسلام كا يستثنى في الإيمان، فإن الإنسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الإسلام. وإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» و « بني الإسلام على خمس » فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بإيمانه. فقد قال تعالى: ( اَدْخُلُواْ فِي السِّلْمِ حَالَةُ عَالَى الله الله الله الله السلام .

وتعليل أحمد وغيره من السلف ما ذكروه في اسم الإيمان يجيء في اسم الإسلام، فإذا أريد بالإسلام الكلمة فلا استثناء فيه ، كما نص عليه أحمد وغيره وإذا أريد به من فعل الواجبات الظاهرة كلها، فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان، ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين ، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه ، فلهذا قال الزهري: الإسلام الكلمة . وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره ، وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ، فإن الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك ؛ ولهذا أحمد لم يجب بهذا في جوابه الثانى خوفاً من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة ؛ ولهذا لما قال الأثرم

لأحمد: فإذا قال: أنا مسلم فلا يستثنى ؟ قال نعم: لا يستثنى إذا قال: أنا مسلم. فقلت له أقول: هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه، فذكر حديث معمر عن الزهري قال: فنرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل.

فبين أحمد أن الإسلام إذا كان هو الكلمة فلا استثناء فيها ، فحيث كان هو المفهوم من لفظ الإسلام فلا استثناء فيه ، ولو أريد بالإيمان هذا ، كما يراد ذلك في مثل قوله: ( فَتَحْرِيرُرَقَبَةٍ مُوَّمِنةٍ ) فإنما أريد من أظهر الإسلام ، فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا ، هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام ، فالسمى واحد في الأحكام الظاهرة . ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعتقها فإنها مؤمنة » أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة ؛ لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار ، وهذا هو المؤمن المطلق في كتاب الله ، وهو الموعود بالجنة بلا نار إذا مات على إيمانه ، ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف يلزمون من شهد لنفسه بالإيمان أن يشهد لها بالجنة ؛ يعنون إذا مات على ذلك ، فإنه قد عرف أن الجنة لا يدخلها الإ من مات مؤمناً .

فإذا قال الإنسان: أنا مؤمن قطعاً ، وأنا مؤمن عند الله . قيل له : فاقطع بأنك تدخل الجنة بلا عذاب إذا مت على هذا الحال ، فإن الله أخبر أن المؤمنين

في الجنة . وأنكر أحمد بن حنبل حديث ابن عميرة أن عبدالله رجع عن الاستثناء؛ فإن ابن مسعود لما قيل له: إن قوماً يقولون : إنا مؤمنون ، فقال : أفلا سألتوهم أفى الجنة هم ؟ وفي رواية : أفلا قالوا : نحن أهل الجنة ، وفى رواية قيل له: إن هذا يزعم أنه مؤمن ؛ قال : فاسألوه أفى الجنة هو أو فى النار ؟ فسألوه فقال: الله أعلم ، فقال له عبدالله : فهلا و كلت الأولى كما وكلت الثانية ؟ من قال : أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال : أنا عالم فهو جاهل ، ومن قال : هو فى الجنة فهو فى النار ، يروي عن عمر بن الخطاب من وجوه مرسلاً من حديث قتادة و نعيم ابن أبي هند وغيرها .

والسؤال الذي تورده المرجئة على ابن مسعود ويقولون : إن يزيد بن عميرة أورده عليه حتى رجع ، جعل هذا أن الإنسان يعلم حاله الآن ، وما يدري ماذا يموت عليه ، ولهذا السؤال صار طائفة كثيرة يقولون : المؤمن هومن سبق في علم الله أنه كافر ، وأنه لا في علم الله أنه كافر ، وأنه لا اعتبار بما كان قبل ذلك ، وعلى هذا يجعلون الاستثناء ، وهذا أحد قولى الناس من أصحاب أحمد وغيرهم وهو قول أبي الحسن وأصحابه .

ولكن أحمد وغيره من السلف لم يكن هذا مقصودهم وإنما مقصودهم أن الإيمان المطلق بتضمن فعل المأمورات. فقوله: أنا مؤمن . كقوله: أنا ولي الله وأنا مؤمن تقي، وأنا من الأبرار، ونحوذلك.وابن مسعود رضي الله عنه لم يكن يخفى عليه أن الجنة لا تكون إلا لمن مات مؤمناً، وأن الإنسان لا يعلم على ماذا يموت

فإن ابن مسعود أجل قدراً من هذا ، وإنما أراد: سلوه هل هو في الجنة المن مات على هذه الحال ؟ كأنه قال: سلوه أيكون من أهل الجنة على هذه الحال ؟ فلما قال: الله ورسوله أعلم ، قال: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية . يقول: هـذا التوقف يدل على أنك لا تشهد لنفسك بفعل الواجبات وترك الحرمات . فإنه من شهد لنفسه بذلك شهد لنفسه أنه من أهل الجنة إن مات على ذلك ، ولهذا صار الذين لا يرون الاستثناء لأجل الحال الحاضر ، بل للموافاة ، لا يقطعون بأن الله تعالى يعاقب مذنباً ، فإنهم لو قطعوا بقبول توبته ، لزمهم أن يقطعون بأن الله تعالى يعاقب مذنباً ، فإنهم لو قطعوا بقبول توبته ، لزمهم أن يقطعوا له الجنة ، وهم لا يقطعون لأحد من أهل القبلة لا بجنة ولا نار ؛ إلا من قطع له النص .

وإذا قيل: الجنة هي لمن أتى بالتوبة النصوح من جميع السيئات. قالوا: ولو مات على هذه التوبة لم يقطع له بالجنة ، وهم لا يستثنون فى الأحوال ، بل يجزمون بأن المؤمن مؤمن تام الإيمان ، ولكن عندهم الإيمان عند الله هو ما يوافي به ، فمن قطعوا له بأنه مات مؤمناً لا ذنب له قطعوا له بالجنة ، فلهذا لا يقطعون بقبول التوبة لئلا يلزمهم أن يقطعوا بالجنة ، وأما أئمة السلف فإنما لم يقطعوا بالجنة بأنهم لا يقطعون بأنه فعل المأمور وترك المحظور ، ولا أنه أتى بالتوبة النصوح ، وإلا فهم يقطعون بأن من تاب توبة نصوحاً ، قبل الله توبته .

وجماع الأمر أن الاسم الواحد ينفي ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به ، فلا يجب إذا أثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام ، وهذا في

كلام العرب وسائر الأمم ، لأن المعنى مفهوم . مثال ذلك المنافقون قد يجعلون من المؤمنين في موضع ؛ وفي موضع آخر يقال : ماهم منهم . قال الله تعالى : (قَدْ يَعْلَوُ اللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآبِلِينَ لِإِخْوَنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَآ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنْهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخُوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَتِكَ لَمْ يُوْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالُهُمْ وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ) فهنالك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العدو ، الناكلين عن الجهاد ، الناهين لغيرهم ، الذامين للمؤمنين : منهم . وقال في آية أخرى ( وَيُحْلِفُونَ بِأُللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُم مِّنكُمْ وَلَاكَنَّهُمْ قَوْمٌ يَفُرَقُونَ \* لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَعًا أَوْمَغَكَرَتٍ أَوْمُدَّخَلًا لَّوَلَّوْ اللَّهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ) وهؤلاء ذنبهم أخف ، فإنهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنهى ولا سلق بألسنة حداد، ولكن حلفوا بالله إنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم ، وإلا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر ، فكذبهم الله وقال : ( وَمَاهُم مِّنكُرُ ) وهناك قَالَ : ﴿ قَدْيَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلماً مؤمناً وليس مؤمناً ، بأن منكم من هو بهذه الصفة ، وليس مؤمناً بل أحبط الله عمله ، فهو منكم في الظاهر لا الباطن .

ولهذا لما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل بعض المنافقين قال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » فإنهم من أصحابه فى الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور ، وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنته الناس وبلغوها إليهم وقاتلوا المرتدين بعد موته ، والذين بايعوه تحت الشجرة وأهل بدر وغيرهم ، بل الذين كانوا منافقين غمرتهم الناس .

وكذلك الأنساب مشلكون الإنسان أباً لآخر أو أخاه ، بثبت في بعض الأحكام دون بعض ؛ فإنه قد ثبت في « الصحيحين » أنه لما اختصم إلى الني صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة بن الأسود ، في ابن وليدة زمعة ، وكان عتبة بن أبي وقاص قد فجر بها في الجاهلية وولدت منه ولداً فقال عتبة لأخيه سعد: إذا قدمت مكة فانظر ابن وليدة زمعة فإنه ابني، فاختصم فيه هو وعبد بن زمعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد : يارسول الله ! ابن أخي عتبة ، عهــد إليَّ أخي عتبة فيه ، إذا قدمت مكة انظر إلى ابن وليدة زمعة فإنه ابني ، ألا ترى يا رسول الله شبهه بعتبة ؟ فقال عبد: يا رسول الله أخي وابن وليـدة أبي ؛ ولد على فراش أبى ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم شبهاً بيناً بعتبة فقال : « هو لك ياعبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر ، واحتجبي منه يا ســودة » لما رأى من شبهه البين بعتبة.

فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم ابن زمعة لأنه ولد على فراشه وجعله أخاً لولده بقوله: «فهو لك يا عبد بن زمعة » وقد صارت سودة أخته يرثها وترثه ؛ لأنه ابن أبيها زمعة ولد على فراشه. ومع هذا فأمرها النبي صلى الله

عليه وسلم أن تحتجب منه لما رأى من شبهه البين بعتبة ، فإنه قام فيه دليلان متعارضان : الفراش والشبه ، والنسب في الظاهر لصاحب الفراش أقوى ، ولأنها أمر ظاهر مباح والفجور أمر باطن لا يعلم ويجب ستره لا إظهاره كما قال : « للعاهر الحجر » كما يقال : بفيك الكثلب وبفيك الأثلب ، أي : عليك أن تسكت عن إظهار الفجور فإن الله يبغض ذلك ، ولما كان احتجابها منه محكناً من غير ضرر ، أم ها بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على أنه ليس أخاها في الباطن.

فتبين أن الاسم الواحد بننى في حكم ويثبت في حكم . فهو أخ فى الميراث وليس بأخ فى المحرمية . وكذلك ولد الزناعند بعض العلماء ، وابن الملاعنة عند الجميع إلا من شذ ؛ ليس بولد فى الميراث ونحوه ، وهو ولد فى تحريم النكاح والمحرمية .

ولفظ النكاح وغيره في الأمر، بتناول الكامل، وهو العقد والوطه، كا في قوله: ( حَتَّى تَنكِحُ رَوْجًا كَا في قوله: ( حَتَّى تَنكِحُ رَوْجًا عَيْرَهُ) وفي النهي بعم الناقص والكامل؛ فينهي عن العقد مفرداً وإن لم يكن وطء كقوله: ( وَلَا نَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَ أَوُّكُم مِّنَ النِسَاءِ) وهذا لأن الآمر مقصوده تحصيل المصلحة، وتحصيل المصلحة إنما يكون بالدخول كما لو قال: اشتر لي طعاماً؛ فالمقصود ما يحصل إلا بالشراء والقبض، والناهي مقصوده دفع المفسدة، فيدخل كل جزء منه؛ لأن وجوده مفسدة والناهي مقصوده دفع المفسدة، فيدخل كل جزء منه؛ لأن وجوده مفسدة

وكذلك النسب والميراث معلق بالكاملمنه ، والتحريم معلق بأدنى سبب حتى الرضاع .

وكذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال ، ينفي تارة باعتبار انتفاء كماله ، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه . فلفظ الرحال بعم الذكور وإن كانوا صغاراً في مثل قوله: ( وَإِن كَانُوٓ أَإِخْوَةً رِّجَا لَا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُحَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ ) ولا يعم الصغار في مشل قوله: ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنَآ أَخْرِجْنَامِنْ هَاذِهِ ٱلْقَرِّيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ) فإن باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه ، فلو اقتصر على ذكر المستضعفين من الرجال لظن أن الولدان غير داخلين ، لأنهم ليسوا من أهله وهم ضعفاء ، فذكرهم بالاسم الخاص ليبين عذره في ترك الهجرة ووجوب الجهاد. وكذلك الإيمان له مبدأ وكمال، وظاهر وباطن، فإذا علقت به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدم والمال والمواريث، والعقوبات الدنيوية، علقت بظاهره لا يمكن غير ذلك إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر ؛ وإن قدر احياناً فهو متعسر علماً وقدرة ؛ فلا يعلم ذلك علماً يثبت به في الظاهر ، ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن.

وبهذين المثلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتنع من عقوبة المنافقين ؛ فإن فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك ؛ والذبن كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ؛ ولقال الناس : إن محمداً يقتل أصحابه ؛ فكان يحصل بسبب ذلك

نفور عن الإسلام؛ إذ لم يكن الذنب ظاهراً ، يشترك الناس في معرفته وأما هم بعقوبة من يتخلف عن الصلاة ، منعه من في البيوت من النساء والذرية ، وأما مبدؤه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي ، فإذا قال الله : ( يَتَأَيُّهَا اللَّهِ مِنَ عَامَنُوا إِذَا قَالَ الله : ( يَتَأَيُّهَا اللَّهِ مِنَ عَامَنُوا إِذَا قَالَ الله عَلَمُ إِلَى الصَّلَوةِ ) ونحو ذلك ، فهو أمر في الظاهر لكل من أظهره ، وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه أنه مصدق للرسول ، وإن كان عاصياً ، وإن كان لم يقم بالواجبات الباطنة والظاهرة ، وذلك أنه إن كان لفظ : عاصياً ، وإن كان لم يتناولهم فذاك لذنوبهم ، فلا رألَّدِين عَامَنُوا ) يتناولهم فلا كلام ، وإن كان لم يتناولهم فذاك لذنوبهم ، فلا تكون ذنوبهم مانعة من أمره بالحسنات التي إن فعلوها كانت سبب رحتهم ، وإن تركوها كان أمره بها ، وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الإيمان ، والكافر يجب عليه أيضاً ، لكن لا يصح منه حتى يؤمن ، وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في يؤمن ، وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في الباطن حتى يؤمن .

وأما من كان معه أول الإيمان، فهذا يصح منه الأن معه إقراره في الباطن بوجوب ما أوجبه الرسول، وتحريم ما حرمه، وهذا سبب الصحة، وأما كاله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة والسلامة من النار، فإن هذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور، ومن فعل بعضاً وترك بعضاً، فيناب على ما فعله، ويعاقب على ماتركه، فلا يدخل هذا في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء، دون الذم والعقاب. ومن نفي عنه الرسول الإيمان، فنفي الإيمان في هذا الحكم، الأنه ذكر ذلك على سبيل الوعيد. والوعيد إنما يكون بنفي ما يقتضي الثواب، ويدفع العقاب، ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الإيمان في يقتضي الثواب، ويدفع العقاب، ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الإيمان بيقتضي الثواب، ويدفع العقاب، ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الإيمان

عن أصحاب الذنوب ، فإنها هو فى خطاب الوعيد والذم ، لا فى خطاب الأمر والنهى ، ولا فى أحكام الدنيا .

واسم الإسلام والإيمان والإحسان هي أسماء ممدوحة مرغوب فيها لحسن العاقبة لأهلها ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن العاقبة الحسنة لمن اتصف بهما على الوجه الذي بينه ؛ ولهذا كان من نفي عنهم الإيمان ؛ أو الإيمان والإسلام جميعاً ، ولم يجعلهم كفاراً ، إنما نفي ذلك في أحــكام الآخرة ، وهو الثواب ، لم ينفه في أحكام الدنيا . لكن المعتزلة ظنت أنه إذا انتفي الاسم انتفت جميع أجزائه فلم يجعلوا معهم شيئًا من الإيمان والإسلام ، فجعلوم مخلدين في النار ، وهـذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف ، ولو لم يكن معهم شيء من الإيمان والإسلام ، لم يثبت في حقهم شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين ، لكن كانوا كالمنافقين . وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع التفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن ، وبين المؤمن المذنب ، فالمعتزلة سو وا بين أهل الذنوب وبين المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والإيمان عهم ' بل قد يثبتونه للمنافق ظاهراً ، وينفونه عن المذنب باطناً وظاهراً .

فإن قيل: فإذا كان كل مؤمن مسلماً ، وليس كل مسلم مؤمناً \_ الإيمان الكامل \_ كا دل عليه حديث جبريل وغيره من الأحاديث مع القرآن ، وكما ذكر ذلك عمن ذكر عنه من السلف ، لأن الإسلام الطاعات الظاهرة ، وهو الاستسلام والانقياد ، لأن « الإسلام في الأصل » هو الاستسلام والانقياد ،

وهذا هو الانقياد والطاعة ، والإيمان فيه معنى التصديق والطمأنينة ، وهذا قدر زائد ، فما تقولون فيمن فعل ما أمره الله ، وترك ما نهى الله عنه مخلصاً لله تعالى ظاهراً وباطناً ؟ أليس هذا مسلماً باطنا وظاهراً ، وهو من أهل الجنة ، وإذا كان كذلك فالجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فهذا يجب أن يكون مؤمناً .

قلنا: قد ذكرنا غير مرة، أنه لا بدأن بكون معه الإعان الذي وجب عليه، إذ لو لم يؤد الواجب لكان معرضاً للوعيد؛ لكن قد بكون من الإيمان ما لا يجب عليه إما لكونه لم يخاطب به، أو لكونه كان عاجزاً عنه، وهذا أولى، لأن الإيمان الموصوف في حديث جبريل، والإسلام، لم يكونا واجبين في أول الإسلام، بل ولا أوجبا على من تقدم قبلنا من الأمم اتباع الأنبياء أهل الجنة، مع أنهم مؤمنون مسلمون، ومع أن الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره؛ وهو دين الله في الأولين والآخرين، لأن الإسلام عبادة الله وحده لا شريك له بما أمر، فقد تتنوع أوامره في الشريعة الواحدة، فضلاً عن الشرائع، فيصير في الإسلام بعض الإيمان بما يخرج عنه في وقت آخر، كالصلاة إلى الصخرة، كان من الإسلام حين كان الله أمر به، ثم خرج من الإسلام لما شي الله عنه .

ومعلوم أن الحمس المذكورة في حديث جبريل ، لم تجب في أول الأمر ، بل الصيام والحج وفرائض الزكاة ، إنما وجبت بالمدينة ؛ والصلوات الحمس إنما وجبت ليلة المعراج؛ وكثير من الأحاديث ليس فيها ذكر الحج لتأخر وجوبه إلى سنة نسع أو عشر على أصح القولين؛ ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان من اتبعه وآمن بما جاء به ، مؤمناً مسلماً ؛ وإذا مات كان من أهل الجنة ، ثم إنه بعد هذا زاد « الإيمان ، والإسلام » حتى قال تعالى: ( اَلْيَوْمَ أَكْمَلَتُ لَكُمْ وِينَكُمْ ) وكذلك الإيمان فإن هذا الإيمان المفصل الذي ذكره فى حديث جبريل ، لم يكن مأموراً به فى أول الأمر لما أنزل الله سورة العلق والمدثر ، بل إنما جاء هذا في السور المدنية ، كالبقرة ، والنساء وإذا كان كذلك لم يلزم أن يكون هذا الإيمان المفصل واجباً على من تقدم قبلنا .

وإذا كان كذلك ، فقد يكون الرجل مسلماً يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ، ومعه الإيمان الذي فرض عليه ، وهو من أهل الجنة وليس معه هذا الإيمان المذكور في حديث جبريل ، لكن هذا يقال : معه ما أمر به من الإيمان والإسلام ، وقد يكون مسلماً يعبد الله كما أمر ، ولا يعبد غيره و يخافه و يرجوه ؛ والإسلام ، وقد يكون مسلماً يعبد الله ورسوله أحب إليه مما سواها ، ولا أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من جميع أهله وماله ؛ وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يخاف الله لا يخاف غيره ؛ وأن لا يتوكل إلا على الله ؛ وهذه كلها من الإيمان الواجب ؛ وليست من لوازم الإسلام ؛ فإن الإسلام هو الاستسلام وهو يتضمن الخضوع لله وحده ؛ والانقياد له ، والعبودية لله وحده ؛ وهذا قد يتضمن خوفه ورجاءه . وأما طمأنينة القلب بمحبته وحده ، وأن يكون أحب إليه مما سواها ، وبالتوكل عليه وحده ، وبأن يحب لأخيه المؤمن ما يحب

لنفسه؛ فهذه من حقائق الإيمان التي تختص به، فمن لم يتصف بها، لم يكن من المؤمنين حقاً وإن كان مسلماً، وكذلك وجل قلبه إذا ذكر الله، وكذلك زيادة الإيمان إذا تليت عليه آياته.

فإن قيل: ففوات هذا الإيمان من الذنوب أم لا؟ قيل: إذا لم يبلغ الإنسان الخطاب الموجب لذلك، لا يكون تركه من الذنوب وأما إن بلغه الخطاب الموجب لذلك فلم يعمل به كان تركه من الذنوب إذا كان قادراً على ذلك، وكثير من الناس أو أكثر هم ليس عنده هذه التفاصيل التي تدخل في الإيمان، مع أنهم قائمون بالطاعة الواجة في الإسلام، وإذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا منها؛ وحقائق الإيمان التي في القلوب لا يعرفون وجوبها؛ بل ولا أنها من الإيمان بل كثير ممن يعرفها منهم، يظن أنها من النوافل المستحبة إن صدق بوجوبها.

«فالإسلام» يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان، وهو المنافق المحض، ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا، وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق، ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من الإيمان؛ ولم بأت بتمام الإيمان الواجب. وهؤلاء ليسوا فساقا تاركين فريضة ظاهرة، ولامرتكبين محرماً ظاهراً لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين.

وهذا هو «النفاق» الذي كان يخافه السلف على نفوسهم . فإن صاحبه قد بكون فيه شعبة نفاق. وبعد هذا ما ميز الله به المقربين على الأبرار أصحاب اليمين من إيمان وتوابعه ، وذلك قد يكون من باب المستحبات ، وقد يكون أيضاً مما فضل به المؤمن: إيمان وإسلام مما وجب عليه ولم بجب على غيره. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده · فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان، وفي الحديث الآخر: «ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل» فإن مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ؛ بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أن من لم ينكر ذلك لم يكن معه من الإيمان حبة خردل ، ولهذا قال : ليس وراء ذلك » فجعل المؤمنين ثلاث طبقات ، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه ، لكن الأول لما كان أقدرهم ، كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني، وكانما يجب على الثاني أكلما يجب على الآخر، وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم.

## فھـــــل

وأما « الاستثناء في الإيمان » بقول الرجل : أنا مؤمن إن شاء الله ، فالناس فيه على «ثلاثة» أقوال: منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين ؛ وهذا أصح الأقوال . فالذين يحرمونه م المرجئة والجهمية ونحوهم ، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه ، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه؛ فيقول أحده: أنا أعلم أني مؤمن ، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين ، وكما أعلم أنى قرأت الفاتحة ، وكما أعلم أنى أحب رسول الله؛ وأني أبغض اليهود والنصاري . فقولي : أنا مؤمن كقولي : أنا مسلم ، وكقولي : تكلمت بالشهادتين ، وقرأت الفاتحة ، وكقولي : أنا أبغض اليهود والنصارى ، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها، وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفَّاتحة إن شاء الله ،كذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شــاءالله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله ، قالوا: فمن استشى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة .

والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان:

( أحدهم ) أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان؛ والإنسان إنما يكون

عندالله مؤمناً وكافراً ، باعتبار الموافاة وما سبق فى علم الله أنه يكون عليه ، وما قبل ذلك لا عبرة به . قالوا : والإيمان الذي يتعقبه الكفر ، فيموت صاحبه كافراً ، ليس بإيمان ، كالصلاة التى يفسدها صاحبها قبل الكال ؛ وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب ، وصاحب هذا هو عندالله كافر لعلمه بما يموت عليه ، وكذلك قالوا فى الكفر ، وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من المكلابية وغيره ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث ، من قولهم : أنا مؤمن إن شاءالله ؛ ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل ؛ ولا يشك الإنسان فى الموجود منه ، وإنما يشك فى المستقبل ، وانضم إلى ذلك أنهم يقولون : محبة الله ورضاه وسخطه و بغضه قديم . ثم هل ذلك هو الإرادة أم صفات أخر ؟ لهم فى ذلك «قولان» .

وأكثر قدمائهم يقولون: إن الرضى والسخط والغضب ونحو ذلك صفات ليست هي الإرادة، كما أن السمع والبصر ليس هو العلم، وكذلك الولاية والعداوة. هذه كلها صفات قديمة أزلية عند أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن انبعه من المتكلمين، ومن أنباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم.

قالوا: والله يحب في أزله من كان كافراً إذا علم أنه بموت مؤمناً. فالصحابة ما زالوا محبوبين لله وإن كانوا قد عبدوا الأصنام مدة من الدهر ،وإبليس ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد. وهذا على أحد القولين لهم ،فالرضى والسخط

يرجع إلى الإرادة ، والإرادة تطابق العلم . فالمعنى : ما زال الله يريد أن يثيب هؤلاء بعد إيمانهم ، ويعاقب إبليس بعد كفره . وهذا معنى صحيح . فإن الله يربد أن يخلق كل ما علم أن سيخلقه . وعلى قول من يثبتها صفات أخرى ، يقول : هو أيضاً حبه تابع لمن يريد أن يثيبه . فكل من أراد إثابته فهو يحبه وكل من أراد عقوبته فإنه يبغضه ، وهذا تابع للعلم . وهؤلاء عنده لا يرضى عن أحد بعد أن كان ساخطاً عليه ، ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه ، بل ما زال يفرح بتوبته . والفرح عنده إما الإرادة وإما الرضى . والمعنى ما زال يريد إثابته أو يرضى عن يريد إثابته . وكذلك لا يغضب عنده يوم القيامة دون ما قبله . بل غضبه قديم إما بمعنى الإرادة ، وإما بمعنى آخر .

فهؤلاء يقولون: إذا علم أن الإنسان يموت كافراً ، لم يزل مريداً لعقوبته ، فذاك الإيمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه ، بل وجوده كعدمه . فليس هذا بمؤمن أصلاً ، وإذا علم أنه يموت مؤمناً ، لم يزل مريداً لإثابته ، وذاك الكفر الذي فعله وجوده كعدمه . فلم يكن هذا كافراً عندم أصلاً . فهؤلاء يستثنون في الإيمان بناء على هذا المأخذ ، وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الإيمان بناء على هذا المأخذ ، وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر ، مثل أبي منصور الماتريدي ، فإن ما ذكروه مطرد فيهما . ولكن جماهير الأئمة على أنه لا يستثني في الكفر ، والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن أحد من السلف ، ولكن هو لازم لهم .

والذين فرقوا من هؤلاء قالوا: نستثني في الإيمان رغبة إلى الله في أن

يثبتنا عليه إلى الموت، والكفر لا يرغب فيه أحد. لكن يقال :إذا كان قولك : مؤمن ، كقولك : في الجنة . فأنت تقول عن الكافر : هو كافر . ولا تقول : هو في النار ، إلا معلقاً بموته على الكفر ، فدل على أنه كافر في الحال قطعاً . وإن جاز أن يصير مؤمناً ، كذلك المؤمن . وسواء أخبر عن نفسه أو عن غيره فلو قيل عن يهودي أو نصراني : هذا كافر ، قال : إن شاءالله ؛ إذ لم يعلم أنه يموت كافراً ؛ وعند هؤلاء لا يعلم أحد أحداً مؤمناً إلا إذا علم أنه يموت عليه ؛ وهذا القول قاله كثير من أهل الكلام أصحاب ابن كلاب ، ووافقهم على ذلك كثير من أتباع الأمّة ، لكن ليس هذا قول أحد من السلف ، لا الأمّة الأربعة ولا غيره ، ولا كان أحد من السلف الذين يستشون في الإيمان ، يعللون مهذا ، لا أحمد ولا من قبله .

ومأخذ هذا القول، طرده طائفة بمن كانوا في الأصل يستثنون في الإيمان اتباعا للسلف، وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف، وكان أهل الشام شديدين على المرجئة، وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري مرابطاً بعسقلان لما كانت معمورة، وكانت من خيار ثغور المسلمين، ولهذا كان فيها فضائل لفضيلة الرباط في سبيل الله، وكانوا يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف، واستثنوا أيضاً في الأعمال الصالحة، كقول الرجل: صليت إن شاءالله ونحو ذلك، بمعنى القبول، لما في ذلك من الآثار عن السلف. ثم صار كثير من هؤلاء بآخرة يستثنون في كل شيء، فيقول هذا ثوبي إن شاء الله، وهذا حبل

إن شاءالله . فإذا قيل لأحدم : هذا لا شك فيه ؛ قال : نعم لا شك فيه ؛ لكن إذا شاءالله أن يغيره غيره ؛ فيريدون بقولهم إن شاءالله جواز تغييره في المستقبل، وإن كان في الحال لا شك فيه ؛ كأن الحقيقة عنده التي لايستني فيهاما لم تتبدل، كا يقوله أولئك في الإيمان : إن الإيمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه .

لكن هذا القول. قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر ، وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء تلقوا ذلك عن بعض أتباع شيخهم، وشيخهم الذي ينتسبون إليه يقال له: أبو عمرو عثمان بن مرزوق، لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء ، بل كان في الاستثناء على طريقة من كان قبله ؛ ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه بعده ، وكان شيخهم منتسباً إلى الإمام أحمد ، وهو من أتباع عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج المقدسي ، وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلى. وهؤلاء كلهم وإن كانوا منتسبين إلى الإمام أحمد، فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذي كان أحمد ينكره على الكلابية ، وأمر بهجر الحارث المحاسي من أجله ، كما وافقه على أصله طائفة من أصحاب مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، كأبي المعالي الجويني ، وأبي الوليد الباجي ، وأبي منصور الماتريدي وغيرهم، وقول هؤلاء في مسائل متعددة من مسائل الصفات، وما يتعلق بها، كمسألة القرآن ، هل هو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ؟ أم القرآن لازم لذاته؟ وقولهم في «الاستشاء» منبي على ذلك الأصل. وكذلك بناه الأشعري وأتباعه عليه ؛ لأن هؤلاء كلهم كلابية يقولون : إن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا يرضى ولا بغضب على أحد بعد إيمانه وكفره ولا يفرح بتوبة التائب بعد توبته . ولهذا وافقوا السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق : ثم قالوا : إنه قديم لم يتكلم به بمشيئته وقدرته . ثم اختلفوا بعد هذا في القديم ، أهو معنى واحد ؟ أم حروف قديمة مع تعاقبها ؟ كما بسطت أقوالهم وأقوال غيرهم في مواضع أخر .

وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال: قطعاً في شيء من الأشياء ، مع غلوم في الاستثناء ، حتى صار هذا اللفظ منكراً عندم ، وإن قطعوا بالمعنى فيجزمون بأن محمداً رسول الله ، وأن الله ربهم ولا يقولون :قطعا . وقد اجتمع بي طائفة منهم ، فأنكرت عليهم ذلك ؛ وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا : قطعاً ، وأحضروا لي كتاباً فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقول الرجل : قطعاً وهي أحاديث موضوعة مختلقة ، قد افتراها بعض المتأخرين .

والمقصود هنا أن «الاستثناء في الإيمان » لما علل بمثل تلك العلمة ، طرد أقوام تلك العلة في الأشياء التي لا يجوز الاستثناء فيها بإجماع المسلمين ، بناء على أن الأشياء الموجودة الآن إذا كانت في علم الله تتبدل أحوالها ؛ فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال ويقال : هذا صغير إن شاء الله ، لأن الله قد يجعله كبيراً ويقال : هذا مجنون إن شاء الله ، لأن الله قد يجعله كبيراً ويقال : هذا مجنون إن شاء الله ، لأن الله قد يجعله عاقلا ويقال للمرتد :

هذا كافر إن شاء الله لإمكان أن بتوب . وهؤلاء الذين استثنوا في الإيمان بناء على هذا المأخذ ، ظنوا هذا قول السلف .

وهؤلاء وأمناهم من أهل الكلام بنصرون ما ظهر من دين الإسلام ، كا ينصر ذلك المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين ، فينصرون إثبات الصانع والنبوة والمعادونحو ذلك . وينصرون مع ذلك ما ظهر من مذاهب أهل السنة والجماعة ، كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية والأشعرية ونحوه ، ينصرون أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله يرى في الآخرة وأن أهل القبلة لا يكفرون بالذنب ولا يخلدون في النار ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة في الما الكبائر وأن فتنة القبر حق وعذاب القبر حق ، وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم في الآخرة حق . وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع أنها من أصول عليه وسلم في الآخرة حق . وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع أنها من أصول وعمر ونحو ذلك .

وكثير من أهل الكلام في كثير مما ينصره لا يكون عارفاً بحقيقة دين الإسلام في ذلك ، ولا ما جاءت به السنة . ولا ما كان عليه السلف . فينصر ماظهر من قولهم ، بغير المآخذ التي كانت مآخذهم في الحقيقة بل بماخذ أخر قد تلقوها عن غيرهم من أهل البدع ، فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله ، فإن كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير . والكلام المذموم هو المخالف للكتاب والسنة ، وكل ما خالف

الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف للشرع والعقل، ( وَتَمَّتُ كَلِمَتُرَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا).

فهؤلاء لما اشتهر عنده عن أهل السنة أنهم يستثنون في الإيمان ، ورأوا أن هذا لا عكن إلا إذا جعل الإعان هو ما عوت العبد عليه ، وهو ما يوافي به العبد ربه ، ظنوا أن الإعان عند السلف هو هذا ؛ فصاروا يحكون هذا عن السلف؛ وهذا القول لم يقل به أحد من السلف؛ ولكن هؤلاء حكوه عنهم بحسب ظنهم: لما رأوا أن قولهم لا يتوجه إلا على هذا الأصل، وهم يدعون أن ما نصروه من أصل جهم في الإيمان ، هو قول المحققين والنظار من أصحاب الحديث. ومثل هذا يوجد كثيراً في مذاهب السلف التي خالفها بعض النظار وأظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول السلف ؛ فيقول من عرف حجة هؤلاء دون السلف، أو من يعظمهم الما يراه من تميزهم عليه: هذا قول المحققين. وقال المحققون. ويكون ذلك من الأقوال الباطلة، المخالفة للعقل مع الشرع؛ وهذا كثيراً ما يوجد في كلام بعض المبتدعين وبعض الملحدين. ومن آ ناه الله علماً وإيماناً ؛ علم أنه لا يكون عند المتــأخرين من التحقيق ، إلا ما هو دون تحقيق السلف لا في العلم ولا في العمل ، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات، وبالعمليات، علم أن مذهب الصحابة دائمًا أرجح من قول من بعدهم وأنه لا يبتدع أحد قولاً في الإسلام إلا كان خطأ ، وكان الصواب قد سبق إليه من قبله.

قال أبو القاسم الأنصاري، فيما حكاه عن أبي إسحاق الإسفرائيني ، لما ذكر قول أبي الحسن وأصحابه في الإيمان، وصحح أنه تصديق القلب قال: ومن أصحابنا ؛ من قال بالموافاة ، وشرط في الإيمان الحقيقي أن يوافي ربه به ، ويختم عليه . ومنهم من لم يجعل ذلك شرطاً فيه في الحال .

قال الأنصاري: لما ذكر أن معظم أئمة السلف ، كانوا يقولون: الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح قال: الأكثرون من هؤلاء على القول بالموافاة . ومن قال بالموافاة ، فإنما يقوله فيمن لم يرد الخبر بأنه من أهل الجنة . وأما من ورد الخبر بأنه من أهل الجنة ، فإنه يقطع على إيمانه ، كالعشرة من الصحابة . ثم قال : والذي اختساره المحققون ؛ أن الإيمان هو التصديق . وقد ذكرنا اختسلاف أقوالهم في الموافاة ؛ وأن ذلك هل هو شرط في صحة الإيمان وحقيقته في الحال ، وكونه معتداً عند الله به وفي حكمه ، فمن قال : إن ذلك شرط فيسه ، يستثنون في الإطلاق في الحال ؛ لا أنهم يشكون في حقيقة التوحيد والمعرفة ؛ لكنهم يقولون : لا يدري أي الإيمان الذي نحن موصوفون به في الحال ، هل هو معتد به عند الله ؟ على معنى أنا ننتفع موسوفون به في الحال ، هل هو معتد به عند الله ؟ على معنى أنا ننتفع به في العاقبة ، ونجتني من ثماره .

فإذا قيل لهم: أمؤمنون أنتم حقاً؟ أو تقولون إن شاء الله؟ أو تقولون نرجو؟ فيقولون نحن مؤمنون إن شاءالله، يعنون بهذا الاستثناء، تفويض الأمر في العاقبة إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما يكون الإيمان إيماناً معتداً به في حكم

الله ، إذا كان ذلك علم الفوز وآبة النجاة ، وإذا كان صاحبه \_ والعياذ بالله \_ في حكم الله من الأشقياء ، بكون إيمانه الذي تحلى به في الحال عارية . قال : ولا فرق عند الصائرين إلى هذا المذهب ، بين أن يقول : أنا مؤمن من أهل الجنة قطعاً ؛ وبين أن يقول أنا مؤمن حقاً .

قلت : هذا إنما يجيء على قول من يجعل الإيمان متناولاً لأداء الواجبات وترك المحرمات؛ فمن مات على هذا كان من أهل الجنة، وأما على قول الجهمية والمرجئة ، وهو القول الذي نصره هؤلاء الذين نصروا قول جهم ؛ فإنه يموت على الإيمان قطعاً ، ويكون كامل الإيمان عندهم ، وهو مع هذا عندهم من أهل الكبائر الذين يدخلون النار ، فلا يلزم إذا وافي بالإيمان ، أن يكون من أهل الجنة . وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده ، لأن الله وعــد المؤمنين بالجنة . وكذلك قالوا: لاسيما والله سبحانه وتعالى يقول: (وَعَدَاللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ جَنَّتِ ﴾ الآية . قال : فهؤلاء \_ يعني القائلين بالموافاة جعـــلوا الثبات على هذا التصديق والإيمان الذي وصفناه إلى العاقبة والوفاء به في المآل شرطاً في الإيمان شرعا ، لا لغة ، ولاعقلا . قال : وهذا مذهب سلف أصحاب الحدث والأكثرين ؛ قال : وهو اختيار الإمام أبي بكر بن فورك ؛ وكان الإمام محمد ابن إسحاق بن خزيمة يغلو فيــه ، وكان يقول : من قال : أنا مؤمن حقاً فهو متدع.

وأما مذهب سلف أصحاب الحديث ، كابن مسعود وأصحابه ، والثوري

وابن عينة ، وأكثر علماء الكوفة ، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة ، وأحمد بن حنبل وغيره من أمّة السنة ، فكانوا يستثنون في الإيمان . وهذا متواتر عنهم ، لكن ليس في هؤلاء من قال : أنا أستثنى لأجل الموافاة ، وأن الإيمان ، إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه : بل صرح أمّة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات ، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك ، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى : فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلاعلم ؛ كما سنذكر أقوالهم إن شاء الله في ذلك .

وأما الموافاة؛ فما علمت أحداً من السلف علل بها الاستثناء ولكن كثيرمن المتأخرين ، يعلل بهـا من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيره ؛ كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه ، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث . ثم قال :

فإن قال قائل: إذا قلتم أن الإيمان المأمور به فى الشريعة ، هو ماوصفتموه بشرائطه ، وليس ذلك متلقى من اللغة ، فكيف يستقيم قولكم إن الإيمان لغوي ؟ قلنا الإيمان هو التصديق لغة وشرعا ، غير أن الشرع ضم إلى التصديق أوصافا وشرائط : مجموعها يصير مجزياً مقبولاً كما قلنا فى الصلاة والصوم والحج ونحوها ، والصلاة في اللغة : هي الدعاء غير أن الشرع ضم إليها شرائط .

فيقال: هذا يناقض ما ذكروه في مسمى الإيمان، فإنهم لما زعموا أنه في اللغة التصديق، والشرع لم يغيره، أوردوا على أنفسهم. فإن قيل : أليس الصلاة والحج والزكاة معدولة عن اللغة ، مستعملة في غير مذهب أهلها . قلنا : قد اختلف العلماء في ذلك ، والصحيح أنها مقررة على استعمال أهل اللغة ، ومبقاة على مقتضياتها ، وليست منقولة ، إلا أبها زيد فيها أمور . فلو سلمنا للخصم كون هذه الألفاظ منقولة ، أو محمولة على وجه من الحجاز بدليل مقطوع به ، فعليه إقامة الدليل على وجود ذلك في الإيمان . فإنه لا يجب إزالة ظواهر القرآن بسبب إزالة ظاهر منها .

فيقال: أنتم في الإيمان جعلتم الشرع زاد فيه وجعلتموه كالصلاة والزكاة مع أنه لا يمكن أحداً أن يذكر شيئاً من الشرع دليلاً على أن الإيمان لايسمى به ، إلا الموافاة به وبتقدير ذلك ، فعلوم أن دلالة الشرع على ضم الأعمال إليه أكثر وأشهر ، فكيف لم تدخل الأعمال في مسماه شرعا ؟ وقوله: لا بد من دليل مقطوع به عنه جوابان:

( أحدها ): النقض بالموافاة، فإنه لا يقطع فيه.

(الثاني): لا نسلم، بل نحن نقطع بأن حب الله ورسوله وخشية الله ونحو ذلك، داخل في مسمى الإيمان في كلام الله ورسوله أعظم مما نقطع ببعض أفعال الصلاة والصوم والحج، كمسائل النزاع. ثم أبو الحسن، وابن فورك وغيرها من القائلين بالموافاة، هم لا يجعلون الشرع ضم إليه شيئاً، بل عنده كل من سلبه الشرع اسم الإيمان، فَقَدْ فُقدَ من قلبه التصديق.

قال: ومن أصحابنا [من] لم يجعل الموافاة على الإيمان شرطاً في كونه إيماناً (١) أضيفت حسب مفهوم السياق.

حقيقياً في الحال ، وإن جعل ذلك شرطاً في استحقاق الثواب عليه ، وهذا مذهب المعتزلة والكرامية ، وهو اختيار أبي إسحاق الإسفرائيني ، وكلام القاضي يدل عليه ، قال : وهو اختيار شيخنا أبي المعالي ، فإنه قال : الإيمان ثابت في الحال قطعاً لاشك فيه ، ولكن الإيمان الذي هو علم الفوز وآبة النجاة إيمان الموافاة . فاعتنى السلف به وقرنوه بالاستثناء ، ولم يقصدوا الشك في الإيمان الناجز .

قال: ومن صار إلى هذا يقول: الإيمان صفة يشتق منها اسم المؤمن وهو المعرفة والتصديق؛ كما أن العالم مشتق من العلم، فإذا عرفت ذلك من نفسى قطعت به كما قطعت بأنى عالم وعارف ومصدق، فإن ورد فى المستقبل ما يزيله خرج إذ ذاك عن استحقاق هذا الوصف. ولا يقال: تبينا أنه لم يكن إيماناً مأموراً به ، بل كان إيماناً مجزياً ، فتغير وبطل. وليس كذلك قوله: أنا من أهل الجنة ، فإن ذلك مغيب عنه ، وهو مرجو . قال: ومن صار إلى القول الأول يتمسك بأشياء . منها أن يقال: الإيمان عبادة العمر ، وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة أولها على سلامة آخرها . كما نقول فى الصلاة والصيام والحج . فيتوقف صحة أولها على سلامة آخرها . كما نقول فى الصلاة والصيام والحج . قالوا: ولا شك أنه لا يسمى فى الحال ولياً ، ولا سعيداً ، ولا مرضياً عند الله . وكذلك الكافر لا يسمى فى الحال عدوا لله ، ولا شقيا ، إلا على معنى أنه تجري عليه أحكام الأعداء فى الحال لإظهاره من نفسه علامتهم .

قلت : هذا الذي قالوه ، أنه لاشك فيه هو قول ابن كلاب والأشعري

وأصحابه، ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيره. وأما أكثر الناس فيقولون: بل هو إذا كان كافراً، فهو عدو لله، ثم إذا آمن وانقى صار ولياً لله. قال الله تعالى: ( يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ اَمَنُواْ لاَتَنْخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياتَ تَلْقُونَ إِلَيْهِم ) إلى قوله: ( عَسَى الله أَن يَجْعَلَ يَنْنَكُمْ وَيَيْنَ اللَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَنَدَةً وَاللهُ فَيْرَا اللهِ عَلَى الله ورسوله قبل الفتح، آمن أكثره، وصاروا من أولياء الله ورسوله، وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله وهي الإرادة والحجة والرضا ونحو ذلك. فعناها إرادة إثابته بعد الموت؛ وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم أنه يموت مؤمناً، لم يزل ولياً لله: لأنه لم يزل الله عريداً لإدخاله الحبنة، وكذلك العداوة.

وأما الجمهور فيقولون: الولاية والعداوة وإن نضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه، فهو سبحانه برضى عن الإنسان ويحبه، بعد أن يؤمن ويعمل صالحاً؛ وإنما يسخط عليه وبغضب، بعد أن يكفر، كما قال تعالى: ( ذَالِكَ بِأَنّهُمُ النّبَعُواْ مَا آسَخُطَ اللّهَ وَكَرِهُوا رِضَوَانَهُ)؛ فأخبر أن الأعمال أسخطته؛ وكذلك قال (فلَمَا اَسْخُط الله وَكَرُلك قال الله قال (فلَمَا اَسْخُط الله وَكَرُلك قال الله قال (فلَمَا اَسْخُط الله وَلَا الله قال الله عالى: ( وَإِن تَشْكُرُوا نَرْضَهُ لَكُو )؛ وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله تعالى: « من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه؛ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه؛ فإذا أحبته ، كنت سمعه الذي عليه؛ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه ؛ فإذا أحبته ، كنت سمعه الذي

يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، في يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بدله منه » .

فأخبر أنه: لا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه ، ثم قال: فإذا أحببته: كنت كذا ، وكذا . وهذا بيين أن حه لعبده إنما يكون بعد أن يأتي بمحابه . والقرآن قد دل على مثل ذلك ، قال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللَّهُ ) ، فقوله : ( يُخْبِبْكُمُ ) ، جواب الأمر في قوله : فاتبعوني ، وهو بمنزلة الجزاء مع الشرط ، ولهذا جزم ، وهذا ثواب عملهم ، وهو اتباع الرسول ، فأثابهم على ذلك بأن أحبهم ؛ وجزاء الشرط ، وثواب العمل ، ومسبب السبب لا يكون إلا بعده، لا قبله، وهذا كقوله تعالى: ( ٱدْعُونِيَ أَسْتَجِبُ لَكُمْ ) وقوله تعالى : ( يَنقُومُنَا آجِيبُواْ دَاعِي ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِ عَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُرْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَاب أَلِيمِ )؛ وقوله تعالى: ( ٱتَّقُواْٱللَّهَوَقُولُواْقَوْلُا سَدِيلًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) ، ومثل هذاكثير ، وكذلك قوله : ( فَأَتِمُوۤ إَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِمَّ إِنَّاللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُنَّقِينَ )، وقوله: ( لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَمَقْتًاعِندَٱللَّهِ أَن تَقُولُواْمَا لَا تَقْعَلُونَ \* إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عَصَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَنَ مُرْصُوصٌ ) ؛ وكانوا قد سألوه : لو علمنا أي العمل أحب إلى الله لعملناه.

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُمِن مَّقْتِكُمُ أَنفُسَكُمْ

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَنِ فَتَكُفُرُونَ) ، فهذا يدل على أن حبه ومقته، جزاء لعملهم وأنه يحبهم إذا اتقوا وقاتلوا ؛ ولهذا رغبهم في العمل بذلك ، كما يرغبهم بسائر ما بعده به ؛ وجزاء العمل بعد العمل ، وكذلك قوله : ﴿ إِذْ تُدَّعُونَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكُفُرُونَ ) ؛ فإنه سبحانه يمقتهم إذ يدعون إلى الإيمان فيكفرون ؛ ومثل هــذا قوله: ( لَقَدْرَضِي ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَعْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَافِى قُلُوبِهِمْ فَأَنَزَلَٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا )؛ فقوله: (لَّقَدْرَضِي ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِين إِذْ يُبَايِعُونَكَ ) ؛ بين أنه رضي عنهم هذا الوقت ، فإن حرف (إذ) ظرف لما مضى من الزمان ؛ فعلم أنه ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل ، وأثابهم عليه ، والمسبب لا يكون قبل سببه ، والموقت بوقت لا يكون قبل وقته ؛ وإذا كان راضيًا عنهم من جهة ، فهذا الرضى الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذ ، كما ثبت في الصحيح ، أنه يقول لأهل الجنة : « يا أهل الجنة هل رضيم ؛ فيقولون: ياربنا ومالنا لا نرضى وقدأعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم ماهو أفضل من ذلك ، فيقولون : ياربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؛ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً ، وهذا بدل على أنه في ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان ، الذي لا يتعقبه سخط أبداً؛ ودل على أن غيره من الرضوان قد بتعقبه سخط.

« وفي الصحيحين » في حديث الشفاعة يقول كل من الرسل : « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله » ، وفي « الصحاح » : عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير وجه أنه قال : « لله أشد فرحا بتوبة عبده ، من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فطلبها فلم يجدها ؛ فاضطجع ينتظر الموت فلما استيقظ ، إذا دابته عليها طعامه وشرابه و وفي رواية كيف تجدون فرحه بها ؟ قالوا : عظيماً يارسول الله ؛ قال : لله أشد فرحاً بتوبة عبده ، من هذا براحلته » ، وكذلك ضحكه إلى رجلين يقتل أحدها الآخر ، كلاها يدخل الجنة ؛ وضحكه إلى الذي يدخل الجنة يقتل أحدها الآخر ، كلاها يدخل الجنة ؛ وضحكه إلى الذي يدخل الجنة آخر الناس ، ويقول أتسخر بي وأنت رب العالمين ؛ فيقول : لا ولكني على ما أشاء قادر ، وكل هذا في « الصحيح » .

وفي دعاء القنوت: ( تولني فيمن توليت ) ، والقديم لا بتصور طلبه ، وقد قال تعالى: ( إِنَّ وَلِتِي اللهُ اللّٰهِ الْمَالِكِ اللهُ اللّٰهِ اللهِ اللهِ ، مِداء وقال : ( وَاللّهُ وَلِيُ اللّهُ اللّٰهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ عليه ، وإن كان إنما صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه ، في الله وإحسانه ؛ لكن تعلق صاروا صالحين ومتقين بمشيئته وقدرته وفضله وإحسانه ؛ لكن تعلق بكونهم متقين وصالحين ، فدل على أن هذا التولي هو بعد ذلك مثل كونهم متقين والصالحين ، فدل على أن هذا التولي هو بعد ذلك مثل كونهم متقين وصالحين ، وهكذا الرحمة ، قال صلى الله عليه وسلم : ( الراحمون برحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ) ، قال الترمذي الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ) ، قال الترمذي حديث صحيح . وكذلك قوله : ( وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ) ؛ علق الرضا به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب ، والجزاء إنما يكون بعد الشرط به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب ، والجزاء إنما يكون بعد الشرط به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب ، والجزاء إنما يكون بعد الشرط

وكذلك قوله: ( لَتَدْخُلُنَ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَإِن شَآءَ ٱللّهُ ءَامِنِينَ ) . بدل على أنه بشاء ذلك فيها بعد . وكذلك قوله: ( إِنَّمَآ أَمْرُهُ وَإِذَا أَرَادَ شَيَّعًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فيكُونُ ) ؛ « فإذا » ظرف لما يستقبل من الزمان . فدل على أنه إذا أراد كونه . قال له : كن . فيكون . وكذلك قوله: ( وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيرَى ٱللّهُ عَمَلُوا في المستقبل إذا عملوه .

والمأخذ الثاني في الاستثناء ، أن الإ عان المطلق ، يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله ؛ و ترك المحرمات كلها ؛ فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه ، بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ؛ و ترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله ؛ وهذا من تزكية الانسان لنفسه ، وشهادته لنفسه عا لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة ، لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد بشهد لنفسه بالجنة ؛ فشهادته لنفسه بالإ عان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال ؛ وهذا مأخذ عامة السلف ، الذين كانوا بستشون ، وإن جوزوا ترك الاستثناء عنى آخر ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال الخلال في «كتاب السنة »: حدثنا سليان بن الأشعث ، بعني أبا داود السجستاني ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، قال له رجل : قيل لي أمؤمن أنت ؟ قات نعم ؛ هل على في ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر ؟ فغضب أحمد ، وقال : هذا كلام الإرجاء ؛ قال الله تعالى : (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوَنَ

لِأَمْرِ ٱللَّهِ ) من هؤلاء ، ثم قال أحمد : أليس الإيمان قولاً وعملاً ، قال له الرجل : بلى . قال فجئنا بالقول . قال : نعم قال : فجئنا بالعمل . قال : لا .قال: فكيف تعيب أن يقول : إن شاء الله ويستثني .

قال أبو داود: أخبرني أحمد بن أبي شريح، أن أحمد بن حنبل، كتب إليه في هذه المسألة، أن الإيمان قول وعمل، فجئنا بالقول ولم نجئ بالعمل، فنحن نستثني في العمل. وذكر الحلال، هذا الجواب، من رواية الفضل بن زياد. وقال : زاد الفضل: سمعت أبا عبد الله يقول: كان سليان بن حرب، يحمل هذا على التقبل؛ يقول: نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أم لا؟

قلت: والقبول متعلق بفعله كما أمر. فكل من انقى الله في عمله ، ففعله كما أمر ، فقد نقبل منه . لكن هو لا يجزم بالقبول ، لعدم جزمه بكال الفعل ، كما قال نعالى: ( وَاللَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَاتُواْ وَقُلُونُهُمْ وَجِلَةً ) ؛ قالت عائشة: يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر و يخاف ؟ فقال : لا يابنت الصديق ، بل هو الرجل يصلي ويصوم وبتصدق و يخاف أن لا بتقبل منه .

وروى الخلال ، عن أبي طالب قال : سمعت أبا عبد الله يقول : لانجدبداً من الاستثناء ، لأنهم إذا قالوا : مؤمن ، فقد جاء بالقول . فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول .

وعن إسحاق بن إبر اهيم قال: سمعت أبا عبدالله بقول: أذهب إلى حديث

ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان ، لأن الإيمان قول وعمل ، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ، ونخشى أن نكون فرطنا في العمل ؛ فيعجبني أن يستثني في الإيمان بقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، قال : وسمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « وإنا إن شاء الله بهم لاحقون » الاستثناء همنا على أي شيء يقع ؟ قال : على البقاع ، لابدري أبدفن في الموضع الذي سلم عليه أم في غيره .

وعن الميموني أنه سأل أباعبد الله عن قوله ورأيه في : مؤمن إن شاء الله. قال : أقول : مؤمن إن شاء الله ، ومؤمن أرجو ، لأنه لايدري كيف البراءة للأعمال على ما افترض عليه أم لا . ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله ، وهذا مطابق لما تقدم من أن المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات ، المستحق للجنة إذا مات على ذلك ، وأن المفرط بترك المأمور أو فعل المحظور لا يطلق عليه أنه مؤمن ؛ وأن المؤمن المطلق هو البر التقي ولي الله ، فإذا قال : أنا مؤمن قطعاً ، كان كقوله : أنا برتقي ولي الله قطعاً .

وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟ ويكرهون الجواب؛ لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوابها لقولهم؛ فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر؛ بل يجد قلبه مصدقاً بهاجاء به الرسول، فيقول: أنا مؤمن، فيثبت أن الإيمان هو التصديق، لأنك تجزم بأنك مؤمن، ولا تجزم، بأنك فعلت كل ما أمرت به؛ فلما علم السلف

مقصده ، صاروا بكرهون الجواب ، أو يفصلون في الجواب ؛ وهذا لأن لفظ « الإيمان » فيه إطلاق وتقييد ، فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لايستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكال ، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال : أنامؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك ، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ، ولهذا كان أحمد بكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء بقدمه .

وقال المروذي: قيل لأبي عبد الله نقول: نحن المؤمنون ؛ فقال نقول: نحن المؤمنون ؛ فقال نقول: نحن المسلمون ، وقال أيضاً: قلت لأبي عبد الله: نقول إنا مؤمنون ؟ قال: ولكن نقول: إنا مسلمون ؛ ومع هذا فلم ينكر على من ترك الاستثناء إذا لم يكن قصده قصد المرجئة أن الإيمان مجرد القول ، بل يكره تركه لما يعلم أن في قلبه إيماناً ، وإن كان لا يجزم بكال إيمانه ؟

قال الخلال: أخبرني أحمد بن أصرم المزني، أن أبا عبد الله قيل له: إذا سألني الرجل فقال: أمؤمن أنت؟ قال سؤالك إياي بدعة، لابشك في إيمانه، أو قال لا نشك في إيماننا.

قال المزني: وحفظي أن أبا عبد الله قال: أقول كما قال طاووس: آمنت بالله وملائكة وكتبه ورسله. وقال الخلال: أخبرني حرب بن إسماعيل ، وأبو داود ، قال أبو داود: سمحت أحمد: قال: سمحت سفيان \_ يعني ابن عينة \_ يقول: إذا سئل أمؤمن أنت؟ لم يجبه، وبقول: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني، وقال: إن قال إن شاء الله ، فليس بكره ، ولا بداخل الشك ، فقد أخبر عن أحمد أنه قال: لانشك في إيماننا ، وإن السائل لابشك في إيمان المسؤول ، وهذا أبلغ ، وهو إنما يجزم ، بأنه مقر مصدق ، با جاء به الرسول ، لا يجزم بأنه قائم بالواجبات .

فعلم أن أحمد وغيره من السلف ، كانوا يجزمون ولا بشكون في وجود ما في القلب ، من الإيان في هذه الحال ، ويجعلون الاستثناء عائداً إلى الإيان المطلق المتضمن فعل المأمور ، ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لايشك فيه ، وهذا «مأخذ ثان »، وإن كنا لانشك فيما في قلوبنا من الإيمان ، فالاستثناء فيما يعلم وجوده قد جاءت به السنة ، لما فيه من الحكمة .

وعن محمد بن الحسن بن هارون قال: سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال: نعم، الاستثناء على غير معنى شك، مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب الثوري. قال الله تعالى: ( لَتَدَخُلُنَّ الْمُسْجِدَ الْحَرَامَإِن شَاءَ اللهُ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إني لأرجو أن أكون أنقاكم لله ». وقال في المبت: «وعليه تبعث إن شاء الله » فقد بين أحمد أنه بستثني مخافة واحتياطاً للعمل، فإنه يخاف أن لابكون قد كمل المأمور به، فيحتاط بالاستثناء وقال على غير معنى شك؛ يعني من غير قد كمل المأمور به، فيحتاط بالاستثناء وقال على غير معنى شك؛ يعني من غير

شك مما يعلمه الإنسان من نفسه ، وإلا فهو بشك في تكميل العمل الذي خاف أن لايكون كمله ؛ فيخاف من نقصه ، ولا يشك في أصله .

قال الخللال: وأخبرني محمد بن أبي هارون: أن حبيش بن سندي ، حدثهم في هذه المسألة. قال أبو عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» وقد نعيت إليه نفسه ، وعلم أنه صائر إلى الموت ، وفي قصة صاحب القبر « وعليه حييت ، وعليه مت ، وعليه نبعث إن شاء الله » وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم « إني اختبأت دعوتي ، وهي نائلة إن شاء الله من لابشرك بالله شيئاً » وفي مسألة الرجل النبي صلى الله عليه وسلم : أحدنا بصبح جنباً ، يصوم ؟ فقال: «إني أفعل ذلك ثم أصوم » فقال: إنك لست مثلنا أنت قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله ». وهذا كثير ، وأشباهه على اليقين .

قال: ودخل عليه شيخ فسأله عن الإيمان، فقال له: قول وعمل ، يزيد وينقص. فقال له: أقول: مؤمن إن شاء الله؟ قال: نعم. فقال له: إنهم يقولون لي إنك شاك ؛ قال: بئس ماقالوا، ثم خرج فقال: ردوه فقال: أليس يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؟ قال: نعم، قال: هؤلاء يستثنون. قال له: كيف يا أبا عبد الله؟ قال: قل لهم: زعمتم أن الإيمان قول وعمل، فالقول قد أتيتم به، والعمل لم تأتوا به، فهذا الاستثناء لهذا العمل، قيل له

يستثني في الإيمان؟ قــال: نعم، أقول: أنا مؤمن إن شــاء الله ، استثني على اليقين لا على الشك ؛ ثم قال: قال الله: ( لَتَدَّخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ ٱللهُ على الشك ؛ ثم قال أنهم داخلون المسجد الحرام.

فقد بين أحمد في كلامه أنـــه يستثني مع تيقنه بما هو الآن موجود فيه ، يقوله بلسانه وقلبه ، لايشك في ذلك ، ويستثني لكون العمل من الإيمان ؛ وهو لايتيقن أنه أكمله بل يشك في ذلك ، فنفي الشك وأثبت اليقين ، فيما يتيقنه من نفسه ، وأثبت الشك فيمالا يعلم وجوده ، وبين أن الاستثناء مستحب لهـــذا الثاني الذي لا يعلم هل أتى به أم لا ، وهو جائز أيضاً لما يتيقنه ، فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز ، كقول النبي صلى الله عليـــه وسلم: « والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله » وهـ ذا أمر موجود في الحـ ال ليس بمستقبل ، وهوكونه أخشانا ؛ فإنه لا يرجو أن يصير أخشانا لله؛ بــل هو يرجو أن يكون حين هذا القول أخشانا لله . كما يرجو المؤمن إذا عمل عمــلاً أن يكون الله تقبله منــه و نخاف أن لا بكون تقبله منه . كما قال تعالى: ( وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو الرجل وَجِلَّهُ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَجِعُونَ يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لايقبل منه » والقبول هو أمر حاضر أو ماض وهو يرجوه و يخافه ، وذلك أن ماله عاقبة مستقبلة محمودة أو مذمومة ، والإنسان يجوز وجوده وعدمه. يقال: إنه يرجوه وإنه يخافه. فتعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لأن عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلة . فهو يرجو أن يكون الله تقبل عمله فيثيبه عليه فيرحمه في المستقبل. ويخاف أن لايكون تقبله فيحرم توابه. كما يخاف أن يكون الله قدسخط عليه في معصيته فيعاقبه عليها.

وإذا كان الإنسان بسعى فيا بطلبه كتاجر أو بريد أرسله في حاجته يقضيها في بعض الأوقات فإذا مضى ذلك الوقت يقول أرجو أن يكون فلان قد قضى ذلك الأمر ، وقضاؤه ماض ، لكن ما يحصل لهنذا من الفرح والسرور وغير ذلك من مقاصده مستقبل . ويقول الإنسان في الوقت الذي جرت عادة الحاج بدخولهم إلى مكة : أرجو أن يكونوا دخلوا ، ويقول في سرية بعث إلى الكفار: نرجو أن يكون الله قد نصر المؤمنين وغنمهم ، ويقال في نيسل مصر عند وقت ارتفاعه : نرجو أن يكون النيل في هنذا العام نيلاً مرتفعاً ، ويقال لمن له أرض الوقت : نرجو أن يكون النيل في هنذا العام نيلاً مرتفعاً ، ويقال لمن له أرض يحب أن تمطر إذا مطرت بعض النواحي : أرجو أن يكون المطر عاماً ، وأرجو أن تكون قد مطرت الأرض الفلانية ، وذلك لأن المرجو هو ما يفرح بوجوده ويسره ، فالمكروه ما يتألم بوجوده .

وهذا يتعلق بالعلم، والعلم بذلك مستقبل، فإذا علم أن المسلمين انتصروا، والحاج قد دخلوا، أو المطر قد نزل، فرح بذلك وحصل به مقاصد أخر له، وإذا كان الأمر بخلاف ذلك، لم يحصل ذلك الحجوب المطلوب فيقول: أرجو وأخاف، لأن المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل، وكذلك المطلوب بالإيمان من السعادة والنجاة، هو أمر مستقبل فيستثنى، في الحاضر بذلك، لأن المطلوب به مستقبل، ثم كل مطلوب مستقبل، تعلق بمشيئة الله بذلك، لأن المطلوب به مستقبل، ثم كل مطلوب مستقبل، تعلق بمشيئة الله

وإن جزم بوجوده ، لأنه لابكون مستقبل إلا بمثيئة الله .

فقولنا: يكونهذا إن شاء الله ، حق ، فإنه لايكون إلا إن شاء الله ، واللفظ ليس فيه إلا التعليق، وليس من ضرورة التعليق الشك. بل هذا بحسب علم المتكلم، فتارة يكون شاكا، وتارة لا يكون شاكا، فلما كان الشك يصحبها كثيراً لعدم علم الإنسان بالعواقب ، ظن الظان أن الشك داخل في معناها، وليس كذلك . فقوله : ( لَتَدَّخُلُنَ المَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءً الله ) لا يتصور فيه شك من الله ؛ بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين ، ولهذا قال ثعلب : هذا استثناء من الله وقد علمه ، والخلق يستثنون فيا لا يعلمون . وقال أبو عبيدة وابن قتيبة إن إن يعنى إذ ، أي : إذ شاء الله ، ومقصوده بهذا تحقيق الفعل به (إن) كما بتحقق مع إذ ، وإلا فإذ ، ظرف توقيت ، و (إن) حرف تعليق .

فإن قيل: فالعرب تقول: إذا احمر البسر فأتني، ولا تقول: إن احمر البسر.

قيل: لأن المقصود هنا توقيت الإنيان بحين احمراره، فأتوا بالظرف المحقق، ولفظ: (إن) لابدل على توقيت، بلهى تعليق محض تقتضي ارتباط الفعل الثاني بالأول، ونظير مانحن فيه أن يقولوا: البسر يحمر ويطيب إن شاء الله، وهذا حق، فهذا نظير ذلك.

فإن قيل : فطائفة من الناس فروا من هـذا المعنى وجعلوا الاستثناء لأمر مشكوك فيـه ، فقال الزجاج : (لَتَدُخُلُنَ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ) . أي : أمركم

الله بــه، وقيــل: الاستثناء بعود إلى الأمن والخوف. أي: لتدخلنه آمنين، فأما الدخول فلا شك فيه . وقيل : لتدخلن جميعكم أو بعضكم ، لأنه علم أن بعضهم يموت، فالاستثناء لأنهـم لم يدخلوا جميعهم. قيــل: كل هذه الأقوال وقع أصحابها فيها فروا منه؛ مع خروجهم عن مدلول القرآن ، فحرفوه تحريفاً لم ينتفعوا به، فإن قول من قال : أي : أمركم الله به، هو سبحانه قد عـــلم، هل يأمرهم أو لايأمرهم ، فعلمه بأنه سيأمرهم بدخوله كعلمه بأن سيدخلون ،فعلقو ا الاستثناء بما لم يدل عليه اللفظ، وعلم الله متعلق بالمظهر والمضمر جميعاً وكذلك أمنهم وخوفهم ،هو يعلم أنهم يدخلون آمنين أو خائفين ، وقد أخبر أنهم يدخلون آمنين مع علمه بأنهم يدخلون آمنين ، فكلاها لم يكن فيه شك عند الله ؛ بل ولا عند رسوله. وقول من قال : جميعهم أو بعضهم ، يقال : المعلق بالمشيئة دخول من أريد باللفظ ، فإن كان أراد الجميع ، فالجميع لابد أن يدخلوه ، وإن أريد الأكثر ،كان دخولهم هو المعلق بالمشيئة ، وما لم يرد لا يجوز أن يعلق بـ ( إن ) و إنماعلق بـ (إن)ما سيكون؛ وكان هذاوعداً مجزوما به. ولهذالماقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية: ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلي ، قلت لك: إنك تأتيه هذا العام؟ » قال: لا ، قال: « فإنك آتيه ومطوف به ».

فإن قيل: لم لم يعلق غير هذا من مواعيد القرآن؟

قيل: لأن هذه الآية نزلت بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

من الحديبية ، وكانوا قد اعتمروا ذلك العام ، واجتهدوا في الدخول ، فصدهم المشركون ، فرجعوا وبهم من الألم مالا يعلمه إلا الله ، فكانوا منتظرين لتحقيق هذا الوعد ذلك العام ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم وعدم وعداً مطلقاً . وقد روي أنه رأى في المنام قائلاً يقول : ( لَتَدَّخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللهُ ) فأصبح فحدث الناس برؤياه ، وأمرهم بالخروج إلى العمرة فلم تحصل لهم العمرة فلم أصبح فدث الناس برؤياه ، وأعدة لهم بما وعدم به الرسول من الأمرالذي ذلك العام ، فنزلت هذه الآية ، واعدة لهم بما وعدم به الرسول من الأمرالذي كانوا يظنون حصوله ذلك العام .

وكان قوله: ( إِن شَاءَ اللهُ ) هنا تحقيقاً لدخوله وأن الله يحقق ذلك لكم ؛ كما يقول الرجل فيها عزم على أن يفعله لا محالة : والله لأفعلن كذا إن شاء الله ، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه ، بل تحقيقاً لعزمه وإرادته ، فإنه يخاف إذا لم يقل : إن شاء الله ، أن ينقض الله عزمه ، ولا يحصل ما طلبه ، كما في « الصحيحين » أن سليان عليه السلام قال : والله لأطوفن الليلة على مائة امرأة ، كل منهن تأتى بفارس يقاتل في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل ، فلم تحمل منهن إلا امرأة جاءت بشق رجل . قال النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوافي سبيل الله فرساناً أجمعون » فهو إذا قال: إن شاء الله لم يكن لشك في طلبه وإرادته ، بل لتحقيق الله ذلك له ، إذ الأمور لاتحصل إلا بمشيئة الله ، فإذا تألى العبد عليه من غير تعليق بمشيئته ، لم يحصل مراده ، فإنه من يتألى على الله يكذبه ، ولهذا يروى: «لا أتمت لقدر أمراً».

وقيل لبعضهم: عاذا عرفت ربك ؟ قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، وقد قال تعالى: (وَلاَنَقُولَنَّ لِشَاقَءَ إِنِي فَاعِلُّ ذَلِكَ عَدًا \* إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللهُ) فإن قوله: لأفعلن، فيه معني الطلب والحبر، وطلبه جازم، وأما كون مطلوبه يقع، فهذا يكون إن شاء الله. وطلبه للفعل يجب أن يكون من الله بحوله وقوته، ففي الطلب عليه أن يطلب من الله، وفي الحبر لا يخبر إلا بما علمه الله؛ فإذا جزم بلا تعليق، كان كالتألي على الله، فيكذبه الله، فالمسلم في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلباً لا تردد فيه يقول: إن شاء الله، لتحقيق مطلوبه، عليه وحريد له وطالب له طلباً لا تردد فيه يقول: إن شاء الله، لتحقيق مطلوبه، وحصول ما أقسم عليه لكونه لا يكون إلا بمشيئة الله، لا لتردد في إرادته، والرب تعالى مريد لإنجاز ما وعدم به إرادة جازمة لا مثنوية فيها، وما شاء فعل، فإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ليس كالعبد الذي يريد مالا يكون، ويكون مالا يريد.

فقوله سبحانه: (إن شَآءَ أَللَهُ) تحقيق أن ما وعدتكم به يكون لا محالة بمشيئتي وإرادتني، فإن ماشئت كان وما لم أشأ لم يكن؛ فكان الاستثناء هنا لقصد التحقيق، لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام، وأما سائر ما وعدوا به فلم يكن كذلك.

ولهـذا تنازع الفقهاء فيمن أراد باستثنائه في اليمين هـذا المعنى وهو التحقيق في استثنائه لا التعليق: هل يكون مستثنياً به ، أم تلزمه الكفارة إذا حنث ؟ بخلاف من ترددت إرادته فإنه يكون مستثنياً بلا نزاع ، والصحيح أنه

بكون فى الجميع مستثنياً ، لعموم المشيئة ، ولأن الرجل وإن كانت إرادته للمحلوف به جازمة ، فقد علقه بمشيئة الله، فهو يجزم بإرادته له ، لا يجزم بحصول مراده ، ولا هو أبضاً مريد له بتقدير ألّا يكون ؛ فإن هذا تميير لا إرادة ، فهو إغا التزمه إذا شاء الله ، فإذا لم يشأه لم يلتزمه بيمينه ، ولا حلف أنه يكون : وإن كانت إرادته له جازمة ، فليس كل ما أريد التزم باليمين فلا كفارة عليه .

وقد تبين بها ذكرناه أن قول القائل: (إن سُاءَ الله ) بكون مع كال إرادته في حصول المطلوب، وهو يقولها لتحقيق المطلوب؛ لاستعانته بالله في ذلك، لا لشك في الإرادة، هذا فيها يحلف عليه ويريده، كقوله تعالى: (لتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) فإنه خبر عما أراد الله كونه وهو عالم بأن سيكون، وقد علقه بقوله: (إن شَاءَ الله ) فكذلك ما يخبر به الإنسان عن مستقبل أمره مما هو جازم بإرادته وجازم بوقوعه فيقول فيه: إن شاء الله، لتحقيق وقوعه، لا للشك لا في إرادته ولا في العلم بوقوعه.

ولهذا يذكر الاستثناء عند كمال الرغبة في المعلق، وقوة إرادة الإنسان له فتبقى خواطر الخوف تعارض الرجاء؛ فيقول: إن شاء الله، لتحقيق رجائه مع علمه بأن سيكون؛ كما يسأل الله ويدعوه في الأمر الذي قد علم أنه يكون، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد أخبرهم بمصارع المشركين، ثم هو بعد هذا يدخل إلى العريش يستغيث ربه ويقول: «اللهم أنجز لي ماوعدتني »؛ لأن العلم بها يقدره لا ينافى أن يكون قدره بأسباب، والدعاء من أعظم

أسبابه. كذلك رجاء رحمة الله وخوف عذابه من أعظم الأسباب في النجاة من عذابه وحصول رحمته.

والاستثناء بالمشيئة يحصل فى الخبر المحض، وفى الخبر الذي معه طلب ؛ فالأول إذا حلف على جملة خبرية لايقصد به حضاً ولا منعاً ، بل تصديقاً أو تكذيباً ، كقوله : والله ليكونن كذا إن شاء الله ، أو لا يكون كذا . والمستثني قد يكون عالماً بأن هذا يكون أو لا يكون كما فى قوله : ( لَتَدَخُلُنَ ) فإن هذا جواب غير محذوف .

والثاني: ما فيه معنى الطلب ، كقوله: والله لأفعلن كذا ، أو لا أفعله إن شاء الله ؛ فالصيغة صيغة خبر ضمنها الطلب ، ولم يقل: والله إني لمريد هذا ولا عازم عليه ، بل قال: والله ليكونن . فإذا لم يكن فقد حنث لوقوع الأمر ، بخلاف ما حلف عليه فخنث ، فإذا قال: إن شاء الله فإنها حلف عليه بتقدير: إن يشأ الله ، لا مطلقاً .

ولهذا ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه متى لم يوجد المحلوف عليه حنث، أو متى وجد المحلوف عليه أنه لا يفعله ، حنث ، سواء كان ناسياً أو مخطئاً أو جاهلاً، فإنهم لحظوا أن هذا في معنى الحبر ، فإذا وجد بخلاف مخبره فقد حنث وقال الآخرون: بل هذا مقصوده الحض والمنع ، كالأمر والنهي ، ومتى نهي الإنسان عن شيء ففعله ناسياً أو مخطئاً لم يكن مخالفاً ، فكذلك هذا .

قال الأولون: فقد بكون في معنى التصديق والتكذيب ، كقوله: والله ليقعن المطر ، أولا يقع ، وهذا خبر محض ، ليس فيه حض ولا منع ولو حلف على اعتقاده فكان الأمر بخلاف ما حلف عليه ، حنث ، وبهذا يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل ، فإن اليمين على الماضي غير منعقدة ، فإذا أخطأ فيها لم يلزمه كفارة ، كالغموس ، خلاف الماضي غير منعقدة ، فإذا أخطأ فيها لم يلزمه كفارة ، كالغموس ، خلاف المستقبل . وليس عليه أن يستثني في المستقبل إذا كان فعله . قال تعالى : ( زَعَمُ الّذِينَ كُفُرُوا أَن لَن يُبعَثُوا قُلُ بَكُ وَرَقِ لَنْبَعَثُن مُ لَنُبَوَّن يَماعَم لَمْ وَذَاك عَلَى الله يَسِير ) فأمره أن يقسم على ما سيكون ، وكذلك قوله :

( وَقَالَ الَّذِينَ كُفُرُواْ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلَ بِلَى وَرَقِي لَتَأْتِينَكُمُ ) كَمَا أَمِه أَن يقسم على الحاضر في قوله: ( وَيَسْتَنْبِعُونَكَ آحَقُّ هُوَّ قُلُ إِي وَرَقِيّ إِنَّهُ لَكَوُنَ ) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما عدلاً وإماما مقسطاً » . وقال: « والذي نفسي بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لايدري القاتل فيا قتل ، ولا المقتول فيها قتل » وقال: « إذا هلك كسرى أو ليهلك كسرى ، ثم لايكون كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزها في سبيل الله »، قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزها في سبيل الله »، وكلاها في « الصحيح » .

فأقسم صلوات اللهوسلامه عليه على المستقبل فى مواضع كثيرة بلا استثناء ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهوسلم .

## وقال الشيخ العالم العامل

الورع الناسك ؛ شيخ الإسلام ، بقية السلف الكرام «أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشامي \_ رحمه الله \_ : "

## فمسل

تضمن حديث سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن « الإسلام » ، و « الإعان » ، و « الإحسان » ؛ وجوابه عن ذلك ، وقوله في آخر الحديث : « هذا جبريل أناكم يعلمكم دينكم » .

فجعل هذا كله من الدين.

وللناس في « الإسلام » ، و « الإيمان » من الكلام الكثير : مختلفين تارة ، ومتفقين أخرى ، ما محتاج الناس معه إلى معرفة الحق في ذلك ؛ وهذا يكون بأن تبين الأصول المعلومة المتفق عليها. ثم بذلك بتوصل إلى معرفة الحقيقة المتنازع فيها ؛

(٢) فنقول: ما علم [ب]الكتاب، والسنة، والإجماع، وهو من المنقول نقلا متواترا

<sup>(</sup>١) هذا «كتاب الإيمان الأوسط».

<sup>(</sup>Y) أضيفت الباء حسب مفهوم السياق

عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام دين النبي صلى الله عليه وسلم \_ أن الناس كانوا على عهده بالمدينة « ثلاثة أصناف » : مؤمن ، وكافر مظهر للكفر ، ومنافق ظاهره الإسلام وهو فى الباطن كافر

ولهذا التقسيم أنزل الله في أول سورة البقرة ذكر الأصناف الثلاثة، فأنزل أربع آيات في صفة المؤمنين ، وآبتين في صفة الكافرين . وبضع عشرة آية في صفة المنافقين .

فقوله تعالى: (هُدَى الْمُنَقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوَةَ وَمِمَّا رَنَفُنَهُمْ يُفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ \* أَوْلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَلْكِ وَبِا لْاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أَوْلَيْكَ يَنْ يُؤْمِنُونَ \* أَوْلَيْكِكَ عَلَى هُدًى مِّن دَيْقِهِمُ وَأُولَيْكِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ : في صفة المؤمنين. عَلَى هُدًى مِن دَيْقٍهُمُ وَأُولَيْكِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ :

وقوله: ( إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءُ عَلَيْهِمْ ءَأَنَذَرْتَهُمْ أَمْلَمْ لُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) الآيتين: في صفة الكفار الذين يموتون كفاراً.

وقوله: ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَبِٱلْمَخِرِوَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ). الآيات، في صفة المنافقين؛ إلى أن ضرب لهم مثلين: أحدها بالنار، والآخر بالماء؛ كما ضرب المثل بهذين للمؤمنين في قوله تعالى: ( أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَسَالَتَ أَوْدِيَةُ بِعَدَرِهَا ) الآبة.

وأما قبل الهجرة فلم يكن الناس إلا مؤمن أو كافر ، لم يكن هناك منافق فإن المسلمين كانوا مستضعفين ، فكان من آمن باطنا وظاهراً ، ومن لم يؤمن فهو كافر . فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وصار للمؤمنين بها عز وأنصار ، ودخل جهور أهلها في الإسلام طوعا واختياراً : كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الإسلام موافقة ، رهبة أو رغبة وهو في الباطن كافر . وكان رأس هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول ، وقد نزل فيه وفي أمثاله من المنافقين آيات .

والقرآن يذكر المؤمنين والمنافقين في غير موضع ، كما ذكرهم في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء , والمائدة , وسورة العنكبوت , والأحزاب . وكان هؤلاء في أهل المدينة والبادية كما قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لَاتَعْلَمُ هُوَ نَعْنُ نَعْلَمُ هُمْ ) . وكان في المنافقين من هو في الاصل من المشركين ، وفيهم من هو في الأصل من أهل الكتاب .

وسورة الفتح ، والقتال ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمنافقين . بل عامة السور المدنية : يذكر فيها المنافقين . قال تعالى فى سورة آل عمران : ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْكَانُواْ غُرَّى لَوْكَانُواْ غُرَّى لَوْكَانُواْ ) إلى قوله :

( وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا أُوقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا قَنتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِادْ فَعُوا ) الآيات.

وقال فيها أيضاً: ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْ لُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَاعَنِتُمْ )، إلى قوله: ( وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ ءَامَنَا وَإِذَا خَلَوْا عَضُواْ عَلَيْكُمْ أَلْأَنَا مِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُ إِذَا تَالصُّدُودِ \* إِن تَمْسَسُكُمْ عَضُواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُ إِذَا تَصُدِرُواْ وَتَتَقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ مَسَنَدُ تُسَلَّمُ مَنْ وَاللَّهُ مَا يَعْمَلُونَ فَي يَعْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْدِيرُواْ وَتَتَقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْطُ ).

وقال تعالى فى سورة النساء: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّيْنِ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَامَنُوا بِمَ أَنْ لِلَهِ اللَّهُ وَمَا أُنْ لِ اللَّهُ وَمَا أُنْ لِ اللَّهُ وَمَا أَنْ لَكُو يَدُونَ أَنْ يَتَحَاكُمُوا إِلَى الطَّعْوَتِ وَقَدْ أُمِ وَا أَن يَكَفُرُوا أَنْ يَكُفُرُوا اللَّهُ مَا أَنْ يَكُفُرُوا اللَّهُ وَيُرِيدُ الشَّيْطِ لُنَ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَا لَا بَعِيدًا \* وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ تَعَالُوا إِلَى مَا أَنْ رَلَ اللَّهُ وَإِلَى اللَّهُ وَإِلَى اللَّهُ وَا إِلَى اللَّهُ وَا إِلَى اللَّهُ وَا إِلَى اللَّهُ وَا إِلَى اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَا اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وقال: ( بَشِّرِٱلْمُنَفِقِينَ بِأَنَّ لَمُمُّ عَذَابًا أَلِيمًا \* ٱلَّذِينَ يَنَّخِذُونَ ٱلْكَفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْنَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِللّهِ جَمِيعًا ) إلى قوله: ( إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَنفِينَ فِي جَهَنَّمَ جَيعًا \* الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لِلْكَنفِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ الْمُ نَسَّتَحْوِذً كَانَ لَلْكَنفِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ الْمُ نَسْتَحْوِدً عَلَيْكُمْ وَنَ اللّهُ عَنْ اللّهُ يَعْكُمُ ) إلى قوله: (إِنَّ المُنفِقِينَ يُخْلِعُونَ اللّهَ وَهُو خَلِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَا يُونَ النَّاسَ الْمُنفِقِينَ يُخْلِعُونَ اللّهَ وَهُو خَلِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَا يُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللّهَ وَهُو خَلِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى هَلَوْلاَةٍ وَلاَ إِلَى هَلَوْلاَةً وَلاَ إِلَى هَلَوْلاَةً وَلاَ إِلَى هَلُولاَ وَمَن يُضَلِل وَلاَ يَكُونُ النَّالِ وَلَن يَعِدَلُهُمْ نَصِيلًا إِلَى هَلُولُا قِ وَلاَ إِلَى هَلُولُوا وَأَصْلَعُوا وَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَالْمَالِلَةُ وَالْمَالِي اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَالْمَالِي اللّهُ وَالْمَلُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمَالَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَالْمَولُولُولُ اللّهُ وَالْمَالِي اللّهِ عَلَى اللّهُ وَالْمَالِي الللّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ).

 وقال تعالى: ( وَإِذَاجَآءُ وَكُمُّ قَالُوٓاءَ امَنّا وَقَد ذَخُلُواْ بِالْكُفْرِوهُمُّ قَدْ خَرَجُواْ بِقِءُ وَاللّهُ أَعَلَمُ بِمِاكَانُواْ يَكْتُمُونَ \* وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنَهُم يُسَرِعُونَ فِي الْإِثْرِواَ لَعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَبِعْسَمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ) وقال تعالى: ( يَتَأَهْلَ الْكِتَبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْمُواَيْقِ وَلَا تَتَبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمِ قَدْضَكُوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُوا كَثِيرًا وَضَكُواْ عَن اللّهَ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ صَحَفِرُوا اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ صَحَفْرُوا اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ حَلِيدُونَ \* وَلَوْكَ انُواْ يُؤْمِنُونَ وَاللّهِ وَالنّبِي وَمَا أَنزِلَ إِلَيْهِ مَا الْقَذَابُ هُمْ خَلِدُونَ \* وَلَوْكَ انُواْ يُؤْمِنُونَ وَاللّهِ وَالنّبِي وَمَا أَنزِلَ إِلَيْهِ مَا الْقَذَابُ هُمْ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَوْلُونَ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْهِ مَا اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْكَ الْوَالْمُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْلُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْلُولُ اللّهُ عَلَيْهُمْ وَلَوْلُ اللّهُ وَاللّهُ وَالنّبُونِ وَمَا أَنزِلَ إِلّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْلُولُ اللّهُ عَلَيْهُمْ وَلَوْلُ اللّهُ عَلْولِ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْكُولُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعَلَيْ اللّهُ ا

وأما «سورة براءة » فأكثرها في وصف المنافقين وذمهم ولهذا سميت : الفاضحة ، والمبعثرة ، وهي نزلت عام تبوك . وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكانت غزوة تبوك آخر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم ، التي غزاها بنفسه . وتميز فيها من المنافقين من تميز . فذكر الله من صفاتهم ما ذكره في هذه السورة . وقد قال تعالى في سورة النور : ( وَيَقُولُونَ مَا اللهُ وَلِهُ وَاللهُ وَيَا اللهُ وَيَعُولُونَ وَاللهُ وَيَا اللهُ وَاللهُ وَيَا اللهُ وَيَعُولُونَ وَيَا اللهُ وَيْ اللهُ وَيَا اللهُ وَاللهُ وَاللهُ

وقال تعالى فى سورة العنكبوت: ( وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَتَ ابِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِي فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْ نَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَيِن جَآءَ نَصْرُ مِّن زَّ تِكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمُّ

أُوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَلَمِينَ \* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ ٱلَّذِينَ امَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ امَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ المَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ اللَّذِينَ المَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ اللَّهُ اللَّذِينَ اللهُ ال

وقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِاللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَّ إِكَ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ) وذكر فيه شأنهم في الأحزاب. وذكر من أقوال المنافق بن وجبنهم وهلعهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِذْيَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِ قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّاوَعَدَنَاٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ إِلَّا غُرُورًا ) إلى قوله ( قَدْيَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُرُ وَٱلْقَابِلِينَ لِإِخْوَنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَكَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* ٱشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَاجَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُّورُ أَعْيِنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِٱلْسِنَةِ حِدَادٍ ٱشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَيِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطُ ٱللَّهُ أَعْمَلُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا \* يَعْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْأَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ ٱلْبُآيِكُمْ وَلَوْكَ انُواْ فِيكُمْ مَّاقَىٰنَلُوٓ الْإِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَّبِنَلَّمْ يَنَاهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُودِهِم مَّرَضُّ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا \* مُّلْعُونِيكُ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَفْتِيلًا ) إلى قوله: ( لِيُعَذِّبَ اللَّهُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُنْكَفِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ

وقال تعالى فى سورة القتال: ( أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضُّ أَن لَن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضَّعَ نَهُمْ \* وَلَوْنَشَآءُ لَأَرْبِنَكُهُمْ فَلَعَرَفْنَهُم بِسِيمَهُمُّ وَلَتَعْرِفَنَهُمْ فَي لَحْنِ اللَّهُ أَضَّعَ نَهُمْ فَي السورة من نحو ذلك .

وقال تعالى في سورة الفتـــح : ( ﴿ هُوَالَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓ الْإِيمَنَامَعَ إِيمَنِهِمُ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا \* لِيُدْخِلَٱلْمُوْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَارُخَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَ فِرَعَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمُّ وَكَانَ ذَالِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا \* وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُنْفِقَتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّآتِيك بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَآبِرَهُ ٱلسَّوْءَ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّتُ تَعْرِى مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَأَ ذَالِكَ هُوَٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ \* يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَفِقُونَ وَٱلْمُنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْنَبِسْ مِن فُورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَهِسُواْنُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورِلَّهُ بَابُ بَاطِنُهُ وفِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَلِهِرُهُ ومِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ \* يُنَادُونَهُمْ ٱلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلِي وَلَكِكَنَّكُمْ فَنَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَربَضَتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُ حَتَّى جَآءَ أَمْنُ ٱللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْعَرُورُ \* فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِذَيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَنكُمُ ٱلنَّارُ هِي مَوْلَىٰكُمْ ) .

وقال في سورة المجادلة: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نَهُواْ عَنِ النَّجُوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهُواْ عَنَهُ وَيَسْتَجُونَ فَمُ يَعُودُونَ لِمَا نَهُواْ عَنَهُ وَيَسْتَجُونَ فَا لَا يُحَيِّكَ بِهِ اللّهُ ) . إلى قوله: ( أَلَهُ تَرَ إِلَى اللّذِينَ قَوَلُواْ قَوْمًا عَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِم مَّاهُم مِنكُمْ وَلَامِنْهُمْ وَيَعْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ إِلَى قوله: ﴿ أَلَهُ تَرَ إِلَى اللّذِينَ قَوَلُواْ قَوْمًا عَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِم مَّاهُم مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَعْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أَعَدَّ اللّهُ هُمْ عَذَا بَاشَدِيدًا إِنَّهُ مُ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ \* اللّهُ وَالْمُعْمَامُ مَن اللّهُ عَلَيْهُمْ جُنّةً فَصَدُّواْ عَنْ سَلِيلِ اللّهِ فَلَهُمْ عَذَا بَاشَدِيدًا إِنْ اللّهُ مُ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ \* اللّهُ وَالْمُعْمَامُ مَا اللّهُ مَا عَذَا بُاشَدِيدًا إِنْ اللّهُ مُ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ \* اللّهُ وَاللّهُ فَالْهُمْ عَذَا بُاشَدِيدًا إِلَّهُ مُ اللّهُ الْمُولِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَذَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَذَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَذَا اللّهُ فَلَا مُعَالِمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ عَلَاللّهُ اللّهُ مُلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللللْ

وقوله: ( مَّاهُم مِّنكُمْ وَلَامِنْهُمْ ) كَقُوله: ( مُّذَبَّذَ بِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَىٰ هَتَوُّلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَتَوُّلَآءِ )

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مشل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة» .

وقال تعالى: ( أَلَمْ تَرَالِى ٱلَذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخُوانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِئْلِ لَيْ أَخْرِجْتُ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُو أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْ مُرَنّكُو الْكِئْلِ لَيْ فَرَجُواْ لَا يَخْرُجُواْ نَعْهُمْ وَلَإِن قُوتِلُواْ لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَإِن قُوتِلُواْ لَا يَضُرُوهُمْ وَلَإِن قُوتِلُواْ لَا يَضُرُوهُمْ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَا يَعْمُ وَلَيْنِ فَوْلِهُ مِنَ اللّهِ ) وقد ذكر في سورة المنافقين في قوله: ( اذَا كَانَا وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَ

( إِذَاجَآءَكَٱلْمُنَنفِقُونَقَالُواْنَشْهَدُإِنَّكَ لَرَسُولُٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ.وَٱللَّهُ يَشْهَدُإِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ ) إلى آخر السورة .

و (المقصود) بيان كثرة ما فى القرآن من ذكر المنافقين وأوصافهم و «المنافقون» هم فى الظاهر مسلمون وقد كان المنافقون على عهد النبى صلى الله عليه وسلم: يلتزمون أحكام الإسلام الظاهرة لا سيا فى آخر الأمر مالم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعده ؛ لعز الإسلام وظهوره إذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقاً لقوله تعالى: ( هُوَالَذِئَ أَرْسَلَرَسُولَهُ, بِاللهُ دَى وَدِينِ اللَّحَقِ

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ) ولهذا قال حذيفة بن اليمان: \_\_ وكان من أعلم الصحابة بصفات المنافقين وأعيامهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسر إليه عام تبوك أسماء جماعة من المنافقين بأعيامهم ، فلهذا كان يقال: هو صاحب السرالذي لا يعلمه غيره . ويروى أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلى على أحد حتى يصلى عليه حذيفة ؛ لئلا يكون من المنافقين الذين نهى عن الصلاة عليهم . قال حذيفة رضي الله عنه \_\_ النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية : كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بسرونه ، واليوم يظهرونه . وذكر البخارى في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : أدركت ثلاثين من أصحاب ويزكون وأنه لا يقبل ذلك منهم .

وقال تعالى: ( إِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ يُخَدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَخَدِعُهُمْ وَإِذَاقَامُوٓاْ إِلَى الصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَاكَى يُرَاّءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَا قَلِيلًا ) . وقال تعالى: ( قُلُ أَنفِقُواْ طَوَعًا أَوْكَرُهَا لَن يُنَقَبَّلَ مِن كُمُّ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمَا فَسِقِينَ \*

( قَلَ الْفَقُوا طَوْعَا اَوْكُرُهَا لَنْ يَنْفَبَلُ مِنْكُمْ الْفَقْوَا طُوْعَا اَوْكُرُهَا لَنْ يَنْفَبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا اللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ وَمَامَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَتُ لُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَنْرِهُونَ ) وقد كانوا يشهدون الصَّكَوَةَ إِلَّا وَهُمْ كَنْرِهُونَ ) وقد كانوا يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم مغازيه ، كما شهد عبد الله بن أبيي ابن سلول وغيره من المنافقين « الغزوة » التي قال فيها عبد الله بن أبي : ( لَهِن رَّجَعْنَ آ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ مِن النّافقين « الغزوة » التي قال فيها عبد الله بن أبي : ( لَهِن رَّجَعْنَ آ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

لَيُخْرِجَكَ ٱلْأَعَرُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَ). وأخبر بذلك زيد بن أرقم النبي صلى الله عليه وسلم، وكذبه قوم، حتى أنزل الله القرآن بتصديقه .

والمقصود أن الناس ينقسمون في الحقيقة إلى: «مؤمن » و «منافق » كافر في الباطن مع كونه مسلماً في الظاهر ، وإلى كافر باطناً وظاهراً .

ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكاموا بلفظ «الزنديق» وشاعت في السان الفقهاء، وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته، فذهب مالك وأحمد في عرف بالزندقة، ودفع إلى ولي الأمر قبل توبته، فذهب مالك وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وطائفة من أصحاب الشافعي، وهو أحد القولين في مذهب أبي حنيفة: أن توبته لاتقبل. والمشهور من مذهب الشافعي: قبولها، كالرواية الأخرى عن أحمد، وهو القول الآخر في مذهب أبي حنيفة، ومنهم من فصل.

والمقصود هنا: أن « الزنديق » في عرف هؤلاء الفقهاء ، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره ، سواء أبطن دينا من الأديان : كدين اليهود والنصارى أو غيره . أو كان معطلاً جاحداً للصانع ، والمعاد ، والأعمال الصالحة .

ومن الناس من يقول: « الزنديق » هو الجاحد المعطل. وهـذا يسمى

الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة ، ونقلة مقالات الناس ؛ ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه : هو الأول ؛ لأن مقصودهم هو التميير بين الكافر وغير الكافر ، والمرتد وغير المرتد ، ومن أظهر ذلك أو أسره . وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين ، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والردة فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان، بقوله : (إنّها النّسيّق ويكونك أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة أو مرتكبي الكبار ، كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله : ( الذين كفروا وصركة واعن سبيل الله يؤدنهم عذابا فرق العكفر ) .

فهذا «أصل» ينبغي معرفته فإنه مهم في هذا الباب. فإن كثيراً ممن تكلم في «مسائل الإيمان والكفر» — لتكفير أهل الأهواء — لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم؛ بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام. ومن تدبر هذا، علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع: قد يكون مؤمناً مخطئاً جاهلاضالاً عن بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يكون منافقاً زنديقاً يظهر خلاف ما يبطن.

وهنا «أصل آخر» وهو أنه قد جاء فى الكتاب والسنة وصف أقوام بالإسلام دون الإيمان. فقال تعالى: ( قَالَتِٱلْأَعَرَابُ، اَمَنَا أَقُلَلَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن

قُولُوَ أَأَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, لَا يَلِتَكُو مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءً إِنَّا اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ) وقال تعالى في قصة قوم لوط:

( فَأَخْرَجْنَامَنَكَانَفِهَامِنَٱلْمُؤْمِنِينَ \* فَمَاوَجَدْنَافِهَاغَيْرَبَيْتِمِّنَٱلْمُسْلِمِينَ

وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد. وعارضوا بين الآيتين؛ وليس كذلك؛ بل هذه الآية توافق الآية الأولى لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمناً، وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين.

وذلك لأن امرأة لوطكانت في أهل البيت الموجودين، ولم نكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين، الباقين في العداب، وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها على دينهم، خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه. كما قال الله تعالى فيها: ( صَرَبَ الله مُثلًا لِلَّذِينِ كَفَرُوا الله تعالى فيها: ( صَرَبَ الله مُثلًا لِلَّذِينِ كَفَرُوا الله تعالى فيها: ( صَرَبَ الله مُثلًا لِلَّذِينِ كَفَرُوا الله تعالى فيها: ( صَرَبَ الله مُثلًا لِلَّذِينِ كَفَرُوا الله مَن المُؤتِ وَالمُراتَ لُوطٍ كَانتا هُما) . وكانت خيانتها لهمافي الدين لا في الفراش ، فإنه مابغت امرأة نبي قط ؛ إذ «نكاح وكانت خيانتها لهمافي الدين لا في الفراش ، فإنه مابغت امرأة نبي قط ؛ إذ «نكاح الكافرة» قد يجوز في بعض الشرائع ، ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكافرة » قد يجوز في بعض الشرائع » ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات وأما « نكاح البغي » فهو : ديائة . وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوناً . ولهذا كان الصواب قول من قال من الفقهاء : بتحريم نكاح البغي حتى تتوب .

و (المقصود) أنامرأة لوطلمتكن مؤمنة ، ولم تكن من الناجين المخرجين، فلم تدخل في قوله: ( فَأَخَرَجْنَامَنكَانَ فِيهَامِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ) وكانت من أهل البيت المسلمين وعمن وجد فيه ، ولهذا قال تعالى: ( فَمَاوَجَدَّنَا فِيهَا غَيْرَبَيْتِ مِنَ الله البيت المسلمين وعمن وجد فيه ، ولهذا قال تعالى: ( فَمَاوَجَدُنا فِيهَا غَيْرَبَيْتِ مِنَ الله المنابق المُسلِمِينَ ) . وبهذا تظهر حكمة القرآن حيث ذكر الإيمان لما أخبر بالوجود . وأيضاً فقد قال تعالى: ( إِنَّ ٱلمُسلِمِينَ وَالْمُسلِمَينَ وَالْمُسلِمَينَ وَالْمُشلِمِينَ ) ففرق بين هذا وهذا . فهذه ثلاثة مواضع في القرآن .

و «أيضاً » فقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال : «أعطى رسول الله عليه وسلم رجالاً ، ولم يعط رجلاً . فقلت : يا رسول الله ! أعطيت فلاناً ، وتركت فلاناً ، وهو مؤمن . فقال : أو مسلم ؟ قال : ثم غلبني ما أجد ، فقلت : يا رسول الله ! أعطيت فلاناً وفلاناً ، وتركت فلاناً وهو مؤمن ! فقال أو مسلم ؟ مرتين أو ثلاثاً ، وذكر في تمام الحديث أنه يعطى رجالاً ، ويدع من هو أحب إليه منهم ؛ خشية أن يكبهم الله في النار على مناخرهم » .

قال الزهرى: فكانوا يرون أن الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، فأجاب سعداً بجوابين ، « أحدها »: أن هذا الذي شهدت له بالإيمان ، قد يكون مسلماً لا مؤمناً . « الثاني »: إن كان مؤمناً ، وهو أفضل من أولئك فأنا قد أعطى من هو أضعف إيماناً ؛ لئلا يحمله الحرمان على الردة ، فيكبه الله في

النار على وجهه . وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم .

وحيئة فهؤلاء الذين أثبت لهم القرآن والسنة الإسلام؛ دون الإيمان هل هم المنافقون الكفار في الباطن؟ أم يدخل فيهم قوم فيهم بعض الإيمان؟ هذا مما تنازع فيه أهل العلم على اختلاف أصنافهم. فقالت طائفة من أهل الحديث والكلام وغيره: بل هم المنافقون الذين استسلموا، وانقادوا فى الظاهر ولم يدخل إلى قلوبهم شيء من الإيمان.

وأصحاب هذا القول قديقولون الإسلام المقبول هو الإيمان؛ ولكن هؤلاء أساموا ظاهراً لا باطناً فلم يكونو امسلمين في الباطن ولم يكونو امؤمنين. وقالوا: إن الله سبحانه يقول: (وَمَن يَبْتَغ غَيِّرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينَا فَلَن يُقبَّلَ مِنْهُ). بيانه كل مسلم مؤمن فما ليس من الإسلام، فليس مقبولا بوجب أن يكون الإيمان منه. وهؤلاء يقولون: كل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن، إذا كان مسلماً في الباطن. وأما الكافر المنافق في الباطن فإنه خارج عن المؤمنين المستحقين للثواب باتفاق المسلمين.

ولا يسمون بمؤمنين عند أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ولا عند أحد من طوائف المسلمين . إلا عند طائفة من المرجئة ، وهم الكرامية الذين قالوا إن الإيمان هو مجرد التصديق في الظاهر . فإذا فعل ذلك : كان مؤمناً وإن كان مكذباً في الباطن ، وسلموا أنه معذب مخلد في الآخرة . فنازعوا في اسمه لا في

حكمه. ومن الناس من يحكي عنهم أنهم جعلوهم من أهل الجنة، وهو غلط عليهم. ومع هذا فتسميتهم له مؤمناً: بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفرد بها الكرامية، دون سائر مقالاتهم.

قال الجمهور من السلف والخلف: بل هؤلاء الذين وصفوا بالإسلام دون الإيمان، قد لايكونون كفاراً في الباطن بل معهم بعض الإسلام المقبول. وهؤلاء يقولون: الإسلام أوسع من الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً. ويقولون: في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق – حين يسرق – وهو مؤمن، ولا يسربها – وهو مؤمن » إنه يخرج من الإيمان إلى ولا يشرب الخر – حين يشربها – وهو مؤمن » إنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها وقالوا: إذا زني خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإيمان الى الكفر.

ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ عَامَنَا قُلُ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَلِتُكُر مِّنَ وَلَكِمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَلِتَكُر مِّنَ وَلَكِمَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَلِتَكُر مِّنَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَرَسُولِهِ عَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَرَسُولِهِ عَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُولِلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللّهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيهُ \* يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلُ لَا تَمُنُّوا عَلَى إِسْلَامَكُمْ بِلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىكُمْ لِلإِيمَنِ إِن كُنتُهُ صَلْدِقِينَ ) .

فقد قال تعالى: ( لَمَ تُوَمِنُواْ وَلَكِن قُولُوْ الْسَلَمْنَا وَلَمَايَدُ خُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ) ، وهذا الحرف \_ أي ( لما ) \_ بنفي به ما قرب وجوده، وانتظر وجوده، ولم يوجد بعد . فيقول لمن ينتظر غائباً: أي « لما ». ويقول قد جاء لما يجيء بعد . فلما قالوا: ( ءَامَناً ) قيل : ( لَمَ تُوْمِنُواْ ) بعد ، بل الإيمان مرجو منتظر منهم . ثم قال : ( وَإِن تُطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ الْاَيَلِيَّكُمُ ) أي : لا ينقصكم من أعمالكم المثبتة والل : ( وَإِن تُطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ اللّهِ لَو أرادوا طاعة الله ورسوله بعد دخول ( شيئاً ) ، أي : في هذه الحال ؛ فإنه لو أرادوا طاعة الله ورسوله بعد دخول الإيمان في قلوبهم لم يكن في ذلك فائدة لهم ولا لغيرهم ؛ إذ كان من المعلوم أن المؤمنين بثابون على طاعة الله ورسوله وهم كانوا مقرين به . فإذا قيل لهم: المطاع المؤمنين بثابون على طاعة الله ورسوله وهم كانوا مقرين به . فإذا قيل لهم: المطاع بثاب والمراد به المؤمن الذي يعرف أنه مؤمن لم يكن فيه فائدة جديدة .

و « أيضاً » فالخطاب لهؤلاء المخاطبين قد أخبر عنهم: لما يدخل في قلوبهم وقيل لهم: ( وَإِن نُطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا يَلِتَكُو مِن أَعُمَلِكُمْ شَيْئًا ) ؛ ف لو لم يكونوا في هذه الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول يكونوا في هذه الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول الخطاب، فبين ذلك أنه وصف المؤمنين الذين أخرج هؤلاء منهم فقال تعالى: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَا لَهِ وَرَسُولِهِ عَثْمَ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ) الذِينَ ءَامَنُواْ إِلَا لِهِ وَرَسُولِهِ عَثْمَ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

فِسكِيلِ اللّهِ أَوْلَكِيكَ هُمُ الصّدِ قُوك ، وهذا نعت محقق الإيمان ؛ لا نعت من معه مثقال ذرة من إيمان، كما في قوله تعالى : ( إِنَّ مَا الْمُؤْمِنُونَ اللّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتُ مُقَالَ ذرة من إيمان، كما في قوله تعالى : ( إِنَّ مَا الْمُؤْمِنُونَ اللّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتُ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَنَهُ وَرَادَتُهُمْ إِيمَنا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكّلُونَ \* اللّذِينَ يُقِيمُونَ اللّهُ وَرَسُولِهِ وَ اللّه الله عليه وسلم : « لا بزى الزانى حين بزى وهو مؤمن » . وأمثال ذلك . وأمثال ذلك .

فدل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار ، بل قد بكون مع أحدهم مثقال ذرة من إيمان ، ونفي هذا الإيمان لايقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار .

وبتحقق «هذا المقام » يزول الاشتباه في هـذا الموضع ، وبعلم أن في المسلمين قسما ليس هو منافقاً محضاً في الدرك الأسفل من النار ، وليس هو من المؤمنين الذين قيل فيهم : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اَمَنُواْبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُثَمَّلَمُ مَن المؤمنين الذين قيل فيهم : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّيْنَ المَنُواْبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُثَمَّلَمُ مَن المؤمنين الذين قيل فيهم وَأَنفُسِهِ مُفِيسَكِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًا ) فلاهم منافقون ، ولا من الذين قيل فيهم : ( أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًا ) فلاهم منافقون ، ولاهم ولا من الذين قيل فيهم : ( أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًا ) فلاهم منافقون ، ولاهم

من هؤلاء الصادقين المؤمنين حقاً ، ولا من الذين يدخلون الجنة بلا عقاب . بل له طاعات ومعاص وحسنات وسيئات ، ومعه من الإيمان مالا يخلد معه في النار ، وله من الكبائر مايستوجب دخول النار . وهذا القسم قد يسميه بعض الناس : الفاسق الملي وهذا مما تنازع الناس في اسمه وحكمه . والخلاف فيه أول خلاف ظهر في الإسلام في مسائل « أصول الدين » .

فنقول: لما قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وسار على بن أبي طالب إلى العراق ، وحصل بين الأمة من الفتنة والفرقة يوم الجمل ، ثم يوم صفين ، ماهو مشهور : خرجت ( الحوارج ) المارقون على الطائفتين جميعاً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بهم وذكر حكمهم ، قال الإمام أحمد : صح الحديث فى الخوارج من عشرة أوجه ، وهذه العشرة أخرجها مسلم فى صحيحه موافقة لأحمد ، وروى البخاري منها عدة أوجه ، وروى أحادثهم أهل السنن والمسانيد من وجوه أخر .

ومن أصح حديثهم حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الحدري فني الصحيحين عن علي بن أبي طالب أنه قبال : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فوالله لأن أخر من الساء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب عليه ، وإن حدثتكم فيا بيني وبينكم ، فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سيخرج قوم في آخر الزمان

أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لايجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيمتوهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة » .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال: بعث علي بن أبي طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة في أدم مقروض لم تحصل من ترابها فقال : فقسمها بين أربعة نفر، فقال رجل من أصحابه كنا أحق بهذا من هؤلاء قـال:فبلغ ذلكالنبي صلى الله عليه وسلم فقال: « ألاتأمنوني وأنا أمين من في السهاء يأتيني خبر السهاء صباحا ومساء » قال : فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ،كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمر الإزار ، فقال : يارسول الله ! اتق الله ، فقال : « ويلك ! أولست أحق أهـل الأرض أن يتقى الله ؟! » قال: ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد ، يارسول الله! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا : لعله أن يكون يصلي» قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه. فقال رسول الله صلى عليــه وسلم: « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ؛ ولا أشق بطونهم » قال تم نظر إليه وهو مقف فقال : « إنه يخرج من ضئضي، هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا مجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال : أظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ». اللفظ لمسلم.

ولمسلم في بعض الطرق عن أبي سعيـد « أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سياهم التحليق تم قال شر الخلق أو من شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » قال أبو سعيد: أنتم قتلتموهم يا أهــل العراق ، وفى لفظ له : « تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » وهذا الحديث مع ماثبت في الصحيح عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن بن علي : « إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين » فبين أن كلا الطائفتين كانت مؤمنة وأن اصطلاح الطائفتين كما فعله الحسن كان أحب إلى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم من اقتتالهما ، وأن اقتتالهما وإن لم يكن مأموراً به ، فعلى بن أبي طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ، وأن قتــال الخوارج مما أمر به صلى الله عليه وسلم ، ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأُمَّة .

وهؤلاء الخوارج لهم أسماء بقال لهم: «الحرورية » لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء ، ويقال لهم (أهل النهروان) : لأن علياً قاتلهم هناك ومن أصنافهم « الإباضية » أتباع عبد الله بن إباض ، و « الأزارقة » أتباع نافع بن الأزرق ، و « النجدات » أصحاب نجدة الحرورى .

وهم أول من كفر أهــل القبلة بالذنوب بل بما يرونــه هم من الذنوب واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » وكفروا عليبن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن والاها ، وقتلوا عليب بن أبي طالب مستحلين لقتله ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم ، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة ، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة ؛ فقال هؤلاء : ما الناس إلا مؤمن أو كافر ؛ والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات ؛ فمن لم يكن كذلك فهو كافر ؛ مخلد في النار . ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك ، فقالوا : إن عثمان وعلياً ونحوها حكموا بغير ما أزل الله ، وظلموا فصاروا كفاراً .

ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة ، فان الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله ، ولو كان كافراً مرتداً لوجب قتله ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من بدل دينه فاقتلوه » . وقال « لا يحل دم امرى عسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إسلام ، وزنبي بعد إحصان ، أوقتل نفس يقتل بها » وأمر سبحانه أن يجلد الزاني والزانية مائة جلدة ، ولو كانا كافرين لأمر بقتلها ، وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة ، ولو كان كافرين لأمر بقتله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلد شارب الحمر ولم يقتله ، بل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في صحيح البخارى وغيره : أن رجلاً كان بشرب الحمر وكان اسمه عبد الله حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي ملى الله عليه وسلم وكان النبي ملى الله عليه وسلم وكان النبي ملى الله عليه وسلم وكان النبي به إليه جلده فأتى به إليه مرة فلعنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم

« لاتلعنه ، فإنه يحب اللهورسوله » فنهى عن لعنه بعينهوشهدله بحب اللهورسوله مع أنه قد لعن شارب الخر عموماً .

وهذا من أجود ما يحتج به على أن الأمر بقتل الشارب في « الثالثة » و « الرابعة » منسوخ ؛ لأن هذا أتى به ثلاث مرات ، وقد أعيا الأئمة الكبار جواب هذا الحديث ؛ ولكن نسخ الوجوب لا يمنع الجواز ، فيجوز أن يقال : يجوز قتله إذا رأى الإمام المصلحة في ذلك ، فإن ما بين الأربعين إلى الثانين ليس حداً مقدراً في أصح قولي العلماء ، كما هو مذهب الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين ؛ بل الزيادة على الأربعين إلى الثانين ترجع إلى اجتهاد الإمام فيفعلها عند المصلحة ، كغيرها من أنواع التعزير ، وكذلك صفة الضرب فإنه يجوز جلد الشارب بالجريد والنعال وأطراف الثياب بخلاف الزاني والقاذف فيجوز أن يقال : قتله في الرابعة من هذا الباب .

و « أيضاً » فإن الله سبحانه قال: ( وَإِنطَآبِهَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَفْنَتَلُواْ فَا اللهُ سبحانه قال: ( وَإِنطَآبِهَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَفْنَتَلُواْ فَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَا اللّهُ وَاللّهُ وَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالّ

أ الأمام أ

وأمرنا بالإصلاح بينهم.

فلما شاع في الأمة أمر « الخوارج » تكلمت الصحابة فيهم ، وروواعن

النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث فيهم، وبينوا ما في القرآن من الرد عليهم، وظهرت بدعتهم في العامة؛ فجاءت بعده «المعتزلة» — الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري وهم: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الغزال، وأتباعها — فقالوا: أهل الكبائر مخلدون في النار، كما قالت الخوارج، ولا نسميهم لا مؤمنيين ولا كفاراً؛ بل فساق، ننزلهم منزلة بين منزلتين. وأنكروا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، وأن يخرج من النار بعد أن يدخلها. قالوا: ما الناس إلا رجلان: سعيد لا يعذب، أوشقي لا ينعم، والشقي نوعان: كافر، وفاسق، ولم يوافقوا الخوارج على تسميتهم كفاراً.

وهؤلاء يرد عليهم بمثل ما ردوا به على الخوارج. فيقال لهم كما أنهم قسموا الناس إلى مؤمن لا ذنب له ، وكافر لا حسنة له ، قسمتم الناس إلى مؤمن لاذنب له ، وإلى كافر وفاسق لا حسنة له ، فلو كانت حسنات هذا كلها محبطة وهو مخلد في النار ، لاستحق المعاداة المحضة بالقتل والاسترقاق ، كما يستحقها المرتد ؛ فإن هذا قد أظهر دينه بخلاف المنافق . وقد قال تعالى في كتابه : (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ عَوْرَهُ وَلَا كَلْ الشرك الشرك معلقاً بمشيئته .

ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب؛ فإن التائب لا فرق في حقه بين

الشرك وغيره . كما قال سبحانه في الآية الأخرى : ( قُلْ يَكِعِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنْفُولِهِ مَهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ يَغْفِرُ اللَّهُ يَغْفِرُ اللَّهُ يَعْفِرُ اللَّهُ يَعْفِرُ اللَّهُ يَعْفِرُ اللَّهُ وَكَبَعَمُ وَأَطْلَقَ، كَانَ الْمُراد به التائب، وهناك خص وعلق .

وقال نعالى: ( مُمَّ أَوْرَثَنَا ٱلْكِنْبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُ مُظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّ قَتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ إِلَّا خَيْرَتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَلِكَ هُو ٱلْفَضَّ لُ ٱلْكَبِيرُ \* جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَا يُعَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُوَّلُوَّ أُولِبَا سُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذِى آخَلَنَا وَلَى اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ اللللّهُ الللّهِ الللللّهُ الللّهِ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ الللّهُ الللّهُ الللّهِ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

فقد قسم سبحانه الأمة التى أورثها الكتاب واصطفاها « ثلاثة أصناف»: ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات ، وهؤلاء الثلاثة بنطبقون على الطبقات الثلاث المذكورة في حديث جبريل : « الإسلام » و « الإيمان » و « الإحسان». كا سنذكره إن شاء الله . ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر والتائب من جميع الذنوب فذلك مقتصد أو سابق، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلوعن ذنب ؛ لكن من تاب كان مقتصداً ، أوسابقاً؛ كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات ؛ كما قال تعالى : ( إِن تَجْتَيْبُوا كَبَايِرَ مَا نُتُهُونَ عَنْهُ للله الله على موعود بالجنة ولو بعد نكور عنكم سَيّعَاتِكُمُ ) فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر : أن ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب مما يجزى به ، ويكفر عنه خطاياه ، كما في الصحيحين المؤمن في الدنيا من المصائب مما يجزى به ، ويكفر عنه خطاياه ، كما في الصحيحين

عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما يصيب المؤمن من وصب ولانصب، ولا م ولا حزن، ولا غم، ولا أذى حتى السوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه » وفى المسند وغيره أنه لما زلت هذه الآبة: ( مَن يَعَمَلُ سُوّءً ايُجُرَيهِ ) قال أبو بكر: يارسول الله! جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً، فقال: «يا أبا بكر! ألست تنصب؟ ألست تحرن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به».

و « أيضاً » فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى أنه يخرج أقوام من النار بعد ما دخلوها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع فى أقوام دخلوا النار . وهذه الأحاديث حجة على الطائفتين : « الوعيدية » الذين بقولون : من دخلها من أهل التوحيد لم يخرج منها ، وعلى « المرجئة الواقفة » الذين بقولون : لاندري هل يدخل من أهل التوحيد النار أحد ، أم لا ؟ ! كما الذين بقولون : لاندري هل يدخل من أهل التوحيد النار أحد ، أم لا ؟ ! كما يقول ذلك طوائف من الشيعة والأشعرية ، كالقاضي أبي بكر وغيره . وأما ما يذكر عن « غلاة المرجئة » أنهم قالوا : لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد ، فلا نعرف قائلاً مشهوراً من المنسوبين إلى العلم يذكر عنه هذا القول .

و « أيضاً » فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد شهد لشارب الخسر المجلود مرات بأنه يحب الله ورسوله ، ونهى عن لعنته ، ومعلوم أن من أحب الله ورسوله أحبه الله ورسوله بقدر ذلك . وأيضاً فإن الذين قذفوا عائشة أم

وكذلك ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه قال : «لابدخل النار أحد بابع تحت الشجرة » وهذه النصوص تقتضي : أن السيئات مغفورة بتلك الحسنات ولم يشترط مع ذلك توبة ؛ وإلا فلا اختصاص لأولئك بهذا ؛ والحديث يقتضي المغفرة بذلك العمل . وإذا قيل : إن هذا لأن أحداً من أولئك لم يكن له إلا صغائر ، لم يكن ذلك من خصائصه أيضاً . وأن هذا يستلزم تجويز الكبيرة من هؤلاء المغفور لهم ، و «أيضاً » قد دلت نصوص الكتاب والسنة : على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب .

« أحدهـا » التوبة ، وهذا متفق عليــه بين المسلمين ، قال تعالى :

( قُلْ يَنعِبَادِى ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِم لَا نَقْ نَطُواْ مِن رَحْمَةِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنّهُ مُهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ) وقال تعالى: ( ٱلْمَرْيَعْ لَمُوَّا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَيَقُبَلُ ٱلتَّوْبَهُ عَنْ عِبَادِهِ وَوَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَنْتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَابُ ٱلرَّحِيمُ )

وقال تعالى: ( وَهُوَالَّذِي يَقَبُلُ النَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السّبِ الشّبِ عن النبي صلى « السبب الشّاني » الاستغفار كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أذنب عبد ذنباً فقال : أي رب ! أذنبت ذنباً فاغفر لي ، فقال : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ به قد غفرت لعبدي ، ثم أذنب ذنباً آخر فقال أي رب! أذنبت ذنباً آخر . فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، فليفعل ماشاء ، قال ذلك : في الثالثة ، أو الرابعة » وفي عفرت لعبدي ، فليفعل ماشاء ، قال ذلك : في الثالثة ، أو الرابعة » وفي صحيح مسلم عنه أنه قال : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ثيغفر لهم » .

وقد يقال على هذا الوجه الاستغفار هو مع التوبة كما جاء في حديث «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم مائة مرة» وقد يقال: بل الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع، وبسط هذا له موضع آخر، فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به، عام في كل تائب، وإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين، الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب، كما في حديث البطاقة بأن قول: لا إله

إلاالله ثقلت بتلك السيئات؛ لماقاله ابنوع من الصدق و الإخلاص الذي يمحو السيئات، وكما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل في قلبها إذذاك من الإيمان، وأمثال ذلك كثير.

« السبب الثالث » : الحسنات الماحية كما قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّكَوْهَ طَرَفِي ٱلنَّهَارِ وَزُلِفَا مِّنَ ٱلَّيْلَ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ ٱلسَّيَّاتِ ) وقال صلى الله عليه وسلم: « الصلوات الخس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر » وقـال: « من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وقال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وقال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وقال : « فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.» وقال: « من أعتق رقبة مؤمنة ، أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه » وهذه الأحاديث وأمثالها في الصحاح . وقال : « الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

وسؤالهم على هذا الوجه أن يقولوا الحسنات إنما تكفر الصغائر فقط فأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة كما قد جاء في بعض الأحاديث: « ما اجتنبت الكبائر » فيجاب عن هذا بوجوه .

(الثاني): أنه قد جاء التصريح في كثير من الأحاديث بأن المغفرة قد تكون مع الكبائر، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «غفر له وإن كان فر من الزحف » وفي السنن « أنينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب. فقال: أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار. » وفي الصحيحين في حديث أبي ذر «وإن زنى وإن سرق .» .

(الثالث): أنقوله لأهل بدر ونحوه « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » إن حمل على الصغائر،أو على المغفرة مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيره . فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر ، لما قد علم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة ، لا يجوز حمله على مجرد الصغائر المكفرة باجتناب الكبائر .

(الرابع): أنه قد جاء في غير حديث «إن أول ما يحاسب عليه العبد من

عمله يوم القيامة الصلاة ، فإن أكملها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع ، فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ، ثم يصنع بسائر أعماله كذلك » . ومعلوم أن ذلك النقص المكمل لا يكون لترك مستحب ؛ فإن ترك المستحب لا يحتاج إلى جبران ، ولأنه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المتروك والمفعول ، فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات . وهذا لا ينافي أن الله لايقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، مع أن هذا لو كان معارضاً للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر ، وهذا غريب رفعه ، وإنما المعروف أنه في وصية أبى بكر لعمر ؛ وقد ذكره أحمد في « رسالته في الصلاة » .

وذلك لأن قبول النافلة يراد به الثواب عليها. ومعلوم أنه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة فإنه إذافعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبراً لها و إكالاً لها. فلم يكن فيها ثواب نافلة ، و لهذا قال بعض السلف: النافلة لا تكون إلالرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره يحتاج إلى المغفرة . و تأول على هذا قوله : ( وَمِنَ النَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ عَنَافِلَةً لَكَ ) وليس إذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مطلقاً ، بل قد تكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة .

فإن قيل: العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها كان عليه أن يصليها إذا ذكرها بالنص والإجماع. فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء. قيل: هذا خطأ، فإن قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب. فيقال: إذا كان العبد

يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ، ومعلوم أن العبد عليـــه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن حاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب ، كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية. والله عليم حكيم رحيم \_ أمره بما يصلحهم ، ونهاه عما يفسده ، ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته ، بلجعل لهم أسباباً يتوصلون بها إلى رفع الضرر عهم ، ولهذا قيل: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا بجرئهم على معاصى الله. ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب ، قال بعضهم لشيخه : إني أذنب، قال: تب، قال: ثم أعود، قال: تب، قال: ثم أعود، قال: تب، قال: إلى متى ؟! قال: إلى أن تحزن الشيطان. وفي السند عن على عن الني صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله يحب العبد المفتن التواب ».

وأيضاً فإن من نام عن صلاة ، أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها ، تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ، ويستوجب بذلك المدح والثواب ، وأما ما يفعله من التطوعات ، فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ، ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ، ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجباً ، فلا يكون تطوعاً والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : «ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي بتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه »، الحديث أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي بتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه »، الحديث

فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر، لم يحصل له مقصود النوافل، ولا يظلمه الله، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء: فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسناً. وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلاً ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه.

ومن العجب أن « المعتزلة » يفتخرون بأنهم أهل «التوحيد» ، و «العدل الذي وهم فى توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل والإشراك. وأما «العدل الذي وصف الله به نفسه »فهو أن لا يظلم مثقال ذرة و أنه : من يعمل مثقال ذرة خيرايره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره وهم يجعلون جميع حسنات العبدو إيمانه حابط بذنب واحدمن الكبائر ، وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه ، فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى ، من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله .

(الخامس): أن الله لم يجعل شيئاً يحبط جميع الحسنات، إلا الكفر، كما أنه لم يجعل شيئاً محبط جميع السيئات إلا التوبة. و « المعتزلة، مع الخوارج» يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان، قال الله تعالى: (وَمَن يَرْتَدِدُ مِنكُمْ عَن دِينِهِ عَنَيْمُتُ وَهُوَكَ إِنَّ فَأُولَكَ إِلَى حَبِطَتُ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّني اوَاللَّخِرَةً مَن وَلَى اللهُ اللهُ عَلَى الكُفر، وأَوْلَكَ إِلَى اللهُ على الكفر، وقد ثبت ان هذا ليس بكافر، والمعلق بشرط يعدم عند عدمه. وقال تعالى وقد ثبت ان هذا ليس بكافر، والمعلق بشرط يعدم عند عدمه. وقال تعالى

( وَمَن يَكُفُرُ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ) وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ( وَمِنْ ءَابَآيِهِمْ وَذُرِيَّكُمْ مَ إِخْوَرَهُمْ وَٱجْلَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ \* ذَالِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنَّهُ مِمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ) وقال: ( لَبِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ) مطابق لقوله تعالى: ( إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْ فِرُأَن يُشْرَكَ بِهِ ). فإن الإشراك إذا لم يغفر وأنه موجب للخلود في النار ، لزم من ذلك حبوط حسنات صاحبه ، ولما ذكر سائر الذنوب غير الكفر لم يعلق بها حبوط جميع الأعمال . وقوله: ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَنَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ) . لأن ذلك كَفُرُ وَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَرْفَعُواْ أَضُواتَكُمُ أَفَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيَّ وَلَا تَجَهُرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ لأن ذلك قد بَعْضِكُمْ لِبَعْضِ أَن تَعْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُولَا تَشْعُرُونَ ) يتضمن الكفر فيقتضي الحبوط وصاحبه لايدري كراهية أن يحبط أو خشية أن يحبط، فهاهم عن ذلك لأنه يفضي إلى الكفر المقتضى للحبوط.

ولا ريب أن المعصية قد تكون سبباً للكفر ، كما قال بعض السلف المعاصى بريد الكفر ؛ فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط ؛ كما قال تعالى : ( فَلْيَحُدُرِ اللَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ قَالَ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً ) ــوهي الكفر ( أَوْيُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ) وابليس خالف أمر الله فصار كافراً ؛ وغيره أصابه عذاب أليم .

وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُٱللَّهُ مِنَٱلْمُنَّقِينَ ﴾

قالوا: فصاحب الكبيرة ليس من المتقين، فلا يتقبل الله منه عملاً، فلا يكون له حسنة، وأعظم الحسنات الإيمان، فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار، وقد أجابتهم المرجئة: بأن المراد بالمتقين، من يتقي الكفر، فقالوا لهم: اسم المتقين في القرآن يتناول المستحقين للثواب، كقوله تعالى: ( إِنَّ الْمُنْقِينَ فِ جَنَّتِ وَنَهُرٍ \* فِ مَقْعَدِ صِدْقِ عِندَ مَلِيكِ مُقْدَدِمٍ ) وأيضاً فابنا آدم حين قربا قربانا لم يكن المقرب المردود قربانه حينذ كافراً، وإنحا كفر بعد ذلك؛ إذ لو كان كافراً لم يتقرب، وأيضاً فما زال السلف يخافون من هذه الآية، ولو أريد بها من يتقى الكفر لم يخافوا، وأيضاً فإطلاق لفظ المتقين، والمراد بهمن ليس بكافر، لااصل له في خطاب الشارع فلا يجوز حمله عليه.

و « الجواب الصحيح »: أن المراد من اتقى الله فى ذلك العمل كما قال الفضيل ابن عياض فى قوله تعالى: ( لِيَبْلُوكُمُ أَيْكُو الْحَسَنُ عَمَلًا ) قال : أخلصه ، وأصوبه ، قيل : يا أبا على ! ما أخلصه ، وأصوبه ، قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، فمن عمل لغير الله والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، فمن عمل لغير الله عن المركاء عن الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى فأنا بريء منه ، وهو كله للذي أشركه » . وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : «لايقبل وهو كله للذي أشركه » . وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : «لايقبل الله صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول » وقال : « لا يقبل الله صلاة ملاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول » وقال : « لا يقبل الله صلاة

حائض إلا بخمار » وقال فى الحديث الصحيح: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي فهو مردود غير مقبول. فمن اتقى الكفر وعمل عملاً ليس عليه أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يقبل منه ، وإن صلى بغير وضوء لم يقبل منه ، لأنه ليس متقياً فى ذلك العمل ، وإن كان متقياً للشرك .

وقد قال تعالى: ( وَاللَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا اَتَوَاْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ )
وفى حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت: «يارسول
الله! أهو الرجل يزنى ، ويسرق ، ويشرب الخر ، ويخاف أن يعذب ؟ قال:
لا ، يا ابنة الصديق! ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ، ويخاف أن
لا يقبل منه » .

وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه ، لخوف أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور ؛ وهذا أظهر الوجوه فى استثناء من استثنى منهم فى الإيمان ، وفى أعمال الإيمان كقول أحده : أنا مؤمن \_ إن شاءالله \_ وصليت إن شاء الله \_ لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به ، لا على جهة الشك فيا بقلبه من التصديق ؛ لا يجوز أن يراد بالآية : إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقى الذنوب كلها ، لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقياً ، فإن كان قبول العمل مشروطاً بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له ، المتنع قبول التوبة ، بخلاف ما إذا اشترط التقوى فى العمل ، فإن التائب حين يتوب يأتى بالتوبة الواجبة ، وهو حين شروعه فى التوبة منتقل من الشر إلى الخير ، يتوب يأتى بالتوبة الواجبة ، وهو حين شروعه فى التوبة منتقل من الشر إلى الخير ، يتوب يأتى بالتوبة الواجبة ، وهو حين شروعه فى التوبة منتقل من الشر إلى الخير ،

لم يخلص من الذنب ، بل هو متق في حال تخلصه منه .

و «أيضاً » فلو أتى الإنسان بأعمال البر وهو مصر على كبيرة ، ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة ، وتقبل منه تلك الحسنات ، وهو حين أتى بهاكان فاسقاً .

و « أيضاً » فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل ، وغصب ،وقذف \_ وكذلك الذمى إذا أسلم \_ قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه ؛ فلو كان العمل لايقبل إلا ممن لاكبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش والمظالم؛ بل يكون مع إسلامه مخلداً ،وقدكان الناس مسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات ، فيقبل إسلامهم ، وبتوبون إلى الله سبحانه من التبعات . كما ثبت في الصحيح « أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوماً في الجاهلية فغدر بهم ، وأخذ أموالهم وجاء فأسلم، فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس الني صلى اللهعليه وسلم بالسيف ، دفعه المغيرة بالسيف فقال : من هذا ! فقالوا : ابن أختك المغيرة، فقال ياغدر! ألست أسعى في غدرتك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أما الإسلام فأقبله · وأما المال فلست منه في شيء » وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُ م بِٱلْفَدَوْةِ وَٱلْعَشِيِّي يُرِيدُونَ وَجْهَ لَّهُ مَاعَلَيْكَ مِنْ حِسكابِهم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِ مِ مِن شَيْءٍ فَتَظْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ ) وقالوا

(السبب الرابع) الدافع للعقاب: دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه ». وعن ابن عباس قال سمحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه » رواها مسلم . وهذا دعاء له بعد الموت . فلا يجوز أن نحمل المغفرة على المؤمن التني الجنب الكبائر، وكفرت عنه الصغائر وحده ، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين . فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت .

(السبب الخامس): ما يعمل للميت من أعمال البر؟ كالصدقة ونحوها، فإنهذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة الصريحة، واتفاق الأئمة وكذلك العتق، والحج. بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «منمات وعليه صيام صام عنه وليه » وثبت مثل ذلك في الصحيح من صوم النذر من

وجوه أخرى ، ولا يجوز أن يعــارض هــذا بقوله : ( وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّامَاسَعَىٰ ) لوجهين .

(أحدها) أنه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن بنتفع بما ليس من سعيه ، كدعاء الملائكة ، واستغفاره له ، كما فى قوله تعالى : ( اللّذِينَ يَحِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ عَوْله تعالى : ( اللّذِينَ ءَامَنُوا ) الآبة . ودعاء النبيين والمؤمنين والمؤمنين واستغفاره كما فى قوله نعالى : ( وَصَلِّعَلَيْهِمُ إِنَّ صَلَوْتَكَ سَكَنٌ لَمُّمُ ) وقوله واستغفاره كما فى قوله نعالى : ( وَصَلِّعَلَيْهِمُ إِنَّ صَلَوْتَكَ سَكَنٌ لَمُّمُ ) وقوله سبحانه : ( وَمِنَ اللَّهُ وَصَلَوْتِ الرَّسُولِ ) وقوله عن وجل : ( وَاسْتَغْفِرُ لِذَ يُلِك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ) ، وكدعاء المصلين للميت ، ولمن زاروا قبره وللمؤمنين \_ من المؤمنين \_ من المؤمنين \_ .

(الثاني): أن الآية ليست في ظاهرها إلا أنه ليس له إلا سعيه وهذا حق فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه ، وأما سعي غيره فلا يملكولا يستحقه؛ لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به ؛ كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدوره ، وهو سبحانه بحكمت ورحمته يرحم العباد بأسباب يفعلها العباد ليثيب أولئك على تلك الأسباب ، فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( مامن رجل يدعو لأخيه الاعوة إلا وكل الله به ملكاكلها دعا لأخيه قال الملك الموكل به : آمين ولك بدعوة إلا وكل الله به ملكاكلها دعا لأخيه قال الملك الموكل به : آمين ولك

عمل » وكما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه قدال : « من صلى على جنازة فله قيراطان ؛ أصغرها مثل أحد » فهو قد يرحم المصلي على الميت بدعاء هذا الحى له .

(السبب السادس): شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ». وقوله صلى الله عليه وسلم: « خيرت بين أن يدخل نصف أمتى الجنه؛ وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثر؛ أترونها للمتقين؟ لا . ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين» .

(السبب السابع): المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مايصيب المؤمن من وصب ؛ ولا نصب ؛ ولا هم ؛ ولا حزن ؛ ولا غم ؛ ولا أذى حتى الشوكة يشاكها \_ إلا كفر الله بها من خطاياه » ،

( السبب الثامن ): ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا .

(السبب التاسع). أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

( السبب العاشر ): رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد. فإذا ثبت أن الذم والعقاب قد يدفع عن أهل الذنوب بهذه الأسباب العشرة كان دعوام أن عقوبات أهل الكبائر لاتندفع إلا بالتوبة مخالف لذلك.

«فهذان القولان»: قــول الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب، ويخلدون في النار؛ وقول من يخلده في النار ويجزم بأن الله لايغفر لهم إلا بالتوبة، ويقــول ليس معهم من الإيمان شيء، لم يذهب إليها أحـد من أمّة الدين أهل الفقه، والحديث بــل ها من الأقوال المشهورة عن أهل البدع.

وكذلك قول من وقف فى أهل الكبائر من غلاة المرجئة وقال لا أعلم أن أحداً منهم يدخل النار ، هو أيضاً من الأقوال المبتدعة ؛ بل السلف والأمّة متفقون على ماتواترت به النصوص من أنه لابد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة ، ثم يخرجون منها . وأما من جزم بأنه لايدخل النار أحد من

أهل القبلة فهذا لانعرفه قولاً لأحد. وبعده قول من يقول: ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لاحقيقةله،وهذا من أقوال الملاحدة والكفار.

وربما احتج بعضهم بقوله: ( ذَلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ) فيقال لهذا: التخويف إنما يكون تخويفاً إذا كان هناك مخوف مكن وقوعه بالمخوف، فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف ، لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بمالا حقيقة له ، كما توم الصي الصغير . ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل بـــه تخويف للعقـــلاء المميزين . لأنهـــم إذا علمـــوا أنـــه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف، وهـذا شبيه بما تقول « الملاحدة » المتفلسفة والقرامطة ونحوه : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : خاطبوا الناس بإظهار أمور من الوعد والوعيد لاحقيقة لها في الباطن ، وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة، وما أظهروه لهم من الوعد والوعيد وإن كان لاحقيقة له فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا ، إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا مهذه الطريقة.

و «هذا القول » مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل ؛ فلو كان الأمركذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك ، وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي ، كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة: من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم ، فإن البارع منهم في العلم

والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي، وتباح له المحظورات، وتسقط عنه الواجبات، فتظهر أضغانهم، وتنكثف أسرارهم، ويعرف عموم الناس حقيقة دينهم الباطن ، حتى سموم باطنية ؛ لإبطانهم خلاف مايظهرون . فلو كان \_ والعياذ بالله \_ دين الرسل كذلك لكان خواصه قد عرفوه، وأظهروا باطنه. وكان عند أهل المعرفة والتحقيق من جنس دين الباطنية، ومن المعلوم بالاضطرار أن الصحابة الذين كانوا أعلم الناس بباطن الرسول وظاهره ، وأخبر الناس بمقاصده ومراداته ،كانوا أعظم الأمة لزوماً لطاعة أمره ــ سراً وعلانية \_ ومحافظة على ذلك إلى الموت ، وكل من كان منهم إليه وبه أخص وبباطنه أعلم \_ كأبي بكروعمر \_كانوا أعظمهم لزوماللطاعة سرأوعلانية ومحافظة على أداه الواجب ، واجتناب المحرم ، باطناً وظاهراً ، وقد أشبه هؤلاء في بعض الأمور ملاحدة المتصوفة : الذين يجعلون فعل المأمور وترك المحظور واجباً على السالك حتى يصير عارفا محققاً في زعمهم ؛ وحينئذ يسقط عنه التكليف ، ويتأولون على ذلك قوله نعالى: ﴿ وَأَعْبُدُرَبُّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِيثُ ﴾ زاعمين أن اليقين هو مايدعونه من المعرفة ، واليقين هنا الموت وما بعده . كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَابِضِينَ \* وَكُنَّا ثُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ \* حَتَّى أَتَكْنَا ٱلْيَقِينُ \* فَمَالَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّيْفِينَ ) •

قال الحسن البصري إن الله لم يجعل لعباده المؤمنين أجلا دون الموت،

وتلا هذه الآية . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لما توفى عثمان بن مظعون : « أما عثمان بن مظعون فقد أناه اليقين من ربه » وهؤلاء قد بشهدون القدر ، أولا ، وهي الحقيقة الكونية ، ويظنون أن غاية العارف أن بشهد القدر ، ويفنى عن هذا الشهود ، وذلك المشهدلا تمييز فيه بين المأمور والمحظور ، ومحبوبات الله ومكروهاته وأوليائه وأعدائه .

وقد يقول أحده: العارف شهد أولا الطاعة والمعصية، ثم شهد طاعة بلا معصية \_\_ يريد بذلك طاعة القدر \_\_ كقول بعض شيوخهم: أنا كافر يرب يعصى، وقيل له عن بعض الظللين: هذا ماله حرام، فقال: إن كان عصى الأمر، فقد أطاع الإرادة. ثم ينتقلون «إلى المشهد الثالث » لاطاعة ولا معصية، وهو مشهد أهل الوحدة القائلين بوحدة الوجود، وهذا غاية إلحاد المبتدعة جهمية الصوفية ، كما أن القرمطة آخر إلحاد الشيعة ، وكلا الإلحادين يتقاربان . وفيهمامن الكفر ماليس في دين اليهود والنصارى ومشركي العرب ، والله أعلى .

## فعسسل

ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والايمان نزاعاً كثيرا منه لفظي،

و كثير منه معنوي ، فإن أئمة الفقهاء لم ينازعوا في شيء مما ذكرناه من الأحكام ، وإن كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض ، ولكن تنازعوا في الأسماء كتنازعهم في الإيمان ، هل يزيد وينقص ؟وهل يستثنى فيه أم لا ؟ وهل الأعمال من الإيمان أم لا ؟ وهل الفاسق الملى مؤمن كامل الإيمان أم لا ؟ والمأثور عن الصحابة ، وأثمة التابعين ، وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث ، وهو المنسوب إلى أهل السنة ، أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه يجوز الاستثناء فيه ، كما قال عمير بن حبيب الخطمي وغيره من الصحابة : الإيمان يزيد وينقص ، فقيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ فقال : ونا ذكرنا الله ، وحمدناه ، وسبحناه ، فتلك زيادته . وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا ، فذلك نقصانه . فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهوره .

وربماقال بعضهم وكثير من المتأخرين : قول وعمل ونية ، وربماقال آخر : قول وعمل ونية واتباع السنة ، وربماقال : قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، أي بالجوارح . وروى بعضهم هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في النسخة المنسوبة إلى أبي الصلت الهروي عن على بن أبى موسى الرضا ، وذلك من الموضوعات على النبي صلى الله عليه وسلم ، باتفاق أهل العلم بحديثه . وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي ، ولكن القول المطلق ، والعمل المطلق ؛ في كلام السلف بتناول قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ، فقول اللسان

بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ، وهذا لايسمى قولاً إلا بالتقييد . كقوله تعالى: ( يَقُولُونَ بِٱلسِّنَتِهِم مَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ) وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هو من أعمال المنافقين ؛ التي لا يتقبلها الله . فقول السلف : يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر؛ لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك ؛ قال بعضهم : ونيــة . ثم بين آخرون : أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولاً إلا بموافقة السنة. وهذا حق أيضاً فإن أولئك قالوا قول وعمل ليبنوا اشتاله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال ؛ وكذلك قول من قال : اعتقاد بالقلب ؛ وقول باللسان ، وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسماً لما يظهر ؛ فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه ، مثــل حب الله ؛ وخشية الله ؛ والتوكل ءــلى الله ، ونحو ذلك . فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى ، من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها.

وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن ، ولم يجدوا ذكر النقص ، وهذا إحدى الروايتين عن مالك ، والرواية الأخرى عنه ؛ وهو المشهور عند أصحابه كقول سائره: إنه يزيد وينقص ؛ وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل ، فقال أقول : الإيمان بتفاضل وبتفاوت ، ويروى هذا عن ابن المبارك

وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ربب في ثبوته وأنكر حماد بن أبى سليان ومن اتبعه تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه ؛ وهؤلاء من مرجئة الفقهاء وأما إبراهيم النخعى \_ إمام أهل الكوفة شيخ حماد بن أبى سليان \_ وأمثاله ؛ ومن قبله من أصحاب ابن مسعود: كعلقمة ؛ والأسود ؛ فكانوا من أشد الناس مخالفة للمرجئة ، وكانوا يستشون في الإيمان ؛ لكن حماد بن أبى سليان خالف سلفه ؛ واتبعه من اتبعه ودخل في هذا طوائف من أهل الكوفة ، ومن بعده .

ثم إن «السلف والأمّة » اشتد إنكاره على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم؛ ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيره؛ بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك؛ وقد نص أحمد وغيره من الأمّة : على عدم تكفير هؤلاء المرجئة . ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأمّة تكفيراً لهؤلاء؛ أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتازع في تكفيره ، فقد غلط غلطاً عظيماً ؛ والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأمّة ؛ إنما هو تكفيره الجهمية المشبهة ، وأمثال هؤلاء . ولم يكفر أحمد «الخوارج» ولا «القدرية» إذا أقروا بالعلم ؛ وأنكروا خلق الأفعال ، وعموم المشيئة ؛ لكن حكي عنه في تكفيره روايتان .

وأما « المرجئة » فلا يختلف قوله في عدم تكفيره ؛ مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ، ولا كل من قال إنه جهمي كفره ، ولا كل من وافق الجهمية في

بعض بدعهم؛ بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة ، لم يكفره أحمد وأمثاله ؛ بل كان يعتقد إيمانهم ، وإمامتهم ؛ ويدعو لهم ؛ ويرى الائتمام بهم فى الصلوات خلفهم ، والحج، والغزو معهم ، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأغة . وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم ، وإن لم يعلموا هم أنه كفر ؛ وكان ينكره و يجاهده على رده بحسب الإمكان ؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله فى ينكره و يجاهده على رده بحسب الإمكان ؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله فى إظهار السنة والدين ، وإنكار بدع الجهمية الملحدين ؛ وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأمّة والأمة ؛ وإن كانوا جهالا مبتدعين ؛ وظامة فاسقين .

وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبى سليمان وأبى حنيفة وغيرها من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان؛ واعتقاد القلب من الإيمان؛ وهو قول أبى محمد بن كلاب وأمثاله ، لم يختلف قولهم فى ذلك ، ولا نقل عنهم أنهم قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب .

لكن هذا القول حكوه عن « الجهم بن صفوان » ذكروا أنه قال: الإيمان مجرد معرفة القلب ، وإن لم يقر بلسانه واشتد نكيرهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح ، وأحمد بن حنبل وغيرها كفر من قال ذلك ؛ فإنه من أقوال الجهمية ؛ وقالوا : إن فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمشالهم ؛ عرفوا بقلوبهم وجحدوا بألسنتهم ؛ فقد كانوامؤمنين . وذكروا قول الله : ( وَحَمَدُواْ بِقَلُوبِهم وجحدوا بألسنتهم ؛ فقد كانوامؤمنين . وذكروا قول الله : ( وَحَمَدُواْ

بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتُهَا أَنَفُهُمُ مَظُلُمًا وَعُلُوًا ). وقوله: ( ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَّبَ يَعْرِفُونَهُ وَكَايَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الْكِنَابَ اللهِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ) وقوله: ( فَإِنَّهُمُ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّيْلِمِينَ بِعَايَتِ ٱللهِ يَجْمَدُونَ ) وقالوا: إبليس لم يكذب خبراً ولم يجحد، فإن الله أمره بلارسول، وتحقيق هذا ولكن عصى واستكبر ؛ وكان كا فراً من غير تكذيب في الباطن ، وتحقيق هذا مبسوط في غير هذا الموضع .

وحدث بعد هؤلاء قول « الكرامية » ؛ إن الاعمان قول اللسان ، دون تصديق القلب ، مع قولهم إن مثل هذا يعذب في الآخرة و يخلد في النار .وقال أبو عبد الله الصالحي : إن الإيمان مجرد نصديق القلب ومعرفته ، لكن لهلو ازم فإذا ذهبت دل ذلك على عدم تصديق القلب ، وإن كل قول أو عمل ظاهر دل الشرع على أنه كفركان ذلك لأنه دليل على عدم تصديق القلب ومعرفته ،وليس الكفر إلا تلك الخصلة الواحدة ، وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة ، وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري ، وعليه أصحابه كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وأمثالها ، ولهـ ذا عدم أهل المقالات من « المرجئة » ، والقول الآخر عنه كقول السلف وأهل الحديث : إن الإيمان قول وعمـــل، وهو اختيار طائفة من أصحابه ، ومع هذا فهو وجمهور أصحابه عـــلي قول أهل الحديث في الاستثناء في الإيمان.

والإيمان المطلق عنده ما يحصل به الموافاة ، والاستثناء عنده يعود إلى ذلك؛

لا إلى الكمال والنقصان والحال. وقد منع أن يطلق القول بأن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، وصنف في ذلك مصنفا معروف عند أهل السنة، في «كتاب المقالات». وقال إنه يقول بقولهم.

وقد ذهب طائفة من متأخري أصحاب أي حنيفة \_ كأبى منصور الماريدي وأمثاله \_ إلى نظير هذا القول في الأصل، وقالوا إن الإيمان هو مافى القلب، وأن القول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا: لكن هؤلاء بقولون بالاستثناء ونحو ذلك كما عرف من أصلهم وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيره، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه مكا قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يخرج من النار من كان في قليه مثقال حبة من الإيمان ».

ثم قالت « الخوارج ، والمعتزلة » الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان ، فذهب سائره فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان. وقالت «المرجئة، والجهمية»: ليس الإيمان الإشيئاً واحد الايتبعض إما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة، قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءاً منه، فإذا ذهب نعضه، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان ، وهو قول المعتزلة والخوارج ، لكن قد بكون له لوازم ودلائل

فيستدل بعدمها على عدمه .

وكان كل من الطائفتين بعد السلف والجماعة وأهل الحديث متناقضين ، حيث قالوا: إلايمان قول وعمل ، وقالوا مع ذلك لايزول بزوال بعض الأعمال حتى إن ابن الخطيب وأمثاله جعلوا الشافعي متناقضاً في ذلك ، فإن الشافعي كان من أئمة السنة ، وله في الرد على المرجئة كلام مشهور ، وقد ذكر في كتاب الطهارة من « الأم » إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم على قول أهل السنة ، فلما صنف ابن الخطيب تصنيفاً فيه ، وهو يقول في الإيمان بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي ورآه متناقضاً .

وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها، كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة ؛ وكذلك الأجسام المركبة كالسكنجبين إذا زال أحد جزأ به خرج عن كونه سكنجبينا. قالوا فإذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ، ظاهرة وباطنة ، لزم زواله بزوال بعضها . وهذا قول الحوارج والمعتزلة ، قالوا : ولأنه بلزم أن يكون الرجل مؤمناً بما فيه من الإيمان ، كافراً بما فيه من الكفر ، فيقوم به كفر وإيمان ، مؤمناً بما فيه من الإجماع ، ولهذه الشبهة \_ والله أعلم \_ امتنع مسن وادعوا أن هذا خلاف الإجماع ، ولهذه الشبهة \_ والله أعلم \_ امتنع مسن امتنع من أمّة الفقهاء أن بقول بنقصه ؛ كانه ظن : إذا قال ذلك بلزم ذها به كله ؛

ثم إن «هذه الشبهة » هي شبهة من منع أن بكون في الرجل الواحد طاعة ومعصية لأن الطاعة جزء من الإيمان والمعصية جزء من الكفر ، فلا يجتمع فيه كفر وإيمان ، وقالوا ما ثم إلا مؤمن محض أو كافر محض ، ثم نقلوا حكم الواحد من الأشخاص إلى الواحد من الأعمال ، فقالوا : لا يكون العمل الواحد مجبوباً من وجه مكروها من وجه ، وغلا فيه أبو هاشم فنقله إلى الواحد بالنوع فقال : لا يجوز أن يكون جنس السجود أو الركوع أو غير ذلك من الأعمال بعض أنواعه طاعة ، وبعضها معصية ؛ لأن الحقيقة الواحدة لا توصف بوصفين محتلفين ، بل الطاعة والمعصية تتعلق بأعمال القلوب ، وهو قصد الساجد دون عمله الظاهر . واشتد نكير الناس عليه في هذا القول وذكروا من مخالفته للإجماع وجحده للضروريات شرعا وعقلا ، ما يتبين به فساده .

وهؤلاء منتهى نظرهم أن يروا حقيقة مطلقة مجردة نقوم فى أنفسهم، فيقولون: الإيمان من حيث هو هو، والسجود من حيث هو هو، لا يجوز أن يتفاضل، ولا يجوز أن يختلف وأمثال ذلك؛ ولو اهتدوا لعلموا أن الأمور الموجودة فى الخارج عن الذهن متميزة بخصائصها، وأن الحقيقة المجردة المطلقة لا تكون إلا فى الذهن، وأن الناس إذا تكلموا فى التفاضل والاختلاف، فإنما تكلموا فى تفاضل الأمور الموجودة واختلافها، لا فى تفاضل أمر مطلق مجرد فى الذهن لا وجود له فى الخارج، ومعلوم أن السواد مختلف فبعضه أشد من بعض، وكذلك البياض وغيره من الألوان. وأما إذا قدرنا السواد المجرد المطلق بعض، وكذلك البياض وغيره من الألوان. وأما إذا قدرنا السواد المجرد المطلق

الذي بتصوره الذهن فهذا لا يقبل الاختلاف والتفاضل، لكن هــذا هو في الأذهان لا في الأعيان .

ومثل هذا الغلط وقع فيه كثير من الخائضين في أصول الفقه، حيث أنكروا تفاضل العقل أو الإيجاب أو التحريم، وإنكار التفاضل في ذلك قول القاضي أبي بكر وابن عقيل وأمثالها، لكن الجمهور على خلاف ذلك، وهو قول أبي الحسن التميمي، وأبى محمد البربهاري، والقاضي أبي يعلى، وأبى الخطاب وغيرهم. وكذلك وقع نظير هذا لأهل المنطق والفلسفة ولمن تابعهم من أهل الكلام، والاتحاد في توحيد واجب الوجود ووحدته، حتى أخرجهم الأمر إلى ما يستلزم التعطيل المحض كما بيناه في غير هذا الموضع.

وأهل المنطق اليونان مضطربون في هذا المقام ، يقول أحدهم القول،ويقول نقيضه ، كما هو مذكور في موضعه ، ونحن نذكر ما بتعلق بهذا الموضع فنقول \_\_\_ ولا حول ولا قوة إلا بالله \_\_\_ الـكلام في « طرفين ».

(أحدها): أن شعب الإعان هل هي متلازمة في الانتفاء ؟؟

و ( الثاني ) : هل هي متلازمة في الثبوت ؟ ؟

## أما « الأول »

فإن الحقيقة الجامعة لأمور ـ سواء كانت في الأعيان أو الأعراض ـ إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها ، وسواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك ، لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها . وما مثلوا به من العشرة والسكنجبين مطابق لذلك ، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة ، بل قد تبقى التسعة ، فإذا زال أحد جزأى المركب لا يلزم زوال الجزء الآخر ؛ لكن أكثر ما يقولون زالت الصورة المجتمعة ، وزالت الهيئة الاجتماعية ، وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب ، كما يزول السم العشرة والسكنجبين .

فيقال: أماكون ذلك المجتمع المركب مابقي على تركيبه فهذا لاينازع فيه عاقل، ولا يدعى عاقل أن الإيمان، أو الصلاة، أو الحج، أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كا كان قبل زوال بعضه، ولا يقول أحد: إن الشجرة أو الدار إذا زال بعضها بقيت مجتمعة كما كانت، ولا أن الإنسان أو غيره من الحيوان إذا زال بعض بقيت مجتمعة كما كانت، ولا أن الإنسان أو غيره من الحيوان إذا زال بعض

أعضائه بقي مجموعاً .

كا قال النبى صلى الله عليه وسلم: «كل مولوديولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ،كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، فالمجتمعة الحلق بعدد الجدع لانبقى مجتمعة ، ولكن لا يلزم زوال بقية الأجزاء .

وأما زوال الاسم فيقال لهم هذا: «أولا» بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب ؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب ، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب ؛ كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء . فدعوام أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب ، ونحن نسلم لهم أنه مابقي إلا بعضه لاكله ، وأن الهيئة الاجتاعية مابقيت كما كانت .

يبقى النزاع هـ ل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم: المركبات فى ذلك على وجهين، منها: ما يكون التركيب شرطاً فى إطلاق الاسم ومنها: ما لا يكون كذلك ، فالأول كاسم العشرة ، وكذلك السكنجبين، ومنها

مايبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء؛ وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب، وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء ، فإن المكيلات والموزونات تسمى حنطة وهي بعدالنقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك.

وكذلك لفظ العبادة ، والطاعة ، والخير ، والحسنة ، والإحسان ، والصدقة ، والعلم ، ونحو ذلك ، مما يدخل فيه أمور كثيرة ، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها ، وعند زوال بعض الأجزاء وبقاء بعض ، وكذلك لفظ « القرآن » فيقال على جميعه وعلى بعضه ، ولو نزل قرآن أكثر من هذا لسمي قرآنا ، وقد تسمى الكتب القديمة قرآنا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خفف على داود القرآن » وكذلك لفظ القول والكلام والمنطق ونحو ذلك ، يقع على القليل من ذلك وعلى الكثير .

وكذلك لفظ الذكر والدعاء بقال للقليل والكثير ، وكذلك لفظ الجبل بقال على الجبل وإن ذهب منه أجزاء كثيرة .

ولفظ البحر والنهر يقال عليه وإن نقصت أجزاؤه . وكذلك المدينة والدار والقرية والمسجد ونحو ذلك يقال على الجملة المجتمعة ، ثم ينقص كثير من أجزائها والاسم باق ، وكذلك أسماء الحيوان والنبات كلفظ الشجرة يقال على جملتها ، فيدخل فيها الأغصان وغيرها ثم يقطع منها ما يقطع والاسم باق وكذلك لفظ الإنسان والفرس والحمار يقال على الحيوان المجتمع الخلق ، ثم

يذهب كثير من أعضائه والاسم باق ، وكذلك أسماء بعض الأعلام: كزيد وعمرو يتناول الجملة المجتمعة ، ثم يزول بعض أجزائها والاسم باق . وإذا كانت المركبات على نوعين ، بل غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم ، إنه إذا زال جزؤه لزم أن يزول الاسم ، إذا أمكن أن يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقى .

ومعلوم أن اسم « الايمان » من هذا الباب ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان » فأخبر أنه يتبعض ويبقى بعضه ، وأن ذاك من الإيمان ، فعلم أن بعض الإيمان يزول ويبقي بعضه ، وهذا ينقض مآخذه الفاسدة ، ويبين أن اسم الإيمان مثل اسم القرآن ، والصلاة ، والحج ، ونحو ذلك ، أما الحج ونحوه ففيه أجزاء ينقص الحج بزوالها عن كماله الواجب ولا يبطل كرمي الجمار ، والمبيت بمنى ، ونحو ذلك ، وفيه أجزاء ينقص بزوالها من كماله المستحب ، كرفع الصوت بالإهلال ، والرمل والاضطباع في الطواف الأول .

وكذلك « الصلاة » فيها أجزاء تنقص بزوالها عن كمال الاستحباب، وفيها

أجزاء واجبة تنقص بزوالها عن الكمال الواجب مع الصحة ، في مذهب أبى حنيفة وأحمد ومالك ، وفيها ما له أجزاء إذا زالت جبر نقصها بسجود السهو ، وأمور ليست كذلك . فقد رأيت أجزاء الشيء تختلف أحكامها شرعاً وطبعاً ، فإذا قال المعترض: هذا الجزء داخل في الحقيقة ، وهذا خارج من الحقيقة ، قيل له : ماذا تريد بالحقيقة ، فإن قال : أريد بذلك ما إذا زال صار صاحبه كافراً ، قيل له : ليس للإعان حقيقة واحدة ، مثل حقيقة مسمى «مسلم » في حق جميع المكلفين في جميع الأزمان بهذا الاعتبار ، مثل حقيقة السواد والبياض ؛ بل الإعان والكفر يختلف باختلاف المكلف وبلوغ التكليف له ، وبزوال الخطاب الذي به التكليف ونحو ذلك .

وكذلك الإيمان والواجب على غيره مطلق ؛ لامثل الإيمان الواجب عليه في كل وقت ، فإن الله لما بعث محمداً رسولا إلى الحلق ، كان الواجب على الحلق تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، ولم يأمرهم حينئذ بالصلوات الحمس ، ولا صيام شهر رمضان ، ولا حج البيت ، ولا حرم عليهم الحمر والربا ، ونحو ذلك ، ولا كان أكثر القرآن قد نزل ، فن صدقه حينئذ فيما نزل من القرآن وأقربا أمر به من الشهادتين و توابع ذلك ، كان ذلك الشخص حينئذ مؤمناً تام الإيمان الذي وجب عليه ، وإن كان مثل ذلك الإيمان لو أتى به بعد الهجرة لم يقبل منه ، ولو اقتصر عليه كان كافراً .

قال الإمام أحمد: كان بدء الإيمان ناقصاً ، فجعل يزيد حتى كمل ، ولهذا

قال نعالى عام حجة الوداع: ( ٱلْيَوْمَ أَكُمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَّمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ).

و « أيضاً » فبعد زول القرآن وإ كمال الدين إذا بلغ الرجل بعض الدين دون بعض ، كان عليه أن يصدق ما جاء به الرسول جملة ، وما بلغه عنه مفصلاً ، وأما مالم يبلغه ولم يمكنه معرفته ، فذاك إنما عليه أن يعرف مفصلاً إذا بلغه ، و « أيضاً » فالرجل إذا آمن بالرسول إيماناً جازماً ، ومات قبل دخول وقت الصلاة أو وجوب شيء من الأعمال ، مات كامل الإيمان الذي وجب عليه ، فإذا دخل وقت الصلاة فعليه أن يصلي ، وصار يجب عليه ما لم يجب عليه قبل ذلك . و كذلك القادر على الحج والجهاد يجبعليه ما لم يجب على غيره من التصديق المفصل ، والعمل بذلك .

فصار ما يجب من الإيمان يختلف باختلاف حال نزول الوحي من الساء، وبحال المكلف في البلاغ وعدمه، وهذا مما يتنوع به نفس التصديق، و يختلف حاله باختلاف القدرة والعجز وغير ذلك من أسباب الوجوب، وهده يختلف بها العمل أيضاً. ومعلوم أن الواجب على كل من هؤلاء لا يماثل الواجب على الآخر. فإذا كان نفس ما وجب من الإيمان في الشريعة الواحدة يختلف ويتفاضل لل وإن كان بين جميع هذه الأنواع قدر مشترك موجود في الجميع: كالإقرار بالخالق، وإخلاص الدين له والإقرار برسله واليوم الآخر على وجه الإجمال في المعلوم أن بعض الناس إذا أتى ببعض ما يجب عليه دون بعض كان قد تبعض ما أتى فيه من الإيمان، كتبعض سائر الواجبات.

يبقى أن يقال : فالبعض الآخر قد بكون شرطاً فى ذلك البعض ، وقد لا بكون شرطاً فيه ، فالشرط كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، أو آمن ببعض الرسل وكفر ببعضه ، كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نَوْلُونَ نَوْلُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نَوْلُونَ نَوْلُونَ نَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ فَوْلُونَ بِعَضِ وَنَحَفَّرُ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نَوْلِكَ سَبِيلًا \* أَوْلَتَهِكَ هُمُ الْكَفُرُونَ كَقَا بَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أَوْلَتَهِكَ هُمُ الْكَفُرُونَ كَقَا وَعَدَيْنَ اللّهِ وَلَا لَيس شرطاً فى وَجود الآخر ولا قبوله .

وحينئذ فقد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق. وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر ؛ كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة نفاق » وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية» وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتى من أمر الجاهلية ، والاستسقاء بالنجوم ».

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سباب المسلم فسوق ·

وقتاله كفر » وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اثنتان فى الناس ها بهم كفر: الطعن فى النسب، والنياحة على الميت » وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم » وهذا من القرآن الذي نسخت تلاوته: ( لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم ). وفى الصحيحين عن أبي ذر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه \_ وهو يعلمه \_ إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن رمي رجلاً بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك ، إلا رجع عليه ».

وفى لفظ البخاري « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه ، إلا كفر بالله ، ومن ادعى قوما ليس منهم ، فليتبوأ مقعده من النار » وفى الصحيحين من حديث جرير وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفاراً بضرب بعضكم رقاب بعض » ورواه البخاري من حديث ابن عباس : وفى البخاري عن أبي هريرة «عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ! فقد باء بها أحدها » . وفى الصحيحين عن زيد بن خالد قال : «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح عن زيد بن خالد قال : «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف ، أقبل على الناس فقال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من

عبادي مؤمن بي وكافر ، فأمامن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب». وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافربي مؤمن بالكوكب».

وفى صحيح مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تروا إلى ما أنعمت على عبادي من نعمة ؛ إلا أصبح فريق منهم ماقال ربكم ؟! قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة ؛ إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولون: بالكواكب ، وبالكواكب » ونظائر هذا موجودة فى الأحاديث . وقال ابن عباس وغير واحد من السلف ، فى قوله تعالى : ( وَمَن لَمْ عَدَي مَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَت كَي هُمُ الْكَفِرُونَ ) ( فَأُولَت كَفُمُ الْفَاسِقُونَ ) لَمْ يَعْد دِون فسق ، وظلم دون ظلم . وقد ذكر فلك أحمد والبخارى وغيرها .

## الأصل الثاني

أن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ، ولا تتلازم عند الضعف ، فإذا قوي مافى القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله ، أوجب بغض أعداء الله . كما قال تعالى : ( وَلَوْكَانُواْيُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنّبِي وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَخْرِكُوا لَيْمِ وَالنّبِي وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَخْرُكُونَ مَنْ مَا أَخْذُوهُمْ أَوْلِياءً ) وقال : ( لَا يَجِدُ قُومًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْمَوْمِ الْلَا خِرِيُوا ذُونَ مَنْ مَا أَقْلِهِ وَاللّهِ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَ

لرحم أو حاجة فتكون ذنباً ينقص به إيمانه ، ولا يكون به كافراً ، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة ، لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله فيه ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَنَخِذُ واْ عَدُوّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآ ءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ) .

وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبي فى قصة الإفك. فقال: لسعد ابن معاذ: كذبت والله؛ لاتقتله ولاتقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلا صالحاً ، ولكن احتملته الحمية . ولهذه الشبهة سمى عمر حاطباً منافقاً فقال دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال « إنه شهد بدراً » فكان عمر متأولاً فى تسميته منافقاً للشبهة التى فعلها .

وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة ؛ كذبت لعمر الله! لنقتلنه ؛ إنما أنت منافق ، تجادل عن المنافقين ؛ هو من هذا الباب. وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم: منافق ، وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين .

ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعاً واحداً ، بل فيهم المنافق المحض؛ وفيهم من فيه إيمان ونفاق ؛ وفيهم من إيمانه غالب ، وفيه شعبة من النفاق . وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان ؛ ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك ؛ صاروا يعاتبون من النفاق على مالم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك؛

ومن هذا الباب ، مايروى عن الحسن البصري ونحوه من السلف : أنهم سموا الفساق منافقين ؛ فجعل أهل المقالات هذا قولاً مخالفاً للجمهور ؛ إذا حكوا تنازع الناس في الفاسق الملى ، هل هو كافر ؟ أو فاسق ليس معه إيمان ؟ أو مؤمن كامل الإيمان ؟ أو مؤمن بما معه من الإيمان ، فاسق بما معه من الفسق ؟ أو منافق ، والحسن \_ رحمه الله تعالى \_ لم يقل ما خرج به عن الجماعة ، لكن سماه منافقاً على الوجه الذي ذكرناه .

والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ، ولهذا كثيراً ما يقال : كفر ينقل عن الملة ، وكفر لا ينقل ، ونفاق أكبر ، ونفاق أصغر ، كما يقال : الشرك شركان أصغر ، وأكبر ؛ وفي صحيح أبي حاتم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل » فقال أبو بكر : يارسول الله !كيف ننجو منه ، وهو أخفي من دبيب النمل ؟ فقال : «ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك ، وأنا أعلم ، وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » . وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من حلف بغير الله ، فقد أشرك » قال الترمذي حديث حسن .

وبهذا تبين أن الشارع ينفي اسم الإيمان عن الشخص؛ لانتفاء كما له الواجب، وإن كان معه بعض أجزائه ، كما قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ؛ ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ؛ ولا يسرب الخر حين يسربها وهو مؤمن » ومنه قوله : «من غشنا فليس منا ، ومن حمل علينا

السلاح فليس منا ». فإن صيغة « أنا » و « نحن » ونحو ذلك من ضمير المتكلم في مشل ذلك ، يتناول النبي صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين معه — الإيمان المطلق — الذي يستحقون به الثواب. بلا عقاب ، ومن هنا قيل إن الفاسق الملي بجوز أن يقال : هو مؤمن باعتبار ، و يجوز أن يقال : ليس مؤمناً باعتبار .

وبهذا تبين أن الرجل قد يكون مسلما لا مؤمنا، ولا منافقا مطلقا، بل يكون معه أصل الإيمان دون حقيقته الواجبة . ولهذا أنكر أحمد وغيره من الأثمة على من فسر قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا » ليس مثلنا، أوليس من خيارنا وقال هذا تفسير « المرجئة » وقالوا : لو لم يفعل هذه الكبيرة ، كان يكون مثل النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك تفسير الخوارج والمعتزلة ، بأنه يخرج من الإيمان بالكلية ، ويستحق الخلود في النار ؛ تأويل منكر كما تقدم ، فلا هذا ولا هذا .

ومما ببين ذلك أنه من المعلوم أن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه ؛ ومعرفة المخوف تقتضي خوفه فنفس العلم والتصديق بالله وماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى يوجب محبة القلب له وتعظيمه وخشيته ؛ وذلك يوجب إرادة طاعته وكراهية معصيته . والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المراد ووجود المقدور عليه منه ؛ فالعبد إذا كان مريداً

للصلاة إرادة جازمة مع قدرته عليها ؛ صلى · فإذا لم يصل مع القدرة دل ذلك على ضعف الإرادة .

وبهذا يزول الاشتباه في «هذا المقام». فإن الناس تنازعوا في الإرادة بلا عمل ؛ هل يحصل بها عقاب ؟ . وكثر النزاع في ذلك . فمن قال : لا يعاقب احتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به » وبما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا هم العبد بسيئة لم تحتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، وإذا هم بحسنة كتبت له حسنة كاملة ؛ فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعائة ضعف وفي رواية « فإن تركها فا كتبوها له حسنة ؛ فإنما تركها من جرائي » .

ومن قال: يعاقب احتج بما في الصحيح « عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا التقى المسلمان بسيفيها. فالقاتل والمقتول في النار؛ قيل: يارسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؛ قال: إنه أراد قتل صاحبه »؛ وبالحديث الذي رواء الترمذي وصححه عن أبي كبشة الأنماري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «في الرجلين الذين أوتي أحدها علما ومالا فهو ينفقه في طاعة الله؛ ورجل أوتي علما ولم يؤت مالا؛ فقال: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان فها في الأجر سواء؛ ورجل آناه الله مالا ولم يؤنه علما فهو ينفقه في معصية الله؛ ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا فقال: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان ؛ قال فها في الوزر سواء ».

و «الفصل في ذلك » أن يقال : فرق بين الهم ، والإرادة ، « فالهم » قد لايقترن به شيء من الأعمال الظاهرة ، فهذا لاعقوبة فيه بحال ، بل إن تركه لله ، كا ترك يوسف همه ، أثيب على ذلك كما أثيب يوسف ، ولهذا قال أحمد : الهم همان : هم خطرات ، وهم إصرار ، ولهذا كان الذي دل عليه القرآن أن يوسف لم يكن له في هذه القضية ذنب أصلاً ، بل صرف الله عنه السوء والفحشاء إنه من عباده المخلصين ؛ مع ما حصل من المراودة ، والكذب ، والاستعانة عليه بالنسوة ، وحبسه ، وغير ذلك من الأسباب التي لايكاد بشر يصبر معها عن الفاحشة ، ولكن يوسف اتقي الله وصبر ، فأثابه الله برحمته في الدنيا . ( وَلاَنجُرُ اللهُ خِرَةِ خَيْرٌ لِللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَنقُونَ ) .

وأما «الإرادة الجازمة » فلا بد أن يقترن بها مع القدرة ، فعل المقدور ولو بنظرة ، أو حركة رأس ، أو لفظة ، أو خطوة أو تحريك بدن ؛ وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا التقى المسلمان بسيفيها ، فالقاتل والمقتول في النار » . فإن المقتول أراد قتل صاحبه فعمل ما يقدر عليه من القتال ، وعجز عن حصول المراد ، وكذلك الذي قال : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان ، فإنه أراد فعل ما يقدر عليه وهو الكلام ، ولم يقدر على ذلك ، ولهذا كان من دعا إلى ضلالة ، كان عليه مثل أوزار من اتبعه ، من غير أن ينقص من أوزار ه شيئاً ، لأنه أراد ضلالهم ففعل ما يقدر عليه من دعائهم ، إذ يقدر إلا على ذلك .

وإذا تبين هذا في « الإرادة ، والعمل » : فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب ، كما يقتضي الحس الحركة الإرادية ، لأن النفس فيها قو تان : قوة الشعور بالملائم والمنافى والإحساس بذلك ، والعمل والتصديق به ، وقوة الحب للملائم ، والبغض للمنافى ، والحركة عن الحس بالحوف والرجاء والموالاة والمعاداة . وإدراك الملائم يوجب اللذة ، والفرح والسرور ، وإدراك المنافى ، يوجب الألم والغم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» .

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقاً به وديناً له، لكن يعرض لها مايفسدها ، ومعرفة الحق تقتضي مجبته ، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه ؛ لما فى الفطرة من حب الحق وبغض الباطل ، لكن قد يعرض لها مايفسدها إما من الشبهات التى تصدها عن التصديق بالحق ، وإما من الشهوات التى تصدها عن اتباعه ، ولهذا أمرنا الله أن نقول فى الصلاة : ( اَهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلمُسْتَقِيمَ \* صِرَطَ الله الله وسلم : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » ؛ لأن اليهود يعرفون عليه وسلم : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » ؛ لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ، ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته . والنصارى لهم عبادة ، وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، لكن بلاعلم ، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلاقصد صحيح ، وهؤلاء التدعوها ، لكن بلاعلم ، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلاقصد صحيح ، وهؤلاء

لهم قصد فى الخير بلا معرفة له ، وينضم إلى ذلك الظن ، واتباع الهوى ؛ فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ؛ ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب : ( وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَشَمَعُ أَوْنَعُقِلُ مَاكُنَافِ أَصَّكُ السَّعِيرِ ) وقال تعالى : ( وَلَقَدُ ذَرَأْ نَا لِجَهَنَّ مَ صَحَيْرًا مِّنَ الْجُنِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمُ أَعُينُ لَا يَعْمِرُونَ بِهَا وَلَهُمُ أَعْنُكُ لَا يَعْمِرُونَ بِهَا وَلَهُمُ أَنْ لَا يَعْمِرُونَ بَهَا وَلَهُمُ أَنْ لَا يَعْمِرُونَ بَهَا وَلَهُمُ أَنْ لَا يَعْمِرُونَ مِهَا وَلَهُمُ أَنْ لَا يَعْمِرُونَ بَهَا وَلَهُمُ اللَّهُ لَا يَعْمِرُونَ مِهَا وَلَهُ لَكُونَ اللَّهُ اللَّهُ لِلَّا لَعْمَالِكُ عَلَا اللَّهُ اللَّهُ لَا لَا لَا تَعْمِلُونَ عَلَوْلُكُ اللَّهُ اللَّهُ لَا لَعْمَالُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَقَالُونَ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

فالإيمان فى القلب لايكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمــل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحــو ذلك ؛ كما أنه لا يكون إيمانــاً بمجرد ظن وهوى ؛ بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب ، وعمل القلب ،

وليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق، كما يظنه طائفة من الناس؛ فإن التصديق يستعمل في كل خبر، فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل: الواحد نصف الاثنين، والسهاء فوق الأرض، مجيباً: صدقت، وصدقنا بذلك؛ ولا يقال: آمنا لك، ولا آمنا بهذا، حتى يكون الخبر به من الأمور الغائبة، فيقال للمخبر آمنا له، وللمخبر به آمنا به، كما قال إخوة يوسف: (وَمَاأَنتَ فِيقَال للمخبر آمنا له، وللمخبر به آمنا به، كما قال إخوة يوسف: (وَمَاأَنتَ عِلَى اللهُ وَيُؤْمِنُ لِللهُ وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى: (أَنْوُمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ لِللهُ وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى: (وَمَا تَعَالَى اللهُ وَيُؤُمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ لِللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَقُوله تعالى: (وَمَا لَا مُؤَمِنَ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَلَا اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَيَوْلهُ تعالى اللهُ وَيَا اللهُ وَيُؤُمِنُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَوْلهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَوْلهُ اللهُ وَيَوْلهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَيَوْلهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا لهُ وَلَا لَا اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلَا لَا اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلَوْ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلَا لهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلِهُ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

وذلك أن الإيمان بفارق التصديق ، أي : لفظاً ومعنى ؛ فإنه أيضاً بقال : صدقته ، فيتعدى بنفسه إلى المصدق ، ولا يقال أمنته ، إلا من الأمان الذي هو ضد الإغافة ، بل آمنت له ، وإذا ساغ أن يقال : ما أنت بمصدق لفلان ، كا يقال : هل أنت مصدق له . لأن الفعل المتعدى بنفسه إذا قدم مفعوله عليه ، أوكان العامل اسم فاعل ، ونحوه مما يضعف عن الفعل ، فقد يعدونه باللام تقوية له ، كما يقال : عرفت هذا ، وأنا به عارف ، وضربت هذا ، وأنا له ضارب، وسمعت هذا ورأيته ، وأنا له سامع ، وراء ، كذلك يقال صدقته وأنا له مصدق ، ولايقال صدقت لهبه ، وهذا خلاف آمن ، فإنه لايقال إذا أردت التصديق مصدق ، ولايقال أقررت له ، ومنه قوله آمنت له كمايقال أقررت له فهذا فرق في اللفظ.

و « الفرق الثاني » : ماتقدم من أن الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار، بل فى الإخبار عن الأمور الغائبة ، ونحوها مما يدخلها الريب. فإذا أقر بها المستمع قيل آمن ، بخلاف لفظ التصديق ، فإنه عام متناول لجميع الأخبار .

وأما «المعنى »: فإن الإيمان مأخوذ من الأمن ، الذي هو الطمأنينة ؛ كما أن لفظ الإقرار: مأخوذ من قريب من آمن بأمن ؛ لكن الصادق يطمأن إلى خبره ؛ والكاذب بخلاف ذلك كما يقال الصدق طمأنينة والكذب ريبة ؛ فالمؤمن دخل في الأمن كما أن المقر دخل في الإقرار ، ولفظ الإقرار بتضمن الالتزام ثم إنه بكون على وجهين :

(أحدها): الإخبار، وهو من هذا الوجـه كلفظ التصديق؛ والشهادة ونحوها. وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

و ( الثاني ) : إنشاء الالتزام كما في قوله تعالى : ( ءَأَقُرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَالِكُمْ إِصْرِيٌّ قَالُوٓا أَقُرَرْنا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنامُعَكُم مِنَ الشَّلِهِدِينَ). وليس هو هنا معنى الخبر المجرد فإنه سبحانه قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَنَّ ٱلنَّبِيِّـ نَ لَمَا ٓءَاتَـ يُتُكُم مِّن كِتَابِ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمُ رَسُولُ مُصَدِّقُ لِمَامَعَكُمْ لَتُوْمِنُنَ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِى ). فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول وكذلك « لفظ الإعان » فيه إخبار وإنشاء والتزام ؛ مخلاف لفظ التصديق المجرد فمن أخبر الرجل نحبر لايتضمن طمأنينة إلى المحبر ؛ لايقال فيه آمن له بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر والمخبرقد يتضمن خبره طاعة المستمع له ، وقد لايتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه، فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر ؛ إلا بالتزام طاعت مع تصديق ؛ بل قد استعمل لفظ الكفر\_ المقابل للإيمان \_ في نفس الامتناع عن الطاعة والانقياد؛ فقياس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما استعمل لفظ الإقرار في نفس التزام الطاعمة والانقياد ؛ فإن الله أمر إبليس بالسجود لآدم فأبي واستكبر وكان من الكافرين .

و « أيضاً » فلفظ التصديق إنما يستعمل في جنس الأخبار ، فإن التصديق

إخبار بصدق الخبر؛ والتكذيب إخبار بكذب الخبر؛ فقد بصدق الرجل الكاذب تارة [ وقد يكذب الرجل ] الصادق أخرى فالتصديق والتكذيب نوعان من الحبر وها خبر عن الحبر فالحقائق الثابتة في نفسها التي قد تعلم بدون خبر لا يكاد يستعمل فيها لفظ التصديق والتكذيب إن لم يقدر مخبر غبا بخلاف الإيمان والإقرار والإنكار والجحود، ونحو ذلك فإنه يتناول الحقائق والإخبار عن الحقائق أيضاً.

وأيضاً فالذوات الــــى تحب تارة وتبغض أخرى ، وتوالي تــارة وتعادى أخرى وتطاوع تارة وتعصى أخرى ويذل لها تارة ويستكبر عنها أخرى تختص هذه المعاني فيها بلفظ الإيمان والكفر ونحو ذلك ؛ وأما لفظ التصديق والصدق ونحو ذلك فيتعلق بتعلقها كالحب والبغض فيقــال : حب صادق . وبغض صادق فكا أن الصدق والكذب في إثبات الحقائق ونفيها متعلق بالخبر النافي والمثبت دون الحقيقــة ابتداء . فكذلك في الحب والبغض ونحو ذلك يتعلق بالحب والبغض . دون الحقيقة ابتداء بخلاف لفظ الإيمان والكفر فإنــه بتناول الذوات بلا واسطة إقرار أو انــكار أو حب أو بغض أوطمأنينــة أو نفور .

ويشهد لهذا الدعاء المأثور المشهور عند استلام الحجر «اللهم إعانابك، وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » فقال إيمانابك، ولم يقل تصديقاً بك، كما قال تصديقاً بكتابك وقال تعالى عن

مريم: ( وَصَدَفَتَ بِكِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ) فجعل التصديق بالكلمات والكتب، ومنه الحديث الذي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم « تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى ، وتصديق بكلماتي » ويروى «إيمان بي وتصديق برسلي » ويروى « لا يخرجه إلاجهاد في سبيل الله وتصديق كلمانه » ففي جميع الالفاظ جعل لفظ التصديق بالكلمات والرسل.

وكذلك قوله في الحديث الذي في الصحيح ذكر النبي صلى الله عليه وسلم منازل عالية في الجنة فقيل له: يارسول الله: تلك منازل لايبلغها إلا الأنبياء ، فقال: « بلى ! والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . وما يحصى الآن الاستعال المعروف في كلام السلف ، صدقت بالله ، أو فلان بصدق بالله ، أو صدق بالله و إعاناً بالله ونقو ذلك ، كما جاء فلان يؤمن وآمن بالله و إعاناً بالله و ونومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، و نؤمن بالله وحده و نحو ذلك . فإن القرآن والحديث وكلام الخاصة و العامة عملوء من لفظ الإعان بالله و آمن بالله و نؤمن بالله ويا أيها الذين آمنوا ، وما أعلم قيل التصديق بالله ، أو صدقوا بالله أو يا أيها الذي صدق الله و نحو ذلك ، اللهم إلا أن يكون في ذلك شيء لا يحضرني الساعة ، وما أظنه .

ولفظ « الإيمان » يستعمل فى الخبر أيضاً كما يقال: (كُلُّءَامَنَ بِاللَّهِ): أي أقر له والرسول يؤمن له من جهة أنه مخبر ، ويؤمن به من جهة أن رسالته مما أخبر بها ، كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه . « فالإيمان » متضمن للإقرار بما أخبر

به، والكفر « تارة » يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به، وهو من هذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به. و « تارة » بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به ، والأصل في ذلك هو الإخبار بالله وبأسمائه ، ولهذا كان جحد ما يتعلق بهذا الباب أعظم من جحد غيره. وإن كان الرسول أخبر بكليها. ثم مجرد تصديقه في الخبر والعلم بثبوت ما أخبر به ،إذا لم يكن معه طاعة لأمره ، لا باطنا ولا ظاهراً ولا مجة لله ولا تعظيم له لم يكن ذلك إيماناً .

وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوم لم يكن أصلهمن جهة عدم التصديق والعلم؛ فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر ، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر ، وكان من الكافرين ، فكفره بإلاباء والاستكبار وما يتبع ذلك ؛ لا لأجل تكذيب . وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال له موسى : ( لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـ وُلاّةٍ إِلّارَبُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ) ، فالذي يقال هنا أحد أمرين :

إما أن يقال الاستكبار والإباء والحسد ونحو ذلك مما الكفر به مستلزم لعدم العلم، والتصديق الذي هو الإيمان، وإلا فمن كان علمه وتصديقه تاماً أوجب استسلامه وطاعته مع القدرة كما أن الإرادة الجازمة تستلزم وجود المراد مع القدرة، فعلم أن المراد إذا لم يوجد مع القدرة، دل على أنه ما فى القلب همة ولا إرادة ؛ فكذلك إذا لم يوجد موجب التصديق والعلم من حب القلب وانقياده ، دل على أن الحاصل في القلب ليس بتصديق ولا علم ، بل هنا شهة

وريب ، كما يقول ذلك طوائف من الناس ، وهو أصل قول جهم والصالحي والأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه كالقاضي أبي بكر ومن اتبعه ، ممن يجعل الأعمال الباطنة والظاهرة من موجبات الإيمان لامن نفسه ، ويجعل ماينتني الإيمان بانتفائه من لوازم التصديق لايتصور عنده تصديق باطن مع كفر قط .

أو أن يقال: قد يحصل فى القلب علم بالحق وتصديق به ، ولكن ما فى القلب من الحسد والكبر ونحو ذلك مانع من استسلام القلب وانقياده ومحبته ، وليس هذا كالإرادة مع العمل ؛ لأن الإرادة مع القدرة مستلزمة للمراد ، وليس العلم بالحق والتصديق به مع القدرة على العمل عوجب ذلك العمل ، بل لابد مع ذلك من إرادة الحق والحب له .

فإذا قال القائل: القدرة التامة بدون الإرادة الجازمة ، مستلزمة لوجود المراد المقدور موجبة لحصول المقدور لم يكن مصيباً ؛ بل لابد من الإرادة . وبهذا يتبين خطأ من قال: إن مجرد علم الله بالمخلوقات موجب لوجودها ، كا يقول ذلك من يقوله من أهل الفلسفة ؛ كا يغلط الناس من يقول إن مجرد إرادة المكنات بدون القدرة موجب وجودها، وكاخطؤوا من قال: إن مجرد القدرة كافية ، بل لابد من العلم والقدرة والإرادة في وجود المقدور والمراد ؛ والإرادة مستلزمة لتصور المراد ، والعلم به ؛ والعلم والإرادة والقدرة ، ونحو ذلك ؛ وإن كان قد يقال: إنها متلازمة في الحي ، أو أن الحياة مستلزمة له خده الصفات ، أو أن بعض الصفات مشروط بالبعض ، فلا ريب أنه ليس كل معلوم مرادا

فقول من جعل مجرد العلم والتصديق في العبد هو الإيمان، وأنه موجب لأعمال القلب، فإذا انتفت دل على انتفاء العلم؛ بمنزلة من يقول: مجرد علم الله بنظام العالم موجب لوجوده؛ بدون وجود إرادة منه ، وهوشيه بقول المتفلسفة: إن سعادة النفس في مجرد أن تعلم الحقائق، ولم يقرنواذلك بحب الله تعالى وعبادته التي لا تتم السعادة إلا بها؛ وهو نظير من يقول: كال الجسم أو النفس في الحب من غير اقتران الحركة الإرادية به، ومن يقول: اللذة في مجرد الإدراك والشعور. وهذا غلط باتفاق العقلاء، بل لابد من إدراك الملائم؛ والملائمة لاتكون إلا بحبة بين المدرك والمدرك، وتلك الحبة والموافقة والملائمة ليست نفس إدراكه والشعور به.

وقد قال كثير من الناس من الفلاسفة والأطباء ومن اتبعهم ، إن «اللذة» إدراك الملائم وهذا تقصير منهم ، بل اللذة حال بعقب إدراك الملائم ؛ كالإنسان الذي يحب الحلو ويشتهيه فيدركه بالذوق والأكل ؛ فليست اللذة مجرد ذوقه ، بل أمر يجده من نفسه يحصل مع الذوق ، فلابد « أولاً » من أمرين ؛ و «آخراً » من أمرين : لابد « أولاً » : من شعور بالحبوب ؛ ومحبة له ؛ فسا لا شعور به من أمرين : لابد « أولاً » : من شعور بالحبوب ؛ ومحبة له ؛ فسا لا شعور به لا يتصور أن يشتهى ، وما يشعر به وليس في النفس محبة له لا يشتهى ، ثم إذا

حصل إدراك بالمحبوب نفسه ، حصل عقيب ذلك اللذة والفرح مع ذلك .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك؛ من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة » وفى الحديث الصحيح « إذا دخل أهل الجنة الجنة: نادى مناد يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ماهو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا وبدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب، فينظرون اليه؛ فما أعطام شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » رواه مسلم وغيره. فاللذة مقرونة بالنظر إليه؛ ولا أحب إليهم من النظر إليه، لما يقترن بذلك من اللذة ؛ لا أن نفس النظر هو اللذة.

وفى « الجملة » فلا بد فى الإيمان الذي فى القلب من تصديق بالله ورسوله ، وعداداة وحب الله ورسوله ، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ولرسوله ؛ ومعداداة الله ورسوله ، ليس إيماناً باتفاق المسلمين ؛ وليس مجرد التصديق والعلم يستلزم الحب ، إلا إذا كان القلب سليماً من المعارض ، كالحسد والكبر ، لأن النفس مفطورة على حب الحق ، وهو الذي يلائمها . ولا شيء أحب إلى القلوب السليمة من الله ، وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام الذي اتخذه الله خليلاً .وقد قال تعالى : ( يَوْمَلاَينَفَعُمَالُّولاَبنُونَ \* إِلَّامَنَ أَنَاللهَ بِقَلْبِسَلِيمِ ) فليس مجرد قال تعالى : ( يَوْمَلاَينَفَعُمَالُّولاَبنُونَ \* إِلَّامَنَ أَنَاللهَ بِقَلْبِسَلِيمِ ) فليس مجرد

العلم موجبا لحب المعلوم؛ إن لم يكن في النفس قوة أخرى تلائم المعلوم وهذه القوة موجودة في النفس.

وكل من القوتين تقوى بالأخرى ، فالعلم يقوي العمل ، والعمل يقوي العلم فن عرف الله وقلبه سليم أحبه؛ وكلما ازداد لهمعرفة ازدادحبه له؛ وكلما ازداد حبه لفن عرف الله ومعرفته بأسمائه وصفاته ؛ فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب ؛ كما أن البغض يوجب الإعراض عن ذكر المبغض ، فسن عادى الله ورسوله وحاد الله ورسوله كان ذلك مقتضاً لإعراضه عسن ذكر الله ورسوله بالخير ؛ وعن ذكر ما يوجب الحبة ، فيضعف علمه به حتى قد ينساه . كما قال تعالى : ( وَلَا تَكُونُوا كَا لَذِينَ نَسُوا الله وَكَاتَ أَمْرُهُ ، فُرطًا ) وقد يحصل مع ذلك ( وَلا نُطِعْ مَنْ أَغْفَلُنا قَلْبَهُ مَن أَغْفَلُنا قَلْبَهُ مَع بغض ومعاداة ، لكن تصديق ضعيف ، وعلم ضعيف ؛ ولكن نصديق وعلم مع بغض ومعاداة ، لكن تصديق ضعيف ، وعلم ضعيف ؛ ولكن لولا البغض والمعاداة لأوجب ذلك من محبة الله ورسوله ما يصير به مؤمناً .

فن شرط الإيمان وجود العلم التام ، ولهذا كان الصواب ، أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافراً ، إذا كان مقراً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه كديث الذي أمر أهله بتحريقه ثم تذريته ؛ بل العلماء بالله يتفاضلون في العلم به . ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه ، بالجهل وعدم العلم . قال تعالى : ( إِنَّمَا به . ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه ، بالجهل وعدم العلم . قال تعالى : ( إِنَّمَا التَّوْبَدُ عَلَى الله العالم . قال أبو العالمة :

سألت أصحاب محمد عن هذه الآية ؛ فقالوا لي : كلمن عصى الله فهو جاهل ؛ وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . ومنه قول ابن مسعود : كفى بخشية الله علماً . وكفى بالاغترار بالله جهلاً . وقيل للشعبى : أيها العالم ! فقال : العالم من يخشى الله ، وقد قال تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِبَادِهِ ٱلْعُلَمَةُ وُأَ ) .

وقال أبو حيان التيمي: « العلماء ثـ الاثة »: عالم بالله؛ وبأمر الله؛ وعالم بالله ليس عالماً بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله الذي يخشاه . والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه . وقد قال تعالى: ( إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلُمَةُ أُلُ ) . وهذا يدل على أن كل من خشي الله فهو عالم . وهـ و حق ولا يدل على أن كل عالم يخشاه ؛ لكن لما كان العلم به موجباً للخشية عند عدم المعارض كان عدمه دليلاً على ضعف الأصل ، إذ لو قوى لدفع المعارض .

وهكذا لفظ «العقل » يراد به الغريزة التي بها يعلم ، ويراد بها أنواع من العلم . ويراد به العمل بموجب ذلك العلم ، وكذلك لفظ « الجهل » يعبر به عن عدم العلم ، ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم » والجهل هنا هو الـكلام الباطل ، بمنزلة الجهل المركب . ومنه قول الشاعر :

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن هذا سميت « الجاهلية » جاهلية ، وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به ومنـه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: « إنـك امرؤ فيك حاهلية » لما ساب رجلا وعيره بأمه ، وقد قال تعالى : ( ۚ إِذْجَعَلَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِ قُلُوبِهِ مُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَهِلِيَّةِ ). فإن الغضب والحمية تحمل المرءعلى فعل مابضره وترك ماينفعه ، وهذا من الجهل الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء عـلى فعل مايعلم أنه يضره ، وترك ما يعلم أنه ينفعه ؛ لما في نفسه من البغض والمعاداة لأشخاص وأفعال ، وهو في هذه الحال ليس عديم العلم والتصديق بالكليـة ، لكنه لما في نفسه من بغض وحسد غلب موجب ذلك لموجب العلم، فدل عــلى ضعف العلم لعدم موجبه ومقتضاه ، ولكن ذلك الموجب والنتيجة لاتوجد عنــه وحده ، بل عنه وعما في النفس من حب ماينفعها ، وبغض مايضرها ، فإذا حصل لها مرض ففسدت به ، أحبت مايضرها ، وأبغضت ماينفعها ، فتصير النفس كالمريض الذي يتناول مايضره لشهوة نفسه له، مع علمه أنه يضره.

«قلت» به هذا معنى ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عندحلول الشهوات» رواه البيهقي مرسلا. وقد قال تعالى ، ( وَأَذَكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَهِيمَ وَإِسْحَنَى وَيُعْقُوبَ وَاللهُ وَالْبَيْدِي وَأَلْأَيْدِي وَأَلْأَيْدِي وَأَلْلَا يَدِي وَاللهِ الموجبة لحبة الخير وبغض الشر ، فإن المؤمن قوته في قلبه ، وأصل وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه فالإيمان لابد

فيه من هذين الأصلين: التصديق بالحق والمحبة له ، فهذا أصل القول ، وهذا أصل العمل .

ثم الحب التام مع القدرة يستلزم حركة البدن بالقول الظاهر، والعمل الظاهر ضرورة كما تقدم، فمن جعل مجرد العلم والتصديق موجباً لجميع مايدخل في مسمى الإيمان، وكل ماسمي إيماناً فقد غلط بل لابد من العلم والحب والعلم شرط في محبة الحبوب، كما أن الحياة شرط في العلم؛ لكن لايلزم من العلم بالشيء والتصديق بثبوته محبته إن لم يكن بين العالم والمعلوم معني في الحب أحب لأجله ولهذا كان الإنسان يصدق بثبوت أشياء كثيرة وبعلمها وهو يبغضها كما يصدق بوجود الشيء بوجود الشياء بعضي عجبته ؛ لكن الله سبحانه يستحق لذاته أن يحب ويعبد، وأن يحب لأجله رسوله والقلوب فيها معني يقتضي حبه وطاعته كما فيها معني يقتضي حبه وطاعته كما فيها معني يقتضي حبه وطاعته كما فيها معني يقتضي حبه والتصديق به ولرسوله لم يكن مؤمناً حتى بكون فيه مع ذلك الحب له ولرسوله ولم يكن مؤمناً حتى بكون فيه مع ذلك الحب له ولرسوله .

وإذا قام بالقلب النصديق به والحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن من بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة : والأعمال الظاهرة فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب مافى القلب ولازمه ؛ ودليله ومعلوله كما أنما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيا فى القلب . فكل منها يؤثر فى الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه . كما فى الشجرة التى بضرب بها المثل لكلمة الإيمان . قال

تعالى: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتُ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ \* تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا )وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلماقوي أصلما وعرق وروي قويت فروعها. وفروعها أيضاً إذا اغتذت بالمطر والربح أثر ذلك في أصلها.

وكذلك «الإعان» في القلب و «الإسلام» علانية ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للاقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها: كما في قوله تعالى: ( لَا تَجِدُ مُوّمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْلَاْحِيُ وَالْاَحِي وَالْاَحِي وَالْالْحِي وَالْاَحِي وَالْلَاحِي وَالْمَالِي وَاللّهِ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالنّهُ وَالنّهُ وَالنّهُ وَالْمَالُولُونَ عَلَيْ اللّهُ وَالْمُالُولُونَ وَمَا أَنْزِلُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمَالُولُولُولُولُ وَاللّهُ وَالْمُتَلّمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَالْمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

وكذلك قوله: ( إِنَّمَاٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ اَمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُمَّلُمْ يَرْتَ الْبُواْ وَحَنهَ دُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُمَّلُمْ يَرْتَ الْبُواْ وَجَنهَ دُواْ بِاللَّهِ وَانفُسِهِ مِّ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أُولَتِهِ كَهُمُ ٱلصَّدِقُونَ ) فأخبر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في قولهم: آمنا ، ودل ذلك على أن الناس في قولهم: آمنا صادق وكاذب ، والكاذب فيه نفاق بحسب كذبه . قال تعالى في المنافقين :

( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِأَللَهِ وَبِأَلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ \_ إلى قوله \_ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ بِمُؤْمِنِينَ \_ إلى قوله \_ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ بِمَاكَانُواْ يَكْذِبُونَ ) وفي بكذبون قراء تان مشهورتان .

وفى الحديث « أساس النفاق الذي يُبني عليه الكذب » وقال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنكِفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ, وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنكِفِقِينَ كَلَا بُولُ ٱللَّهُ يَسَلَّمُ اللَّهُ يَا اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ, وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنكِفِقِينَ لَكَذِبُونَ ) وقال تعالى: ( وَمِنْهُم مَّنْ عَهَدَ ٱللَّهَ لَيِثُ ءَاتَ ننا مِن فَضَّلِهِ عَلَى اللَّهُ مَا عَلَى اللَّهُ مَن عَهَدَ ٱللَّهُ لَيْ وَمِنْ فَضَلِهِ عَلَى اللَّهُ مَا وَعَلَوا وَهُمُ النَّهُ مَن يَلْمِزُكُ فِي ٱلصَّدَقَتِ ) ومثل هذا كثير . كَانُواْ يَكُذِبُونَ ) وقال: (وَمِنْهُم مَن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ ) ومثل هذا كثير .

و «بالجملة » فلا يستريب من تدبر ما يقول فى أن الرجل لا يكون مؤمناً بمجرد تصديق فى القلب مع بغضه لله ولرسوله، واستكباره عن عبادته ومعاداته له ولرسوله ، ولهذا كان جماهير المرجئة على أن عمل القلب داخل فى الإيمان كما نقله أهل المقالات عنهم ، منهم الأشعري فإنه قال فى كتابه فى «المقالات»: اختلف المرجئة فى الإيمان ما هو ؟ وهم «اثنتا عشرة فرقة ».

« الفرقة الأولى » منهم: يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاء من عند الله فقط ، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان ، والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله ، والتعظيم لهما والخوف والعمل بالجوارح فليس بإيمان ، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به وهذا قول يحكى عن الجهم

ابن صفوان ، قال : وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ، ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده ، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه ، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا فى القلب دون الجوارح ، قال :

و « الفرقة الثانية » من المرجئة : يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط . والكفر به هو الجهل به فقط، فلا إعان بالله إلا المعرفة به ، ولا كفر بالله إلا الجهل به ، وإن قول القائل: (إن الله ثالث ثلاثة)ليس بكفر ولكنه لايظهر إلا من كافر ، وذلك أن الله كفر من قال ذلك وأجمع المسلمون أنه لا يقوله إلا كافر وزعموا أن معرفة الله هي الحبة له وهي الخضوع لله. وأصحاب هذا القول لا يزعمون أن الإعان بالله إعان بالرسول، ويقولون: إنه لا يؤمن بالله إلا من آمن بالرسول، ليس ذلك لأن ذلك مستحيل، ولكن الرسول قال «من لم يؤمن بي فليس عؤمن بالله»وزعموا أيضاً أن الصلاة ليست بعبادة لله ، وأنه لا عبادة إلا الإعان به ، وهو معرفته والإعان عندهم لا يزيد ولا ينقص ، وهو خصلة واحدة وكذلك الكفر والقائل بهذا القول أبو الحسين الصالحي ، وقد ذكر الأشعري في كتابه « الموجز » قول الصالحي هذا وغيره ، ثم قال : والذي أختاره في الأسماء قول الصالحي ، وفي الخصوص والعموم أنى لا أقطع بظاهر الخبر على العموم، ولا على الخصوص إذكان يحتمل في اللغة أن يكون خاصاً ، ويحتمل أن يكون عاما ، وأقف في ذلك ولا أقطع على عموم ولا على خصوص إلا بتوقيف أو إجماع . ثم قال في « المقالات » :

و « الفرقة الثالثة من المرجئة » : يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله

والخضوع له ، وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة لله، فمن اجتمعت فيههذه الخصال، فهو مؤمن وزعموا أن إبليس كان عارفا بالله غير أنه كفر باستكباره على الله،وهذا قول قوم من أصحاب يونس السمري .

و «الفرقة الرابعة »: وهم أصحاب أبى شمرو يونس يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والحبة له والحضوع له بالقلب والإقرار به أنه واحد ليس كمله شيء ما لم تقم عليه حجة الأنبياء ، وإن كانت قد قامت عليه حجة الأنبياء فالإيمان الإقرار ] بهم والتصديق لهم والمعرفة لما جاء من عند الله عنهم داخل في الإيمان ولا يسمون كل خصلة من هذه الخصال إيمان ولا يسمون كل خصلة من هذه الخصال، فإذا اجتمعت سموها إيماناً لاجتماعها، وشبهوا ذلك بالبياض إذا كان في دابة لم يسموها بلقاء إلامع السوادو جعلو اترك كل خصلة من هذه الخصال كفراً ولم يجعلو اللايمان متبعضا ولا محتملا للزيادة والنقصان .

وذكر عن « الخامسة » أصحاب أبى ثوبان : أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسله وما لا يجوز في العقل الإ أن يفعله .

وذكر عن «الفرقة السادسة»: أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسلهوفرائضه المجمع عليها والخضوع له بجميع ذلك والإقرار باللسان، وزعموا أن خصال الإيمان كل منها طاعة، وأن كل واحدة إذا فعلت دون الأخرى لم تكن طاعة كلايمان كل منها طاعة، وأن ترك كل خصلة من ذلك معصية؛ وأن الإنسان لا يكفر

بترك خصلة واحدة ، وأن الناس بتفاضلون فى إيمانهم ، ويكون بعضهم أعلم وأكثر تصديقاً له من بعض ، وأن الإيمان يزيد ولا ينقص وهذا قول الحسين ابن محمد النجار وأصحابه .

و «الفرقة السابعة » الغيلانية أصحاب غيلان يزعمون: أن الإيمان المعرفة بالله الثانية (۱)؛ والمحبة والحضوع والإقرار بماجاء به الرسول وبما جاء من عند الله؛ وذلك أن المعرفة الأولى عنده اضطرار فلذلك لم يجعلها من الإيمان وكل هؤلاء الذين حكينا قولهم: من « الشمرية » و « الجهمية » و « الغيلانية » و «النجارية» ينكرون أن يكون في الكفار إيمان وأن يقال فيهم بعض إيمان إذ كان الإيمان لا يتبعض عنده .

قال: و « الفرقة الثامنة » من المرجئة أصحاب محمد بن شبيب يزعمون: أن الإيمان الإقرار بالله والمعرفة بأنه واحد ليس كمشله شيء . والإقرار والمعرفة بأنبيائه وبرسله وبجميع ما جاءت به من عند الله مما نص عليه المسلمون ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة والصيام ونحو ذلك لا نزاع بينهم فيه ، والخضوع لله وهو ترك الاستكبار عليه ، وزعموا أن إبليس قد عرف الله وأقربه ، وإنما كان كافراً لأنه استكبر ، ولولا استكباره ماكان كافراً ، وأن الإيمان بتبعض ويتفاضل أهله ، وأن الخصلة من الإيمان قد تكون طاعة وبعض إيمان ، ويكون صاحبها كافراً بترك بعض الإيمان ولا يكون مؤمناً إلا بإصابة السكل ، وكل رجل يعلم أن الله واحد ليس كمشله يكون مؤمناً إلا بإصابة السكل ، وكل رجل يعلم أن الله واحد ليس كمشله

<sup>(</sup>١) نسخة « التامة »

شيءً و يجحد الأنبياء فهو كافر بجحده الأنبياء وفيه خصلة من الإيمان ، وهي معرفته بالله سنحانه .

« الفرقة التاسعة » : من المرجئة المنتسبين إلى أبي حنيفة وأصحابه يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله وبالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير.

« الفرقة العاشرة » : من المرجئة أصحاب أبي معاذ التومني يزعمون : أن الإيمان ترك ماعظم من الكبائر وهو اسم لخصال إذا تركها أو ترك خصلةمنها كان كافراً ، فتلك الخصلة التي يكفر بتركها إيمان ، وكل طاعة إذا تركها التارك لم يجمع المسلمون على تكفيره فتلك الطاعة شريعة من شرائع الإيمان تاركها إن كانت فريضة يوصف بالفسق ، فيقال له إنه يفسق ولا يسمى بالفسق ، ولا يقال فاسق وليست تخرج الكبائر من الإعان إذا لم تكن كفرا، وتارك الفرائض مثل الصلاة والصيام والحج على الجحودبها ، والرد لها ، والاستخفاف بها كافر بالله، وإنما كفر للاستخفاف والرد والجحود، وإن تركها غير مستحل لتركها متشاغلاً مسوفاً يقول: الساعة أصلى ، وإذا فرغت من لهوى وعملى فليس بكافر ، وإن كان بصلى يوماً ووقتاً من الأوقات. ولكن نفسقه. وكان أبو معاذ يقول: من قتل نبياً أو لطمه كفر ، وليس من أجل اللطمة كفر ، ولكن من أجل الاستخفاف والعداوة والغضله .

والفرقة «الحادية عشر» من المرجئة: أصحاب بشر المريسي، يقولون: إن الإيمان هو التصديق لأن الإيمان في اللغة هو التصديق وما ليس بتصديق فليس بإيمان، ويزعم أن التصديق بكون بالقلب وباللسان جميعاً، وإلى هذا القول كان يذهب ابن الراوندي، وكان ابن الراوندي يزعم أن الكفر هو الجحد، والإنكار والستر والتغطية، وليس يجوز أن يكون الكفر إلا ماكان في اللغة كفراً، ولا يجوز إيمان الإماكان في اللغة إيماناً، وكان يزعم أن السجود للشمس ليس بصفر، ولا السجود لغير الله كفر، ولكنه علم على الكفر، لأن الله بين أنه لا يسجد للشمس إلا كافر.

قال و «الفرقة الثانية عشر » من المرجئة: الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً. فهذه الأقوال التي ذكرها الأشعري عن المرجئة بتضمن أكثرها أنه لابد في الإيمان من بعض أعمال القلوب عنده وإنما نازع في ذلك فرقة يسيرة: كجهم والصالحي.

وقد ذكر أيضاً في «المقالات» جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة. قال : جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يردون من ذلك شيئاً وأن الله إله واحد فرد صمد ، لم بتخذصاحبة

ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آنية لا ربب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله على عرشه كما قال : ( اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اَسْتَوَىٰ ) وأن له يدين بلاكيف كما قال : ( خَلَقْتُ بِيدَتَى ) وأن له يدين بلاكيف كما قال : ( خَلَقْتُ بِيدَتَى ) وأن له عينين كما قال : ( تَحَرِى بِأَعَيُنِكَ ) وأن له وجماً كما قال : ( تَحَرِى بِأَعَيُنِكَ ) وأن له وجماً كما قال : ( وَيَبْقَى وَجْهُ رَيِكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) . وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج .

إلى أن قال: ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ بدعة من قال بالوقف أو اللفظ فهو مبتدع عندم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق. إلى أن قال: ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه: كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندم: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو: أن نشهد أن لا إله إلا الله على ماجاه في الحديث، والإسلام عندم غير الإيمان.

إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . وذكر كلاماً طويلاً ثم قال في آخره: وبكل ماذكرناه

من قولهم نقول: وإليهنذهب. فهذا قوله في هذا الكتاب وافقفيه أهل السنة وأصحاب الحديث بخلاف القول الذي نصره في الموجز.

والمقصود هذا أن عامة فرق الأمة تدخل ما هو من أعمال القلوب، حتى عامة فرق المرجئة تقول بذلك، وأما المعتزلة والخوارج وأهل السنة وأصحاب الحديث فقولهم فى ذلك معروف، وإنما نازع فى ذلك من اتبع جهم بن صفوان من المرجئة وهذا القول شاذ ، كما أن قول الكرامية الذين يقولون هو مجرد قول اللسان شاذ أيضاً.

وهذا أيضاً مما ينبغي الاعتناء به ، فإن كثيراً ممن تكلم في «مسألة الإيمان» هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ يظن أن النزاع إنما هو في أعمال الجوارح ، وأن المراد بالقول قول اللسان ، وهذا غلط؛ بل القول المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيماناً باتفاق المسلمين؛ فليس مجرد التصديق بالباطن هو الإيمان عند عامة المسلمين إلا من شذ من أتباع جهم والصالحي ، وفي قولهم من السفسطة العقلية والمخالفة في الأحكام الدينية أعظم مما في قول ابن كرام إلا من شذ من أتباع ابن كرام إلا من شذ من أتباع ابن كرام ، وكذلك تصديق القلب الذي ليس معه حب لله ولا تعظيم بل فيه بغض وعداوة لله ورسله ليس إيماناً باتفاق المسلمين.

وقول ابن كرام فيه مخالفة فى الاسم دون الحكم فإنه \_ وإن سمى المنافقين مؤمنين \_ يقول إنهم مخلدون فى النار ، فيخالف الجماعة فى الاسم دون الحكم ، وأتباع جهم يخالفون فى الاسم والحكم جميعاً .

## فمــــــل

إذا عرف أن أصل الإيمان في القلب ، فاسم « الإيمان » تارة بطلق على مافي القلب من الأقوال القلبية والأعمال القلبية من التصديق والحجة والتعظيم ونحو ذلك ، وتكون الأقوال الظاهرة والأعمال لوازمه وموجباته ودلائله . وتارة على ما في القلب والبدن جعلا لموجب الإيمان ومقتضاه داخلاً في مساه وجهذا يتبين أن الأعمال الظاهرة تسمى إسلاما، وأنها تدخل في مسمى الإيمان تارة ولا تدخل فيه تارة .

وذلك أن الاسم الواحد تختلف دلالته بالإفراد والاقتران، فقد يكون عند الإفراد فيه عموم لمعنيين، وعند الاقتران لا بدل إلا على أحدها، كلفظ الفقير والمسكين، إذا أفرد أحدها تناول الآخر، وإذا جمع بينها كان لكل واحد مسمى يخصه، وكذلك لفظ المعروف والمنكر إذا أطلقا كما في قوله تعالى (يَأْمُرُهُم بِالْمَعَرُوفِ وَيَنْهَ لَهُمْ عَنِ الْمُنكِرِ) دخل فيه الفحشاء والبغي، وإذا قرن بالمنكر أحدها كما في قوله: (إك الصكافة تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكرِ)، أو كلاها كما في قوله تعالى: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكرِ) كان اسم المنكر عنو قوله تعالى: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكرِ) كان اسم المنكر على قول متناولا للجميع على قول بناء على عنول بناء على

إن الخاص المعطوف على العام هل يمنع شمول العامله ؛ أو يكون قد ذكر مرتين. فيه نزاع \_\_والأقوال والأعمال الظاهرة ( نتيجة ) الأعمال الباطنة ولازمها .

وإذا أفرد اسم «الإيمان» فقد بتناول هذا وهذا ، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . وحينئذ فيكون الإسلام داخلا في مسمى الإيمان وجزءاً منه ، فيقال حينئذ : إن « الإيمان » اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة . ومنه قوله صلى الله وعليه وسلم لوف عبد القيس « آمركم بالإيمان بالله ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وتؤدوا خمس المغنم » أخرجاه في الصحيحين .

ففسر الإيمان هنا بما فسر به الإسلام لأنه أراد بالشهادتين هنا أن يشهد بهما باطناوظاهراً ، وكان الخطاب لوفد عبد القيس ، وكانوا من خيار الناس وهم أول من صلى الجمعة ببلده بعد جمعة أهل المدينة ، كما قال ابن عباس : أول جمعة جمعت في الإسلام بعد جمعة المدينة جمعة بجواثي \_ قرية من قرى البحرين وقالوا يارسول الله! إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام ، فرنا بأمر فصل نعمل به وندعو إليه من ورامنا ، وأرادوا بذلك « أهل نجد » من تميم وأسد وغطفان وغيره كانواكفاراً ؛ فهؤلاء كانوا صادقين راغبين في طلب الدين ، فإذا أمرهم النبي صلى الله عليه فهؤلاء كانوا صادقين راغبين في طلب الدين ، فإذا أمرهم النبي صلى الله عليه

وسلم بأقوال وأعمال ظاهرة فعلوها باطناً وظاهراً فكانوا بهامؤمنين .

وأما إذا قرن الإيمان بالإسلام ؛ فإن الإيمان في القلب والإسلام ظاهر كا في « المسند » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإسلام علانية والإيمان في القلب ، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » ومتى حصل له هذا الإيمان ، وجب ضرورة أن يحصل له الإسلام الذي هو الشهادتان ، والصلاة والزكاة والصيام والحج ؛ لأن إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله يقتضي الاستسلام لله . والانقياد له ، وإلا فهن الممتنع أن يكون قد حصل له الإقرار والحب والانقياد باطناً ولا يحصل ذلك في الظاهر ، مع القدرة عليه كما يمتنع وجود الإرادة الجازمة مع القدرة بدون وجود المراد .

وجدا تعرف أن من آمن قلبه إعاناً جازماً امتنع أن لايتكلم بالشهادتين مع القدرة فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء إلا يمان القلبي التام ؛ وجهذا يظهر خطأجهم ومن اتبعه في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر بنفع في الآخرة ؛ فإن هذا ممتنع ، إذ لا يحصل إلا يمان التام في القلب إلا و يحصل في الظاهر موجه بحسب القدرة ، فإن من الممتنع أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته ، ولا يحصل منه حركة ظاهرة إلى ذلك .

وأبو طالب إنما كانت محبته للنبي صلى الله عليه وسلم لقرابته منه ، لالله وإنما

نصره وذب عنه لحمية النسب والقرابة؛ ولهذا لم يتقبل الله ذلك منه، وإلا ف لو كان ذلك عن إيمان في القلب لتكلم بالشهادتين ضرورة، والسبب الذي أوجب نصره للنبي صلى الله عليه وسلم \_ وهو الحمية \_ هو الذي أوجب امتناعه من الشهادتين بخلاف أبي بكر الصديق ونحوه قال الله تعالى ( وَسَيُجَنَّهُمَا اللهُ اللهُ عَالَى ( وَسَيُجَنَّهُمَا اللهُ اللهُ اللهُ عَالَى ( وَسَيُجَنَّهُمَا اللهُ ال

( أحدها ) أن العلم والتصديق مستلزم لجميع موجبات الإيمان .

( الثاني ): ظن الظان أن مافي القلوب لايتفاضل الناس فيه .

( الثالث ) ؛ ظن الظان أن مافي القلب من الإيمان المقبول يمكن تخلف القول الظاهر عنه .

(الرابع): ظن الظان أن ليس في القلب إلا التصديق وأن ليس الظاهر إلا عمل الجوارح. والصواب أن القلب له عمل مع التصديق والظاهر قول ظاهر وعمل ظاهر ، وكلاها مستلزم للباطن. و «المرجئة » أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان ؛ فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضاً وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لاينفك عنه ، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن ،

فبقى النزاع فى أن العمل الظاهر هـل هو جزء من مسمى الإيمان يدل عليه بالتضمن، أو لازم لمسمى الإيمان .

و « التحقيق » أنه تارة يدخل في الاسم وتارة بكون لازماً للمسمى \_ بحسب إفراد الاسم واقترانه \_ فإذا قرن الإعان بالإسلام كان مسمى الاسلام خارجًا عنه ، كما في حديث جبريل ، وإن كان لازمـــــاً له ، وكذلك إذا قرن الإيمان بالعمل كما في قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ) فقد يقال: اسم الإعمان لم يدخل فيمه العمل وإن كان لازماله؛ وقد يقال: بل دخل فيه وعطف عليه عطف الخاص على العام ؛ وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الإعان وتصديق له ، ولهذا قالطائفة من العلماء \_ كالشيخ أبي إسماعيل الأنصاري ، وغيره \_ : الإعان كله تصديق فالقلب يصدق ماحاه تبه الرسل واللسان يصدق مافى القلب ، والعمل يصدق القول ، كما يقال: صدق عمله قوله . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « العينان تزنيان وزناها النظر ، والأذنان تزنيان وزناها السمع ، واليد تزني وزناها البطش ، والرجل تزني وزناها المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » والتصديق يستعمل في الخبر ، وفي الإرادة ، يقال : فلان صادق العزم وصادق المحية ، وحملوا حملة صادقة .

و « السلف » اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان ، وقالوا إن الإيمان يتماثل الناس فيه ، ولا ريب أن قولهم بتساوى إيمان الناس

من أفحش الخطأ ، بل لا بتساوى الناس في التصديق ، ولا فى الحب ، ولا في الخشية ، ولا في الحلم ؛ بل بتفاضلون من وجوه كثيرة .

و « أيضا » فإخراجهم العمل يشعرأنهم أخرجوا أعمال القلوب أيضاً ، وهذا باطل قطعاً ، فإن من صدق الرسول وأبغضه وعاداه بقلبه وبدنه فهو كافر قطعا بالضرورة ، وإن أدخلوا أعمال القلوب في الإيمان أخطأوا أبضاً ؛ لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن .

وليس المقصود هنا ذكر عمل معين ؛ بل من كان مؤمناً بالله ورسوله بقلبه هل يتصور إذا رأى الرسول وأعداء ويقاتلونه ، وهو قادر على أن ينظر إليهم ويحض على نصر الرسول بما لا يضره هل يمكن مثل هذا في العادة إلا أن يكون منه حركة ما إلى نصر الرسول ؟ فمن المعلوم أن هذا ممتنع ؛ فلهذا كان الحماد المتعين بحسب الإمكان من الإيمان ، وكان عدمه دليلا على انتفاء حقيقة الإيمان ، بل قد ثبت في الصحيح عنه «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة نفاق ، وفي الحديث دلالة على أنه يكون فيه بعض شعب النفاق ، مع ما معه من الإيمان ، ومنه قوله تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللِّينَ عَامَنُوا وَجَنه لُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ اللَّيَأُولَةِ كَامَانُوا وَجَنه لُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ اللَّيَّ أُولَةٍ كَا هُمُ مُن الصّيلِ اللَّهِ أَوْلَةٍ كَا هُمُ الصّيلِ اللَّهِ أَوْلَةٍ كَا هُمُ مُن الطّمَان ) .

و « أيضاً » فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنــه قال

« من رأى منكمنكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وفى رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل». فهذا يبين أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات كان عادما للإيمان، والبغض والحب من أعمال القلوب. ومن المعلوم أن إبليس و تحوه يعلمون أن الله عن وجل حرم هذه الأمور ولا يبغضونها بل يدعون إلى ما حرم الله ورسوله.

و «أيضا » فهؤلاء القائلون بقول جهم والصالحي قد صرحوا بأن سب الله ورسوله؛ والتكلم بالتثليث وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفراً في الباطن ولكنه دليل في الظاهر على الكفر ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في الباطن عارفا بالله موحدا له مؤمنا به فإذا أقيمت عليهم حجة بنص أوإجماع أن هذا كافر باطنا وظاهرا. قالوا: هذا يقتضي أن ذلك مستلزم للتكذيب الباطن وأن الإيمان بستلزم عدم ذلك؛ فيقال لهم: معنا أمران معلومان.

(أحدهما): معلوم بالاضطرار من الدين . و (الثاني ) · معلومبالاضطرار من أنفسنا عند التأمل .

أما « الأول » : فإنا نعلم أن من سب الله ورسوله طوعا بغيركره ؛ بل من تكلم بكلمات الكفر طائعاً غير مكره ، ومن استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطناً وظاهراً ، وأن من قال : إن مثل هذا قد يكون في الباطن مؤمناً بالله وإنما هو كافر في الظاهر ، فإنه قال قولاً معلوم الفساد بالضرورة من الدين . وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن وحكم بكفرهم واستحقاقهم الوعيد بها ، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم ، أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقاً ، وقد تكون كذباً ، بل كان ينبغي ألا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة وهذا كقوله نعالى : ( لَقَدْ كَفَرَالَذِينَ قَالُوا إِن الله عَلْهُ الله عَنْ الله عَلْهُ الله عَلَى الله عَلْهُ الله عَلَى الله عَلَمُ الله عَلَى الله عَلْهُ الله عَلَى الله عَلْهُ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى

وأما « الشاني »: فالقلب إذا كان معتقداً صدق الرسول ، وأنه رسول الله ، وكان محباً لرسول الله معظماً له ، امتنع مع هذا أن يلعنه ويسبه فلايتصور ذلك منه إلا مع نوع من الاستخفاف به وبحرمته ، فعلم بذلك أن مجرد اعتقاد أنه صادق لا بكون إيماناً إلا مع محبته وتعظيمه بالقلب .

و « أيضاً » فإن الله سبحانه قال : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى اللهِ عَلَى اللهُ سبحانه قال : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَالَى فَى السحر بشترك في المؤمن والكافر . وقد قال الله تعالى فى السحر : ( حَتَى يَقُولا إِنَّمَا عَنْ فِتْ المُومَن والكافر . وقد قال الله تعالى فى السحر : ( حَتَى يَقُولا إِنَّمَا عَنْ فِتْ المَّوَنَ فَي المَوْنَ وَالكَافر .

مِنْهُمَامَائِفَرِقُوكَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْ وَزَقْجِهِ ، إلى قوله : ( وَلَقَدْعَكِلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىنَهُ مَالَهُ. فِي اللّهُ مَا لَهُ اللّهُ مَا لَهُ اللّهُ عَلَى مَلْكُ سَلّمَان ، فِي اللّهُ عَلَى مَلْكُ سَلّمَان ، وَبَدُوا كَتَابِ اللهُ وَرَاءَ ظَهُورَ هُمَ كَأْنَهُم لا يَعْلَمُون ، يَعْلَمُون أَنْهُ لا خلاق له مِي فَلْ اللّهُ وَمَعُ هَذَا فَيَكُفُرُون .

وكذلك المؤمن بالجبت والطاغوت إذا كان عالماً عا محصل بالسحر من التفريق بين المرء وزوجه ونحو ذلك من الجبت، وكان عالماً بأحوال الشيطان والأصنام وما يحصل بها من الفتنة لم يكن مؤمناً بها مع العلم بأحوالها. ومعلوم أنه لم يعتقد أحد فيها أنها تخلق الأعيان، وأنها تفعل ما تشاء ونحو ذلك من خصائص الربوبية ، ولكن كانوا يعتقدون أنه يحصل بعبادتها لهـم نوع من المطالب، كما كانت الشياطين تخاطبهم من الأصنام وتخبرهم بأمور. وكما يوجد مثل ذلك في هذه الأزمان في الأصنام التي يعبدها أهل الهند والصين والترك وغيره ، وكان كفره بها الخضوع لها والدعاء والعبادة واتخاذها وسيلة ونحو ذلك ، لا مجرد التصديق بما يكون عند ذلك من الآثار ، فإن هذا يعلمه العالممن المؤمنين وبصدق بوجوده ، لكنه يعلم ما يترنب على ذلك من الضرر في الدنيا والآخرة فيبغضه؛ والكافر قد يعلم وجود ذلك الضرر لكنه يحمله حب العاجلة على الكفر .

بِبِين ذلك قوله: ( مَنكَفَرَ بِأَللَّهِ مِنَ بَعْدِ إِيمَنِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَيِنُ اللهِ مِن فَكَيْ فِيمِن وَلَكِن مَن شَرَحَ بِأَلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِ مْ غَضَبٌ مِن اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \*

ذَلِكَ بِأَنَهُمُ السَّتَحَبُّوا الْحَيُوةَ الدُّنِيَاعَلَى الْآخِرَةِ وَأَكَ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْحَيْوِينَ اللَّهِ \* أُوْلَتِهِكَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِ الللَّهُ الْمُؤْمِ الللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ

و « أيضاً » فإنه سبحانه استثنى المكره من الكفار ، ولوكان الكفر لايكون إلا بتكذيب القلب وجهله لم يستثن منه المكره ؛ لأن الإكراه على ذلك ممتنع فعلم أن التكلم بالكفركفر لا فى حال الإكراه .

وقوله تعالى: ( وَلَكِكَن مَن شَرَحَ بِأَلْكُفُرِصَدُرًا ) أي: لاستحبابه الدنيا على الآخرة ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ببيد دينه بعرض من الدنيا » ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، ببيد دينه بعرض من الدنيا » والآية نزلت في عمار بن ياسر ، وبلال بن رباح ، وأمثالهما من المؤمنين

الستضعفين لما أكرههم المشركون على سب النبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك من كلمات الكفر فمنهم من أجاب بلسانه كعار، ومنهم من صبر على المحنة كبلال، ولم يكره أحد منهم على خلاف مافى قلبه بـل أكرهوا على التكلم، فمن تكلم بدون الإكراه، لم يتكلم إلا وصدره منشرح به.

وأيضاً فقد جاء نفر من اليهود إلى النبي ، فقالوا : نشهد إنك لرسول ، ولم يكونوا مسلمين بذلك ؛ لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم أي نعلم ونجزم أنك رسول الله ، قال : «فلم لاتتبعوني »؟ قالوا : نخاف من يهود فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالمتزام والانقياد مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم .

فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين ، فكانوا كفاراً في الباطن ، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين ، فكانوا كفاراً في الظاهر والباطن، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حباً لدين سلفه ، وكراهـ ة أن يعيره قومه ، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنـع مايضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمناً .

وأما إبليس وفرعون واليهود ونحوهم فما قام بأنفسهم من الكفر وإرادة العلو والحسد منع من حب الله، وعبادة القلب له الذي لايتم الإيمان إلا به وصار في القلب من كراهية رضوان الله وانباع ما أسخطه ماكان كفراً لاينفع معه العلم .

## فعـــــل

والتفاضل في الإيمان بدخول الزيادة والنقص فيمه يكون من وجوه متعددة :

(أحدها) الأعمال الظاهرة؛ فإن الناس يتفاضلون فيها، وتزيد وتنقص وهذا مما اتفق الناس على دخول الزيادة فيه والنقصان، لكن نزاعهم في دخول ذلك في مسمى الإيمان. فالنفاة يقولون هومن ثمرات الإيمان، ومقتضاه فأدخل فيه مجازاً بهذا الاعتبار وهذا معنى زيادة الإيمان عندهم ونقصه، أي زيادة ثمراته ونقصانها، فيقال قد تقدم أن هذا من لوازم الإيمان وموجباته، فإنه يمتنع أن يكون إيمان تام في القلب بلاقول ولا عمل ظاهر، وأماكونه لازماً أو جزءاً منه فهذا يختلف بحسب عال استعال لفظ الإيمان مفرداً أو مقروناً بلفظ الإسلام، والعمل كما تقدم.

وأما قولهم الزيادة في العمل الظاهر لا في موجبه ومقتضيه فهذا غلط،

فإن تفاضل معلول الأشياء ومقتضاها بقتضى تفاضلها فى أنفسها ، وإلا فإذا عائلت الأسباب الموجبة لزم تماثل موجبها ومقتضاها ، فتفاضل الناس فى الأعمال الظاهرة يقتضى تفاضلهم فى موجب ذلك ومقتضيه ومن هذا يتبين :

( الوجه الثاني ): في زيادة الإعان ونقصه : وهو زيادة أعمال القلوب ونقصها فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن ، أن الناس بتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليـــه والإخلاص له ، وفي سلامة القلوب من الرياء ، والكبر والعجب، ونحو ذلك ، والرحمة للخلق والنصحهم ونحو ذلك من الأخلاق الإعانية · وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان محب المرء لامحمه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار » وقال تعالى : ( قُلْ إِن كَانَءَ ابَ اَ وَكُمْ وَأَبْنَا وَ كُمْ وَإِخْوَنُكُمْ وَأَزُو كُمُ وُعَشِيرَتُكُو ) إلى قوله: (أَحَبَ إِلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَا دِ فِي سَبِيلِهِ و فَتَرَبَّصُواْ ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله إنى لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده » وقال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، وقال له عمر يارسول الله! لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي ، قال: لا ياعمر! حتى أكون أحب إليك من نفسك ، قال : فلأنت أحب إلي من نفسي ، قال : الآن ياعمر ، .

وهذه الأحاديث ونحوها في الصحاح ، وفيها بيان تفاضل الحب والخشية وقد قال تعالى: ( وَاللَّذِينَ ءَامَنُوا الشَّدُ حُبَّالِلَّهِ ) وهذا أمر بجده الإنسان في نفسه فإنه قد يكون الشيء الواحد بحبه تارة أكثر مما بحبه تارة ، ويخافه تارة اكثر مما بخافه تارة ، ولهذا كان أهل المعرفة من أعظم الناس قولاً بدخول الزيادة والنقصان فيه ، لما مجدون من ذلك في أنفسهم ، ومن هذا قوله تعالى: ( اللَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَا خَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسَّبُنَا اللّهَ وَنِعْمَ الوَحِيلُ ) وإنما زادم طمأنينة وسكوناً .

وقال صلى الله عليـه وسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .

(الوجه الثالث): أن نفس التصديق والعلم في القاب بتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل ، فليس تصديق من صدق الرسول مجملاً من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره ، كمن عرف ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته ، والجنة والنار والأمم وصدقه في ذلك كله ، وليس من التزم طاعته مجملاً ، ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه .

( الوجه الرابع ): أن نفس العلم والتصديق بتفاضل وبتفاوت كما يتفاضل سائر صفات الحي من القدرة ، والإرادة ، والسمع والبصر ، والكلام ، بل سائر الأعراض من الحركة والسواد والبياض ونحو ذلك ؛ فإذا كانت القدرة على الشيء تتفاوت فكذلك الإخبار عنه يتفاوت ، وإذا قال القائل العلم بالشيء

الواحد لا بتفاضل كان بمنزلة قوله القدرة على المقدور الواحد لانتفاضل، وقوله ورؤية الشيء الواحد لانتفاضل ومن المعلوم أن الهلل المرئى بتفاضل الناس فى رؤيته، وكذلك سمع الصوت الواحد بتفاضلون فى إدراكه، وكذلك الكلمة الواحدة بتكلم بها الشخصان ويتفاضلون فى النطق بها، وكذلك شم الشي الواحد وذوقه يتفاضل الشخصان فيه.

فما من صفة من صفات الحي وأنواع إدراكاته ، وحركاته ، بل وغير صفات الحسي ، إلا وهي تقبل التفاضل والتفاوت إلى مالا يحصره البشر ، حتى بقال : ليس أحد من المخلوقين بعلم شيئاً من الأشياء مثل ما يعلمه الله من كل وجه ، بل علم الله بالشيء أكمل من علم غيره به كيف ماقدر الأمر ، وليس تفاضل العلمين من جهة الحدوث والقدم فقط ؛ بل من وجوه أخرى . والإنسان يجد في نفسه أن علمه عملومه يتفاضل حاله في سمعه لمسموعه ؛ ورؤيته لمرئيسه ، وقدرته على مقدوره ، وحبه لحبوبه ، وبغضه لبغيضه ، ورضاه بمرضيه ، وسخطه لمسخوطه وإرادته لمراده وكراهيته لمكروهه ومن أنكر التفاضل في هذه الحقائق كان مسفسطاً .

( الوجه الخامس ): أن التفاضل يحصل من هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها ؛ فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين ، وتبين فساد الشبهة العارضة ، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك، بل من جعل له علوم ضرورية لا يمكنه دفعها عن نفسه لم يكن بمنزلة من تعارضه

الشبه ويريد إزالتها بالنظر والبحث ، ولا يستريب عاقل أن العلم بكثرة الأدلة وقوتها ، وبفساد الشبه المعارضة لذلك ، وبيان بطلان حجة المحتج عليها ليس كالعلم الذي هو الحاصل عن دليل واحد من غير أن يعلم الشبه المعارضة له ؛ فإن الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه واضمحلت كان أوجب لكاله ، وقوته وتمامه .

(الوجه السادس): أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره ، كما يحصل البغض من جهة الغفلة عنه والإعراض والعلم والتصديق والحب والتعظيم وغير ذلك ، فما في القلب هي صفات وأعراض وأحوال تدوم وتحصل بدوام أسبابها وحصول أسبابها والعلم وإن كان في القلب فالغفلة تنافى تحققه ، والعالم بالشيء في حال غفلته عنه دون العالم بالشيء في ذكره له . قال عمير بن حبيب الخطمي من أصحب النبي صلى الله عليه وسلم : الإيمان يزيد وينقص ، قالوا : وما زيادته ونقصه ؟ قال : إذا حمدنا الله وذكرناه وسبحناه فذلك زيادته ، فإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه .

(الوجه السابع) أن يقال: ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلاً وتفاوتاً من الإيمان ، فكلما تقرر إثبانه من الصفات والأفعال مع تفاضله ، فالإيمان أعظم تفاضلاً من ذلك . مثال ذلك أن الإنسان يعلم من نفسه تفاضل الحب الذي يقوم بقلبه ، سواء كان حباً لولده أو لامرأته

أو لرياسته أو وطنه أو صديقه أو صورة من الصور أو خيله أو بستانه أو ذهبه أو فضته وغير ذلك من أمواله ، فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالحبوب، ثم صابة لانصباب القلب نحوه ، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه ، ثم يصير عشقاً إلى أن يصير تتيماً والتتيم التعبد ونيم الله عبد الله في فيصير القلب عبداً للمحبوب مطبعاً له لا يستطيع الخروج عن أمره ، وقد آل الأمر بكثير من عشاق الصور إلى ماهو معروف عند الناس ، مثل من حمله ذلك على قتل نفسه وقتل معشوقه أو الكفر والردة عن الإسلام أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل ، أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة أو إمراض جسمه وأسنانه .

فن قال الحب لا يزيد ولا ينقص كان قوله من أظهر الأقوال فساداً، ومعلوم أن الناس يتفاضلون في حب الله أعظم من تفاضلهم في حب كل محبوب، فهو سبحانه اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً أيضاً خليلاً، كما استفاض عنه أنه قال: «لوكنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن صاحبكم خليل الله « يعني نفسه صلى الله عليه وسلم . وقال : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » والخلة أخص من مطلق الحبة ، فإن الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين يحبون الله و يحبهم الله ، كما قال : ( فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِهَوْمِ يُحِبُهُمُ السلام والمؤمنين يحبون الله و يحبهم الله ، كما قال : ( فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِهِوَمِ مِعْبُهُمُ السلام والمؤمنين يحبون الله و يحبهم الله ، كما قال : ( فَسَوْفَ يَأْتِي الله بُهِوَمِ مِعْبُهُمُ الله عليه و عب المقين ، و عب المقسطين ، و يحب المتوابين ، و يحب المتطهرين ، و يحب المتقين ، و يحب المقسطين ، و يحب المتوابين ، و يحب المتطهرين ، و يحب المتقين ، و يحب المتعابد و يحب المتعابد ، و يحب المتعابد و يحب المتعابد و يحب المتعابد و يحب المتعابد ، و يحب المتعابد ، و يحب المتعابد و يحب المتعابد ، و يحب المتعابد و يعابد و ي

الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بحبه لغير واحدكما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال للحسن وأسامة: « اللهم إني أحبها فأحبها وأحب من يحبها » وقال له عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قال فمن الرجال ؟ قال : أبوها ». وقال : « والله إني لأحبكم » .

والناس في حب الله يتفاوتون ما بين أفضل الخلق محمد وإبراهيم إلى أدنى الناس درجة ، مثل من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ومابين هذين الحدين من الدرجــات لا يحصيه إلا رب الأرض والسموات ، فإنه ليس في أجناس المخلوقات ما يتفاضل بعضه على بعض كبني آدم فإن الفرس الواحدة ما تبلخ أن تساوي ألف ألف ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر به رجل من أشراف الناس، فقال: « يا أبا ذر أتعرف هذا؟ » قلت: نعم يارسول الله! هذا حرى إن خطب أن ينكح · وإن قال أن يسمع لقوله ، وإن غاب أن يسأل عنه ، ثم مر برجل من ضعفاء المسلمين، فقال: « يا أبا ذر! أتعرف هذا؟ » قلت: نعم يا رسول الله! هـذا رجل من ضعفاء الناس، هذا حرى إن خطب ألا ينكح ، وإن قـــال ألا يسمع لقوله ، وإن غاب ألا بسأل عنه ، فقال: « يا أبا ذر ! لهذا خير من مل، الأرض مثل هذا ».

فقد أخبر الصادق الذي لا يجاوز فيما يقول: إن الواحد من بني آدم

بكون خيراً من مل الأرض من الآدميين ، وإذا كان الواحد منهم أفضل من الملائكة ، والواحد منهم شرا من البهائم كان التفاضل الذي فيهم أعظم من تفاضل الملائكة . وأصل تفاضلهم إغاهو بمعرفة الله ومحبته ، فعلم أن تفاضلهم في هذا لا بضبطه إلا الله ، وكل ما يعلم من تفاضلهم في حب الشيء من محبوباتهم فتفاضلهم في حب الله أعظم .

وهكذا تفاضلهم في خوف ما يخافونه ، وتفاضلهم في الذل والخضوع لما يذلون له و يخضعون ، وكذلك تفاضلهم فيما يعرفونه من المعروفات ، ويصدقون به ويقرون به ، فإن كانوا يتفاضلون في معرفة الملائكة وصفاتهم ، والتصديق بهم فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته ، والتصديق به أعظم .

وكذلك إن كانوا يتفاضلون في معرفة روح الإنسان وصفاتها والتصديق بها ، أو في معرفة الجن وصفاتهم وفي التصديق بهم ، أو في معرفة ما في الآخرة من النعيم والعذاب \_ كما أخبروا به من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكونات \_ فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم من تفاضلهم في معرفة «الروح» التي هي النفس الناطقة . ومعرفة ما في الآخرة من النعيم والعذاب ؛ بل إن كانوا متفاضلين في معرفة أبدانهم وصفاتها وصحتها ومرضها وما يتبع ذلك فتفاضلهم في معرفة الله أعظم وأعظم ؛ فإن كل ما يعلم ويقال يدخل في معرفة الله ، إذ لا موجود إلا وهو خلقه وكل ما في الخلوقات من الصفات والأسماء والأقدار والأفعال فإنها شواهد ودلائل على

ما لله سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، إذكل كمال فى المخلوقات فمن أثر كماله ، وكل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أحق به ، وكل نقص ننزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه ، وهذا على طريق كل طائفة واصطلاحها . فهذا يقول كمال المعلول من كمال علته ، وهذا يقول كمال المصنوع المخلوق من كمال صانعه وخالقه .

وفى الحديث الذي رواه أحمد فى المسند ورواه ابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب عبداً م ولاحزن فقال: اللهم إبي عبدك، ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدري وجلاء حزبي، وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله هميه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً ». قالوا: يا رسول الله! ألا تتعلمهن؟ قال: «بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

فقد أخبر في هذا الحديث أن لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده وأسماء الله متضمنة لصفاته ليست أسماء أعلام محضة ، بل أسماؤه تعالى : كالعليم والقدير والسميع والبصير والرحيم والحكيم ونحو ذلك كل اسم يدل على ما لميدل عليه الاسم الآخر من معانى صفاته مع اشتراكها كلها في الدلالة على ذاته ، وإذا كان من أسمائه ما اختص هو بمعرفته ، ومن أسمائه ما خص به

من شاء من عباده ، علم أن تفاضل الناس في معرفته أعظم من تفاضلهم في معرفة كل ما يعرفونه .

وبهذا يتبين لك أن من زعم من أهل الكلام والنظر أنهم عرفوا الله حق معرفته ، محيث لم يبق له صفة إلا عرفوها ، وأن ما لم يعرفوه ولم يقم لهم دليل على ثبوته كان معدوماً منتفيا في نفس الأمر ، قوم غالطون مخطئون مبتدعون ضالون وحجتهم فى ذلك داحضة ، فإن عدم الدليل القطعي والظني على الشيء دليل على انتفائه إلا أن يعلم أن ثبوته مستلزم لذلك الدليل . مثل أن يكون الشيء لو وجد لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، فيكون هذا لازماً لثبوته ، فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ؛ كما يعلم أنه لو كان بين الشام والحجاز فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ؛ كما يعلم أنه لو كان بين الشام والحجاز مدينة عظيمة مثل بغداد ومصر لكان الناس ينقلون خبرها ، فإذا نقل ذلك واحد واثنان وثلاثة علم كذبهم .

وكما يعلم أنه لو ادعى النبوة أحد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم مثل مسيلمة والعنسي وطليحة وسجاح لنقل الناس خبره كما نقلوا أخبار هؤلاء ، ولو عارض القرآن معارض أتى بما يظن الناس أنه مثل القرآن ، لنقل كما نقل قرآن مسيلمة الكذاب ، وكما نقلوا الفصول والغايات لأبي العلاء المعري وكما نقلوا غير ذلك من أقوال المعارضين (و) لو بخرافات لا يظن عاقل أنها مثله ، فكان النقل لما تظهر فيه المشابهة والماثلة أقوى فى العادة والطباع فى ذلك وأرغب سواء كانوا محبين أو مبغضين سهذا أمر جبل عليه بنو آدم .

<sup>(</sup>١) أضيفت الواو حسب مفهوم السياق .

كا يعلم أن علي بن أبى طالب لو طلب الحلافة على عهد أبى بكر وعمر وعثمان وقاتل عليها لنقل ذلك الناس كما نقلوا ما جرى بعد هؤلاء؛ كما يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لو أمره أن يصلي بالناس صلاتهم لنقلوا ذلك، كما نقلوا أمره لأبى بكر وصلانه بالناس، وكما يعلم أنه لو عهد له بالخلافة لنقلوا ذلك كما نقلوا ما دونه؛ بل كما يعلم أنه لم يكن يجتمع هو وأصحابه على استماع دف أوكف ولا على رقص وزمر؛ بل كما يعلم أنه لم يكن بعد الصلوات يجتمع هو وهم على دعاء ورفع أيد، ونحو ذلك، إذ لو فعل ذلك لنقلوه، بل كما يعلم أنه لم يصل فى السفر الظهر والعصر والعشاء أربعا، وأنه لو صلى فى السفر أربعا بعض الأوقات لنقل الناس ذلك كما نقلوا جمعه بين الصلاتين بعض الأوقات.

بلكا يعلم أنه لم يكن يصلي المكتوبات وحده بل إنما كان يصليهن في الجماعة ؛ بلكما يعلم أنه لم يكن هو وأصحابه يحملون التراب في السفر المتيمم، ولا يصلون كل ليلة على من يموت من المسلمين، ولا ينوون الاعتكاف كلا دخلوا مسجدا للصلاة ؛ بلكما يعلم أنه لم يصل على غائب غير النجاشي ؛ بلكا يعلم أنه لوكان دائما يقنت في الفجر أو غيرها بقنوت مسنون يجهر به لنقل الناس ذلك منا نقلوا قنوته العارض الذي دعا فيه لقوم وعلى قوم ، وكان نقلهم لذلك أوكد \_ وكما يعلم أنه لما صلى بعرفة ومزدلفة قصراً وجمعا لو أمر أحداً خلفه أن يتم صلانه أو أن لا يجمع معه لنقل الناس ذلك كما نقلوا ما هو دون ذلك .

وكما يعلم أنه لم يأمر الحيض في زمانه المبتدآت بالحيض أن يغتسلن عندانقضاء يوم وليلة ، وأنه لم يأمر أصحابه أن يغسلوا ما يصيب أبدانهم وثيابهم من المني ، وأنه لم يوقت للناس لفظاً معيناً لا فى نكاح ولا فى بيع ولا إجارة ولا غير ذلك ولما حج حجة الوداع لم يعتمر عقيب الحج ، وأنه لما أفاض من منى إلى مكة يوم النحر ما طاف وسعى أولا ثم طاف ثانياً إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ومن تتبع كتب الصحيحين ونحوها من الكتب المعتمدة ، ووقف على أقوال الصحابة والتابعين ومن قفا منهاجهم من الأئمة المرضيين \_ قديما وحديثا \_ علم صحة ما أوردناه فى هذا الباب .

و (المقصود هذا) أن المدلول إذا كان وجوده مستلزما لوجود دليله كان انتفاء دليله دليلا على انتفائه ، أما إذا أمكن وجوده وأمكن أن لا نعلم نحن دليل ثبوته لم يكن عدم علمنا بدليل وجوده دليلا على عدمه ، فأسماء الله وصفاته إذا لم يكن عندنا ما يدلنا عليها لم يكن ذلك مستلزما لانتفائها إذ ليس في الشرع ولا في العقل ما يدل على أنا لا بد أن نعلم كل ما هو ثابت له تعالى من الأسماء والصفات ، بل قد قال أفضل الحلق وأعلمهم بالله في الحديث الصحيح «لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وفي الحديث الصحيح حديث الشفاعة « فأخر ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا أحصيها الآن » .

فإذا كان أفضل الخلق لا يحصى ثناء عليه ، ولا يعرف الآن محامده التي يحمده بها عند السجود للشفاعة ؛ فكيف بكون غيره عارفا بجميع محامد الله

والثناء عليه وكل ما له من الأسماء الحسنى ، فإنه داخل فى محامده وفيما بثنى عليه به وإذا كان كذلك فمن كان بماله من الأسماء والصفات أعلم وأعرف كان بالله أعلم وأعرف ؛ بل من كان بأسماء النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته أعلم ، كان بالنبى صلى الله عليه وسلم أعلم ، فليس من علم أنه نبى كمن علم أنه رسول ولامن علم أنه رسول كمن يعلم أنه خاتم الرسل ، ولامن علم أنه خاتم الرسل كمن علم أنه سيدولد آدم ، ولامن علم ذلك كمن علم ما خصه الله به من الشفاعة والحوض والمقام المحمود والملة وغير ذلك من فضائله صلى الله عليه وسلم ، وليس كل من جهل شيئا من خصائصه بكون كافراً ، بل كثير من المؤمنين لم يسمع بكير من فضائله وخصائصه ، فكذلك ليس كل من جهل بعض أسماء الله وصفاته بكون كافراً ، وخصائصه ، فكذلك ليس كل من جهل بعض أسماء الله وصفاته بكون كافراً ، إذ كثير من المؤمنين لم يسمع كثيراً مما وصفه به رسوله ، وأخبر به عنه .

فهذه الوجوه ونحوها مما تبين تفاضل الإيمان الذي فى القلب؛ وأما تفاضلهم فى الأقوال والأعمال الظاهرة فلا تشتبه على أحد والله أعلم .

## فھــــل

إذا تبين هذا وعلم أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة؛ كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه، زالت «الشبه العامية» في هذه المسألة، ولم يبق إلا «نزاع لفظي» في أن موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مساه فيكون لفظ الإيمان دالا عليه بالتضمن والعموم؟ أو هو لازم للإيمان، ومعلول له و ثمرة له، فتكون دلالة الإيمان عليه بطريق اللزوم؟

و «حقيقة الأمر» أن اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا وتارة هكذا، كما قد تقدم؛ فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالا على الباطن فقط وإن أفر د اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر، وبهذا تأتلف النصوص . فقوله : « الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » . أفرد لفظ الإيمان فدخل فيه الباطن والظاهر ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل : فدخل فيه الباطن والظاهر ، وقوله وكتبه ورسله واليوم الآخر » ذكره معقوله صلى الله عليه وسلم قان محمداً رسول صلى الله عليه وسلم قان محمداً رسول على الله عليه وسلم : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

الله.وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاةوتصومره ضان، وتحبح البيت » فلما أفرده عن الله.وتقيم الصلام ذكر مايخصه الاسم في ذلك الحديث مجرداً عن الاقتران. وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام، وقوله تعالى: ( وَمَن يَبْتَع عَيْرَالْإِسْلَكِم دِينَا فَلَن يُقبَلَ مِنْ يَبْتَع عَيْراً لَإِسْلَكِم دِينَا فَلَن يُقبَلَ مِنْ مُن أَني بالحن الذي هو عند الله الإسلام.

وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان كما في قوله تعالى: ( قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ اَلْمُؤْمِنِينَ \* قُللَمْ تُؤْمِنُ وُلُولَا أَسْلَمْنَا ) وقوله: ( فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِن ٱلْمُؤْمِنِينَ \* فَالَوَبَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَبَيْتٍ مِن ٱلْمُسْلِمِينَ ) وقوله تعالى: ( إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُشْلِمِينَ وقوله تعالى: ( إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى: ( إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهُمِينَ عَلَى الله عليه وسلم الأعمال الظاهرة كما في حديث أنس الذي في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الإسلام علانية والإيمان في القلب » . ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران ، كما في القلب » . ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران ، كما في الما الفقير والمسكين والمعروف والمنكر والبغي وغير ذلك من الأسماء ، وكما في لغات سائر الأمم ؟ عربها وعجمها ، زاحت عنه الشبهة في هذا اللب والله أعلم .

فإن قال قائل؛ اسم « الإيمان » إنما يتناول الأعمال مجازاً ، قيل : « أولاً » ليس هذا بأولى ممن قال : إنما تخرج عنه الأعمال مجازاً ، بل هذا أقوى لأن خروج العمل عنه إنما هوإذا كان مقروناً باسم الإسلام والعمل، وأمادخول العمل فيه فإذا أفرد كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وسبعون شعبة

أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » فإن ما يدل مع الاقتران أولى باسم الحجاز مما يدل عند التجريد والإطلاق .

وقيل له «ثانياً » لازاع في أن العمل الظاهر هوفرعين الباطن وموجب له ومقتضاه ؛ لكن هل هو داخل في مسمى الاسم وجزءمنه ،أوهو لازم للمسمى كالشرط المفارق ، والموجب التابع ؛ ومن المعلوم أن الأسماء الشرعية والدينية : كاسم « الصلاة » و « الزكاة » و « الحجج » ونحو ذلك هي باتفاق الفقهاء اسم لمجموع الصلاة الشرعية والحج الشرعي ، ومن قال إن الاسم إنما يتناول مايتناوله عند الإطلاق في اللغة . وإن ما زاده الشارع إنما هو زيادة في يتناول مايتناوله عند الإطلاق في اللغة . وإن ما زاده الشارع إنما هو زيادة في الحكم وشرط فيه لا داخل في الاسم ، كما قال ذلك القاضي أبو بكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى ، ومن وافقها ، على أن الشرع زاد أحكاماً شرعية جعلها شروطاً في القصد ، والأعمال والدعاء؛ ليست داخلة في مسمى الحج والصيام ، والصلاة ، فقو لهم مرجوح عند الفقها ، وجماهير المنسوبين إلى العلم ؛ ولهذا كان والصلاة ، فقو لهم مرجوح عند الفقها ، وجماهير المنسوبين إلى العلم ؛ ولهذا كان المجمور من أصحاب الأمّة الأربعة على خلاف هذا القول .

فإذا قال قائل: إن اسم « الإيمان » إنها بتناول مجرد ماهو تصديق ، وأما كونه تصديقاً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وكون ذلك مستلزماً لحب الله ورسوله ونحو ذلك هو شرط فى الحم لاداخل فى الاسم إن لم يكن أضعف من ذلك القول فليس دونه فى الضعف ، فكذلك من قال: الأعمال الظاهرة

لوازم للباطن، لا تدخل فى الاسم عند الإطلاق يشبه قوله قول هؤلاء، والشارع إذا قرن بالإيمان العمل فكما يقرن بالحج ماهو من تمامه ، كما إذا قال من حج البيت وطاف وسعى ووقف بعرفة ورمى الجمار ؛ ومن صلى فقر أ وركع وسجد ، كما قال من صام رمضان إيماناً واحتسابا ، ومعلوم أنه لم يكن صوما شرعياً إن لم يكن إيماناً واحتسابا .

وقال : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ومعلوم أن الرفث الذي هو الجماع يفسد الحج والفسوق بنقص ثوابه ، وكما قال صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا » . فلا يكون مصلياً إن لم يستقبل قبلتنا في الصلاة ،وكما قال صلى الله عليه وسلم: « خمس صلوات كتبهن الله على العبد في اليوم والليلة ، من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد ، إن شاء عـذبه وإن شاء غفر له » فذكر المحافظ عليهـ ا ومعلوم أنه لايكون مصليًا لها على الوجه المأمور إلا بالمحافظة عليها . ولكن بين أن الوعيد مشروط بذلك ، ولهذا لايلزم من عدم المحافظة أن لايصليها بعد الوقت فلا بكون محافظاً عليها . إذ المحافظة تستلزم فعلهـ اكاقـال : ( حَنفِظُواْ عَلَى ٱلصَّكَوَاتِ وَٱلصَّكَاوَةِ ٱلْوُسْطَىٰ ) زلت لما أخرت العصر عام الجندق ، قال النبي صلى الله عليه سلم: « ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً كما شغلونًا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ».

وبهذا يظهر أن الاحتجاج بذلك على أن تارك الصلاة لايكفر حجة ضعيفة ، لكنه يدل على أن تارك المحافظة لايكفر ، فإذا صلاها بعد الوقت لم يكفر ؛ ولهذا جاءت في « الأمراء » الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قيل : يارسول الله ! ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما صلوا » وكذلك لما سئل ابن مسعود عن قوله تعالى : ( أَضَاعُوا الصَّلَوة ) قال هو تأخيرها عن وقتها ، فقيل له : كنا نظن ذلك تركها، فقال : لو تركوها كانواكفاراً .

والمقصود أنه قد يدخل في « الاسم المطلق » أمور كثيرة ، وإن كانت قد تخص بالذكر .

وقيل لمن قال: دخول الأعمال الظاهرة في اسم الإيمان مجاز نراعك لفظي ؛ فإنك إذا سلمت أن هذه لوازم الإيمان الواجب الذي في القلب وموجباته كان عدم اللازم موجباً لعدم الملزوم، فيلزم من عدم هذا الظاهر عدم الباطن، فإذا اعترفت بهذا كان النزاع لفظياً وإن قلت : ماهو حقيقة قول جهم وأتباعه من أنه يستقر الإيمان التام الواجب في القلب مع إظهار ماهو كفر، وترك جميع الواجبات الظاهرة، قيل لك : فهذا يناقض قولك إن الظاهر لازم له وموجب له، بل (قيل): حقيقة قول له ولك إن الظاهر يقارن الباطن تارة ويفارقه أخرى فليس بلازم له ولا موجب ومعلول له، ولكنه دليل إذا وجد دل على وجود الباطن، وإذ عدم لم يدل عدمه على العدم، وهذا حقيقة قولك .

وهو أيضاً خطأ عقلاً كما هو خطأ شرعا، وذلك أن هذا ليس بدليل قاطع إذ هذا يظهر من المنافق فإنما يبقى دليلا في بعض الأمور المتعلقة بدار الدنيا كدلالة اللفظ على المعنى، وهذا حقيقة قولك، فيقال لك: فلا يكون ما يظهر من الأعمال ثمرة للإيمان الباطن ولا موجباً له ومن مقتضاه، وذلك أن المقتضي لهذا الظاهر إن كان هو نفس الإيمان الباطن لم يتوقف وجوده على غيره، فإن ما كان معلو لاللشيء وموجباً له لايتوقف على غيره، بل يلزم من وجوده وجوده، فلو كان الظاهر موجب الإيمان الباطن لوجب ألا يتوقف على غيره، بل إذا وجد الموجب وجد الموجب.

وأما إذا وجد معه تارة وعدم أخرى أمكن أن يكون من موجب ذلك الغير ، وأمكن أن يكون موقوفاً عليها جميعاً ، فإن ذلك الغير إما مستقل بالإيمان أو مشارك للإيمان ، وأحسن أحواله أن يكون الظاهر موقوفاً عليها معاً : على ذلك الغير ، وعلى الإيمان ؛ بل قد علم أنه يوجد بدون الإيمان ؛ كما في أعمال المنافق ، فحينئذ لا يكون العمل الظاهر مستازماً للإيمان ، ولا لازماً له ، بل يوجد معه تارة ومع نقيضه تارة ، ولا يكون الإيمان علة له ولا موجباً ولا مقتضياً ، فيبطل حينئذ أن يكون دليلاً عليه ، لأن الدليل لابد أن يستلزم المدلول ، وهذا هو الحق فإن مجرد التكلم بالشهادتين ليس مستلزماً للإيمان النافع عند الله .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: لسعد لما قال: هو مؤمن. قال « أو

مسلم ؟ » وقال تعالى: ( يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَإِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَتِ فَآمَتَحِنُوهُنَّ الْمَالَمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَتِ فَآمَتَحِنُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ )

فدل ذلك على أن مجرد إظهار الإسلام لا يكون دليلاً على الإيمان فى الباطن، ودل إذ لو كان كذلك لم تحتج المهاجرات اللاتى جئن مسلمات الى الامتحان، ودل ذلك على أنه بالامتحان والاختبار يتبين باطن الإنسان فيعلم أهو مؤمن أم ليس عؤمن ؛ كما فى الحديث المرفوع : « إذا رأيتم الرجل بعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله بقول : ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَجِدَ اللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيُومِ الْلَاجِرِ وَأَقَامَ الصّلَوْةَ وَءَانَى الزَّكُومَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللّهَ ».

فإذا قيل: الأعمال الظاهرة تكون من موجب الإعمان تارة ، وموجب غيره أخرى ؛ كالتكلم بالشهادتين: تارة بكون من موجب إيمان القلب ، وتارة بكون تقية كإيمان المنافقين ، قال تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ بَكُون تقية كإيمان المنافقين ، قال تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْاَيْخِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ) . ونحن إذا قلنا : هي من عمرة الإيمان إذا كانت صادرة عن إيمان ، إما أن بكون عن إيمان القلب لا عن نفاق ، قيل : فإذا كانت صادرة عن إيمان ، إما أن بكون نفس الإيمان نفس الإيمان موجباً لها ، وإما أن تقف على أمر آخر ، فإذا كان نفس الإيمان موجباً لها ، وإما أن تقف على أمر آخر ، فإذا كان نفس الإيمان موجباً لها ثبت أنها لازمة لإيمان القلب معلولة لاتنفك عنه ، وهذا هو المطلوب ؛ وإن توقفت على أمر آخر كان الإيمان جزء السبب جعلها عمرة للجزء الآخر ومعلولة له ، إذ حقيقة الأمر أنها معلولة لها و عمرة لها .

فتبين أن الأعمال الظاهرة الصالحة لا تكون ثمرة للإيمان الباطن ومعلولة

له ، إلا إذا كان موجباً لها ومقتضياً لها ، وحينئذ فالموجب لازم لموجبه والمعلول لازم لعلته ، وإذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما فى القلب من الإيمان ، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي فى القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة ؛ بل يلزم من وجود هذا كاملاً [ وجود هذا كاملاً ] كما يلزم من نقص هذا نقص هذا ؛إذ تقدير إيمان تام فى القلب بلا ظاهر من قول وعمل كتقدير موجب تام بلا موجبه ، وعلة تامة بلا معلولها ، وهذا ممتنع .

وبهذا وغيره يتبين فساد قول جهم والصالحي ومن اتبعها في «الإيمان» كالأشعري في أشهر قوليه، وأكثر أصحابه، وطائفة من متأخري أصحاب أبى حنيفة: كالماتريدي ونحوه حيث جعلوه مجرد تصديق في القلب يتساوى فيه العباد، وأنه إما أن يعدم وإما أن يوجد لايتبعض، وأنه يمكن وجود الإيمان تاماً في القلب مع وجود التكلم بالكفر والسب لله ورسوله طوعاً من غير إكراه، وأن ما علم من الأقوال الظاهرة أن صاحبه كافر؛ فلأن ذلك مستلزم عدم ذلك التصديق الذي في القلب، في الأفعال "وأن الأعمال الصالحة الظاهرة ليست لازمة للإيمان الباطن الذي في القلب؛ بل يوجد إيمان القلب تاماً بدونها فإن هذا القول فيه خطأ من وجوه:

(أحدها): أنهم أخرجوا ما في القلوب من حب الله وخشيته ونحو ذلك

<sup>(</sup>١)بياض في الأصل.

أن يكون من نفس الإيمان.

و (ثانيها) جعلوا ماعلم أن صاحبه كافر \_\_ مثل إبليس وفرعون واليهود وأبى طالب ، وغيره \_\_ أنه إنماكان كافراً ؛ لأن ذلك مستلزم لعدم تصديقه في الباطن ، وهذا مكابرة للعقل والحس ، وكذلك جعلوا من يبغض الرسول و يحسده كراهة دينه مستلزماً لعدم العلم بأنه صادق ونحو ذلك.

و ( ثالثها ): أنهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من سب الله ورسوله والتثليث وغير ذلك قد يكون مجامعاً لحقيقة الإيمان الذي في القلب، ويكون صاحب ذلك مؤمناً عند الله حقيقة ، سعيداً في الدار الآخرة ، وهذا يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام .

و (رابعها): أنهم جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك، ولا أطاع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته ، يكون مؤمناً بالله تام الإيمان سعيداً في الدار الآخرة . وهذه الفضائح تختص بها الجهمية دون المرجئة من الفقهاء وغيره .

و (خامسها): وهو يلزمهم ويلزم المرجئة، أنهم قالوا: إن العبد قد يكون مؤمناً. تام الإيمان، إيمانه مثل إيمان الأنبياء والصديقين، ولولم بعمل خيراً لا صلاة ولا صلة ولا صدق حديث، ولم يدع كبيرة إلا ركبها، فيكون

الرجل عنده ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وهو مصر على دوام الكذب والخيانة ونقض العهود لابسجد لله سجدة ، ولا يحسن إلى أحد حسنة ، ولا يؤدي أمانة ، ولا يدع ما يقدر عليه من كذب وظلم وفاحشة إلا فعلها ، وهو مع ذلك مؤمن تام الإيمان ، إيمانه مثل إيمان الأنبياء ، وهذا يلزم كل من لم يقل إن الأعمال الظاهرة من لوازم الإيمان الباطن ، فإذا قال : إنها من لوازمه، وأن الإيمان الباطن يستلزم عملاً صالحاً ظاهراً كان بعد ذلك قوله : إن تلك الأعمال لازمة لمسمى الإيمان ، أو جزءاً منه ( زاعاً لفظياً ) كما تقدم .

و (سادسها): أنه بلزمهم أن من سجد للصليب والأوثان طوعاً وألقى المصحف في الحش عمداً ، وقتل النفس بغير حق ، وقتل كل من رآه يصلى ، وسفك دم كلمن يراه يحج البيت وفعل ما فعلته القرامطة بالمسلمين ، يجوز أن يكون مع ذلك مؤمناً ولياً لله ، إعانه مثل إعان النبيين والصديقين ؛ لأن الإيمان الباطن إما أن يكون منافياً ؛ للمده الأمور ، وإما ألا يكون منافياً ؛ فإن لم يكن منافياً أمكن وجودها معه فلا يكون وجودها إلا مع عدم الإيمان الباطن .

وإن كان منافياً للإيمان الباطن كان ترك هذه من موجب الإيمان ومقتضاه ولازمه ، فلا يكون مؤمناً في الباطن الإيمان الواجب إلا من ترك هذه الأمور فن لم يتركها دل ذلك على فساد إيمانه الباطن ، وإذا كانت الأعمال والتروك

الظاهرة لازمة للإيمان الباطن كانت من موجبه ومقتضاه ، وكان من المعلوم أنها تقوى بقونه ، وتزيد بزيادته ، وتنقص بنقصانه ، فإن الشيء المعلول لا يزيد إلا بزيادة موجب ومقتضيه ، ولا بنقص إلا بنقصان ذلك ؛ فإذا جعل العمل الظاهر موجب الباطن ومقتضاه لزم أن تكون زيادته لزيادة الباطن فيكون نقصه دليلاً فيكون نقصه دليلاً على زيادة الإيمان الباطن ونقصه لنقص الباطن ، فيكون نقصه دليلاً على نقص الباطن ، وهو المطلوب .

وهذه الأموركلها إذا تدبرها المؤمن بعقله تبين له أن مذهب السلف هو المذهب الحق؛ الذي لا عدول عنه ؛ وأن من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول ، وصحيح المنقول كسائر ما بلزم الأقوال المخالفة لأقوال السلف والأثمة والله أعلم .

وقول جهم ومن وافقه: إن الإيمان مجرد العلم والتصديق، وهو بذلك وحده بستحق الثواب والسعادة، بشبه قول من قال من الفلاسفة المشائين وأتباعهم: إن سعادة الإنسان في مجرد أن يعلم الوجود على ما هو عليه؛ كما أن قول الجهمية وهؤلاء الفلاسفة في « مسائل الأسماء والصفات » و « مسائل الجبر، والقدر » متقاربان ، وكذلك في « مسائل الإيمان » وقد بسطنا الكلام على ذلك وبينا بعض ما فيه من الفساد في غير هذا الموضع ، مثل أن العلم هو أحد قوتى النفس لها «قوتان » : قوة العلم والتصديق ، وقوة الإرادة والعمل، كما أن الحيوان له «قوتان » : قوة الحس، وقوة الحركة بالإرادة .

وليس صلاح الإنسان في مجرد أن بعلم الحق، دون ألا يحبه ويريده ويتبعه مكما أنه ليس سعادته في أن يكون عالماً بالله ، مقراً بما يستحقه ، دون أن يكون محباً لله ، عابداً لله ، مطيعاً لله ، بل أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم ينفعه الله بعلمه ؛ فإذاعلم الإنسان الحق وأبغضه وعاداه ، كان مستحقاً من غضب الله وعقابه مالا يستحقه من ليس كذلك ؛ كما أن من كان قاصداً للحق طالباً له وهو جاهل بالمطلوب وطريقه \_ كان فيه من الضلال ، وكان مستحقاً من اللعنة \_ التي هي البعد عن رحمة الله \_ مالا يستحقه من ليس مثله ؛ ولهذا أمرنا الله أن نقول : ( آهدنا الصّرط المستقيم \* صِرَط الدّين أنعمت عَليهم عَيْم المنه وسي عَليهم وَلا الضّالِين) .

و «المغضوب عليهم » علموا الحق ف لم يحبوه ولم يتبعوه ، و «الضالون » قصدوا الحق لكن بجهل وضلال به وبطريقه ، فهذا بمنزلة العالم الفاجر ، وهذا بمنزلة العابد الجاهل، وهذا حال اليهود فإنه مغضوب عليهم ، وهذا حال النصارى فإنهم ضالون . كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » .

و «المتفلسفة» أسوأ حالاً من اليهود والنصارى، فإنهم جمعوا بين جهل هؤلاء وضلالهم، وبين فجور هؤلاء وظلمهم، فصار فيهم من الجهل والظلم ماليس فى اليهود ولا النصارى حيث جعلوا السعادة فى مجرد أن يعلموا الحقائق حتى يصير الإنسان عالما معقولاً مطابقاً للعالم الموجود، ثم لم ينالوا من معرفة الله

وأسمائه وصفاته وملائكته وكتب ورسله وخلقه وأمره إلا شيئاً زراً قليلاً ، فكان جهلهم أعظم من علمهم، وضلالهم أكبر من هداهم، وكانوا مترددين بين الجهل البسيط، والجهل المركب ؛ فإن كلامهم في الطبيعات والرياضيات لايفيد كال النفس وصلاحها ، وإنها يحصل ذلك بالعلم الإلهي ، وكلامهم في في جمل غث على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل .

فإن كلامهم في « واجب الوجود » مابين حق قليل ، وباطل فاسد كثير ، وكذلك في « العقول » و « النفوس » التي تزعم أتباعهم من أهل الملل ، أنها الملائكة التي أخبرت بها الرسل ؛ وليس الأمركذلك ، بل زعمهم أن هؤلاء هم الملائكة من جنس زعمهم أن «واجب الوجود» هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق مع اعترافهم بأن المطلق بشرط الإطلاق لايكون إلا في الأذهان ، وكذلك كلامهم في العقول والنفوس بعود عند التحقيق إلى أمور مقدرة في الأذهان لاحقيقة لها في الأعيان ، ثم فيه من الشرك بالله وإثبات رب مبدع لجيع العالم سواه ــ لكنه معلول له ــ وإثبات رب مبدع لكل ما تحت فلك القمر هو معلول الرب ، فوقه ذلك الرب معلول لرب فوقه ، ماهو أقبح من كلام النصارى في قولهم : إن المسيح ابن الله بكثير كثير ، كما بسط في غير هدذا الموضع .

وليس لمقدميهم كلام في « النبوات » ألبت ، ومتأخروهم حائرون فيها ، منهم من يكذب بها ؛ كما فعل ابن زكريا الرازى وأمثاله مسع قولهم بحدوث العالم .

أثبتوا القدماء الخمسة وأخذوا من المذاهب ماهو من شرها وأفسدها ؛ ومنهم من يصدق بها مع قوله بقدم العالم ، كابن سينا ، وأمثاله ، لكنهم يجعلون النبي بمنزلة ملك عادل ، فيجعلون النبوة كلها من جنس ما يحصل لبعض الصالحين من الكشف والتأثير والتخيل ، فيجعلون خاصة النبي « ثلاثة أشياء » : قوة الحدس الصائب ، التي يسمونها القوة القدسية ، وقوة التأثير في العالم ، وقوة الحس ، التي بها يسمع وببصر المعقولات متخيلة في نفسه ، فكلام الله عندم هو مافي نفسه من الصور والأنوار وهذه الخصال تحصل لغالب أهل الرياضة والصفا ؛ فلهذا كانت النبوة عندم مكتسبة .

وصاركل من سلك سبيلهم \_ كالسهروردي المقتول وابن سبع ين المغربي وأمث الها \_ بطلب النبوة ويطمع أن يقال له قم فأنذر ، هذا يقول: لا أموت حتى يقال لي: (قم فأنذر) وهذا يجاور بمكة ويعمد إلى غار حراء ، ويطلب أن ينزل عليه فيه الوحي ، كما نزل على المزمل والمدثر مثله ، وكل منها ومن أمثالها يسعى بأنواع السيمياء التي هي من السحر ، ويتوهم أن معجزات الأنبياء كانت من جنس السحر السيميائي .

ومن لم يمكنه طلب النبوة وادعاؤها \_ لعامه بقول الصادق المصدوق: « لانبي بعدي » أو غير ذلك \_ كابن عربي وأمثاله طلب ماهو أعلى من النبوة وأن خاتم الأولياء أعظم من خاتم الأنبياء، وأن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ،

والنبى يأخذ بواسطة الملك، وبنى ذلك على أصل متبوعيه الفلاسفة فإن عنده مايتصور في نفس النبى أو الولي هي الملائكة: من الأشكال النورانية الخيالية، «فالملائكة» عندهم ما يتخيله فى نفسه، و«النبى » عندهم مايتلقى بواسطة هذا التخيل، و «الولي» يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل، ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل، كان أكمل ممن تلقاها بتخيل.

فلما اعتقدوا في النبوة ما يعتقده هؤلاء المتفلسفة صاروا يقولون: إن الولاية أعظم من النبوة ، كما يقول كثير من الفلاسفة: إن الفيلسوف أعظم من النبي ؛ فإن هذا قول الفارابي، ومبشر بن فاتك وغيرها ، وهؤلاء يقولون النبوة أفضل الأمور عند الجمهور ؛ لا عند الخاصة . ويقولون خاصة الني جودة التخييل والتخيل ، فجاء هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة في قالب الولاية ، وعبروا عــن المتفلسف بالولي، وأخذوا معاني الفلاسفة وأبرزوها في صورة المكاشفة والمخاطبة وقالوا: إن الولي أعظم من النبي ، لأن المعاني المجردة بأخذها عن الله بلا واسطة تخيل لشيء في نفسه والنبي يأخذها بواسطة ما يتخيل في نفسه من الصور والأصوات، ولم يكفهم هذا البهتان، حتى ادعوا أن جميع الأنساء والرسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم هؤلاء الأولياء الذي هو من أجهل الخلق بالله وأبعدهم عن دين الله والعلم بالله هو عندهم بأنه « الوجود المطلق » الساري في الكائنات ، فوجودكل موجود هو عين وجود واجب الوجود .

وحقيقة هذا القول قول الدهرية الطبعية الذين ينكرون أن يكون للعالم

مبدع أبدعه ، هو واجب الوجود بنفسه ؛ بل يقولون : العالم نفسه واجب الوجود بنفسه فقيقة قول هؤلاء شرمن قول الدهرية الإلهيين، وهو يعود عندالتحقق إلى قول الدهرية الطبيعيين، وقد حدثونا: أن ابن عربى تنازع هو والشيخ أبو حفص السهروردي : هل يمكن وقت تجلى الحق لعبد مخاطبة له أم لا ؟ فقال الشيخ أبو حفص السهروردي : نعم يمكن ذلك . فقال ابن عربى : لا يمكن ذلك ، وأظن الكلام كان في غيبة كل منها عن صاحبه ، فقيل لابن عربى : إن السهروردي يقول كذا ، وكذا . فقال : مسكين ! نحن تكلمنا في مشاهدة الذات ، وهو بتكلم في مشاهدة الصفات .

وكان كثير من أهل التصوف والسلوك والطالبين لطريق التحقيق والعرفان \_ مع أنهم يظنون أنهم متابعون للرسل ، وأنهم متقون للبدع المخالفة له \_ يقولون هذا الكلام ويعظمونه ويعظمون ابن عربى لقوله مثل هذا ولا يعلمون أن هذا الكلام بناه على أصله الفاسد في الإلحاد ، الذي يجمع بين التعطيل والاتحاد ؛ فإن حقيقة الرب عنده وجود مجرد لا اسم له ولا صفة ، ولا يمكن أن يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا له كلام قائم به ولا علم ولا غير ذلك ، ولكن يرى ظاهرا في المخلوقات متجليا في المصنوعات، وهو عنده غير وجود الموجودات يرى ظاهرا في المخلوقات متجليا في المصنوعات، وهو عنده غير وجود الموجودات وشبهه تارة بظهور الكلى في جزئياته كظهور الجنس في أنواعه والنوع في الحاصة ، كما تظهر الحيوانية في كل حيوان ، والإنسانية في كل إنسان .

وهذا بناه على غلط أسلافه « المنطقيين اليونانيين » حيث ظنوا أن

الموجودات العينية يقارنها جواهر عقلية بحسب ما تحمل لها من الكليات، فيظنون أن في الإنسان المعين إنساناً عقلياً وحيواناً عقليا وناطقاً عقلياً وحساساً عقلياً وجسما عقليا، وذاك هو الماهية التي يعرض لها الوجود، وتلك الماهية مشتركة بين جميع المعينات وهذا الكلام له وقع عند من لم يفهمه ويتدبره.

فإذا فهم حقيقته تبين له أنه بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء ، وإيما ذلك لمخالفته للحسروالعقل، وإيما أنى فيه هؤلاء من حيث أنهم تصوروا في أنفسهم معانى «كلية مطلقة » فظنوا أنها موجودة في الحارج . فضلا لهم في هذا عكس ضلالهم في أمر الأنبياء، شاهدت أموراً خارجة عن أنفسهم، فزعم هؤلاء الملاحدة أن تلك كانت في أنفسهم .

وهؤلاء الملاحدة شهدوا في أنفسهم أموراً «كلية مطلقة» فظنوا أنها في الخارج ، وليست إلا في أنفسهم فجعلوا ما في أنفسهم في الخارج وليس فيه وجعلوا ما أخبرت به الأنبياء في أنفسهم وإنما هو في الخارج، فلهذا كانوامكذبين بالغيب الذي أخبرت به الأنبياء ، ثم جعلوا وجود الرب الخالق للعالمين البائن عن مخلوقاته أجمعين هو من جنس وجود الإنسانية في الأناسي، والحيوانية في الحيوان أو ما أشبه ذلك ، كوجود الوجود في الثبوت \_ عند من يقول المعدوم شيء \_ فإنهم أرادوا أن يجعلوه شيئاً موجوداً في المخلوقات معمعا يرته لها، فضربوا له مثلاً تارة بالمكليات ، و تارة بالمادة والصورة ، و تارة بالوجود المغاير للثبوت ، وإذا مثلوه بالمحسوسات مثلوه بالشعاع في الزجاج ، أو بالهواء في الصوفة،

فضربوا لرب العالمين الأمثال؛ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً؛ وهم في هـذه الأمثال ضالون من وجوه.

(أحدها): إنما مثلوا به من المادة مع الصورة ، والكليات مع الجزئيات، والوجود مع الثبوت: كل ذلك يرجع عند التحقيق إلى شيء واحد لا شيئين، فيعلوا الواحد اثنين ، كما جعلوا الاثنين واحداً في مثل صفات الله ، يجعلون العلم هو العالم ، والعلم هو العلوم ، والعلم هو القدرة ، والعلم هو الإرادة ، وأنواع هذه الأمور التي إذا تدبرها العاقل تبين له أن هؤلاء من أجهل الناس بالأمور الإلهية ، وأعظم الناس قولاً للباطل ؛ مع ما في نفوسهم ونفوس أتباعهم من الدعاوي الهائلة ، الطويلة ، العريضة ، كما يدعى إخوانهم القرامطة الباطنية ، أنهم أمّة معصومون مثل الأنبياء ، وهم من أجهل الناس وأضلهم وأكفره .

(الثانى): أنهم على كل تقدير من هذه التقديرات يجعلون وجوده مشروطاً بوجود غيره ،الذي ليس هو مبدعاً له؛ فإن وجود الكليات في الخارج مشروط بالجزئيات ، ووجود المادة مشروط بالصورة ، وكذلك بالعكس، ووجود الأعيان مشروط بثبوتها المستقر في العدم ؛ فيلزمهم على كل تقدير أن يكون واجب الوجود مشروطاً عما ليس هو من مبدعاته ، وما كان وجوده موقوفاً على غيره الذي ليس هو مصنوعاً له لم يكن واجب الوجود بنفسه ، وهذا بين .

(الثالث) أن هذا الكلام بعود عند التحقيق إلى أن يكون وجودالخالق عين وجود المخلوقات، وهم بصرحون بذلك؛ لكن يدعون المغايرة بين الوجود والثبوت؛ أو بين الوجود والماهية؛ وبين الكل والجزء، وهو المغايرة بين المطلق والمعين؛ فلهذا كانوا يقولون: بالحلول. تارة يجعلون الخالق حالاً فى المخلوقات، وتارة محلاً لها، وإذا حقق الأمر عليهم بعدم المغايرة، كان حقيقة قولهم أن الخالق هو نفس المخلوقات فلا خالق ولا مخلوق، وإنما العالم واجب الوجود بنفسه.

(الرابع): أنهم بقرون بما يزعمونه من «التوحيد» عن التعدد في صفاته الواجبة؛ وأسمائه؛ وقيام الحوادث به ، وعن كونه جسماً؛ أو جوهراً؛ ثم هم عند التحقيق يجعلونه عين الأجسام الكائنة الفاسدة المستقذرة ، وبصفونه بكل نقص كما صرحوا بذلك ، قالوا: ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات؟ وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص؛ وبصفات الذم ، وقالوا: العلى لذاته هوالذي يكون له الكمال ، الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، سواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ؛ أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة فهو متصف عنده بكل صفة مذمومة كما هو متصف بكل صفة مخمودة ، وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع متصف بكل صفة مخمودة ، وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع .

ولكن ( المقصود ) التنبيه على تشابه رؤوس الضلال ، حتى إذا فهم المؤمن

فابن عربی بزعمه: إنما تجلى الذات عنده شهود مطلق ؛ هو وجود الموجودات ؛ مجرداً مطلقاً ، لا اسم له ولا نعت ، ومعلوم أن من تصور هذا لم يمكن أن يحصل له عنه خطاب ؛ فلهذا زعم أن عند تجلى الذات لا يحصل خطاب وأما أبو حفص السهروردي فكان أعلم بالسنة ، وأتبع للسنة من هذا وخير منه ؛ وقد رأى أن ما جاءت به الأحاديث من أن الله يتجلى لعباده ويخاطبهم حين تجليه لهم فآمن بذلك ؛ لكن ابن عربى في فلسفته أشهر من هذا في سنته .

ولهذا كان أتباعها يعظمون ابن عربى عليه ، مع إقراره بأن السهروردي أتبع للسنة ، كما حدثنى الشيخ الملقب بحسام الدين القادم ، السالك طريق ابن حمويه الذي يلقبه أصحابه «سلطان الأقطاب» ؛ وكان عنده من التعظيم لابن عربى ، وابن حمويه ؛ والغلو فيها أمر عظيم ، فبينت له كثيراً مما يشتمل عليه كلامها من الفساد والإلحاد ، والأحديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم وجرى في ذلك فصول ؛ لما كان عنده من التعظيم مع عدم فهم حقيقة أقوالهما وما تضمنته من الضلالات .

وكان مم حدثني عن شيخه الطاووسي الذي كان بهمدان عن سعدالدين

ابن حمويه أنه قال: محيي الدين بن عربى بحر لا تكدره الدلاء؛ لكن نور المتابعة النبوية على وجه الشيخ شهاب الدين السهروردي شيء آخر ، فقلت له: هذا كما يقال: كان هؤلاء أو توا[من] ملك الكفار ملكا عظيماً. لكن نور الإسلام الذي على شهاب غازي صاحب «ميافا رقين» شيء آخر . فإنهم كانوا يعظمون ابن عربى ؛ وذلك لأن الشيخ شهاب الدين لم يكن متمكناً من معرفة السنة ومتابعتها ، وتحقيق ما جاءت به الرسل ؛ كتمكن ابن عربى في طريقه التي سلكها وجمع فيها بين الفلسفة والتصوف .

وهؤلاء إنما يقطع دابرهم المباينة بين الخالق والمخلوق، وإثبات تعينه منفصلاً عن المخلوق ترفع إليه الأيدي بالدعاء، وإليه كان معراج خاتم الأنبياء، وقد ذكر السهروردي في عقيدته المشهورة قوله: « بلا إشارة ولا تعيين » وهذه هي التي استطال بها عليه هؤلاء؛ فإنه متى نفيت الإشارة والتعيين لم يبق إلا العدم المحض؛ والتعطيل أو الإلحاد والوحدة والحلول.

وابن سبعين وأمثاله من هؤلاء الملاحدة يقولون هكذا: لا إشارة ولا تعيين ، بل عين ما ترى ذات لاترى ، وذات لاترى عين ما ترى ، ويقولون فى أذ كارهم: ليس إلا الله ، بدل قرول المسلمين : لا إله إلا الله ، لأن معتقدهم أنه وجود كل موجود ؛ فلا موجود إلا هو ؛ والمسلمون يعلمون أن الله خالق كل شيء ، وربه ومليكه ؛ وأنه ليس هو المخلوقات ، ولا جزءاً منها ؛ ولا صفة لها ؛ بل هو بائن عنها ، ويقولون إنه هو الإله الذي يستحق العبادة دون ما سواه من بل هو بائن عنها ، ويقولون إنه هو الإله الذي يستحق العبادة دون ما سواه من

الموجودات ، فلا إله إلا هو ؛ كما قال تعالى : ( فَلَانَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَاهَاءَاخَرَفَتَكُونَ مِنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلْ عَلَى اللَّهُ عَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَا عَلَا عَا

وهؤلاء الملاحدة ماعندهم غير يمكن أن يعبد، ولا غير يمكن أن يتخذ ولياً ، ولا إلهاً ؛ بل هو العابد والمعبود ؛ والمصلي والمصلي له ؛ كما قال شاعرهم ابن الفارض في قصيدته « نظم السلوك » :

وأشهد فيها أنها لي صلت حقيقته بالجمع في كل سجدة

لها صلواتی بالمقام أقیمها کلانا مصل واحد ساجد إلی

إلى قوله :

صلاتيلغيري في أداكل ركعة وذاتي بآياتي علي استدلت

وماكان ليصلى سواي ولم تكن إلي رسولاكنت مني مرسلاً

وقوله:

ولا فرقبل ذاتي لذاتي أحبت

وما زلت إياها وإياي لم تزل

فهؤلاء « الجهمية » من المتكلمة والصوفية فى قولهم : إن الإيمان هو مجرد المعرفة والتصديق ، يقولون : المعروف هو الموجود الموصوف بالسلب والنفي ، كقولهم : لا هو داخل العالم ؛ ولا خارجه ، ولا مباين العالم ولا محايث ، ثم

يعودون فيجعلونه حالاً فى المخلوقات أو محلاً لها أو هو عينها :أو يعطلونه بالكلية ؛ فهم في هذا نظير المتفلسفة المشائين : الذين يجعلون كمال الإنسان بالعلم ؛ و « العلم الأعلى » \_ عندم \_ و « الفلسفة الأولى » \_ عندم \_ النظر فى الوجود ولواحقه ، ويجعلون واجب الوجود وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق ، لكن أولئك يغيرون العبارات ويعبرون بالعبارات الإسلامية القرآنية عن الإلحادات الفلسفية واليونانية ، وهذا كله قد قرر ؛ وبسط القول فيه فى غير هذا الموضع .

## فمسل

أول مافي الحديث سؤاله عن « الإسلام » : فأجاب بأن «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت » وهذه الخس هي المذكورة في حديث ابن عمر المتفق عليه « بني الإسلام على خس : شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » . وهذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فرض الله الحج ، فلهذا ذكر الحمس : وأكثر الأحاديث لا يوجد فيها ذكر الحبح ، في حديث وف معد القيس « آمركم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الحمس » .

وحديث وفد عبد القيس من أشهر الأحاديث وأصحها . وفي بعض طرق البخاري لم يذكر الصيام ، لكن هو مذكور في كثير من طرقه ، وفي مسلم ، وهو أيضامذكور في حديث أبي سعيد الذي ذكر فيه قصة وفد عبد القيس رواه مسلم ، في صحيحه عنه ، واتفقا على حديث ابن عباس وفيه أنه أمرهم بإيتاء الخمس من المغم ؛ والخمس إنما فرض في غزوة بدر وشهر رمضان فرض قبل ذلك .

ووفد عبد القيس من خيار الوفد الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل فرض الحج ، وقد قبل قدموا سنة الوفود: سنة تسع، والصواب أنهم قدموا قبل ذلك ، فإنهم قالوا إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر \_ بعنون أهل نجد \_ وإنا لانصل إليك إلا في شهر حرام ، وسنة تسع كانت العرب قد ذلت وتركت الحرب ، وكانوا بين مسلم أو معاهد خائف ، لما فتح الله مكة ثم هزموا هوازن يوم حنين ، وإنما كانوا ينتظرون بإسلامهم فتح مكة ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أميراً على الحيج سنة تسع ، وأردفه بعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ؛ لتنفيذ العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين العرب ، إلا أنه أجلهم أربعة أشهر من حين حجة أبي بكر ، وكانت في ذي القعدة .

وقد قال تعالى: ( فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلأَشَّهُرُ الْخُرُمُ فَاقَنْلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ) الآية . وهذه الأربعة التي أجلوها الأربعة الحرم .

ولهذا غزا النبي صلى الله عليه وسلم النصارى بأرض الروم، عام تبوك سنة تسع ، قبل إرسال أبي بكر أميراً على الموسم ، وإنما أمكنه غزو النصاري لما اطمأن من جهة مشركي العرب، وعلم أنه لاخوف على الإسلام منهم؛ ولهذا لم يأذن لأحد ممن يصلح للقتال في التخلف · فلم يتخلف إلا منافق : أو الثلاثة الذين تيب عليهم ، أو معذور ، ولهذا لما استخلف عليا على المدينة عام تبوك طعن المنافقون فيه لضعف هذا الاستخلاف ، وقالوا : إنما خلفه لأنه يبغضه . فاتبعه على وهو يبكي ، فقال: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟! إلا أنه لانبي بعدي ». وكان قبل ذلك يستخلف على المدينة من يستخلفه ، وفيها رحال من أهل القتال ، وذلك لأنه لم يكن حينئذ بأرض العرب لابمكة ولا بنجه ونحوها من يقاتل أهل دار الإسلام ــ مكة والمدينة ، وغيرها ــ ولا يخيفهم : ثم لما رجع من تبوك أقر أبا بكر على الموسم، يقيم الحج والصلاة ، ويأمر ألَّا يحج بعد العام مشرك ، ولا بطوف بالبيت عريان ، وأنبعه بعلي لأجل نقض العهود ؛ إذ كانت عادة العرب أن لايقبلوا إلا من المطاع الكبير ، أو من رجل من أهل بيته .

و (المقصود): أن هذا ببين أن قدوم و فدعبد القيس كان قبل ذلك. و أما «حديث ضام» فرواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «نهينا أن نسأل رسول الله عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل بسأله و نحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد! أتامًا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق،

قال: فمن خلق الساء؟ قال: الله قال: فمن، خلق الأرض؟ قال: الله ، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله قال: فبالذي خلق الساء ، وخلق الأرض ، ونصب الجبال ، آلله أرسلك ؟! قال: نعم ، قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ، قال: صدق قال: فبالذي أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال: نعم قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ، قال: صدق ، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟! قال: نعم ، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً قال: صدق ، ثم ولى الرجل ، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ، قال: صدق ، ثم ولى الرجل ، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ، ولا أنقص منهن فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة ».

وعن أنس قال: «بينها نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ دخل رجل على جمل ، فأناخه في المسجد ثم عقله ؛ ثم قال لهم أيكم محمد ؟ \_ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم \_ فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ؟ فقال له الرجل: ابن عبد المطلب ؟ فقال له : النبي صلى الله عليه وسلم إنني النبي صلى الله عليه وسلم إنني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك ؛ فقال : سل عما بدالك؟ فقال : أسألك بربك ورب من قبلك ؟ آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم ، وذكر أنه سأله عن الصلاة والزكاة ؛ ولم يذكر الصيام والحج ، فقال : الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومي ؛ وأنا ضام فقال : الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومي ؛ وأنا ضام

ابن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر ». هـذان الطريقان فى الصحيحين ، لكن البخاري لم يذكر فى الأول الحج ؛ بل ذكر الصيام ؛ والسياق الأول أتم ؛ والناس يجعلون الحديثين حديثاً واحداً .

ويشبه \_ والله أعلم \_ أن يكون البخاري رأى أن ذكر الحج فيه وها لأن سعد بن أبي بكر : م من هوازن وم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوازن كانت معهم وقعة حنين بعد فتح مكة فأسلموا كلهم بعد الوقعة ودفع إليهم النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصيان بعد أن قسمها على المسكر ، واستطاب أنفسهم في ذلك ، فلا تكون هذه الزيارة إلا قبل فتح مكة والحج لم بكن فرض إذ ذاك .

وحديث طلحة بن عبيد الله ليس فيه إلا الصلاة والزكاة والصيام، وقد قيل : إنه حديث ضام، وهو في الصحيحين عن طلحة بن عبيد الله قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خمس صلوات في اليوم والليلة ، قال : هل علي غير ذلك ؟ قال : لا إلا أن تطوع. قال : وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة قال : هل علي غيرها ، قال : لا إلا أن تطوع قال ، فأد بر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ، ولا أنقص منه نقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق » وليس في شيء من فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق » وليس في شيء من

طرقه ذكر الحج ، بل فيه ذكر الصلاة والزكاة والصيام ، كما في حديث وف. د عبد القيس .

وفي الصحيحين أيضا «عن أبي هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ! دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنـــة ، فقــال تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هـــذا شيئًا أبداً ، ولا أنقص منه ، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظـر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » وهذا يحتمل أن يكون ضاما ، وقد جاء في بعض الأحاديث ذكر الصلاة والزكاة فقط ، كما في الصحيحين عن أبي أبوب الأنصاري « أن أعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ، ثم قال : يارسول الله ! أو يامحمد ! . أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال: فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ، ثم قال : لقد وفق أو لقد هدي ، ثم قال : كيف قلت ؟ قال: فأعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصل الرحم، فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تمسك بما أمر به ، دخل الجنة » هذه الألفاظ في مسلم .

وقد جاء ذكر الصلاة والصيام في حديث النعان بن قوقل رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: « سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً، أدخل الجنة؟ قال: نعم، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئاً ». وفي لفظ « أتى النبي صلى الله عليه وسلم النعان بن قوقل. وحديث النعمان هذاقد يم: فإن النعمان بن قوقل قتل قبل فتحمكة. قتله بعض بني سعد بن العاص، كما ثبت ذلك في الصحيح فهذه الأحاديث خرجت جوابا لسؤال سائلين.

أما حديث ابن عمر فإنه مبتدأ وأحاد بث الدعوة والقتال فيها الصلاة والزكاة كا في الصحيحين ، عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دماء هم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رواه مسلم عن جابر «قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماء هم وأموالهم إلا بحقها » . فقال أبو بكر : والله الأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال .

فكان من فقه أبى بكر أنه فهم من ذلك الحديث المختصر أن القتال على الزكاة قتال على حق المال ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم مراده بذلك في اللفظ المبسوط الذي رواه ابن عمر . والقرآن صريح فى موافقة حديث ابن عمر كما قال تعالى : ( فَإِن تَابُواْ وَأَقَا مُواالصَّكَوْةَ وَءَاتُواْ الرَّكَوْةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ) .

وحديث معاذ لما بعثه إلى اليمن لم يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا الصلاة والزكاة .

فلما كان في بعض الأحاديث ذكر بعض الأركان دون بعض أشكل ذلك على بعض الناس. فأجاب بعض الناس بأن سبب هذا أن الرواة اختصر بعضهم الحديث الذي رواه ؛ وليس الأمركذلك ؛ فإن هذا طعن في الرواة ، ونسبة لهم إلى الكذب ، إذ هذا الذي ذكره إنما يقع في الحديث الواحد مثل حديث وفد عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام ، وبعضهم لم يذكره ، وحديث ضام حيث ذكر بعضهم الحمين ، وبعضهم لم يذكره ، وحديث النعان بن قوقل حيث ذكر بعضهم فيه الصيام وبعضهم لم يذكره ، فبهذا بعلم أن أحد الراويين اختصر المعض أو غلط في الزيادة .

فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيها كذلك، لاسيما والأحاديث قد تواترت بكون الأجوبة كانت مختلفة وفيهما ما بين قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا نارة وبهذا نارة، والقرآن بصدق ذلك، فإن الله علق الأخوة الإيمانية في بعض الآيات بالصلاة والزكاة فقط كما في قوله تعالى: ( فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّكَوْةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوْةَ فَإِخُونُكُمْ فِي الدِينِ) كما أنه علق ترك القتال على ذلك في قوله تعالى: ( فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّكَوْةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوْةَ فَخَلُواْ سَيِيلَهُمْ ) وقد نقدم حديث ابن عمر الذي في الصحيحين موافقا لهذه الآية، و « أيضاً » وقد نقدم حديث ابن عمر الذي في الصحيحين موافقا لهذه الآية، و « أيضاً » فإن في حديث وفدعبد القيس ذكر خمس المغنم لأنهم كانوا طائفة ممتنعة بقاتلون فإن في حديث وفدعبد القيس ذكر خمس المغنم لأنهم كانوا طائفة ممتنعة بقاتلون

ومثل هذا لا بذكر جواب سؤال سائل بما يجب عليه في حق نفسه ، ولكن عن هذا « جوابان »:

(أحدها): أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب بحسب نزول الفرائض ، وأول مافرض الله الشهادتين ، ثم الصلاة ، فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي ؛ بل قد ثبت في الصحيح أن أول ما أزل عليه : ( اَقُرَأُ إِلَّسُورَيِكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ أَلِانسَنَ مَالَاَيهُمْ ) ثم أزل عليه بعد ذلك ( يَتَأَيُّهُ المُدَيِّرُ \* قُرِّفاً نَذِر ) فهذا الخطاب إرسال له إلى الناس عليه بعد ذلك ( يَتَأَيُّهُ المُدَيِّرُ \* قُرِّفاً نَذِر ) فهذا الخطاب إرسال له إلى الناس والإرسال بعد الإنباء ؛ فإن الخطاب الأول ليس فيه إرسال ، وآخر سورة اقرأ ( وَاسَجُدُواَقَرَب ) . فأول السورة أمر بالقراءة ، وآخرها أمر بالسجود ، والصلاة مؤلفة من أقوال وأعمال ، فأفضل أقوالها القراءة ، وأفضل أعمالها والسجود والقراءة أول أقوالها المقصودة ، وما بعده تبع له .

وقد روى أن الصلاة أول مافرضت كانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم فرضت الخمس ليلة المعراج ، وكانت ركعتين ركعتين ؛ فلما هاجر أقرت صلاة السفر ؛ وزيد في صلاة الحضر ، وكانت الصلاة تكمل شيئاً بعد شيء ، فكانوا أولاً بتكلمون في الصلاة ولم يكن فيها نشهد ، ثم أمروا بالتشهد ؛ وحرم عليهم الكلام ؛ وكذلك لم يكن بمكة لهم أذان ، وإنما شرع الأذان بالمدينة بعد الهجرة ؛ وكذلك صلاة الجمعة ، والعيد ؛ والكسوف ؛ والاستسقاء ، وقيام رمضان ، وغير ذلك . إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة .

وأمروا بالزكاة ؛ والإحسان في مكة أيضاً ؛ ولكن فرائض الزكاة ونصبها إنما شرعت بالمدينة .

وأما « صوم شهر رمضان » فهو إنما فرض فى السنة الثانية من الهجرة ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات .

وأما « الحج » فقد تنازع الناس في وجوبه ؛ فقالت طائفة فرض سنة ست من الهجرة عام الحديبية باتفاق الناس ، قالوا : وهذه الآية تدل على وجوب الحج ووجوب العمرة أيضاً لأن الأمر بالإتمام يتضمن الأمر بابتداء الفعل وإتمامه. وقال الأكثرون: إنما وجب الحج متأخراً.قيل سنة نسع ؛ وقيل سنة عشر ، وهذا هو الصحيح ؛ فإن آية الإنجاب إنما هي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِبُّ الْبَيْتِ ) وهذه الآبة في آل عمران في سياق مخاطبته لأهل الكتاب، وصدر آل عمران، وما فيها من مخاطبة أهل الكتاب نزل لما قدم على الني صلى الله عليه وسلم وفد نجران النصارى ، وناظروه في أمر المسيح ؛ وهم أول من أدى الجزية من أهل الكتاب ، وكان ذلك بعد إزال سورة براءة التي شرعفيها الجزية ، وأمر فيها بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وم صاغرون ، وغزا النبي صلى الله وعليه وسلم غزوة تبوك التي غزا فيها النصاري لما امرالله بذلك في قوله: ( قَانِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَاكَرَمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعُطُواْ

الَجِزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمُ صَاغِزُونَ ) ولهذا لم يذكر وجوب الحبج في عامة الأحاديث وإنما حاء في الأحاديث المتأخرة.

وقد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس، وكان قدومهم قبل فتح مكة على الصحيح كا قد بيناه، وقالوا: يارسول الله! إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر بعنون بذلك أهل نجد: من تميم وأسد وغطفان لأنهم بين البحرين وبين المدينة، وعبد القيس هم من ربيعة ليسوا من مضر، ولما فتحت مكة زال هذا الخوف، ولما قدم عليه وفد عبد القيس أمر هم بالصلاة، والزكاة؛ وصيام رمضان؛ وخمس المغنم؛ ولم يأمر هم بالحج، وحديث ضام قد تقدم أن البخارى لم يذكر فيه الحج كما لم يذكره في حديث طلحة وأبي هريرة وغيرها مع قولهم: إن هذه الأحاديث هي من قصة ضام، وهذا ممكن؛ مع أن تاريخ قدوم ضمام هذا ليس متيقناً.

وأما قوله: ( وَأَتِمُواْ الْحَجَّ وَالْمُهْرَةَ لِلّهِ ) فليس في هذه الآبة إلا الأمر بذلك لما بإيمام ذلك وذلك يوجب إيمام ذلك على من دخل فيه ، فنزل الأمر بذلك لما أحرموا بالعمرة عام الحديبية ، ثم أحصروا فأمروا بالاتمام ، وبين لهم حكم الإحصار ، ولم يكن حيننذ قد وجب عليهم لاعمرة ولا حج .

( الجواب الثانى ): أنه كان يذكر فى كل مقام ما يناسبه ، فيذكر تارة الفرائض الظاهرة ، التى تقاتل على تركها الطائفة الممتنعة كالصلاة والزكاة ٠

ويذكر تارة ما يجب على السائل ، فمن أجابه بالصلاة والصيام لم يكن عليه زكاة يؤديها ، ومن أجابه بالصلاة والزكاة والصيام : فإما أن يكون قبل فرض الحج، وهذا هو الواجب في مثل حديث عبد القيس ونحوه ، وإما أن يكون السائل ممن لا حج عليه .

وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما؛ لأنهما عبادتان؛ بخلاف الصوم فإنه أمر باطن وهو مما اؤتمن عليه الناس، فهو من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد؛ فإن الإنسان يمكنه ألا ينوي الصوم وأن يأكل سرا كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته، وأما الصلاة والزكاة فأمر ظاهر لا يمكن الإنسان بين المؤمنين أن يمتنع من ذلك.

وهو صلى الله عليه وسلم يذكر فى الإسلام الأعمال الظاهرة التى يقاتل عليها الناس، ويصيرون مسلمين بفعلها ؛ فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصيام، وإن كان الصوم واجباً كها فى آبتى براءة، فإن براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس. وكذلك لما بعث معاذ بن جبل إلى البمن قال له : «إنك تأتى قوماً أهل كتاب ؛ فليكن أول ما تدعوم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، فإن م أجابوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خسس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن م أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائههم ؛ فإن م أطاعوك لذلك ،

فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرحاه في الصحيحين.

ومعاذ أرسله إلى اليمن فى آخر الأمر، بعد فرض الصيام؛ بل بعد فتح مكة ، بل بعد تبوك ، وبعد فرض الحج والجزية ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم مات ومعاذ باليمن ، وإنما قدم المدينة بعد موته ؛ ولم يذكر فى هذا الحديث الصيام ، لأنه تبع وهو باطن ، ولا ذكر الحج ؛ لأن وجوبه خاص ليس بعام ، وهو لا يجب فى العمر إلا مرة .

ولهذا تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئًا من هذه « الفرائض الأربع » بعد الإقرار بوجوبها ؛ فأما « الشهادتان » إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين ، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأعتها ، وجماهير علمائها ، وذهبت طائفة من المرجئة ، وهم جهمية المرجئة : كجهم ، والصالحي وأتباعهما ، إلى أنه إذا كان مصدقاً بقلبه كان كافراً في الظاهر دون الباطن ، وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول ، وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الأمّة ، وقد تقدم أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر ؛ بل وغيره ، وأن وجود الإيمان الباطن تصديقاً وحباً ، وانقياداً بدون الإقرار الظاهر متنع .

وأما « الفرائض الأربع » فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة

فهوكافر ، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها كالفواحش والظلم والكذب والحخر ونحو ذلك ، وأما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بإلاسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك ، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الحر ، كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر . وأمثال ذلك ، فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم ، فإن أصروا كفروا حينئذ ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك ؛ كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة بن مظعون . وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل .

وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئًا من هـذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء هي روايات عن أحمد :

(أحدها)؛ أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج، وإن كان فى جواز تأخيره نزاع بين العلماء، فمتى عزم على تركه بالكلية كفر، وهذا قول طائفة من السلف، وهي إحدى الروايات عن أحمد اختارها أبو بكر،

و (الثاني): أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب، وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وهو إحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره.

و (الثالث) لايكفر إلا بترك الصلاة ، وهي الرواية الثالثة عن أحمد ، وقول كثير من السلف، وطائفة من أصحاب مالك ، والشافعي ، وطائفة من أصحاب أحمد .

و (الرابع): يكفر بتركها ، وترك الزكاة فقط .

و (الخامس): بتركها، وترك الزكاة إذا قائــل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج. وهذه المسألة لها طرفان.

(أحدهما) في إثبات الكفر الظاهر.

و (الثاني) في إثبات الكفر الباطن.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرها ، في الحديث الطويل ، حديث التجلي « أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة ، سجد له المؤمنون وبقي ظهر من كان يسجد في الدنيارياء وسمعة ، مثل الطبق لا يستطيع السجود » فإذا كان هذا حال من سجد رياء فكيف حال من لم يسجد قط ؟! وثبت أبضاً في الصحيح « أن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا موضع السجود ، فإن الله حرم على النار أن تأكله » فعلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله الناركله ، وكذلك ثبت في الصحيح « أن النبي صلى الله وسلم يعرف أمته يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء » فدل ذلك على أن من لم يكن غراً محجلاً لم يعرف ه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يكون من أمته .

وقوله نعالى: ( كُلُواْ وَتَمَنَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُمُ مُّرِمُونَ \* وَيْلُّ يُوْمَيِذِ لِلْمُكَذِبِينَ ) وقوله نعالى: ( فَمَا هُوَ إِذَا قِيلَ هُمُّ أَرَكُعُواْ لَا يَرَكَعُونَ \* وَيْلُ يُومَيِذِ لِلْمُكَذِبِينَ ) وقوله تعالى: ( فَمَا هُمُّ لَا يُؤمِنُونَ \* وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسَمُّدُونَ ﴿ بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِبُونَ \* وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسَمُّدُونَ ﴿ وَلِمَا لَوْعُونَ كَا مُولِهُ تعالى: ( فَلاَصَدَقَ وَلَاصَلَى \* وَلَا يَكُنُ وَلَا عَلَى \* وَلَا يَكُنُ وَلَا عَلَى \* وَلَا يَكُنُ وَسَقَرَ \* قَالُوا لَوَنَكُ فَي كُنَا فَكُونُ مِنَ اللهُ عَوله تعالى: ( مَاسَلَكُمُ وَفِسَقَرَ \* قَالُوا لَوَنَكُ فَي كَا يَكُنُ وَلَا عَلَى \* وَكَذَلك قوله تعالى: ( مَاسَلَكُمُ وَفِسَقَرَ \* قَالُوا لَوَنَكُ فَي مَا يُولِي وَلِهُ تعالى: ( مَاسَلَكُمُ وَفِسَقَرَ \* قَالُوا لَوَنَكُ فَي مَا يُولِي وَلَا تعالى: ( مَاسَلَكُمُ وَفِسَقَرَ \* وَكُنَا فَكُونُ مَنَ الْخَالِي وَلِهُ تعالى فَو صَفْه بَرِكُ الصَلاة ، كَا وصفه بترك التصديق ، التي ي خَتَى النَّهُ وَلَي وَلَا اللهُ عَلَي اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ

تعالى: ( سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولِى بَأْسِ شَدِيدٍ نُقَائِلُونَهُمْ أَوْيُسُلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَللَّهُ أَللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمْ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّهُ عَلَّا عَلَّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَّا عَلّ

وكذلك وصف اهل سقر بأنهم لم يكونوا من المصلين ، وكذلك قرن التكذيب بالتولي في قوله : ( أَرَّ يَتَ الَّذِي يَنْهَىٰ \* عَبْدًا إِذَاصَلَىٰ \* أَرَّ يَتَ إِنَ كَانَ عَلَىٰ لَمُدَىٰ \* الْتَكذيب بالتولي في قوله : ( أَرَّ يُتَ الَّذِي يَنْهَىٰ \* عَبْدًا إِذَاصَلَىٰ \* أَرَ يَتَ إِن كَانَ عَلَىٰ لَمُ لَا يَنْ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

و«أبضاً »فى القرآن علق الأخوة فى الدين على نفس إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، كما على ذلك على التوبة من الكفر ، فإذا انتفى ذلك انتفت الأخوة ، و «أبضاً » فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » . وفي المسند « من ترك الصلاة متعمداً فقد رئت منه الذمة » .

و «أيضاً » فإن شعار المسلمين الصلاة ولهذا يعبر عنهم بها فيقال: اختلف أهل الصلاة ، واختلف أهل القبلة ، والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون: «مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين «وفي الصحيح « من صلى صلاتنا ؛ واستقبل قبلتنا ؛ وأكل ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم له مالنا ؛ وعليه ماعلينا » وأمثال هذه النصوص كثيرة في الكتاب والسنة .

وأما الذين لم يكفروابترك الصلاة ونحوها ؛ فليست لهم حجة إلا وهي

متناولة للجاحد كتناولها للتارك ، هما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابا لهم عن التارك ؛ مع أن النصوص علقت الكفر بالتولي كما تقدم ؛ وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التي يحتج بها المرجئة كقوله « من شهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريمور وحمنه ... أدخله الله الجنة » ونحو ذلك من النصوص .

وأجود ما اعتمدوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة . فمن حافظ عليهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد ، إن شاء عذبه . وإن شاء أدخله الجنة » . قالوا : فقد جعل غير المحافظ تحت المشيئة . والكافر لايكون تحت المشيئة ولا دلالة في هذا؛ فإن الوعد بالمحافظة عليها ، والمحافظة فعلها في أوقاتها كما أمر ، كما قال تعالى : ( كَيْظُواْ عَلَى الصَّكَوَتِ وَالصَّكَوْةِ الْوُسْطَى ) وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت ، كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت ، كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الحندق ، فأنزل الله آية الأمر بالمحافظة عليها وعلى غيرها من الصلوات .

وقد قال تعالى: ( فَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفُ أَضَاعُواْ الصَّلَوْةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهُوَتِّ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) فقيل لابن مسعود وغيره: ما إضاعتها ؟ فقال: تأخيرها عن وقتها ، فقال: لو تركوها لكانوا كفاراً . وكذلك قوله: ( فَوَيْلُ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ )

ذمهم مع أنهم يصلون ؛ لأنهم سهوا عن حقوقها الواجبة من فعلها في الوقت وإتمام أفعالها المفروضة ، كما ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمسحى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لابذكر الله فيها إلاقليلاً» فعل هذه صلاة المنافقين لكونه أخرها عن الوقت ونقرها .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر الأمراء بعده الذين يفعلون ما ينكر؛ وقالوا: يارسول الله! أفلا نقاتلهم! قال: «لا ما صلوا » وثبت عنه أنه قال: «سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة » فنهى عن قتالهم، إذا صلوا وكان في ذلك دلالة على أنهم إذا لم يصلوا قوتلوا، وبين أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها، وذلك ترك المحافظة عليها لاتركها.

وإذا عرف الفرق بين الأمرين ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ، إغما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها ، لا من ترك ، و نفس المحافظة يقتضى أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها ، ولا يتناول من لم يحافظ ، فإنه لو تناول ذلك قتلوا كفاراً مرتدين بلا ربب ، ولا يتصور فى العادة أن رجلاً يكون مؤمناً بقلبه ، مقراً بأن الله أوجب عليه الصلاة ، ملتزماً لشريعة النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع ، حتى يقتل ، ويكون مع ذلك مؤمناً في الباطن قط لايكون إلا كافراً ، ولو قال أنا مقر بوجوبها غير أني لا أفعلها في الباطن قط لايكون إلا كافراً ، ولو قال أنا مقر بوجوبها غير أني لا أفعلها

كان هذا القول مع هذه الحال كذبا منه كما لو أخذ يلقي المصحف في الحش ويقول: أشهد أن مافيه كلام الله ، أو جعل يقتل نبياً من الأنبياء ، ويقول أشهد أنه رسول الله ونحو ذلك من الأفعال التي تنافى إيمان القلب ، فإذا قال أنا مؤمن بقلبي مع هذه الحال كان كاذبا فيما أظهره من القول .

فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في « مسألة الإيمان »، وأن الأعمال ليست من الإيمان وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع، سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان، أو جزءا من الإيمان كما تقدم بيانه.

وحينئذ فإذا كان العبد يفعل بعض المأمورات، ويترك بعضها ،كان معه من الإيمان بحسب ما فعله، والإيمان يزيد وينقص، ويجتمع في العبد إيمان ونفاق. كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: « أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وبهذا تزول الشبهة في هذا الباب، فإن كثيراً من الناس؛ بل أكثرهم، في كثير من الأمصار لا بكونون محافظين على الصلوات الحمس، ولا هم تاركوها بالجملة بل يصلون أحياناً ، وبدعون أحياناً ، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق ، وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة في المواريث ونحوها من الأحكام ؛ فإن هذه الأحكام إذا جرت على المنافق المحض \_ كابن أبي وأمث اله من المنافقين \_ ف لأن تجري على هؤلاء أولى وأحرى .

وبيان «هذا الموضع » مما يزيل الشبهة : فإن كثيراً من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر ، فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة ، فلايرث ولا يورث ، ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل ، من أهل البدع ، وليس الأمر كذلك ؛ فإنه قد ثبت أن الناس كانوا «ثلاثة أصناف » : مؤمن ؛ وكافر مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر. وكان في المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون في نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه \_ - كابن أبي وأمثاله \_ ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون ، وكان إذا مات لهم ميت آتوم ميراثه وكانت تعصم عماؤه ، حتى تقوم السنة الشرعية على أحدم بما يوجب عقوبته .

ولما خرجت الحرورية على على بن أبى طالب رضي الله عنه ،واعتزلوا جماعة المسلمين قال لهم : إن لكم علينا ألا غنعكم المساجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من النيء فلما استحلوا قتل المسلمين وأخذ أموالهم قاتلهم بأمر النبي صلى الله عليه

وسلم حيث قال: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قرائتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة».

فكانت الحرورية قد ثبت قتالهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ واتفاق أصحابه ولم يكن قتالهم قتال فتنة كالقتال الذي جرى بين فئتين عظيمتين فى المسلمين؛ بل قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أنه قال للحسن ابنه: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وقال في الحديث الصحيح : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فتقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق فدل بهذا على أن مافعله الحسن من ترك القتال إما () واجباً أو مستحبا لم يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم على ترك واجب أو مستحب ودل الحديث الآخر على أن الذين قاتلو االخوارج على ترك واجب أو مستحب ودل الحديث الآخر على أن الذين قاتلو االخوارج وه علي وأصحابه كان أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ؛ وأن قتال الخوارج أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ليس قتالهم كالقتال فى الجل وصفين الذي ليس فيه أمر من النبي .

و (المقصود) أن علي بن أبى طالب وغيره من أصحابه لم يحكموا بكفرهم ولا قاتلوهم حتى بدؤوهم بالقتال. والعلماء قد تنازعوا فى تكفير أهل البدع والأهواء وتخليدهم فى النار، وما من الأئمة إلا من حُكى عنه في ذلك «قولان »

<sup>(</sup>١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب [ لو كان ]

كالك والشافعي وأحمد وغيرهم وصار بعض أتباعهم يحكى هذا النزاع في جميع أهل البدع ؛ وفي تخليدهم، حتى التزم تخليدهم كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه، وفي هذا من الخطأ ما لا يحصى ؛ وقابله بعضهم فصار يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء ؛ وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد.

والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم ، ولا يرى في الآخرة ؛ ولكن قد يخفي على بعض الناس أنــه كفر ، فيطلق القول بتكفير القائل ؛ كما قال السلف من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم ، كمن جحد وجوب الصلاة . والزكاة ، واستحل الخر؛ والزنا وتأول. فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه ، فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره ، إلا بعد البيان له واستتابته \_ كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر \_ ففي غير ذلك أولى وأحرى ، وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح. « في الذي قال: إذا أنامت فأحرقوني ، ثم اسحقوني في اليم ، فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذاباً ماعذبه أحداً من العالمين » وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه ، وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع.

فإن قيل: فالله قد أمر بجهاد الكفار والمنافقين في آيتين من القرآن فإذا كان المنافق تجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فكيف يمكن مجاهدته.

قيل ما يستقر في القلب من إيمان ونفاق ، لابد أن يظهر موجبه في القول والعمل ، كما قال بعض السلف: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه ، وفلتات لسانه ، وقد قال تعالى في حق المنافقين : ﴿ وَلَوْنَشَآءُ لَأَرْيْنَكُهُمْ فَلَعَرَفْنَهُم بِسِيمَهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِ لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ). فإذا أَظهر المنافق من ترك الواجبات، وفعل المحرمات مايستحق عليه العقوبة، عوقب على الظاهر، ولا يعاقب على مايعلم من باطنه ، بلا حجة ظاهرة ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من المنافقين ، من عرفه الله بهم ، وكانوا يحلفون له وهم كاذبون؛ وكان يقبل علانيتهم ، ويكل سرارهم إلى الله . وأساس النفاق الذي بني عليه أن المنافق لابد أن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق ؛ قال تعالى : ( ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيكُ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ). وقال: ﴿ وَأَللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾ . وأمثال هذا كثر. وقال تعالى: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَثُمَّ لَمْ يَرْتَ ابُواْ وَجَنهَ دُواْ بِأُمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أُولَيَكِكُ هُمُ ٱلصَّدِقُوبَ ) وقال: ( لَّيْسَ ٱلْبِرَّأَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ \_ إلى قوله \_ أُوْلَيْهِكَ الَّذِينَ صَدَقُواً ۖ وَأُولَيْنِكَ هُمُ ٱلْمُنَّقُونَ ) .

و « بالجملة » فأصل هذه المسائل أن تعلم أن الكفر « نوعان » : كفرظاهر،

وكفر نفاق، فإذا تكلم في أحكام الآخرة ،كان حكم المنافق حكم الكفار، وأما في أحكام الدنيا، فقد تجري على المنافق أحكام المسلمين.

وقد نبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل ، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجباً ظاهراً ، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا غير ذلك من الواجبات ، لالأجل أن الله أوجبها ، مثل أن يؤدي الأمانة أو يصدق الحديث ، أو يعدل في قسمه وحكمه ، من غير إيمان بالله ورسوله ، لم يخرج بذلك من الكفر ، فإن المشركين ، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور ، فلا يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله مع عدم يرون وجوب هذه التي يختص بإيجابها محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن قال: بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات، سواء جعل فعل تلك الواجبات لازماله؛ أو جزءاً منه، فهذا نزاع لفظي، كان مخطئاً خطئاً بيناً، وهذه بدعة الإرجاء، التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ماهو معروف، والصلاة هي أعظمها وأعمها وأولها وأجلها.

#### فمسل

وأما «الإحسان» فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قد قيل: إن الإحسان هو الإخلاص، والتحقيق: أن الإحسان بتناول الإخلاص وغيره، والإحسان يجمع كال الإخلاص لله، ويجمع الإنيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى: ( بَينَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ وَلِلْهَ وَهُو مُحُسِنٌ فَلَهُ وَأَجُوهُ وَمُحَسِنٌ وَقَالَ تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ فَلَهُ وَأَجُوهُ وَمُحَسِنٌ وَقَالَ تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ وَلَهُ وَهُو مُحَسِنٌ وَلَاهُمْ يَعْزَنُونَ ) وقال تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ وَينَا مِّمَ وَلَا فَهُ وَلَا عَلَى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ وَينَا مِمَّ وَجُهَهُ وَلَا فَعَلَى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ وَلَتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَهِيمَ حَنِيفاً وَأَتَّخَذَ اللهَ وَإِبْرَهِيمَ وَلا مُ مَن أَمْ وَكُولُونُ وَلَا تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ أَسْلَمَ وَجُهَهُ وَلَا يَعْلَى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ أَسِلَمُ وَجُهَهُ وَلَا يَعْلَى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ أَسِلَمَ وَجُهَهُ وَلَهُ وَهُو مُحْسِنُ وَاتَّبَعَ مِلَّةً وَالْتَعْلَ وَاللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ اللهُ وَاللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَاللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَاللهُ وَلَا عَلَى اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلا اللهُ وَلَا اللهُ وَلا اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلا اللهُ وَلَا اللهُ وَلا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلا اللهُ وَلا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلِي اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلِهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ

<sup>(</sup>١) آخر ما وجد في الاصل

## وقال شيخ الإسلام رحمه الله:

#### فعـــــــل

قد ذكرت فيا تقدم من القواعد: أن « الإسلام » الذي هو دين الله الذي أزل به كتبه ؛ وأرسل به رسله؛ وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين ؛ فيستسلم لله وحده لاشريك له ويكون سالماً له بحيث يكون متألها له غير متأله لما سواه كا بينته أفضل الكلام ورأس الإسلام: وهوشهادة أن لا إله إلا الله ولهضدان: الكبر والشرك ولهذا روى أن نوحا عليه السلام أمر بنيه بلا إله إلا الله ، وسبحان الله ونهام عن الكبر والشرك ، في حديث قد ذكرته في غير هذا الموضع فإن المستكبر عن عبادة الله لا يعبده ولعبدغيره فإن المستكبر عن عبادة الله لا يعبده فلا يكون مستسلماً له والذي يعبده ويعبدغيره يكون مشركا به فلا يكون سالماً له ، بل يكون له فيه شرك .

ولفظ « الإسلام » بتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص ، وقد علم أن الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك كما قال تعالى : ( يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيتُونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ) وقال موسى : ( إِن كُنْتُمْ ءَامَنهُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تُوكَّلُوا اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَهُو مُحْسِنٌ فَاللَهُ وَهُو مُحْسِنٌ فَاللَهُ وَاللَّهُ وَهُو مُحْسِنٌ فَاللَهُ وَأَمْرُهُ وَعِندَ إِن كُنْهُمْ مُسْلِمِينَ ) وقال تعالى : ( بَاللَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ولِللَهِ وَهُو مُحْسِنٌ فَاللهُ وَأَمْرُهُ وَعِندَ اللهِ وَهُو مُحْسِنٌ فَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ عَلَيْهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ ولَا لَهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ و

رَبِّهِ) وقال الخليل لما قال له ربه: (أَسْلِمُّ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَكَمِينَ \* وَوَضَىٰ بِهَ آ إِنْرَهِ عُمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ \_ أَيضاً وصى بها بنيه \_ يَبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ) وقال يوسف: ( تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ) ونظائره كثيرة.

وعلم أن إبراهيم الخليل هو إمام الحنفاء المسلمين بعده كما جعله أمة وإماماً ، وجاءت الرسل من ذريته بذلك ، فابتدعت اليهود والنصاري ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به وهو الإسلام العام، ولهـــذا أمرنا أن نقول: ( ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ) وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليهود مغضوب عليهم والنصاري ضالون » وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها أحد ضديه ، فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك، والنصاري يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر. وقد بين الله ذلك في كتابه فقال في اليهود: ( وَإِذْ أَخَذْ نَامِيثَنَى بَنِي إِسْرَءِ بِلَ لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ). وهذا هو أصل الإسلام. إلى قوله: ( وَءَاتَيْنَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَــِيّنَاتِ وَأَيَّدُنَكُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لَا نَهُوكَ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكُبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا نُقُنُكُونَ ).

وهذا اللفظ الذي هو لفظ الاستفهام؛ هو إنكار لذلك عليهم. وذم لهم عليه ، وإنما يذمون على ما فعلوه ، فعلم أنهم كانوا كلما جاءهمرسول بما لا تهوى

أنفسهم استكبروا، فيقتلون فريقاً من الأنبياء ويكذبون فريقاً؛ وهذا حال المستكبر الذي لا يقبل ما لايهواه؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد فسر الكبر في الحديث الصحيح بأنه بطر الحق وغمط الناس، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود. قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لايدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قلبه مثقال ذرة من أبو بدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: يا رسول الله! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً أفن الكبر بطر أفن الكبر بطر الحق وغمط الناس احتقاره وازدراؤه.

وكذلك ذكر الله « الكبر » في قوله بعد أن قال : (وَكَتَبْنَالُهُ فِي الْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءٍ) إلى أن قال : ( سَأَصَرِفُ عَنْ الْذِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وقد وصفهم الله بالشرك الذي ابتدعوه ، كما وصف اليهود بالكر الذي هووه ، فقال تعالى: ( ٱتَّفَكُذُوۤ الَّحْبَارَهُمْ وَرُهْبَكُنَهُمْ أَرْبَكَابًامِّن دُونِ اللّهِ

وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَهُ وَمَآ أُمِرُوٓ الْإِلَّالِيَعْبُ دُوٓ الْإِلَىٰهَا وَحِدًا ۖ لَّا إِلَىٰهَ إِلَّاهُوَّ سُبْحَننَهُ عَكَمَّا يُشْرِكُونَ) وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يُعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَىهَ يْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَننَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ) إلى قوله: (أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) الآية ، وقد ذكر الله قولهم إن الله هو المسيح بن مريم ،وإن الله ثالث ثلاثة ، وقولهم: اتخذ الله ولداً ؛ في مواضع من كتابه ، وبين عظيم فريتهم وشتمهم لله ، وقولهم « الإد » الذي: ( تَكَادُ ٱلسَّمَوَاتُ يَنَفَظَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ) ولهذا يدعوهم في غير موضع إلى ألا بعبدوا إلا إلها واحداً ، كقوله: (يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَاتَغْلُواْفِي دِينِكُمْ وَلَاتَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ) إلى قوله: ( وَلَاتَقُولُواْ ثَلَاثَةٌ ٱلنَّهُواْ خَيْرًا لَّكُمُ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحِدُّ سُبْحَنَهُ وَأَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) إلى قوله ( لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًالِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَيْحَةُ ٱلْفُرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكَبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ) وهذا لأن المشركين بمخلوق من البشر أو غيره ،بصيرون م مشركون. وبصير الذي أشركوا به من الإنس والجن مستكبراً، كَمْ قَال: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِينِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ) فأخبر الله أن عباده لا يستكبرون عن عبادته وإن أشرك بهم المشركون . وكذلك قال تعالى: (لَّقَدْكَفَرَالَّذِينَ قَالُوٓ أَإِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَامِنْ إِلَهِ إِلَّآ إِلَا أُوَادِثُ ) إلى قوله: (مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ وَصِدِّيقَةٌ) الآية ، وقال تعالى : ( لَقَدْكَفَرَا لَذِينَ قَالُوٓاْ إِنَ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَّ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنْبَنِي إِسْرَةِ مِلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمُّ إِنَّهُ وَمَن يُشْرِق بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

ٱلْجَنَّةَ ) فأخبر أنه أمرهم بالتوحيد ونهـــاهم عن أن يشركوا به ، أو بغيره كما فعــلوه .

ولما كان أصل دين اليهود الكبر عاقبهم بالذلة: ﴿ ضُرِيَتُ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُواً). ولما كان أصل دين النصاري الإشراك لتعديد الطرق إلى الله أضلهم عنه ؛ فعوقب كل من الأمتين على ما اجترمه بنقيض قصده ( وَمَارَبُّكَ بِظَلَّهِ لِّلْعَبِيدِ). كما حاء في الحديث: « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس بأرجلهم » . وكما في الحديث عن عمر بن الخطـــاب موقوفاً ومرفوعاً : « ما من أحد إلا في رأسه حكمة فإن تواضع قيل له : انتعش نعشك الله ، وإن رفع رأسه قيل له: انتكس نكسك الله » . وقال سبحانه وتعالى: ( إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسَنَّكُ بُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْ خُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ) وقال تعالى : ( بَلَىٰ قَدْ جَآءَ تُكَ ءَايَـتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكُبُرْتَ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْكَـفِرِينَ \* وَبَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ٱلْيَسَ فِي جَهَنَّهَ مَثُوى لِلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَيُنَجِّى أَللَّهُ ٱلَّذِينَ أَتَّقُواْ بِمَفَازَتِهِمْ ).

ولهذا استوجبوا الغضب والمقت . والنصارى لما دخلوا فى البدع : أضلهم عن سبيل الله ، فضلوا عن سبيل الله وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وهم إنما ابتدعوها ليتقربوا بها إليه ويعبدوه ، فأبعدتهم عنه وأضلتهم عنهوصاروا يعبدون غيره .

فتدبر هذا والله نعالى بهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم والضالين .

وقد وصف بعض اليهود بالشرك، فيقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُـزَيْرٌ أَبْنُ أُللَّهِ ) وفي قوله: ( قُلْ هَلْ أُنَيِّنَكُم بِشَرِّمِن ذَاكِ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّغُوتَ ) ففي اليهود من عبد الأصنام، وعبد البشر؛ وذلك أن المستكبر عن الحق يبتلي بالانقياد للباطل، فيكون المستكبر مشركا ، كما ذكر الله عن فرعون وقومه : أنهم كانوا مع استكبارهم وجحودهم مشركين ، فقال عن مؤمن آل فرعون : (وَيَنقَوْمِ مَالِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوْةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ عَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمُ وَأَنَاْ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَارِ \* لَاجَرَهَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ, دَعُوةٌ فِي ٱلدُّنِّيَ وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ ) . وقال : ( وَلَقَدْ جَآءَ كُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَاتِ ) الآية . وقال يوسف الصديق لهم: ( يَصَلَحِبَي ٱلسِّجْنِءَ أَرْبَابُ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَحِدُ ٱلْقَهَّارُ \* مَاتَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْ تُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَ آؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ يَهَامِن سُلْطَنِ ۚ إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعَبُدُوۤ أَ إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيْتُمُ وَلَٰكِنَّ أَكُتُرُ ٱلتَّاسِ لَايَعْلَمُونِ ) وقد قال تعالى : ( وَقَالَ ٱلْمَلَأُمُن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُمُوسَى وَقَوْمَهُ ولِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَ تَكَ قَالَ سَنُقَيِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْي ينسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَالِهِرُونَ ).

فإن قيل : كيف يكون قوم فرعون مشركين ؟ وقد أخبر الله عن فرعون

أنه جعد الخالق فقال: (وَمَارَبُّ الْعَلَمِينَ) وقال: (مَاعَلِمْتُ لَكُمُ مِّنَ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَلَمْتُ لَكُمُ مِّنَ اللَّهِ عَلَمْتُ لَكُمُ مَّنَ اللَّهُ عَلَى ) وقال عن قومه: (فَلَمَّا جَاءَتُهُمْ عَايَنُنَا مُبْصِرَةً فَلَرِّعِ ) وقال عن قومه: (فَلَمَّا جَاءَتُهُمْ عَايَنُنَا مُبْصِرَةً فَلَوْاهَ لَا يَعْدَا اللَّهُ وَجَعَدُوا بِهَا وَالسَّيْقَنَتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا ) والإشراك فَالْوَاهَدَ الله عَلَمُ الله و إلا فالحاحد له لم يشرك به.

قيل: لم يذكر الله جحود الصانع إلا عن فرعون موسى ، وأما الذين كانوا في زمن يوسف فالقرآن بدل على أنهم كانوا مقرين بالله ، وهم مشركون به ، ولهذا كان خطاب يوسف للملك وللعزيز ولهم : يتضمن الإقرار بوجود الصانع كقوله : ( ءَأَرَبَابُ مُتَفَرِقُونَ خَيْرًا أَمِ اللهُ الوَحِدُ الْقَهَادُ ) ( اَرْجِعً إِنَى الصانع كقوله : ( ءَأَرَبَابُ مُتَفَرِقُونَ خَيْرًا أَمِ اللهُ الوَحِدُ الْقَهَادُ ) ( اَرْجِعً إِنَى رَبِّكَ فَشَعُلُهُ مَا بَالُ النِسَوةِ ) إلى قوله ( إِنَّ رَقِ بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ ) ( وَأَنَّ اللهَ لاَيهَدِي كَيْدَا لَخَابِينِينَ ) إلى قوله : ( إِنَّ النَّفْسَ لأَمَارَةُ إِلللهُ وَإِلَّا مَارَحِمَ رَقِبً إِنَّ رَقِيعَ عَفُورٌ لَي كَيْدَا لَهُ إِنَّ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ عَلَيْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ اللهُ عَلَيْ اللهُ مِنْ الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ الذين بعث إليهم يوسف كانوا يقرون بالله .

ولهذا كان إخوة يوسف يخاطبونه قبل أن يعرفوا أنه يوسف ويظنونه من آل فرعون بخطاب يقتضى الإقرار بالصانع كقولهم: ( تَأَللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُه مَّاجِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّاسَرِقِينَ ) وقال لهم : ( أَنتُهُ شَرُّمُ صَاكَنَا فَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) وقال : ( مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأُخُذَ إِلّا مَن وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِندَهُ ) وقالوا له : تَصِفُونَ ) وقال : ( مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأُخُذَ إِلّا مَن وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِندَهُ ) وقالوا له :

(يَتَأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَاوَأَهْلَنَاٱلظُّرُ وَجِعْنَا بِبِضَعَةِ مُّزْجَنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلُ وَتَصَدَّقُ عَلَيْنَا أَلَا اللّهَ عَلَيْنَا أَلَا اللّهَ عَلَيْنَا أَلَا اللّهَ عَلَيْنَا أَلَا اللّهَ عَلَيْهُ مَا فَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا عَلَيْهُ مَا قَدَمُوا إَكُرِ اماً عظيا مع علمه بدينهم، واستقراء أحوال الناس يدل على ذلك .

فإن جحود الصانع لم يكن ديناً غالباً على أمة من الأمم قط ، وإنما كان دين الكفار الخارجين عن الرسالة هــو الإشراك، وإنما كان يجحد الصانع بعض الناس وأولئك كان عاماؤهم ، من الفلاسفة الصابئة المشركين ، الذين يعظمون الهياكل، والكواكب والأصنام، والأخبار المرويةمن نقل أخبارهم وسيرهم كلها تدل على ذلك؛ ولكن فرعون موسى : ( فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ. فَأَطَاعُوهُ ) وهو الذي قال لهم \_ دون الفراعنة المتقدمين \_ ؛ ( مَاعَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَا هِ غَيْرِي ) مُ قال لهم بعد ذلك : ( أَنَاْرَبُكُمُ ٱلْأَعْلَى \* فَأَخَذُهُ ٱللَّهُ نَكَالًا لَآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ) نكال الكلمة الأولى. ونكال الكلمة الأخيرة ،وكان فرعون في الباطن عارفاً بوجود الصانع و إنما استكبر كإبليس وأنكر وجوده، ولهذا قال له موسى: ( قَالَلَقَدْعَلِمْتَمَأَأَنزَلَ هَـُؤُلآء إِلَّارَبُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآبِرَ ) فلما أنكر الصانع، وكانت له آلهـة يعبدها بقي على عبادتها ولم يصفه الله تعالى بالشرك، وإنما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة أخرى. والمنكر الصانع منهم مستكبر كثيراً مايعبد آلهة؛ ولا يعبد الله قط ؛ فإنه يقول : هـذا العالم واجب الوجود بنفسه . وبعض أجزائه مؤثر في بعض،ويقول إنما أنتفع بعبادة الكواكب والأصنام، ونحو ذلك، ولهــذا كان باطن قول هؤلاء الاتحادية ، المنتسبة إلى الإسلام هو قول فرعون .

وكنت أبين أنه مذهبهم ، وأبين أنه حقيقة مذهب فرعون حتى حدثني الثقة: عن بعض طواغيتهم أنه قال: نحن على قول فرعون؛ ولهذا يعظمون فرعون في كتبهم تعظيماً كثيراً . فإنهم لم يجعلوا ثم صانعاً للعالمخلق العالم، ولاأثبتوا ربًا مدبرا للمخلوقات ، وإنما جعلوا نفس الطبيعةهيالصانع ، ولهذا جوزواعبادة كل شيء ، وقالوا من عبده فقد عبد الله ، ولا يتصور عندهم أن يعبــد غير الله فما من شيء يعبد إلا وهو الله ، وهذه الكائنات عنــد هم أجزاؤه، أو صفاتــه ، كأجزاء الإنسان أو صفانه ، فهؤلاء إذا عبدوا الكائنات فلم يعبدوها لتقربهم إلى الله زلفي ؛ لكن لأنها عندهم هي الله أو مجلى من مجاليه ، أو بعض من أبعاضه أو صفة من صفاته أو تعين من تعيناته ، وهؤلاء يعبدون مايعبده فرعون وغيره من المشركين ، لكن فرعون لا يقول : هي الله ، ولا تقربنا إلى الله ، والمشركون يقولون: هي شفعاؤنا وتقربنا إلى الله، وهؤلاء يقولون هي الله كما تقدم، وأولئك أكفر من حيث اعترفوا بأنهم عبدوا غير الله أو جحدوه؛ وهؤلاء أوسع ضلالا من حيث جوزوا عبادة كل شيء ، وزعموا أنه هو الله وأن العابد هو المعبود ، وإن كانوا إنما قصدوا عبادة الله .

وإذا كان أولئك كانوا مشركين كما وصفوا بذلك. وفرعون موسى هو الذي جحد الصانع وكان بعبد الآلهة ، ولم يصفه الله بالشرك .

فعلوم أن المشركين قد يحبون آلهتهم كما يحبون الله أو تزيد محبتهم لهم على محبتهم لله ؛ ولهذا : يشتمون الله إذا شتمت آلهتهم . كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا

اللَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدُواْ بِغَيْرِعِلْمٍ ). فقوم فرعون قد بكونون أعرضوا عن الله بالكلية بعد أن كانوا مشركين به واستجابوا لفرعون فى قوله: ( أَنَارَيُكُمُّ الْأَغْلَى ) و ( مَاعَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَه عِنْدِي ) . ولهذا لما خاطبهم المؤمن ذكر الأمرين فقال : ( تَدْعُونَنِي لِأَكْ فُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ) فذكر الأمرين فقال : ( تَدْعُونَنِي لِأَكْ فُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ) فذكر الأمرين فقال : ( تَدْعُونَنِي لِأَكْ فُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ) فذكر الأشراك به أيضاً ؛ فكان كلامه متناولاً للمقالتين والحالين جميعاً .

فقد نبين: أن المستكبر يصير مشركا، إما بعبادة آلهة أخرى مع استكباره عن عبادة الله ، لكن تسمية هذا شركا نظير من امتنع مع استكباره عن إخلاص الدين لله كما قال نعالى: ( إِنَّهُمْ كَانُواْإِذَا قِيلَ لَهُمُ لاَ إِلَهُ إِلَّا اللّهُ إِنَّهُمْ كَانُواْإِذَا قِيلَ لَهُمُ لاَ إِلَهُ إِلَّا اللّهُ إِنَّهُ مَا يَعْوُلُونَ أَيْنَا لَتَارِكُواْ ءَالِهُ قِينَا لِشَاعِ مِخْنُونِ ) فهؤلاء مستكبرون يَسْتَكُيرُونَ \* وَيَقُولُونَ أَيِنَا لَتَارِكُواْ ءَالِهُ قِينَا لِشَاعِ مِخْنُونِ ) فهؤلاء مستكبرون مشركون؛ وإنما استكبارهم عن إخلاص الدين لله فالمستكبر الذي لايقر بالله في الظاهر كفر عون أعظم كفراً منهم ، وإبليس الذي يأمر بهذا كله ويحبه ويستكبر عن عبادة ربه وطاعته أعظم كفراً من هؤلاء وإن كان عالماً بوجود الله وعظمته كما أن فرعون كان أيضاً عالماً بوجود الله .

وإذا كانت البدع والمعاصي شعبة من الكفر وكانت مشتقة من شعبه . كما أن الطاعات كلها شعبة من شعب الإيمان ومشتقة منه ، وقد علم أن الذي يعرف الحق ولا يتبعه غاو يشبه اليهود ؛ وأن الذي يعبد الله من غير علم وشرع : هو ضال بشبه النصارى ؛ كما كان يقول من يقول من السلف: من فسد من العلماء

ففيه شبه من اليهود؛ ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصاري .

فعلى المسلم أن يحذر من هذين الشبهين الفاسدين؛ من حال قوم فيهم استكبار وقسوة عن العبادة والتأله؛ وقد أوتوانصياً من الكتاب وحظاً من العلم؛ وقوم فيهم عبادة وتأله بإشراك بالله وضلال عن سبيل الله ووحيه وشرعه وقد جعل فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، وهذا كثير منتشر فى الناس؛ والشبه بقل تارة وبكثر أخرى؛ فأما المستكبرون المتألهون لغير الله الذين لايعبدون الله . وإنما يعبدون غيره للانتفاع به؛ فهؤلاه بشهون فرعون .

## وقال رحمه الله تعالى:

#### فم\_\_\_ل

لفظ « الإسلام » يستعمل على وجهين : « متعديا » كقوله : ( وَمَنْ أَحْسَنُ وَجَهِي لِلَّهِ وَمَنِ أَحْسَنُ وَجَهِي لِلَّهِ وَمُومَ أَتَّبَعَنُ وَلَه : ( فَقُلْ أَسْلَمَ وَجَهِي لِلَّهِ وَمُوا أَتَّبَعَنُ أَسْلَمَ وَجَهِي لِلَّهِ وَمُوا أَلَا مُتَالِم وَ فَلَ لِلَّهِ عَلَيه وَسَلَم وَقُلُ لِلَّذِينَ أُوتُوا أَلْكِتَبَ وَاللَّهُ عَلَيه وسلم في دعاء المنام . « أسلمت نفسي إليك » .

ويستعمل « لازما » كقوله : (إِذْقَالَ لَهُۥُرَبُّهُۥ اَسْلِمٌ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ) وقوله : ( وَلَهُ وَاللَّهُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ) وقوله عن بلقيس : ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِللَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ) . وهو يجمع معنيين :

( أحدها )الانقياد والاستسلام .

و ( الثاني ): إخلاص ذلك وإفراده . كقوله : ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلَارَّجُلَا فِيهِ شُرَكَآهُ مُثَلَارَّجُلَا الله . فيهِ شُرَكَآهُ مُنَشَكِسُونَ وَرَجُلَا سَلَمًا لِرَجُلٍ ) . وعنوانه قول لا إله إلا الله . وله معنيان .

( أحدهما ): الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لاشريك له الذي بعث به جميع الأنبياء ؛ كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة .

و ( الثانى ) ما اختص به محمد من الدين والشرعة والمهاج ـــ وهو الشريعة والحقيقة ـــ وله مرتبتان :

( أحدها ) الظاهر من القول والعمل ، وهي المباني الخمس .

و (الثاني): أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن. فبالتفسير الأول إجاءت] الآيتان في كتاب الله ، والحديثان عنرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعم من الإيمان ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا. وبالتفسير الثاني يقال: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِيسَانَةُ) وقوله: ( وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ) وقوله: آمركم بالإيمان بالله ، وفسره بخصال الإسلام . وعلى هذا التفسير فالإيمان التام ، والدين والإسلام سواء ، وهو الذي لم يفهم المعتزلة غيره . وقد يراد به معنى ثالث هو كاله وهو قوله: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فيكون أسلم غيره ، أي جعله سالما منه .

ولفظ الإيمان: قيل أصله التصديق \_ وليس مطابقاً له؛ بل لابد أن يكون تصديقاً عن غيب، وإلا فالحبر عن مشهود ليس تصديقه إيمانا ؛ لأنه من الأمن الذي هو الطمأنينة ، وهذا إنما يكون في الخبر الذي قد يقع فيه ريب، والمشهودات لا ريب فيها . إلا على هذا \_ فإما تصديق القلب فقط كما تقول

<sup>(</sup>١) هكذا وردت في المطبوع ولعل الصواب [ وعلى ]

الجهمية ومن انبعهم من الأشعرية ، وإما القلب واللسان كما تقوله المرجئة ، أو باللسان كما تقوله الكرامية ، وإما التصديق بالقلب والقول والعمل في فلسره شيخ الجميع يدخل في مسمى التصديق على مذهب أهل الحديث ، كما فسره شيخ الإسلام وغيره . وقيل : بل هو الإقرار ؛ لأن التصديق إنما يطابق الخبر فقط، وأما الإقرار فيطابق الخبر والأمركقوله : ( عَأَقُرَرْتُمُ وَأَخَذَتُمُ عَلَىٰ ذَلِكُمُ إِصْرِيَ قَالُوا أَقَرَرْنَا ) ولأن قر ، وآمن: متقاربان. فالإيمان دخول في الأمن، والإقرار دخول في الأمز، والإقرار دخول في الإقرار ، وعلى هذا فالكلمة إقرار ، والعمل بها إقرار أيضاً .

ثم هو في الكتاب بمعنيين : أصل ، وفرع واجب، فالأصل الذي في القلب وراء العمل ، فلهذا يفرق بينها بقوله: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ والذي يجمعها كما في قوله: ( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ) و ( لَايَسْتَغْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ) . وحديث « الحيام» ، و « وفد عبد القيس » ، وهو مركب من أصل لايتم بدونه ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة ، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق ، كالحج وكالبدن والمسجـد وغيرها من الأعيان ، والأعمــال والصفات ، فمــن سواء أجزائه ما إذاذهب نقص عن الأكمل ومنه ما نقص عن الكمال ، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنهوهو ترك الاعتقاد والقول: الذي يزعم المرجئة والجهمية أنه مسمى فقط، وبهذا تزول شبهات الفرق. وأصله القلب وكماله العمل الظاهر ، مخلاف الإسلام فإن أصله الظاهر ، وكما له القلب.

## وقال رحمه الله

#### نھ\_\_ل

معلوم أن أصل « الإيمان » هو الإيمان بالله ورسوله ، وهو أصل العلم الإلمي كما بينته في أول الجزء .

فأما « الإيمان بالله » فهو فى الجملة قد أقر به جمهور الحسلائق ، إلا شواذ الفرق من الفلاسفة الدهرية ، والإسماعيلية وتحوه أو من نافق فيه من المظهرين للتمسك بالملل ، وإنما يقع اختلاف أهل الملل فى أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعباداته وتحو ذلك.

وأما « الإيمان بالرسول » فهو المهم، إذ لا بتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه ، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه ؛ ولهذا كان ركنا الإسلام : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» . ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار ؛ لا مجرد التصديق . والإقرار ضمن قول القلب الذي هو الانقياد \_ قصديق الرسول

فيا أخبر ، والانقياد له فيا أمر ، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول ، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته ، والكفر هو عدم إلا يمان سواء كان معه تكذيب أواستكبار أو إباء أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر.

ثم هنا «نفاقان »: نفاق لأهل العلم والكلام، ونفاق لأهل العمل والعبادة \_ فأما النفاق المحض الذي لا ربب في كفر صاحبه، فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أحربه، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر \_ علما وعملا، وأنه بجوز تصديقه وطاعته؛ لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا، ويرى أنه تصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته؛ إما بطريق الفلسفة والصبوء، أو بطريق التهود والتنصر، كما هو: قول الصابئة الفلاسفة، في هذه المسألة وفي غيرها، فإنهم وإن صدقوه وأطاعوه فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع غيرها، فإنهم وإن صدقوه وأطاعوه فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع أهل الأرض؛ نحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذباً؛ بل يرون ذلك مثل أهل الأرض؛ نحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذباً؛ بل يرون ذلك مثل ومن دخل معهم .

أما النفاق الذي هو دون هذا؛ فأن يطلب العلم بالله من غير خبره؛ أو العمل لله من غير أمره؛ كما يبتلي بالأول كثير من المتكلمة. وبالثاني كثير من المتصوفة فهم يعتقدون أنه يجب تصديقه أو تجب طاعته لكنهم في سلوكهم العلمي

والعملي غير سالكين هذا المسلكبليسلكونمسلكا آخر: إمامن جهةالقياس والنظر وإما من جهة الذوق والوجد ؛ وإما من جهة التقليد؛ وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه وإما أن يردوه إلى ماسلكوه؛ فانظر نفاق هذين الصنفين! مع اعترافهم باطناً وظاهراً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق وأفضل الخلق وأنه رسول وأنه أعلم الناس، لكن إذا لم يوجبوا متابعته وسوغوا تركمتابعته كفرواوهذا كثير جداً لكن بسط الكلام في حكم هؤلاء: له موضع غير هذا.

### سئل رحمه الله:-

عن ( الإيمان بالله ورسوله ) هل فوق مقام من المقامات،أو حال من الأحوال أم لا ؟ وهل يدخل في هجيع المقامات والأحوال المحمودة عند الله ورسوله أم لا ؟ وهل تكون صفة الإيمان نوراً يوقعه الله في قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعه في قلبه الحق من الباطل أم لا ؟ وهل يكون لأول حصوله سبب من الأسباب \_ مثل رؤية أهل الخير أو مجالستهم وصحبتهم أو تعلم عمل من الأعمال أوغير ذلك ؟ .

فإن كان لأول حصوله سبب، فما هو ذلك السبب؟ وما الأسباب أيضًا التى يقوى بها الإيمان \_ إلى أن يكمل، على ترتيبها؟ هل يبدأ بالزهد حتى يصححه؟ أم بالعلم حتى يرسخ فيه ؟ أم بالعبادة حتى يجهد نفسه؟ أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته ؟ أم كيف بتوصل إلى حقيقة الإيمان الذي مدحه الله ورسوله ؟ بينوا لنا الأسباب وأنواعها وشرحها ، التي بتوصل بها إلى حقيقة الإيمان، وما وصف صاحبه \_ رضي الله عنكم؟!

# فأجاب الحمد لله رب العالمين

اسم «الإيمان» يستعمل مطلقاً ، ويستعمل مقيداً ، وإذا استعمل مطلقاً ، فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة بدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة ، من الصحابة والتابعين و تابعيهم ، الذين يجعلون الإيمان قولا وعملاً ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسها ، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقة ، من أصحاب مالكوالشافعي وأحمد وغيره .

ويدخل فى ذلك ماقد يسمى مقاماً وحالاً ، مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والإنابة والإخلاص والتوحيد وغير ذلك .

ومن هذا ماخرج فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم \_ أنه قال: « الإيمان بضع وستون \_ أو بضع وسبعون \_ شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ». فذكر أعلى شعب الإيمان ، وهو قول لا إله إلا الله ، فإنه لاشيء أفضل منها كما فى الموطأ وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الدعاء دعاء يوم

عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله ، وحده لا شربك له، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » وفى الترمذي وغيره أنه قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وفى الصحيح عنه أنه قال: لعمه عند الموت « ياعم! قل: لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله ».

وقد نظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد ، كما أن أسوأ السيئات هو الشرك ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله ، كما قال نعالى : (إِنَّ الله لا يغفِر أَن يُشْرَك بِهِ وَيغْفِرُ مَا دُون ذَلِك لِمَن يَشَاء ) وتلك الحسنة التي لابد من سعادة صاحبها كما ثبت في الصحيح عنه حديث الموجبتين : موجبة السعادة ، وموجبة الشقاوة ؛ فمن مات بشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ، وأما من مات بشرك بالله شيئاً دخل النار وذكر في الحديث أنها أعلى شعب الإيمان .

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لوف د عبد القيس:

« آمركم بالإيمان بالله ، أندرون ما الإيمان بالله ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً

رسول الله ، وتقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتؤدوا خمس المغنم» فجعل هذه
الأعمال من الإيمان ، وقد جعلها من الإسلام في حديث جبرائيل الصحيح للا أتاه في صورة أعرابي \_ وسأله عن الإيمان ؛ فقال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » وسأله عن الإسلام فقال : « وأن محمداً رسول الله وسأله عن الإسلام فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وسأله عن الإسلام فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله

وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » وفي حديث في المسند قال : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب».

فأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل عوجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له ، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له ؛ لكن مافى القلب هو الأصل لما على الجوارح ، كما قال أبو هريرة \_ رضي الله عنه \_ : إن القلب ملك، والأعضاء جنوده فإن طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده ، وفى الصحيحين عند صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلى الله عليه وسلم أنه قسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب! ».

ولهذا ظن طوائف من الناس أن الإيمان إيما هو في القلب خاصة ، وماعلى الجوارح ليس داخلا في مسماه ، ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه ، حتى آل الأمر بغلاتهم \_ جهم وأتباعه \_ إلى أن قالوا: يمكن أن بصدق بقلبه ، ولا يظهر بلسانه إلا كلمة الكفر ، مع قدرته على إظهارها ، فيكون الذي في القلب إيمانا نافعاً له في الآخرة ، وقالوا: حيث حكم الشارع بكفر أحد بعمل أو قول : فلكونه دليلا على انتفاء مافي القلب ، وقولهم متناقض ؛ فإنه إذا كان ذلك دليلا مستلزماً لانتفاء الإيمان الذي في القلب امتنع أن يكون الإيمان ثابتاً في دليلا مستلزماً لانتفاء الإيمان الذي في القلب امتنع أن يكون الإيمان ثابتاً في

القلب، مع الدليل المستلزم لنفيه، وإن لم يكن دليلا لم يجز الاستدلال به على الكفر الباطن.

والله سبحانه في غير موضع ببين أن تحقيق الإيمان وتصديقه بما هو من الأعمال الظاهرة والباطنة. كقوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ إِذَا ذُكِرا اللَّهُ وَجِلَتْ الْأَعْمَالِ الظاهرة والباطنة. كقوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ إِذَا ذُكِرا اللَّهُ وَجِلَتُ عُلَيْ مَ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَالل

فإذا قال القائل: هذا بدل على أن الإيمان ينتني عند انتفاء هذه الأمور ' لا يدل على أنها من الإيمان ، قيل هذا اعتراف بأنه ينتني الإيمان الباطن مع عدم مثل هذه الأمور الظاهرة ، فلا يجوز أن يدعي أنه يكون فى القلب إيمان ينافى الكفر بدون أمور ظاهرة: لاقول ولا عمل وهو المطلوب وذلك ينافى الكفر بدون ألمور ظاهرة: لاقول ولا عمل وهو المطلوب وذلك تصديق وذلك لأن القلب إذا تحقق مافيه أثر فى الظاهر ضرورة ، لا يمكن انفكاك أحدها عن الآخر ، فالإرادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب وقوع المقدور ، فإذا كان فى القلب حب الله ورسوله ثابتاً استلزم موالاة أوليائه

ومعاداة أعدائه ( لَا تَجِدُ قُومًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِيُواَ ذُونَ مَنْ حَاذَاللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْحَانُواْ وَرَسُولَهُ وَلَوْحَانُواْ وَرَسُولَهُ وَلَوْحَانُواْ وَرَسُولَهُ وَلَوْحَانُواْ وَلَوْحَانُواْ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِي وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاةً ) فهذا التلازم أمر ضروري .

ومن جهة ظن انتفاء التلازم غاط غالطون ؛ كما غلط آخرون في جواز وجود إرادة جازمة مع القدرة التامة بدون الفعل، حتى تنازعوا : هل يعاقب على الإرادة بلا عمل ؟ وقد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع، وبينا : أن الهمة التي لم يقترن بها فعل ما يقدر عليه الهام ليست إرادة جازمة ، وأن الإرادة الجازمة لابد أن يوجد معها ما يقدر عليه العبد، والعفو وقع عمن هم بسيئة ولم يفعلها ؛ لا عن من أراد وفعل المقدور عليه ، وعجز عن حصول مراده ، كالذي يفعلها ؛ لا عن من أراد وفعل المقدور عليه ، وغز عن حصول مراده ، كالذي الراد قتل صاحبه فقاتله حتى قتل أحدها ، فإن هذا يعاقب ؛ لأنه أراد وفعل المقدور من المراد ، ومن عرف الملازمات التي بين الأمور الباطنة والظاهرة زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثر اختلاف الناس فيها .

بقي أن يقال: فهل اسم الإيمان للأصل فقط، أولهولفروعه؟. والتحقيق: أن الاسم المطلق يتناولها، وقد يخص الأصل وحده بالاسم مع الاقتران، وقد لايتناول إلا الأصل إذا لم يخص إلا هو ؛ كاسم الشجرة، فإنه يتناول الأصل والفرع إذا وجدت، ولو قطعت الفروع لكان اسم الشجرة يتناول الأصل وحده، وكذلك اسم الحج هو اسم لكل ما يشرع فيه من ركن، وواجب،

ومستحب، وهو حج أيضاً تام بدون المستحبات ، وهو حج ناقص بدون الواجبات التي يجبرها دم.

والشارع صلى الله عليه وسلم لا ينفي الإعان على العبد لترك مستحب لكن لترك واجب ، بحيث ترك ما يجب من كاله و تمامه ؛ لا بانتفاء ما يستحب فى ذلك ، ولفظ الكال والتمام : قد يراد به الكال الواجب ، والكال المستحب ؛ كما يقول بعض الفقهاء : الغسل ينقسم : إلى كامل ، ومجزئ ، فإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمل لا أمانة له » و « لا يزنى الزانى حين يزني وهو مؤمن » . ونحو ذلك ، كان لانتفاء بعض ما يجب فيه ؛ لا لانتفاء الكال المستحب . والإيمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه : كالحج ، والصلاة ؛ ولهدذا قال صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ومثقال شعيرة من إيمان » .

وأما إذا استعمل اسم الإ عان مقيداً : كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ النبي صلى وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ) وقوله : (الَّذِينَ عَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ) وقسول النبي صلى الله عليه وسلم: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت » ونحو ذلك فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك، وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ، كقوله تعالى: (وَمَلَتَهِكَتِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْ اللهِ عَلَى اللهُ وَمُوسَىٰ وَمِنْ فَي عَلَيْ عَلَيْهُمْ وَمِنْ فَي عَلَيْهُمْ وَمِنْ فَي عَلَيْهِ عَلَيْهِ مَنْ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْبَعَ ).

وقد بقال: إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدها إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينها كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ربب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع السكل، ومن هذا الموضع نشأ نزاع واشتباه، هل الأعمال داخلة في الإيمان أم لا؟ لكونها عطفت عليه.

فإذا عرف هذا؛ فحيث وجد في كلام مقبول تفضيل شيء على الإيمان، فإنما هو تفضيل نوع خاص على عمومه، أو تفضيل بعض شعبه العالية على غيره، واسم الإيمان قد يتناول النوعين جميعاً ، وقد يخصأ حدها كما تقدم ، وقدقيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة أسمائه .

### فسيل

وأما قول القائل: هل تكون صفة الإيمان نوراً يوقعه الله في قلب العبد، ويعرف العبد عند وقوعه في قلبه الحق من الباطل؛ فيقال له: قد قال الله تعالى: ( اللّهُ نُورُالسَّمَوَرَتِ وَالْأَرْضِّ مَثَلُ نُورِهِ عَيْشَكُومِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال أبي بن كعب وغيره: مثل نوره في قلب المؤمن الي قوله: ( وَمَن لَيْجَعُلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن فَرِي وَقَال تعالى: ( أَوَمَن كَانَ مَيْتَا فَأَحْيَيْنَكُ وَجَعَلْنَ اللهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِ النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ وَقال تعالى: ( أَوَمَن كَانَ مَيْتَا فَأَحْيَيْنَكُ وَجَعَلْنَ اللهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِ النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ وَقال تعالى: فِ الشَّالَ عَلَى: الله على الله عليه الله لعبده سماه نوراً ، وسمي الوحي النازل من الساء الذي به يحصل الإيمان ( ثُورًا نَهْ يي بِهِ مَن نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) وقال تعالى: ( فَالَّذِينَ عَامَنُوا بِهِ وَعَن زُرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي آلُزِلَ مَعَهُ ) وأمثال من الساء الذي به يحصل الإيمان بفرق بين الحق والباطل ، بل يفرق بين أعظم ذلك ، ولا ربب أن المؤمن يفرق بين الحق والباطل ، بل يفرق بين أعظم الحق ، لكن لا يمكن أن يقال: بأن كل من له إيمان يفرق بين عجرد ما أعطيه من الحق ، لكن لا يمكن أن يقال: بأن كل من له إيمان يفرق بين كل حق وكل باطل .

### فعـــــل

وأما قوله: هل يكون لأول حصوله سبب؟ فلا ريب أنه يحصل بسبب، مثل استماع القرآن، ومثل رؤية أهل الإيمان، والنظر في أحوالهم، ومثل معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته، والنظر في ذلك، ومثل النظر في آيات الله تعالى، ومثل التفكر في أحوال الإنسان نفسه، ومثل الضروريات التي يحدثها الله للعبد التي تضطره إلى الذل لله، والاستسلام له، واللجأ إليه وقد يكون هذا سبباً لشيء من الإيمان، وهذا سبباً لشيء آخر؛ بل كل ما يكون في العالم من الأمور فلابد له من سبب، وسبب الإيمان وشعبه يكون تارة من العبد، وتارة من غيره، مثل من يقيض له من يدعوه إلى الإيمان، ومن بأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويبين له علامات الدين، وحججه وبراهينه، وما يعتبره و ينزل به و يتعظ به، وغير ذلك من الأسباب.

### فمسل

وأما قوله: فالأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل على ترتيبها؟ هل يبدأ بالزهد؟ أو بالعلم؟ أو بالعبادة؟ أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته؟ فيقال له. لابد من الإيمان الواجب، والعبادة الواجبة، والزهد الواجب، ثم الناس يتفاضلون في الإيمان؛ كتفاضلهم في شعبه، وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه، ويقدم مايقدر على تقديمه من الفاضل.

والناس بتفاضلون في هذا الباب: فنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه ، ومنهم من تكون العادة أبسر عليه منها ، فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير ، كما قال تعالى: (فَأَنَقُوا اللّهَ مَا السّمَا اللّهَ مَا اللّهَ مَا الله وهو عليه اللّهَ مَا اللّهَ مَا الله على أوإذا ازد حت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر ، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل ، ويحصل له أفضل مما يعصل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له ، وهو في حقه أفضل ، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً ، إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ماهو أفضل له وأنفع ؛ كمن يقرأ القرآن بالليل فيتدبره وينتفع بتلاوته ، والصلاة تثقل عليه ، ولا ينتفع منها بعمل ، أو ينتفع بالذكر أعظم مماينتفع بالقراة ق.

فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل فى حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه ، بل على وجه ناقص ، ويفونه به ماهو أنفع له ؛ ومعلوم أنالصلاة آكد من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء ، ومعلوم أيضاً أن الذكر فى فعله الخاص : كالركوع والسجود ، أفضل من قراءة القرآن فى ذلك المحل ، وأن الذكر والقراءة والدعاء عند طلوع الشمس وغروبها خير من الصلاة .

والزهد هو ضد الرغبة ، وهو كالبغض المخالف للمحبة ، والكراهة المخالفة للإرادة ، وكل من الإرادة والكراهة له أقسام فى نفسه ، وفى متعلقه ، فالزهد ( فيه ) انقسام : إلى المزهود فيه ، وإلى نفس الزهد .

أما الأول: فإن الزهد " ، وأما نفس الزهد الذي هـ و ضد الرغبة ، وهو الكراهة والبغض فحقيقة المشروع منه ، أن بكون كراهـة العبد وبغض وحبه تابعاً لحب الله وبغضه ورضاه وسخطه ، فيحب ما أحب الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، ويرضى ما يرضاه ، ويسخط ما يسخطه الله ، بحيث لابكون تابعاً هواه ، بل لأمر مولاه ، فإن كثيراً من الزهـاد في الحياة الدنيا أعرضوا عن فضولها ، ولم يقبلوا عـلى ما يحبه الله ورسوله ، وليس مثل هـذا الزهد يأمر الله به ورسوله ، ولمذا كان في المشركين زهاد ، وفي أهل الكتاب زهاد ، وفي أهل الكتاب زهاد .

<sup>(</sup>١) بياض في الأصل.

ومن الناس من يزهد لطلب الراحة من تعب الدنيا، ومنهم من يزهد لمسألة أهلها والسلامة من أذاهم، ومنهم من يزهد فى المال لطلب الراحة، إلى أمثال هذه الأنواع التى لا يأمر الله بها ولا رسوله، وإنما يأمر الله ورسوله أن يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله، ويرغب فيما يحبه الله ورسوله، فيكون زهده هو الإعراض عما لا يأمر الله به ورسوله، أمر إيجاب ولا أمر استحباب سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً مستوى الطرفين فى حق العبد، ويكون مع ذلك مقبلاً على ما أمر الله به ورسوله، وإلا فترك المكروه بدون فعل الحبوب ليس بمطلوب، وإنما المطلوب بالمقصود الأول فعل ما يحبه الله ورسوله، وترك ليس بمطلوب، وإنما المطلوب بالمقصود الأول فعل ما يحبه الله ورسوله، وترك ليس بمطلوب، وإنما المطلوب بالمقصود الأول فعل ما يحبه الله ورسوله، وترك النفس؛ فإن الحسنات إذا انتفت عنها السيئات زكت ، فبالزكاة تطيب النفس من الخبائث، وتعظم في الطاعات، كما أن الزرع إذا أزبل عنه الدغل زكا وظهر وعظم.

### قم\_\_\_ل

وأما طريق الوصول إلى ذلك: فبالاجتهاد في فعل المأمور، وترك المحظور والاستعانة به على ذلك، ففي صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وماشاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل

الشيطان » وفى السنن « أن النبى صلى الله عليـــ ه وسلم قضى على رجل فقال المقضى عليه : حسبى الله ونعم الوكيل ، فقال النبى صلى الله عليــ ه وسلم : «إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقــل : حسبى الله ونعم الوكيل » .

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم العبد بأن يحرص على ما ينفعه ، ويستعين بالله على ذلك ، والحرص على ماينفعه هو الاجتهاد في الخير ، وهو العبادة ؛ فإن كل ماينفع العبد فهو مأمور بطلبه ، وإنما ينهى عن طلب مايضره \_ وإن اعتقد أنه ينفعه \_ كما يطلب المحرمات وهي تضره ، ويطلب المفضول الذي لا ينفعه ، والله تعالى أباح للمؤمنين الطيبات وهي ماينفعهم ، وحرم عليهم الخبائث وهي ما يضره ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسلما كثيراً .

## قال شيخ الإسلام قدس الله روحه

### فمسل

وأما الإيمان : هل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟.

فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين وقد جرت فيها أمور يطول وصفها هنا ، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة ، صارت طائفة يقولون إن كلام الله الذي أزله مخلوق ، ويعبرون عن ذلك باللفظ ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة ، وليس مقصوده مجرد كلامهم وحركاتهم بل يدخلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرأ بأصواتنا وحركاتنا ، وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال : غير مخلوق فهو مبتدع .

وتكلم الناس حينئذ في الإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك مانكلم الله به من الإيمان مثل: قول لا إله إلا الله، فصار مقتضي قولهم أن نفس هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها ، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله مخلوقا.

ومراده أنمن قال: هي مخلو قةمطلقاً، كانمقتضي قوله إن الله لم يتكلم بهذه الكلمة كما أن من قال: إن ألفاظنا ونلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة ،كان مقتضىكلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذيأنزله ، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله ، وأن يكون جبريل نزل بمخلوق ليس هو كلام الله ، والمسلمون بقر ،ون قرآناً مخلوقاً ليس هو كلام الله، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى ، وإن كان مسموعا من المبلغ عنه ، فإن الكازم قدسمع من المتكلم به كما سمعه موسى بلا واسطة ، وهذا سماع مطلق \_ كما يرى الشيء رؤية مطلقة وقد يسمعه من المبلغ عنه ، فيكون قد سمعه سمعاً مقيداً \_ كما يرى الشيء في الماء والمرآة رؤية مقيدة لامطلقة أو كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدُّمِّنَ ٱلْمُثْمِرِكِينِ ٱسْتَجَارِكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَهُ اللهِ ) كان معلوماً عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعا مقيداً من المبلغ ليس المرادب أنه يسمع من الله .

ومن هؤلاء من قال: إنه يسمع صوت القارئ من الله ثم من هؤلاء من

يقول: إن صوت الرب حل فى العبد، ومنهم من يقول ظهر فيه \_\_ ولم يحل فيه ومنهم من يقول ظهر فيه \_\_ ولم يحل فيه ومنهم من يقول لا أقول ظهر ولا حل، ومنهم من قال الصوت المسموع غير مخلوق أو قديم، ومنهمن يقول يسمع منه صوتان: مخلوق، وغير مخلوق.

ومن القائلين بأنه مسموع من الله ، من يقول : بأنه يسمع المعنى القديم والمحدث القائم بذات الرب مع سماع الصوت المحدث ؛ قال هؤلاء يسمع القديم والمحدث كما قال أولئك يسمع صوتين قديماً ومحدثاً ؛ وطائفة أخرى قالت : لم يسمع الناس كلام الله ؛ لامن الله ولا من غيره ؛ قالوا : لأن الكلام لايسمع إلا من المتكلم ؛ ثم من هؤلاء من قال : تسمع حكايته ، ومنهم من قال : تسمع عبارته لاحكايته ؛ ومن القائلين بأنه مخلوق من قال : يسمع شيئان : الكلام المخلوق ؛ والذي خلقه ؛ والصوت الذي للعبد .

وهذه الأقوال كلها مبتدعة مخترعة ، لم يقل السلف شيئًا منها ؛ وكلها باطلة شرعاوعقلا، ولكن ألجأ أصحابها إليها اشتراك في الألفاظ ؛ واشتباه في المعانى؛ فإنه إذا قيل سمعت كلام زيد ، أو قيل هذا كلام زيد ، فإن هذا يقال : على كلامه الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، سواء كان مسموعًا منه أو من المبلغ عنه ، مع العلم بالفرق بين الحالين ، وأنه إذا سمع منه سمع بصوته ، وإذا سمع من غيره سمع بصوت ذلك المبلغ ، لا بصوت المتكلم ، وإن كان اللفظ لفظ المتكلم ، وقد يقال مع القرينة هذا كلام فلان وإن ترجم عنه بلفظ آخر ، كما يحكي الله كلام من يحكي قوله من الأمم باللسان العربى ، وإن كانوا إنما قالوه بلفظ عبري أو سرياني

أو قبطي أو غير ذلك ، وهذه الأمور مبسوطة في مواضع آخر .

و (المقصود هذا) أنه نشأ بين أهل السنة والحديث النزاع في «مسألتي : القرآن ، والإيمان »بسبب ألفاظ مجملة ، ومعاني متشابهة ، وطائفة من أهل العلم والسنة : كالبخاري صاحب الصحيح ، ومحمد بن نصر المروزي وغيرها ، قالوا : الإيمان مخلوق ؛ وليس مرادم شيئاً من صفات الله . وإنما مرادم بذلك أفعال العباد ، وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أفعال العباد مخلوقة ، وقال يحيى بن سعيد القطان : ما ذلت أسمع أصحابنا يقولون : أفعال العباد مخلوقة .

وصار بعض الناس بطن أن البخاري وهؤلاء خالفوا أحمد بن حنبل وغيره من أممة السنة ، وجرت للبخاري محنة بسبب ذلك، حتى زعم بعض الكذابين أن البخارى لما مات أمر أحمد بن حنبل ألا يصلي عليه ، وهذا كذب ظاهر ، فإن أبا عبد الله البخاري \_ رحمه الله ! \_ مات بعد أحمد بن حنبل بنحو خمس عشرة سنة ، فإن أحمد بن حنبل \_ رضي الله عنه \_ توفى سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وتوفى البخاري سنة ست و خمسين ومائتين ، وكان أحمد بن حنبل يحب البخاري و بجله و يعظمه ، وأما تعظيم البخاري وأمثاله للإمام أحمد فهو أمر مشهور ، ولما صنف البخاري كتابه فى خلق أفعال العباد ، وذكر فى آخر الكتاب أبواباً فى هذا المعنى ؛ ذكر أن كلا من الطائفتين القائليين : بأن لفظنا بالقرآن مخلوق ، والقائلين بأنه غير مخلوق ، ينسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل ،

ويدعون أنهم على قوله ، وكلا الطائفتين لم تفهم دقة كلام أحمد - رضى الله عنه ـ .

وطائفة أخرى: كأبي الحسن الأشعري، والقاضي أبى بكر بن الطيب، والقاضي أبى يعلى وغيره، ممن يقولون إنهم على اعتقاد أحمد بن حنبل، وأمّة أهل السنة والحديث، قالوا: أحمد وغيره كرهوا أن يقال: لفظي بالقرآن؛ فإن اللفظ هو الطرح والنبذ، وطائفة أخرى كأبى محمد بن حزم وغيره ممن يقول أيضاً: إنه متبع لأحمد بن حنبل وغيره من أمّه السنة، إلى غير هؤلاء ممن يتسب إلى السنة ومذهب الحديث، يقولون إنهم على اعتقاد أحمد بن حنبل ونحوه من أهل السنة، وهم لم يعرفوا حقيقة ما كان يقوله أمّه السنة ؛ كأحمد بن حنبل وغيره في غير هذا الموضع.

وأما البخاري وأمثاله ، فإن هؤلاء من أعرف الناس بقول أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ؛ وقد رأيت طائفة تنتسب إلى السنة والحديث : كأبى نصر السجزي وأمثاله ، ممن يردون على أبى عبد الله البخاري ، يقولون : إن أحمد ابن حنبل كان يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ؛ وذكروا روايات كاذبة لاريب فيها ؛ والمتواتر عن أحمد بن حنبل من رواية بنيه : صالح وعبد الله وحنبل ، والمروذي ؛ وقوزان ، ومن لا يحصي عدده إلا الله ، تبين أن أحمد كان ينكر على هؤلاء وهؤلاء وقد صنف أبو بكر المروذي في ذلك مصنفاً ذكر فيه قول

أحمد بن حنبل وغيره من أئمة العلم ؛ وقد ذكر ذلك الخلال في كتاب «السنة»، وذكر بعضه أبو عبد الله بن بطة في كتاب « الإبانة » وقد ذكر كثير من ذلك أبو عبد الله بن منده فيما صنفه في « مسألة اللفظ » .

وقال أبو محمد بن قتيبة الدينوري: لم يختلف أهل الحديث في شيء من اعتقاده إلا في مسألة اللفظ؛ ثم ذكر ابن قتيبة: أن اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً ؛ ويراد به نفس الكلام الذي هو فعل العبد وصوته ، وهو مخلوق وأما نفس كلام الله الذي يتكلم به العباد فليس مخلوقاً ، وكذلك « مسألة الإيمان» لم يقل قط أحمد بن حنبل أن الإيمان غير مخلوق ؛ ولا قال أحمد ولا غيره من السلف أن القرآن قديم ؛ وإنما قالوا : القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، ولا قال أحمد بن حنبل ولا أحمد من السلف أن شيئاً من صفات العبد وأفعاله غير مخلوقة ، ولا صوته بالقرآن ، ولا لفظه بالقرآن ؛ ولا إيمانه ولا صلاته ولا شيء من ذلك .

لكن المتأخرون انقسموا في هذا الباب انقساماً كثيراً؛ فالذبن كانوا يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق؛ منهم من أطلق القول بأن الإيمان غير مخلوق، ومنهم من يقول قديم في هذا وهذا ؛ ومنهم من يفرق بين الأقوال الإيمانية والأفعال، فيقولون: الأقوال غير مخلوقة وقديمة ؛ وأفعال الإيمان مخلوقة ومنهم من يقول في أفعال الإيمان إن المحرم منها مخلوق، وأما الطاعات كالصلاة وغيرها، فمنهم من يقول: هي غير مخلوقة ؛ ومنهم من يمسك فلا يقول: هي

خلوقة ولا غير مخلوقة ، ومنهم من يمسك عن الأفعال المحرمة ، ومنهم من يقول: بل أفعال العباد كلها غير مخلوقة أو قديمة ؛ ويقول ليس مرادي بالأفعال الحركات ؛ بل مرادي الثواب الذي يجيء يوم القيامة ويحتج هذا بأن القدر غير مخلوق ، والشرع غير مخلوق . ويجعل أفعال العباد هي : القدر والشرع ولا يفرق بين القدر والمقدور ، والشرع والمشروع ؛ فإن الشرع الذي هو أم الله ونهيه غير مخلوق ، وأما الأفعال المأمور بهاوالمنهي عنها فلا ريب أنها مخلوقة ؛ وكذلك القدر الذي هو علمه ومشيئته وكلامه غير مخلوق ، وأما المقدرات : الآجال ، والأرزاق ، والأعمال فكلها مخلوقة ، وقد بسط الكلام على هذه الأقوال وقائليها في غير هذا الموضع .

والمقصود هذا أن الإمام أحمد ومن قبله من أمّة السنة ومن اتبعه كلهم بريئون من الأقوال المبتدعة المخالفة للشرع والعقل، ولم يقل أحد منهم إن القرآن قديم، لا معنى قائم بالذات، ولاإنه تكلم به في القديم بحرف وصوت، ولا تكلم به في القديم بحرف قديم؛ لم يقل أحد منهم لا هذا ولا هذا، وإن الذي اتفقوا عليه أن كلام الله منزل غير مخلوق، والله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وكلامه لا نهاية له. كما قال الله تعالى: ( قُل لَوْكَان الله تعالى الله متكلماً بمشيئته؛ وهو قديم بمعنى: أنه لم يزل الله متكلماً بمشيئته؛ لا بمعنى أن الصوت المعين قديم، كما بسطت الكلام في غير هذا الموضع على اختلاف أهل الأرض في كلام الله تعالى: منهم من بجعله فيضاً من العقل الفعال على

النفوس . كقول طائفة من الصابئة والفلاسفة وهو أفسد الأقوال ، ومنهم من يقول هو مخلوق خلقه بائناً عنه : كقول الجهمية والنجارية والمعتزلة ، ومنهم من يقول هو معنى قديم قائم بالذات : كقول ابن كلاب والأشعري ، ومنهم من يقول هو حروف وأصوات : كقول ابن سالم وطائفة ، ومنهم من يقول تكلم بعد أن لم يكن متكلماً : كقول ابن كرام ، وطائفة .

والصواب من هذه الأقوال قول السلف والأئمة : كما قد بسطت ألفاظهم في غير هذا الموضع . ولما ظهرت المحنة كان أهل السنة يقولون : كلام الله غير مخلوق. وكانت « الجهمية » من المعتزلة وغيرهم. بقولون : إنه مخلوق ، وكان أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان له فضيلة ومعرفة رد بها على الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات ، وبين أن الله نفسه فوق العرش؛ وبسط الـكلام في ذلك، ولم يتخلص من شبهة الجهمية كل التخلص؛ بل ظن أن الرب لايتصف بالأمور الاختيارية التي تتعلق بقدرته ومشيئته ، فلا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا يحب العبد ويرضى عنه بعد إيمانه وطاعته ، ولا يغضب عليه ويسخط بعد كفره ومعصيته؛ بل محباً راضياً أو غضبان ساخطاً على من علم أنه يموتمؤمناً أُو كَافِراً . ولا يتكلم بكلام بعد كلام ، وقد قال نعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰعِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَّ خَلَقَ لُهُ مِن تُرَابِ ثُمَّ قَالَ لَهُ رُكُن فَيكُونُ ) وقال تعالى : ( قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللَّهُ) وقالَ تعالى : (فَكَمَّآءَ اسَفُونَا ٱنذَقَمْنَا مِنْهُمْ) وقال تعالى: (ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ)

وقال تعالى : ( هُوَالَّذِى خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ فِيسِتَّةِ أَيَّامِ ثُمَّ اَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ) وهذا أصل كبير قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع.

وإنما المقصود هذا التبيه على مآخذ اختلاف المسلمين في مثل «هدف المسائل» وإذا عرف ذلك فالواجب أن نثبت ما أثبته الكتاب والسنة، وننفي ما نفي الكتاب والسنة لا واللفظ المجمل الذي لم يرد في الكتاب والسنة لا يطلق في النفي والإثبات حتى بتبين المراد به ، كما إذا قال القائل: الرب متحيز أوغير متحيز أو هو في جهة أو ليس في جهة ، قيل هذه الألفاظ مجملة لم يرد بها الكتاب والسنة لا نفياً ولا إثباناً ، ولم ينطق أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بإثباتها ولا نفيها .

فإن كان مرادك بقولك إنه يحيط به شيء من المخلوقات؛ وليس هو بقدرته يحمل العرش وحملته، وليس هو العلى الأعلى الكبير العظيم الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو سبحانه أكبر من كل شيء، فليس هو متحيزاً بهذا الاعتبار، وإن كان مرادك أنه بائن عن مخلوقاته عال عليها فوق سمواته على عرشه؛ فهو سبحانه بائن من خلقه كاذكر ذلك أمّة السنة مثل: عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أعلام الإسلام، وكما دل على ذلك صحيح المنقول، وصريح المعقول، كما هو مبسوط في مواضع أخر.

وكذلك لفظ « الجهة » إن أراد بالجهة أمراً موجوداً يحيط بالخالــق، أو

يفتقر إليه. فكل موجود سوى الله فهو مخلوق. والله خالق كل شيء وكل ما سواه فهو فقير إليه، وهو غني عما سواه، وإن كان مراده أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فهذا صحيح. سواء عبر عنه بلفظ الجهة أو بغير لفظ الجهة.

وكذلك لفظ « الحبر » إذا قال : هل العبد مجبور أو غير مجبور ؟ قيل : إن أراد بالحبر أنه ليس له مشيئة ، أو ليس له قدرة ؛ أو ليس له فعل ؛ فهذا باطل ، فإن العبد فاعل لأفعاله الاختيارية ، وهو يفعلها بقدرته ومشيئته ، وإن أراد بالحبر أنه خالق مشيئته وقدرته وفعله ، فإن الله تعالى خالق ذلك كله .

وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ماتربد «بالإيمان؟ أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه ، كقوله (لا إله إلاالله)، و «إيمانه» الذي دل عليه اسمه المؤمن ، فهو غير مخلوق ، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون ، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقه ، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة ، ولا يقول هذا من بتصور ما يقول ، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل ، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ، وأمنالها مماكثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات ، إذا فصل فيها الخطاب ، ظهر الحطأ من الصواب .

والواجب على الخلق أن ماأثبته الكتاب والسنة أثبتوه ، وما نفاه الكتاب

والسنة نفوه ، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لابنني ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل ؛ فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفي مانفاه الله ورسوله فقد أصاب ، ومن أثبت مانفاه الله أو نفي ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل ، فيجب أن يفصل مافي كلامه من حق وباطل ، فيتبع الحق ويترك الباطل ، وكلما خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضاً لصريح المعقول، فإن العقل الصريح لا نخالف النقل الصحيح ، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا نخالف بعضه بعضاً ، ولكن كثير من الناس بظن تناقض ذلك ، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب ( وَإِنَّ الَّذِينَ الْخَتَلُفُواْفِي الْكِتَبِ لَنِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ) من الذين اختلفوا في الكتاب ( وَإِنَّ النَّذِينَ الْخَتَلُفُواْفِي الْكِتَبِ لَنِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ) ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم مدن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

# قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

### فمسل

«الاستثناء في الإيمان سنة » عند أصحابنا ، وأكثر أهل السنة وقالت المرجئة والمعتزلة : لا يجوز الاستثناء فيه بل هوشك ؛ و « الاستثناء أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، أو مؤمن أرجو ، أو آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ، أو إن كنت تريد الإيمان الذي يعصم دمي فنعم ، وإن كنت تريد ( إنَّ مَا اللهُ وَمِنْ أَرْبُرُ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ) فالله أعلى .

ثم هنا « ثلاثة أقوال » ، إما أن يقال : الاستثناء واجب فلا يجوز القطع ، وهذا قول القاضي في عيون المسائل وغيره، وإما أن يقال : هو مستحب و يجوز القطع باعتبار آخر ، وإما أن يقال : كلاها جائز باعتبار ، وإما ذكر أن الاستثناء سنة ممنى أنه جائز رداً على من نهى عنه ،

فإذا قلنا هو واجب فمأخذ القاضي أنه لو جاز القطع على أنا مؤمنون لكان ذلك قطعاً على أنا فى الجنة ، لأن الله وعد المؤمنين الجنة ، ولا يجوز القطع على الوعد بالجنة ، لأن من شرط ذلك الموافاة بالإيمان ، ولا يعلم ذلك إلا الله ، وكذلك الإيمان إيما يحصل بالموافاة ، ولا يعلم ذلك . ولهذا قال ابن مسعود : هلا وكل الأولى كما وكل الآخرة . يريد بذلك ما استدل به من أن رجلاً قال عنده : إنى مؤمن ، فقيل لابن مسعود هذا يزعم أنه مؤمن ، قال : فسلوه أفي الجنة هو أو فى النار ؟ فسألوه ، فقال : الله أعلم ، فقال عبد الله فهلا وكلت الأولى كما وكلت الأالية .

«قلت»: ويستدل أيضاً على وجوب الاستثناء بقول عمر: من قال إنه مؤمن فهو كافر ومن زعم أنه عالم فهوجاهل ولما استدل المنازع بأن الاستثناء إنما يحتاج إليه لمستقبل بشك في وقوعه، قال: الجواب إن هنا مستقبلا بشك في وقوعه، وهو الموافاة بالإيمان؛ والإيمان مرتبط بعض فهو كالعبادة الواحدة.

«قلت »: فحقيقة هذا القول أن الإيمان اسم للعبادة من أول الدخول فيه إلى أن يموت عليه فإذا انتقض تبين بطلان أولها كالحدث في آخر الصلاة والوط، في آخر الحج ، والأكل في آخر النهار ؛ وقول مؤمن عند الإطلاق يقتضي فعل الإيمان كله كقول مصل وصائم وحاج ؛ فهذا مأخذ القاضي. وقد ذكر بعدها في المعتمد «مسألة الموافاة » وهي متصلة بها وهو أن المؤمن الذي علم الله أنه يموت كافراً ؛ وبالعكس ؛ هل يتعلق رضا الله وسخطه ومحبته وبغضه بما هو عليه أو عا يوافي به .

والمسألة متعلقة بالرضا والسخط: هل هو قديم أو محدث ؟

و « المأخذ الثاني » : أن الاسم عند الإطلاق يقتضي الكال ؛ وهذا غير معلوم للمتكلم كما قال أبو العالية : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه ، لايقول إن إيماني كإيمان جبريل فإخبار الرجل عن نفسه أنه كامل الإيمان خبر بما لايعلمه ، وهذا معنى قول ابن المنزل : أن المرجئة تقول إن حسناتها مقبولة وأنا لا أشهد بذلك ، وهذا مأخذ يصلح لوجوب الاستثناء وهذا المأخذ الثاني للقاضي ، فإن المنازع احتج بأنه لمالم يجز الاستثناء في الإسلام فكذلك في الإيمان .

قال: والجواب أن الإسلام مجرد الشهادتين،وقد أنى بهما،والإيمان أقوال وأعمال ، لقوله «الإيمان بضع وسبعون بابا » وهو لا يتحقق كل ذلك منه .

«المأخذ الثالث»: أن ذلك تركية للنفس وقد قال الله: ( فَلاَتُرَكُّوا أَنفُسكُمْ) وهذا يصلح للاستحباب، وإلا فإخبار الرجل بصفته التي هو عليها جائز وإن كانت مدحا وقد يصلح للإيجاب، قال الأثرم في « السنة »: حدثنا أحمد بن حنبل سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما أدركت أحداً من أصحابنا ولا بلغني إلا على الاستثناء قال الأثرم سمعت أباعبد الله يسأل عن الاستثناء في الإيمان ماتقول فيه ؟ قال: أما أنا فلا أعيبه " فاستثنى مخافة واحتياطاً ليس كما يقولون على الشك، إنما يستثنى للعمل، قال أبو عبد الله: قال الله: ( لَتَدَّخُلُنَ يَقُولُون على الشك، إنما يستثنى للعمل، قال أبو عبد الله: قال الله: ( لَتَدَّخُلُنَ الْمُسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ ) أي إن هذا الاستثناء لغير شك، وقد قال النبى

<sup>(</sup>١) سقط في الأصل مقدار نصف سطر

صلى الله عليه وسلم « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»أي لم يكن يشكفي هذا وقد استثنى ، وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « نبعث إن شاء الله » من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى والله لأرجو أن أكون أخشا كم لله » قال هذا كله تقوية للاستثناء في الإيمان .

قلت لأبى عبد الله: فكأنك لاترى بأساً أن لايستشى ، فقال إذا كان ممن يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فهو أسهل عندي ، ثم قال أبو عبد الله إن قوماً تضعف قلوبهم عن الاستثناء ، فتعجب مهمم ، وذكر كلاما طويلاً تركته .

فكلام «أحمد » يدل على أن الاستثناء لأجل العمل ، وهذا «المأخذ الثاني » وأنه لغير شك في الأصل ، وهـو بشبه «الثالث » ويقتضى أن يجوز توك الاستثناء وأما جواز إطلاق القول بأني مؤمن فيصح إذا عنى أصل الإيمان دون كاله ، والدخول فيه دون تمامه ، كايقول: أنا حاج وصائم لمن شرع في ذلك ، وكما يطلقه في قوله آمنت بالله ورسله ، وفي قوله : إن كنت تعني كذا وكذا أن جواز إخباره بالاسم مع القرينة وعلى هذا يخرج مواز إخباره بالاسم مع القرينة وعلى هذا يخرج ما روي عن صاحب معاذ بن جبل ، وما روي في حديث الحارث الذي قال « أنا مؤمن حقاً » وفي حديث الوفد الذين قالوا : « نحن المؤمنون » وإن كان في الإسنادين نظر .

### سئل

عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة ، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان» رواه الترمذي وأبو داود. وهل يكون الزاني في حالة الزنا مؤمناً أو غير مؤمن؟ وهل حمل الحديث على ظاهره أحد من الأئمة أو أجمعوا على تأويله ؟ فأجاب:

الحمدللة : الناس في الفاسق من أهل الملة ، مثل الزانيوالسارق والشارب ونحوم ، « ثلاثة أقسام » : طرفان ، ووسط .

(أحد الطرفين): أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ، ولا يدخل فى عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان ، ثم من هؤلاء من يقول: هوكافر: كاليهودي ، والنصراني . وهو قول الخوارج ، ومنهم من يقول: ننزله منزلة بين المنزلتين ؛ وهي منزلة الفاسق ، وليس هو بمؤمن ولاكافر ، وهم المعتزلة ، وهؤلاء يقولون: إن أهل الكبائر يخلدون في النار ، وإن أحداً منهم لا يخرج منها ؛ وهذا من «مقالات أهل البدع » التي دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافها، قال الله تعالى : ( وَإِن طَآيِفَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَ لَوْ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ إِخُوهُ فَأَصْلِحُوا أَلْمُؤْمِنِينَ أَفَنَ لَوْ أَمْ لِحُوا أَلَى قُوله — إلى قوله — إنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخُوهُ فَأَصْلِحُوا أَلْمُؤْمِنِينَ أَفْ اللهُ وَلَهُ وَلِهُ اللهُ اللهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَهُ وَلَ

بَيْنَ أَخُوَيْكُمْ ) فساهم مؤمنين ، وجعلهم إخوة مع الاقتتال ، وبغي بعضهم على بعض ، وقال الله تعالى : ( فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ) ولو أعتق مذنباً أجزأ عتق ه بإجماع العلماء .

ولهذا يقول علماء السلف في المقدمات الاعتقادية: لانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، بل جلد هذا، وقطع هذا، وهو في ذلك بستغفر لهم، ويقول: لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم، وأحكام الإسلام كلها مرتبة على هذا الأصل.

(الطرف الثانى): قول من يقول: إيمانهم باق كما كان لم ينقص» بناء على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم، وهو لم يتغير، وإيما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك سبيلهم، وهو أيضاً قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع السابقين والتابعين لهم بإحسان. قال الله تعالى: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّهِ عَرَسُولِهِ عَنْمَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِالمَّولِهِ مَ تعالى: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّهِ يَنَا اللهُ وَرَسُولِهِ عَنْمَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْمَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِاللَّهِ وَلَهِ وَرَسُولِهِ عَنْمَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِاللَّهِ وَلَهُ وَلِهِ مَ وَقَالَ : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ وَقَالَ : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ حَقًا ) وقال : ( فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ) وقال : ( لِيَزْدَادُونَا إِيمَنَا مَعَ إِيمَنِهِمَ ) وقال : ( فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ) وقال : ( لِيزْدَادُونَا إِيمَنَا مَعَ إِيمَنِهِمَ ) وقال : ( فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ) وقال : ( لِيزْدَادُونَا إِيمَنَا مَعَ إِيمَنِهِمَ ) وقال : ( فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَهَا لُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ) وقال : ( فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَهُرْ يَسْتَبْشِرُونَ ) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » وقال لوفد عبد القيس: « آمركم بالإيمان بالله أندرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم » . وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ومعنى ذلك أنه قول القلب ، وعمل القلب ، ثم قول اللسان وعمل الجوارح.

فأماقول القلب فهو التصديق الجازم باللهوم الائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم الناس في هذا على أقسام: منهم من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل ومنهم من صدق جملة وتفصيلاً، ثم منهم من يدوم استحضاره وذكره لهذا التصديق، ومنهم من يغفل عنه ويذهل، ومنهم من استبصر فيه بما قذف الله في قلبه من النور والإيمان، ومنهم من جزم به لدليل قد تعترض فيه شبهة أو تقليد جازم وهذا التصديق يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص الله والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها مسن الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة المعلول.

ويتبع الاعتقاد قول اللسان، ويتبع عمل القاب الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك.

وعند هذا فالقول الوسط الذي هوقول أهل السنة والجماعة أتهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق، ولا يعطونه على الإطلاق. فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقال: ليس بمؤمن حقا، أو ليس بصادق الإيمان.

وكل كلام أطلق فى الكتاب والسنة فلا بد أن يقترن به ما يبين المراد منه. والأحكام منها ما يترتب على أصل الإعمان فقط : كجواز العتق فى الكفارة وكالموالاة والموارثة ونحو ذلك ، ومنها ما يترتب على أصله وفرعه : كاستحقاق الحمد والثواب وغفران السيئات ونحو ذلك .

إذا عرفت «هذه القاعدة ». فالذي فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهها وهو مؤمن » والزيادة التي رواها أبو داود والترمذي صحيحة ، وهي مفسرة للرواية المشهورة .

فقول السائل: هل حمل الحديث على ظاهره أحد من الأمّة ؟ لفظ مشترك ؛ فإن عنى بذلك أن ظاهره أن الزاني يصير كافراً ، وأنه يسلب الإيمان بالكلية ، فلم يحمل الحديث على هذا أحد من الأمّة ، ولا هو أيضاً ظاهر الحديث لأن قوله خرج «منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة » دليل على أن الإيمان

لا يفارقه بالكلية ، فإن الظلة تظلل صاحبها وهي متعلقة ومرتبطة به نوع ارتباط.

وأما إن عنى بظاهره ما هو المفهوم منه ، كما سنفسره إن شاء الله فنعم ؛ فإن عامة علماء السلف يقرون هذه الأحاديث ويمرونها كما جاءت ، ويكرهون أن تتأول تأويلات نخرجها عن مقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل كراهة تأويل أحاديث الوعيد : عن سفيان وأحمد بن حنبل \_ رضي الله عنهم \_ وجماعة كثيرة من العلماء ، ونص أحمد على أن مثل هذا الحديث لا يتأول تأويلا يخرجه عن ظاهره المقصود به ، وقد تأوله الخطابي وغيره تأويلات مستكرهة ، مثل قولهم لفظه لفظ الخبر ، ومعناه النهي : أي ينبغي للمؤمن ألا يفعل ذلك ، وقولهم: المقصود به الوعيد والزجر دون حقيقة النفي، وأنما ساغ ذلك لما بين حاله وحال من عدم الإيمان من المشابهة والمقاربة، وقولهم: إنما عدم كمال الإيمان و تمامه، أو شرائعه و ثمراته ونحو ذلك، وكل هذه التأويلات لا يخفي حالها على من أمعن النظر .

فالحق أن يقال: نفس التصديق المفرق بينه وبين الكافر لم يعدمه، لكن هذا التصديق لو بقي على حاله لكان صاحبه مصدقا بأن الله حرم هذه الكبيرة وأنه توعد عليها بالعقوبة العظيمة، وأنه يرى الفاعل ويشاهده؛ وهو سبحانه وتعالى مع عظمته وجلاله وعلوه وكبريائه يمقت هذا الفاعل، فلو تصور هذا حق التصور لامتنع صدور الفعل منه، ومتى فعل هذه الخطيئة فلا بد من أحد « ثلاثة أشياء » .

إما اضطراب العقيدة ؛ بأن يعتقد بأن الوعيد ليس ظاهره كباطنه ، وإنما مقصوده الزجر كما تقوله : المرجئة . أو أن هذا إنما بحرم على العامة دون الخاصة كما يقوله الإباحية ، أو نحو ذلك من العقائد التي تخرج عن الملة . وإما الغفلة والذهول عن التحريم ، وعظمة الرب وشدة بأسه . وإما فرط الشهوة بحيث يقهر مقتضى الإيمان ، ويمنعه موجبه بحيث يصير الاعتقاد مغموراً مقهوراً ، كالعقل في النائم والسكران، وكالروح في النائم .

ومعلوم أن « الإيمان » الذي هو الإيمان ليس باقياً كماكان ؛ إذ ليس مستقراً ظاهراً في القلب واسم المؤمن عند الإطلاق إنما ينصرف إلى من يكون إيمانه باقيا على حاله عاملا عمله وهو يشبه من بعض الوجوه روح النائم ؛ فإنه سبحانه : يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ؛ فالنائم ميت من وجه حي من وجه وكذلك السكران والمغمى عليه عاقل من وجه وليس بعاقل من وجه .

فإذا قال قائل: السكران ليس بعاقل فإذا صحا عاد عقله إليه كان صادقا مع العلم بأنه ليس بمنزلة البهيمة، إذ عقله مستور وعقل البهيمة معدوم؛ بل الغضبان ينتهي به الغضب إلى حال يعزب فيها عقله ورأيه وفى الأثر « إذا أراد الله نفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم فإذا أنف ذ قضاء وقدره رد عليهم عقولهم ليعتبروا » فالعقل الذي به يكون التكليف لم يسلب وإنما سلب العقل الذي به يكون صلاح الأمور فى الدنيا والآخرة .

كذلك الزانى والسارق والشارب والمنتهب لم يعدم الإيمان الذي به يستحق ألا يخلد في النار، وبه ترجى له الشفاعة والمغفرة، وبه يستحق المناكحة والموارثة لكن عدم الإيمان الذي به يستحق النجاة من العذاب ويستحق به تكفير السيئات وقبول الطاعات وكرامة الله ومثوبته ؛ وبه يستحق أن يكون محموداً مرضياً .

وهذا يبين ان الحديث على ظاهره الذي يليق به. والله أعلم.

### سئل رحمه الله:

عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يسدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » هل هذا الحديث مخصوص بالمؤمنين ، أم بالكفار ؟ فإن قلنا مخصوص بالمؤمنين فقولنا ليس بشيء ؛ لأن المؤمنين يدخلون الجنة بالإيمان . وإن قلنا مخصوص بالكافرين فما فائدة الحديث ؟

فأجاب: لفظ الحديث في الصحيح: « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان » فالكبر المباين للإيمان لا يدخل صاحبه الجنة كما في قوله: ( إِنَّ الَّذِيثَ يَسَتَ كُبِرُونَ عَنْ عِبَادَقِ سَيَدْ خُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) ومن هذا كبر إبليس، وكبر فرعون وغيرها ممن كان كبره منافياً للإيمان ، وكذلك كبر اليهود الذين أخبر الله عنهم بقوله: ( أَفَكُلُّ مَا جَاءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لاَ نَهُ وَيَ أَنفُسُكُمُ اَسْتَكُبَرُ ثُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا لَفَنْدُونَ ) .

والكبر كله مباين للإيمان الواجب، فمن فى قلبه مثقال ذرة من كبرلايفعل ما أوجب الله عليه ويترك ما حرم عليه، بل كبره يوجب له جحد الحق ،واحتقار الحلق ، وهذا هو « الكبر ، الذي فسره النبي صلى الله عليه سلم حيث سئل في

تمام الحديث. فقيل: يارسول الله! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً. فمن الكبر ذاك؟ فقال: « لا إن الله جميل بحب الجمال ، الكبر بطرالحق، وغمط الناس » وبطر الحق جحده ودفعه ، وغمط الناس از دراؤهم واحتقارهم ، فمن في قلبه مثقال ذرة من هذا يوجب له أن يجحد الحق الذي يجب عليه أن يقربه ، وأن يحتقر الناس ، فيكون ظالماً لهم معتدياً عليهم ، فمن كان مضيعاً للحق الواجب ؛ ظالماً للخلق . لم يكن من أهل الجنة ، ولا مستحقاً لهما ؛ بل يكون من أهل الوعيد .

فقوله: « لايدخل الجنة » متضمن لكونه ليس من أهلها ، ولا مستحقاً لها لكن إن تاب ، أو كانت له حسنات ماحية لذنبه ، أو ابتلاه الله بمصائب كفر بها خطاياه ، ونحو ذلك ، زال ثمرة هذا الكبر المانع له من الجنة ؛ فيدخلها ، أوغفر الله له بفضل رحمته من ذلك الكبر من نفسه ؛ فلا يدخلها ومعه شيء من الكبر، ولهذا قال من قال في هذا الحديث وغيره: إن المنفي هو الدخول المطلق الذي لا يكون معه عذاب ؛ لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة ؛ فإنه إذا أطلق في الحديث فلان في الجنة ، أو فلان من أهل الجنة ، كان المفهوم أنه يدخل الجنة ولا يدخل النار .

فإذا تبين هذا كان معناه أن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ليس هو من أهل الحبة ، ولا بدخلها بلا عذاب ، بل هو مستحق للعذاب لكبره ، كما يستحقها غيره من أهل الكبائر ، ولكن قد بعذب في النار ما شاء الله ، فإنه

لا يخلد فى النار أحد من أهل التوحيد ، وهذا كقوله : «لابدخل الجنة قاطع رحم » وقوله : «لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وأمثال هذا من أحاديث الوعيد ، وعلى هذا فالحديث عام في الكفار وفى المسلمين .

وقول القائل: إن المسلمين يدخلون الجنة بالإسلام، فيقال له: ليس كل المسلمين يدخلون الخنة بلا عذاب، بل أهل الوعيد يدخلون النار، ويمكثون فيها ما شاء الله، مع كونهم ليسوا كفاراً، فالرجل الذي معه شيء من الإيمان، وله كبائر قد يدخل النار، ثم يخرج منها: إما بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإما بغير ذلك ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» وكما في الصحيح أنه قال: «أخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان »وهكذا وكما في النفس والزاني وشارب الخروا كل مال اليتيم وشاهد الزور، وغير هؤلاء من أهل الكبائر؛ فإن هؤلاء \_ وإن لم يكونوا كفاراً \_ لكنهم ليسوا من المستحقين للجنة الموعودين بها بلاعقاب.

ومذهب أهل السنة والجماعة: أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كا قالت الخوارج والمعتزلة ، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة؛ بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب؛ وهذا مبسوط في موضعه والله أعلى.

# سئل شيخ الإسلام: عن «بدعة المرازقة»

فأجاب: ثم إن جماعات ينتسبون إلى الشيخ «عثمان بن مرزوق » ويقولون: أشياء مخالفة لما كان عليه ، وهو منتسب إلى مذهب أحمد ، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب بن أبي الفرج الشيرازي ، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي ، ويقولون أقوالا مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد ؛ بل ولسائر الأئمة وشيخهم هذا من شيوخ العلم والدين ، له أسوة أمثاله ، وإذا قال قولاً قد علم أن قول الشافعي وأحمد يخالفه ، وجب تقديم قولها على قوله مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة ، فكيف إذا كان القول مخالفاً لقوله ولقول الأئمة ، وللكتاب والسنة .

وذلك مثل قولهم: ولا نقول قطعاً ونقول نشهد أن محمداً رسول الله، ولا نقطع، ويروون أثراً عن علي وبعضهم يرفعه أنه قال: لانقل قطعاً، وهذا من الكذب المفترى باتفاق أهل العلم، ولم يكن شيخهم يقول هذا، بل هذه بدعة أحدثها بعض أصحابه بعد موته، وإذا قيل لواحد منهم: ألا تقطع! قال: إن الله قادر على أن يغير هذه

الفرس ، فيظن أنه إذا قال قطعاً أنه نني لقدرة الله على تغيير ذلك ، وهذا جهل فإن هذه الفرس فرس قطعاً في هذه الحال والله قادر على أن يغيرها .

وأصل « شبهة هؤلاء » أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان فيقول أحدم: أنا مؤمن \_ إن شاء الله \_ وكانت ثغور الشام: مثل عسقلان، قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي \_ شيخ البخاري \_ وهو صاحب الثوري، وكان شديداً على المرجئة، وكان يرى « الاستثناء في الإيمان » كشيخه الثوري وغيره من السلف.

والناس لهم في الاستثناء « ثلاثة أقوال » :

مُهُم من يحرمه كطائفة من الحنفية ، ويقولون من يستثني فهو شكاك.

ومهم من يوجبه : كطائفة من أهل الحديث.

ومنهم من يجوزه \_\_ أو يستحبه \_\_ وهذا أعدل الأقوال ، فإن الاستثناء له وجه صحيح فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله ، وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات ، ويخاف أن لايكون قامًا بها، فقد أحسن ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم ، قال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة ؛ فاستثنى خوفا من سوء الخاتمة فقد أصاب ، وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له : عن رجل أنت مؤمن؟

فقال: نعم، فقيل له أنت من أهـل الجنـة، فقال أرجو، فقال: هلا وكل الأولى كما وكل الثانية، ومن استشى خوفا من تزكية نفسه أو مدحها، أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن، ومن جزم بما يعلمه أيضاً فى نفسه من التصديق فهو مصيب.

والمقصود أن أصل شبهة هؤلاء «الاستثناء في الإيمان» كما عليه أهل ثغر عسقلان، وما يقرب منها، وعامة هؤلاء جيران عسقلان، ثم صاركثير منهم يستنى في الأعمال الصالحة فيقول: صليت إن شاء الله، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر، وصنف أهل الثغر في ذلك مصنفاً وشيخهم ابن مرزوق عايته أن يتبع هؤلاء ولم يكن هو ولا أحد قبله من أهل العلم عتنعون أن يقولوا: لما يعلم أنه موجود هذا موجود قطعاً، وقد نقل بعض الشيوخ أنه كان يستنى في كل شيء وكأنه بستنى والله أعلم في الخبر عن الأمور المستقبلة [ لقوله نعالى] ( لَتَدَخُلُنَ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ ٱلله ) وقوله هو وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ؟ ».

والواجب موافقة جماعة المسلمين ، فإن قول القائل: قطعاً بذلك ، مثل قوله أشهد بذلك ، وأجزم بذلك، وأعلم ذلك ؛ فإذا قال : أشهد ولاأقطع ؛ كان جاهلا ؛ والجاهل عليه أن يرجع ؛ ولا يصر على جهله ؛ ولا يخالف ماعليه علماء المسلمين ؛ فإنه يكون بذلك مبتدعا جاهلا ضالا .

وكذلك من جهلهم قولهم إن الرافضي لايقبل الله توبته ؛ ويروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «سب أصحابى ذنب لايغفر » ويقولون : إن سب الصحابة فيه حق لآدمي فلا يسقط بالتوبة ؛ وهذا باطل لوجهين :

(أحدها) أن الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وهو مخالف للقرآن والسنة والإجماع؛ فإن الله يقول في آيتين من كتابه: (إِنَّ اللهَ لاَيغَفِرُ أَن والسنة والإجماع؛ فإن الله يقول في آيتين من كتابه: (إِنَّ اللهَ لاَيغَفِرُ أَن يَشْرَكَ بِهِ وَيغَفِرُ مَا دُون ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ) وبهذا احتج أهل السنة على أهل البدع الذين يقولون: لا يغفر لأهل الكبائر إذا لم يتوبوا، وذلك أن الله قال: ( قُلْ يَكِعبَادِي اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

(الثاني) أن الحديث لو كان حقاً فمعناه أنه لا يغفر لمن لم بتب منه ، فإنه لا ذنب أعظم من الشرك ، والمشرك إذا تاب غفر الله له شركه باتفاق المسلمين كا قال تعالى: ( فَإِن نَابُواْ وَأَفَا مُواْ الصَّلَوْةَ وَءَاتَوُا الزَّكُوْةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ) وفى الأخرى ( فَإِخْوَا نُكُمُ فِي الدِّينِ ) ومعلوم أن الكافر الحربي إذا سب الأنبياء ثم تاب الله عليه بالإجماع ، فإنه كان مستحلا لذلك ، وكذلك الرافضي هو يستحل سب الصحابة ، فإذا تبينله أنه حرام واستغفر لهم بدل ما كان منه ، بدل الله سيئاته بالحسنات ، وكان حق الآدمي في ذلك تبعاً لحق الله ؛ لأنه مستحل

لذلك، ولو قدر أنه حق لآدمي لكان بمنزلة من تاب من القذف والغيبة، وهذا في أظهر قولي العلماء لا يشترط في توبته تحلله من المظلوم بل يكفي أن يحسن إليه في المغيب؛ ليهدم هذا بهذا .

ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم ، كما يقولون : هـذا زرع البدعي ونحو ذلك ، فإن هذا عظيم لوجهين :

(أحدها) أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم عمافي الطائفة المكفرة لها؛ بل تكون بدعة المكفرة أغلظ أو نحوها، أو دونها، وهذا حال عامة أهل البدع الذين يكفر بعضهم بعضاً، فإنه إن قدر أن المبتدع يكفر، كفر هؤلاء وهؤلاء، وإن قدر أنه لم يكفر لم يكفر هؤلاء ولا هؤلاء، فكون إحدى الطائفتين تكفر الأخرى ولا تكفر طائفتها، هو من الجهل والظلم، وهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّ قُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءً).

(والثانى):أنه لو فرضأن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة لم يكن لأهل السنة ان يكفروا كل من قال قولا أخطأ فيه ، فإن الله سبحانه قال: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأُنَا) وثبت في الصحيح أن الله قال: «قد فعلت» وقال تعالى: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمُ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ) وروى عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال: « إن الله تجاوز ليعن أمتى الخطأ والنسيان » وهو حديث حسن رواه ان ماجه وغيره .

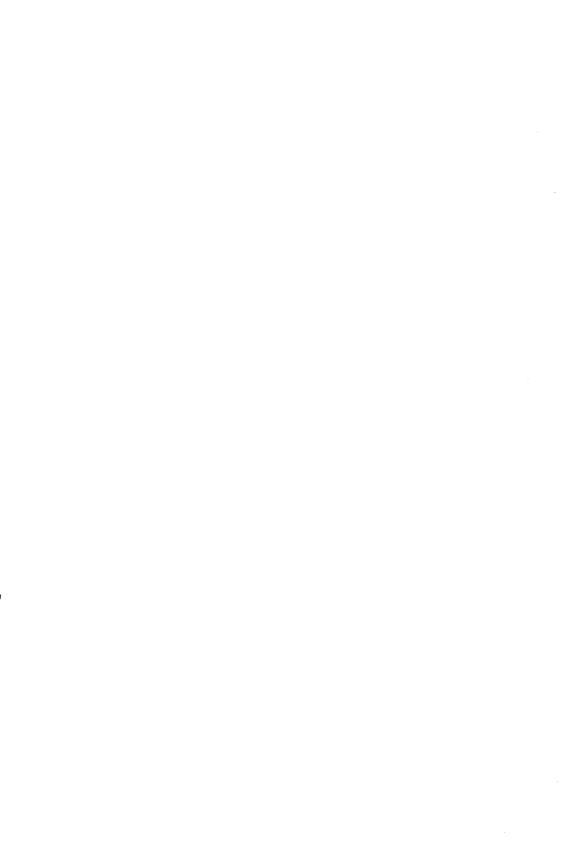
وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كلمن قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك ، وإن كان قـوله مخالفاً للسنة ، فتكفير كل مخطىء خلاف الإجماع ؛ لكن للناس نزاع في مسائل التكفير ، قد بسطت في غـير هذا الموضوع .

و (المقصود هذا) أنه ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ، ولا إمام من الأمّة أن يكفروا من عدام ؛ بل في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ! فقد باء بها أحدها » وقال أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » . وقال : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوناً » وقال : « مثل المؤمنين في تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوناً » وقال : « مثل المؤمنين في توادم و تراحمهم وتعاطفهم : كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وليس للمنتسبين إلى ابن مرزوق أن يمنعوا من منا كه المنتسبين إلى العوفي الاعتقادم أنهم ليسوا أكفاء لهم ابل أكرم الخلق عند الله أتقام ، من أي طائفة كانمن هؤلاء وغيرم ، كما قال تعالى: ( يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَنْكُمُ

مِن ذَكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمُ شُعُوبًا وَقَبَا إِلَا لِتَعَارَفُوا إِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِندَاللّهِ اَنْقَنَكُمْ ) وفي الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الناس أكرم؟ قال أتقام ». وفي السنن عنه أنه قال: « لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم خلق من تراب ».

## آخر المجلد السابع



## فهرس المجلد السابع

الموضوع

صفحة

« كتاب الإيمان الكبير »	3-173
الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا ومعناهما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم	
الدين ثلاث درجات ، ما بين الإسلام والإيمان والإحسان مـــــن العموم والخصوص ، وكذلك الرسالة والنبوة	
معنی قوله ( بنی ) أی ترکب	17 . 11
اسم الإيمان يذكر تارة غير مقرون بالإسلام ولا بغيره وتارة يذكر مقرونا	18 : 18
إذا ذكر مع الإسلام فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو مــمـا في القلب وإذا ذكر مجردا دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة	
23 ــ 27 اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله يتنساول فعل الواجبات وترك المحرمات ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان فلا بد أن يكون قد ترك واجبا أو فعل محرما وكذلك الصللة والزكاة ونحوهما من العبادات وإن ذكر فضل إيمان صاحبها ولم ينفى فهى مستحبة	
غلط من قال إن المنفى هو الكمال المستحب وأصاب من قال الكمال	
الواجب ، أمثلة وإيضاح تفسير ( لَا يَحِدُ قُومًا يُؤْمِنُونِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِيُوَآدُونَ ) الآية ، (تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ) ، ( وَمَنْ يَتَوَلَّمُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ) ، ( اِذَا يَانَاهُمْ مُرَادِينَ كَانُونُ أَنَّ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ يَتَوَلَّمُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	۱۸ ، ۱۷
( إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَّهُ وَرَسُولِهِ ) ٢٧ ، ٢٨ إِن قيل إِذَا كَان المؤمن حقا هو الفاعل للواجبـــات التأرك للمحرمات فقد قال ( أُوْلَيِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًا ) ولم يذكـــر إلا خمسة أشياء قيل عن هذا جوابان ، نفسير هذه الآية	. 77 - 19
تفسير ( وَجِلَتُ قُلُو بُهُمْ ) ، ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ )	

الموضوع	صبفحة
تفسير ( إِنَّمَا يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَتُوُّأُ ) ، الرجاء يستلزم الخوف ،	17 - 11
والخشبية تتضمن الرجاء	70 , 78
العقل ومتى يسمى الشخص عاقلا ومتذكرا ومهتديا وخائفا، الإنذار من فسدت فطرته فسدت قوته العلمية والعملية ، تفسير غلف صم	77 - 70
	14 - 10
بكم عمى تفسير ( ٱلَّذِينَهُمْ فِصَلاتِهِمْ خَشِعُونَ ) وهـــــل الخشوع واجــب أو مستحب	79 , 71
أو مستحبِ تفسير (ثُمُ قَسَتُ قُلُوبُكُم ) ، خير القلوب تفسير (ثُمُ قَسَتُ قُلُوبُكُم ) ، خير القلوب	
تفسير (م فست فلوبكم) ، حين الفلوب	٣٠
تفسير ( إِنَّ ٱلصَّكَاوَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْسُآءِ وَٱلْمُنْكُرِ ) ومعنى لم يزدد	41 , 4.
من الله إلا بعدا وحديث ، إن الرجل لينصرف من صلاته ولــــم	
يكتب له إلا نصفها الخ تفسير ( إِنَّ ٱلَّذِينِ ٱتَّقَوَّا إِذَا مَشَهُمْ طَلَىهِ ثُصِّ مِنَ ٱلشَّيْطَينِ ) الآية ومعنى	۳۲ ، ۳۱
حدیث لا یزنی الزانی	11 ( 11
فصل جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها نفيت فيهــــــا	45
العبادة لأجل ترك واجب فيها مثل (١) لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء	, •
لن لم يذكر اسم الله عليه	
الخلاف في وجوب التسمية (٢) لا صيام لمنالم يبيت الصيام من الليل	45
للعلماء قولان في صحة صلاة من ترك الجماعة وصلى منفردا ، حجة	47 , 40
من رأى عدم الصحة وجوابه عن حديث التفضيل ، لا يجــــوز	
التطوع مضطجعا	
ليس لأحد أن يحمل كلام الله على كلام أحد من الناس	47
وجوب تحكيم الشرع في كل ما شجر بين الناس	71 , 47
من أدلة حجية الإجماع آية ( وَمَن يُشَافِقِ ٱلرَّسُولَ ) وتوجيــه الدلالة	44 , 44
منها ، ما أجمع عليه لا بد أن يكون منصّوصًا	
الإجماع الذي من خالفه كفر والذي لا يكفر مخالفه	49
إذا وصف الواجب بصفات متلازمة فكل صفة يجب اتباعها	49
يُنزل على الرسول وحيان القرآن والسنة	٤٠
كلام أبى نصر المروزي والمؤلف على آية ( حَبَّبَإِلَيْكُمُّ ٱلْإِيمَٰنَ )	22 _ 27
معنى حديث أصدق الأسماء حارث وهمام	24
المباح بالنية الحسنة يكون خيرا وبالسيئة يكون شرا ، الطيبات	01 _ 27
ليست مباحة للكفار ولا لمن يستعين بها على معصية وإنما أبيحت	
لن يستعين بها على الطاعة	
تفسيه آيان فيما أحل وما حدم من الأطومة والصيد	5 A _ 5 S

الموضوع	فحة	صة	
حدیث إن الله یحب أن تؤتی رخصه النح وغلط من رواه كما یحب أن تؤتی عزائمه	٤٩	•	٤٨
هل تكتب جميع أقوال العبد أم لا يكتب إلا ما يؤجر عليه أو يؤذر	۰۰	•	٤٩.
المرجنة لا تنازع في أن الإيمان الذي في القلب يدعو إلى فعــــل الطاعة وأنها من ثمراته وإنما تنازع في أنه هل يستلزم الطاعة	٥١	•	٥٠
معنى • وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل	٥٢	6	01
فصل ومن هذا الباب لفظ الكفر والنفاق إذا أطلق دخل فيه الآخر	٥٤	4	٥٣
وقد يقرن الكفر بالنفاق كما يقرن لفظ المشركين بأهل الكتاب وقد يقرن بالملل الخمس	00	•	٥٤
أهل الكتاب لا يختص بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل وكذلك أولادهم ، الخلاف في نصاري بني تغلب	70	4	٥٥
هل يتناول لفظ المشركين أهل الكتاب إذا أفرد			50
فصل وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين ومن دونهم وقد يذكر مع غيره ، معنى الصالح	٥٨	ı	٥٧
فصل وكذلك لفظ المعصية إذا أطلقت دخل فيها الكفر والفسوق بخلاف ما إذا قيدت ، معنى التولى ، ذم من تولى يدل على وجسوب الطاعة وأن الأمر المطلق يقتضى الوجوب	71	Florid	०१
تفسير ( وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْمُ وفِ )	15	•	٦٠
- ٨٢ قصل ومن هذا ألباب الطلم والذنب والخطيئة إذا أطلق تناول الكفر وسائر الذنوب كقوله ( آخْتُرُواالَّذِينَ طَامُوا ) الآيات وقد يقرن ببعض الذنوب الظلم ثلاثة أنواع	٦٥	•	75
تَفْسيرُ الأَرْوَاجُ حيثُ وردت في القرآن	٦٤	_	75
معنى الشفاعة والشفاعة الحسنة والسيئة	70		75
_ ٧٢ تفسير (أَتَّخَارُهُمُ أَلَّحُهُمُ وَرُهُمُكَنَّهُمُ) ، متى يجوز التقليد	٧٠		
ومتى يمنع هل ورد لفظ التأبيد مع غير الكفر ، عقوبة من ظلمه دون الشرك الأكبر ليست كعقوبة من أشرك الشرك الأكبر	٧٤	•	۷۴
الكفر المطلق لا شفاعة فيه بخلاف غيره	٧٨	_	٧٤
لم يكن مشركوا العرب ولا غيرهم حتى المجوس يعتقدون أن أربابهم شاركت الله في خلق السموات والأرض منهب المجوس	VV V9		
الآية فصل ومن هذا الباب لفظ الصلاح إذا أطلق تناول جميع الخير .			
والفساد إذا أطلق تناول جميع الشر	<i>/</i> (	_	Λ١

الموضوع	صفحة
تَفْسِيرِ ﴿ إِنَّمَانَعُنْ مُصْلِحُونَ * أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ ﴾ وسبب نزول ﴿ إِنَّمَاجَزَ ۖ وَأُ	77 - 78
ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ )	
فصل فإن قيل تنوع دلالة اللفظ بالاطلاق والتقييد لا يمكن دفعه	۸۷
لكن نقول دلالة لفظ الإيمان على الأعمال مجاز أجيب بجوابين	
(١) كلام عام في لفظ أنحقيقة والمجاز (٢) ما يختص بهذا الموضع	
تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة	۸۸ ، ۸۷
أول من عرف عنه التكلم بلفظ المجاز لم يعن به ما هو قسيم الحقيقة	٨٨
ليس في أهل اللغة من قسم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز	۸۸
أول من جرد الكلام في أصول الفقه من الأئمة لم يذكر هــــنه	۸۸
التقسيم من منع هذا التقسيم من العلماء الأكابر وأصحاب الأئمة	
قول أحمد هذا من مجاز اللغة لا يعنى به أنه استعمل في غير مــا	٨٩
وضع له	
أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا في أنقرآن ولا في غيره منهم٠٠	9. , 19
غلط من قال إن النزاع لفظي بين من أثبت المجاز وبين من نفام	9.
وسلم أن في الملغة لفظا مستعملا في غير ما وضع له بقرينته	
من قال إن اللغات اصطلاحية أو توقيفية أو إلهامية ، وحجته	97 - 9.
هل علم الله آدم ومن حمل في السفينة جميع اللغات الستي يتكلم	90 - 95
بها الناس إلى يوم القيامة ، تفسير ( وَعَلَّمَ ءَادَمَ ) النح	
بطلان تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز والاعتراض على حد كل منهما	1.3 - 97
ومن أمثلة ذلك الرأس وإنسان العين وإبرة الذراع والكلام والكلمة	
والحرف والشبجاع والأسد والحمار	
ما يسمى كلاما في الكتاب والسنة وكلام العرب	1.4 - 1
هل يجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة عقــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.0 . 1.8
أو شرعا	
هل أمر بنوا إسرائيل بذبح أى بقرة أم ببقرة معينة	1.0
هل للفظ الصلاة والزكاة والحج معانى في اللغة غير معناهــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.0
في الشرع	
بحث في الإطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في الأمور العقلية	1.9 - 1.1
والسمعية	
مما ادعى فيه المجاز في القرآن والسنة لفظ الذوق والجـــوع	114 - 1.4
والخوف والمكر والكيد والسخرية	
من الامثلة المشهورة لمن يثبت المجاز ( وَسُعَلِ ٱلْفَرْدِيَةُ )	
الطريق إلى معرفة مقاصد الرسول بكلامه	
الجار في لغة الرسول ليس هو الشريك ، الخمر في لغته	117

مجرد التصديق	حقيقة في	حيث جعلوه	اسم الإيمان	أخطأ المرجئة في	111	- 117
			مجازا	وتناوله للأعمال		

١١٧ ليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق

- ١١٧ دلالة لفظ الإيمان على الأعمال ليست دون دلالة الصلاة و نحوهاعليها
  - ١١٧ ، ١١٨ إن قيل الصلاة و نحوها لو ترك بعضها بطلت بخلاف الإيمان
- ۱۱۸ ، ۱۱۹ عمدة المرجئة في الإيمان ليست على بيان الكتاب والسنة وأقــوال السلف وتلك طريقة أهل البدع كالمعتزلة والرافضة والملاحدة
- ۱۱۹ عمدة هؤلاء على رأيهم وماً تأولوه من اللغة وعلى كتب الأدب وكتب الكلام
- ۱۱۹ قول الباقلاني والقلانسي والثقفي وابن مجاهد وابن كلاب وحماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة في الإيمان
- ۱۲۰ ، ۱۶۳ ۱۵۳ فصل الأشعرى وأكثر أصحابه نصروا قول جهم فسي الإيمان مع نصرهم لمذهب أهل السنة في الاستثناء فيه وغير ذلك سبب هذا التناقض
- ١٢٠ ، ١٢١ كفر أحمد ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم وهو أن الإيمان هــو التصديق فقط
- ١٢١ ، ١٢١ سبب طعن بعض الزيدية والمعتزلة على بعض من انتسب إلى الشافعي
- ١٢١ ١٤٣ عمدة من نصر قول الجهمية في مسألة الإيمان ما ذكره أبو بكر في التمهيد وأجوبة الجمهور من أهل السنة وغيرهم عنها
- ۱۳۲ ـ ۱٤۰ ليس حديث النفس كلاما ، معنى الكلام ، أبن كلاب أول من جعل مسمى الكلام هو المعنى فقط ، ما احتج به وما أجيب به
  - ١٤٠ ١٤٢ قول الكرامية في الإيمان وما احتجوا به والرد عليهم
    - ١٤٢ معنى التولى في القرآن
- 127 127 خالف الأشعرى بعض أصحابه واتبعوا قول السلف في مسألة الإيمان
  - ١٤٨ ، ١٤٨ احتج الجهمية ومن تبعهم في مسألة الإيمان بقوله ( لَّلْ يَجِدُ قُومًا يُومِنُوكَ الْجَهِمُ وَالْآخِرِبُواَدُوكَ ) الآية ولا حجة فيها
- ١٥٥ ، ١٥٥ فصل الذين نصروا منهب جهم جعلوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، بطلان هذا القول وبيان تناقضه
  - ١٥٦ \_ ١٥٩ مخالفة هؤلاء لما احتجوا به من قوله (قَالَتِٱلْأَعْرَابُءَامَنَا) الآية
- ١٦٠ ، ١٦١ فصل ومما يدل من القرآن على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال قوله تعالى ٠٠٠

- 177 \_ 177 فصل وأما لو قيد الإيمان فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح فقد يراد به ما في القلب ، وهل يراد به المعطوف عليه ، أو لا يكون داخلا في مسماه بل لازما له ، أو لا يكون بعضا ولا لازما
- 177 \_ 178 وكذلك عامة الأسماء يتغير مسماها بالإطلاق والتقييد والتجريد والإقتران كلفظ المعروف والمنكر والعبادة والطاعة والتقوى والبر والإثم والذنوب والهدى والضلال والفقر والتلاوة والإبرار والإتباع ما يراد بهذه الأسماء إذا أطلقت أو قيدت
- ١٦٧ ، ١٦٨ هذه الأسماء تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر وتسارة لكونان متساوين
  - ١٧٠ ، ١٧١ عبارات السلف في حد الإيمان ومعناها ، وكلها صحيحة
    - ١٧٠ ، ١٧١ أقوال الناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق
- ۱۷۲ ، ۱۷۹ ، ۱۷۹ ۲۰۲ فصل وعطف الشيء على الشيء في القــرآن وسائر الكلام يقتضى المغايرة والمغايرة على مراتب (۱) أن يكونا متباينين (۲) أن يكون بينهما تلازم (۳) عطف بعض الشيء عليه (٤) عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين أمثلة للجميع
- ١٧٣ ، ١٧٤ لا يترك أحد سنة إلا وقع في بدعة ، من لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور ومن فعل بعض المحظور لم يفعل جميع المأمور
  - ١٧٤ \_ ١٧٩ لفظ الأمر إذا أطلق تناول النهى
- ١٧٥ ، ١٧٥ تفسير لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقصـــــة موسى مع الخضر
- ما الحكم إذا قال الرجل لإمرأته إذا عصيت أمــرى فأنت طالق إذا نهاها فعصته
- ١٧٩ \_ ١٨٥ فصل لفظ الإيمان إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين فيتناول أعمال القلب والجوارح ، شواهد ذلك من القرآن
- ١٨١ ، ١٨١ مساواة المرجئة بين المطيع والعاصى فى الإيمان ، تفسير البسر ، وقولهم بلحوق الذم والعقاب لتارك الأعمال مع قولهم ليستمن الإيمان
- ۱۸۱ غلاة المرجئة يقولون أو يقال عنهم لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يدخل النار من أهل التوحيد أحد
- ۱۸۵ ـ ۱۸۷ دلاله اسم الإيمان على تصديق القلب وأعماله وعلى أعمال الجوارح كدلالة اسماء الله على ذاته وعلى صفاته ودلالة أسماء القرآن وأسماء النبـــى
- 1۸٦ \_ ١٨٩ إذا صلح القلب بالإيمان انبعثت الجوارح بالأعمال الصالحة خلافا لجهم وأتباعه الذين زعموا أن الشخص قد يكون كامل الإيمان بقلبه وهو يسب الله ورسوله ٠٠٠

تفسير ( وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ السَّدُّ حُبَّالِلَّهِ )			۱۸۸
الإيمان والكفُّر عند المرجئة وكيف ثبت الكفر لمن سبب الله ورسبول	19.	_	۱۸۸

أو استكبر عن عبادته عندهم ، تكفير السلف لهؤلاء

١٩٠ ، ١٩١ هؤلاء المرجئة غلطوا في أصلين (١) ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط (٢) أن كل من حكم الشارع بأنه كافر فلخلو قلبه من التصديق والعلم لا لأسباب أخرى كالحسد والهوى وحب دين الآباء

١٩١ \_ ١٩٣ لم يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم

يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ، امَنُوا لَا لَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰٓ ٱوْلِيَّاءَ ، ۱۹۶ سبب نزول ( ( 194

حد الإيمان عند المرجئة تصديق القلب وقول اللسان ولم يسكن 198 قولهم مثل قول جهم لكن إن لم يدخلوا فيه أعمال القلوب لزمهم قوله وإن أدخلوها لزمهم دخول أعمال الجوارح ، حجج المرجئة

١٩٥ \_ ١٩٧ المرحمَّة ثلاثة أصناف ، منهب كل فرقة ، غلط هؤلاء من وجوه

٢٠٠ ، ٢٠١ لما هاجر الرسول صار الناس ثلاثة أصناف إما مؤمن وإما مظهـــر للكفر وإما منافق ، لم يكن من المهاجرين منافق وإنما كان النفة في قبائل الأنصار

أورد الجهمية سيؤالا وهو أن القرآن نفي الإيمان عن غير من وجلت 7.7 قلوبهم النح ولم يقل إن هذه الأعمال من الإيمان فنحن نقول من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمنا لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قليه والجواب عنه من وجوه

فصل الوجه الثاني ظنهم أنما في القلب من الإيمـــان ليس إلا 7.5 التصديق دون أعمال القلوب

٢٠٤ \_ ٢٠٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢١ الثالث ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما كإيمان جبريل وأبي بكر بدون شيء من الأعمال ، التحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر

٢٠٧ ، ٢٠٨ بعض المرجئة يفرق بين اسم الإيمان والدين وبعضهم لا يفـــرق ، مذهب المرحئة أن الدين ثلاثة أجزاء

٢٠٩ ، ٢١٠ لا حجة للمرجئة على أن الإيمان هو التصديق والقول في قـــوله أعتقها فإنها مؤمنة

٢١٠ ــ ٢١٧ تنازع الفقهاء في الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث ، أحكام أهل الإيمان تجرى في الظاهر على المنافقين حتى في زمسن رسول الله صلى الله عليه وسلم

غلط على الكرامية من حكى عنهم أنهم يجعلون المنافق من أهــل 717 الجنة ، هل يجزىء عتق الصغير

تجوز الصلاة على كل من لم يعلم أنه كافر في الباطن ، ترك الإمام TIV الأعظم الصلاة على بعض العصاة والمبتدعة لا يحرم الصلاة عليه

، ٢١٨ الصحابة لم يكفروا الخوارج، ليس كل واحد من الثنتين والسبعين فرقة كافرا كفرا ينقل عن الملة ، من كان منهم منافقا فهو كافر في

، ٢١٩ فرض متأخروا الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهي رجل مقر بوجوب الصلاة دعى اليها وامتنع وتهدد بالقتل فلم يصل حتى قتل هـــل ىموت كافرا ؟

٢١٩ ، ٢٢٠ قول اللسان من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به ، تفسير آيـــة

( ۚ إِلَّا مَنْ أُكْرِهُ ۚ ) فصَّل فإن قيلَ فإذا كان الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به 777 فمتى ذهب بعض ذلك بطل الإيمان فيلزم تكفير أهل الذنوب كما تقوله الخوارج أو تخليدهم وسلبهم الإيمان بالكلية كما تقـــوله المعتزلة وهذا شر من قول المرجئة لا يخلك في النار أحد من أهـــل القبلة ولا يحرم الشيفاعة

٢٥٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ القول بأن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله ممنوع ، الإيمان والإسلام عند الخوارج والمعتزلة

٢٢٣ \_ ٢٣٢ يتفاضل الإيمان عند أهل السنة ، عباراتهم في ذلك ، لفظ زيادة الإيمان صريح في القرآن وليست في التصديق فقط

٢٣٠ ، ٢٣١ لفظ الإيمان أكثر ما يذكر في القرآن مقيدا ، الحكمة في الدعوة بيا أيها الذين آمنوا ، لم يقل الله للكفار يا أيها الذين آمنوا

٢٣٢ ــ ٢٣٨ ، ٤٥٠ فصل وزيادة الإيمان تعرف من وجوه

TVO , TER \_ TEE , T.V \_ T.O , TAT \_ TA. , TOT \_ TTA فصل وقد أثبت الله في الكتاب والسنة إسلاما بلا إيمان كقــوله **TVV** \_ ( قَالَتِٱلْأَعْرَابُ ) الآية وقوله ﷺ أو مسلم فهل هذا الإسلام الذي نفي الله عن أهله الإيمان يثابون عليه أم هو من جنس إسلام المنافقين ، تفسير آيات من هذه السورة

٢٤٠ ، ٢٥٣ \_ ٢٦٠ من قال من السلف إن الفساق خرجوا من الإيمان إلىسى الإسلام لم يرد أنه لم يبق معهم من الإيمان شيء ، الفرق بينهما عندهم

TT9 , TT1 , TE1 , TEV , TT7 \_ TT- , TO1 , TE1 , TE. امتناع السلف من إطلاق الإيمان عليهم من أجل أن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الجنة والنجاة من النار بخسلاف اسم

- الإسلام فإنه لم يعلق به دخول الجنة لكن فرضه وأخبر أنـــه لا يقبل دينا سواه
- ٢٥٣ \_ ٢٥٩ مسألة الاستثناء في الإيمان والإسلام ، الكفر في قوله (وَمَن لَمْ يَحْكُمُ بِهِ ٢٥٣ \_ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتُهِكُ هُمُ ٱلْكَنِفِرُونَ )
- ٢٥٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٣ هل يكون مسلّماً من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام
- ٢٦١ \_ ٢٦٣ علق السعادة في القرآن بالإسلام والإحسان وبالإيمان والإسلام كما علقه بالإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح
  - ٢٦١ تفسير ولا هم يحزنون
- الإيمان وتفسير النبى لكل منهما وتفاضل الناس فيهما ومعنى الإسلام والإيمان وتفسير النبى لكل منهما وتفاضل الناس فيهما ومعنى الدين وخصال منه ، كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم معلم الإيمان المجمل
  - ٢٦٦ ، ٢٦٧ تُفسير ( ٱدْخُلُواْ فِي ٱليِّسَلِم كَآفَةً )
- ٢٧٢ ، ٢٧٣ غلط من قال في قوله قد كفرتم بعد إيمانكم ونحوها أنهم كفروا بلسانهم مع كفرهم أو لا بقلوبهم
- ٢٧٣ ، ٢٧٤ الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم ، تفسير هذه الآيات
  - ٢٧٣ ، ٢٧٤ الاستهزاء بالله ورسوله كفر
  - ٢٧٤ \_ ٢٨٠ تفسير ( مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتُوْفَدَنَارًا ) الآيات و ( رَبَّنَا ٱتَّمِمْ لَنَا وَوَرَنَا ) و ( وَٱلَذِنَ كَفَرُوۤ أَعْمَالُهُمُ كَسَرَكِ يِقِيعَةٍ ) الآيات
  - ٢٧٨ \_ ٢٨٠ أسباب نفاق من نافق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢٨٢ ـ ٢٨٥ كثيرا ما تعرض الوساوس لعامة الخلق ، موقف الناس منها ، وكيف تدفع
- ٢٨٤ ، ٢٨٥ أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل ، ضرر أهل البدع على الأمة
- ٢٨٦ ، ٢٨٧ فصل: الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها من جهة النبى لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم كلفظ الصلاة والزكاة والصوم والحج والخمر واسم الإسمال والكفر والنفاق
  - ٢٨٦ الأسماء ثلاثة أنواع لغوية وشرعية وعرفية
- ٢٨٧ ، ٢٨٨ ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان والكفر مخالف لبيان الرسول فلم يكن يجعل المذنب كافرا ولا من يقر بقلبه ولا يطيعه في شيء مسلما

- ٢٨٨ ، ٢٨٩ أهل البدع أعرضوا عن بيان الرسول وبنوا دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها إما في دلالة الألفاظ أو المعاني العقلية كما صنعت المرجئة في اسمى الإيمان والإسلام وغيرهما
- ٢٨٩ ــ ٢٩٣ عمدة المرجئة في أن الإيمان هو التصديق قوله (وَمَآأَنَتَ بِمُؤْمِنِكَنَا) والجواب عنه ، ليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق وذلك من وجوه
  - ٢٩٣ ــ ٢٩٧ قولهم لا يكون التصديق إلا بالقلب أو اللسان عنه جوابان
- ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ أكثر التنازع بين أهل السنة في مسألة الإيمان نـــزاع لفظي لكن صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام وإلى ظهور الفسق واللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب ، إيضاح ذلك

٢٩٨ الأقوال المنحرفة في هذه المسألة ، مما يحتج به على الخوارج

- 79۸ ٣٠٢ هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغية أسماء أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع ذاد في أحكامها لا في معنى الأسماء كاسم الصلاة والزكاة والصيام وانحج والإيمان والنفاق والكفر والإسلام والمسكين
- ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ـ ٣٥٥ من نفى عنه الرسول اسم الإيمان أو الإسلام فلا بد أن يكون ترك بعض الواجبات ، قد يجتمع فى العبد مع الإيمان شعبة من شعب النفاق وقد يعذب بالنار ثم يدخل الجنة
- ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٠ حد الإيمان عند أهل السنة وعند الجهميـــة والمرحئة
- ٣٠٨ ، ٣٠٩ حكم من ترك الصلاة متعمدا حتى ذهب وقت الظهر إلى المغـــرب والمغرب إلى نصف الليل
- ٣٠٩ ـ ٣١١ أبو عبيد له مصنف في الإيمان ذكر فيه من قال إن الإيمان قــول وينقص
  - ٣١٢ قد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق وإيمان وكفر لا ينقل عن الملة
- ٣١٣ شرح حديث جبريل الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
- ٣١٤ ٣١٦ فصل: ومما يسأل عنه أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلماذا قال الإسلام هو الخمس الظاهرة
- ٣١٧ ـ ٣٣٦ فصل: قال محمد بن نصر واستدلوا على أن الإيمان هو ما ذكر بأن الله سمى الصلاة وسائر الطاعات إيمانا الخ

- ٣٦٣ ، ٣٦٤ قول القائل الطاعات ثمرات التصديق الباطن يراد به شيئان
- ٣٧٥ ، ٣٧٦ والمقصود أن هنا قولين متطرفين قول من يقول الإسلام مجرد الكلمة والأعمال ليست داخلة في مسمى الإسلام وقول من يقول مسمى الإسلام والإيمان واحد
- ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ الرد على قول محمد بن نصر إن الله سمى الإيمان بمسا سمى به الإسلام وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان
- ٣٧٩ ، ٣٨٠ قول المروزى لا فرق بين من زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل ، ورده
- ٣٨٠ ، ٣٨١ مذهب المرجئة التفريق بين لفظ الدين والإيمان والفرق بين الإسلام والإيمان وقد حكى عنهم بعض السلف عدم التفريق
- ٣٨١ ، ٣٨٦ كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل إليهم من كلام أهل البدع كحكايتهم مذهب المرجئة والجهمية والقدرية وغيرهم
- ٣٨١ ــ ٣٨٥ حقيقة مذهب قدماء القدرية إنكار العلم السابق والكتابة السابقة أول من ابتدعه والرد عليهم
- ۳۸۰ ، ۳۸٦ مذهب متأخريهم إنكار عموم مشيئة الله وخلقه حـــكم القدرية والرواية عنهم مذهب الجبرية أيضا
- ٣٨٦ ٣٩٠ أقوال المرجئة ثلاثة ، كان أحمد أعلم بمقالات الناس من أبي تــور وغيره ، معنى ما نقل عن أبي ثور
- ۳۹۰ ۶۰۳ أجمع كتاب يذكر أقوال أحمد في مسائل أصول الدين وفروعـــه مما نقل عنه في الرد على طوائف المرجئة واحتجاجه عليهم ، إيضاح المؤلف لمقاصد أحمد
- ٣٩١ ـ ٣٩٣ ما يريد الأئمة بلفظ المجمل والمطلق والعام ، تحذير أحمد مــــن المجمل والقياس ومعنى ذلك
- - ٤٩٤ ، ٣٩٥ ذم الأثمة للإرحاء
  - ٤٠٣ ـ ٤٠٧ تناقض من نصر قول جهم في مسائل الإيمان وسببه
- ٤٠٧ ٤٠٩ يرى المرجثة أن التفاضل إنما هو في الأعمال دون الإيمان السندي في القلوب
- ٤٠٨ ، ٤٠٩ لا يجب على كل مسلم أن يعرف كل خبر وكل أمر فـــــــى الكتاب والسنة ومعناه والعمل به
- ٤٠٩ ـ ٤١٦ بيان غلط من سوى بين الإسلام والإيمان وقال إن الله سمى هذا بما سمى به هذا ، الناس في الإيمان والإسلام على أربعة أقوال
  - ١٥٥ ٤١٩ مسألة الاستثناء في الإيمان والصواب فيها مع ذكر الحجج

- ٤١٨ ـ ٤٢١ بعض الأسماء ينفى فى حكم ويثبت فى حكم كاسم الإيمان والنفاق والنفاق والنكاح والرجال
  - ٤٢٤ ، ٤٢٤ قصة اختصام سعد وعبد بن زمعة
- 277 \_ 278 سبب امتناع الرسول من عقوبة المنافقين ، ما في الكتاب والسنة من نفى الإيمان عن أصحاب الذنوب إنما هو في خطاب الوعيد والذم لا في خطاب الأمر والنهى ولا في أحكام الدنيا
- ٤٢٤ \_ ٤٢٨ إن قيل فإذا كان كل مؤمن مسلما وليس كل مسلم مؤمنا الإيمان الكامل فما تقولون فيمن فعل ما أمره الله وترك ما نهى الله عنه أليس مسلما باطنا وظاهرا من أهل الجنة يجب أن يكون مؤمنا ؟؟
- ٤٢٧ ، ٤٢٨ هل ترك كل خصلة من خصال الإيمان من الذنوب ، النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم
- 279 \_ 270 فصل وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله فالناس فيه على ثلاثة أقوال ، الذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان
- ٤٣٠ ، ٤٣١ قول ابن كلاب ومن اتبعه في الرضى والغضب ونحوهما من الصفات
- ٤٣٢ \_ ٤٣٤ الاستثناء في الصلاة ، الاستثناء في كل شيء مذهب المرازقـــة ، وشبهتهم ، من وافق ابن كلاب على أصله
- ٤٣٥ \_ ٤٤٧ الأشاعرة والكلابية والمرازقة ونحوهم ينصرون ما ظهر مــن دين الإسلام والسنة وما كان عليه السلف كما ينصر ذلــك المعتزلة والجهمية ونحوهم وكثير منهم لا يكون عارفا بذلك ومن ذلك مسمى الإيمان والاستثناء فيه ، وظنهم أن الإيمان والكفر عند السلف هو ما بموت عليه الشخص
- 257 \_ 257 ولاية الله وعداوته عند ابن كلاب وأتباعه وغضبه وحبه ورضاه و فضياه و نحو ذلك من صفاته
- على المائخة الثاني في الاستثناء في الإيمان أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به فإذا قال أنا مؤمن فقد زكى نفسه
- وه يعلم وجود الاستثناء وهو عدم الشك فيما يعلم وجوده في نفسه من الإيمان من الله من الإيمان من الويمان من الويم
  - ى مى مى الإيمان ٤٦٢ ، ٤٥٤ ـ ٤٦٠ تفسير ( وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا ٓءَاتُواْ ) و ( لَتَذْخُلُنَ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ان شَاءَ اللهُ )
- 209 \_ 271 إذا لم يوجد المحلوف عليه أو متى وجد المحلوف عليه أنه لا يفعله حنث ناسيا أو مخطئا أو جاهلا

## ٣٤١-٤٦١ « كتاب الإيمان الأوسط»

فصل في حديث سؤال النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان	173
· ٤٦٣ الناس على عهد الرسول بالمدينة ثلاثة أصنافٌ مؤمن وكافر مظهر	773
للكفر ومنافق كما ذكرهالله في أول البقرة وبمكة قبل الهجرة صنفان	
- ٤٧٠ السور والآيات التي ذكر فيها المنافقون وأوصافهم ، المنافقون في	274
عهد الرسول يلتزمون من أحكام الإسلام الظاهرة ما لم يلتزمه كثير	
من المنافقين بعدهم	
، ٤٧٢ متى تكلم الناس بلفظ الزنديق وقبول توبته ، من هو الزنديق	٤٧١
_ ٤٧٦ جِاء وصف أقوام بالإسلام دون الإيمان كقوله ( قَالَتِٱلْأَعْرَابُ ) الـخ	EVY
( فَأَخْرَجْنَامَنِكَانَفِيهَا ) النح وقوله " أو مسلم » فظن طائفة أن ذلك	
يقتضَى أن مُسماهما واحد وليس كذلك ، الصواب في مثل هؤلاء	
- ٤٧٦ معنى الآيات وحديث سعد أعطيت فلانا وفلانا وهو مؤمن فقال أو	٤٧٤
مسلم وقوله لا يزنى الزاني الخ	
، ٤٧٦ الكرامية يرون أن المنافق مؤمن لكنه مخلد في النار ، من حكى عنهم	٤٧٥
أنهم جعلوه في الجنة فقد أخطأ	
- ٤٨١ الخلاف في الفاسق الملي أول خلاف ظهر في الإسلام في مسائل	٤٧٩
أصول الدين ، قصة نشوئه والأحاديث في الخُوارج	
ـ ٥٠١ أسماء الخوارج ومذهبهم ، ومذهب المعتزلة وما احتجوا به ومــا	٤٨١
يرد به عليهم	
، ٤٨٣ قُتلُ الشاربُ في الثالثة أو الرابعة والزيادة على الأربعين والتعزير	211
وصفة الضرب يرجع إلى اجتهاد الإمام	
، ٤٨٦ الظالم والمقتصد والسَّابق في الأَّية كالإسلام والإيمان والإحسان	240
في حديث جبريل	
ـ ٥٠١ عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب وهي ٠٠٠	٤٨٧
، ٤٨٩ هل الاستغفار وحده سبب لمغفرة الذنوب أم لا بد معه من التوبة	٤٨٨
- ٤٩٨ هل تكفر الحسنات الكبائر أم هي مختصة بالصغائر	٤٨٩
التوحيد والعدل الذي يفتخر به المعتزلة	294
- ٤٩٧ تفسير ( إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُنَّقِينَ ) ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْثُونَ مَآءَ اتَّوا ﴾ الآية سبب	191
خوف من خاف من السلف أن لا يقبل مُّنه و	
- ٥٠٠ لا معارضة بين النصوص الدالة على انتفاع الميت بما يعمل له وبين	٤٩٨

( وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَاسَعَىٰ )

- ٥٠١ فصل: التكفير بمطلق الذنوب والتخليد في النار لم يذهب إليهما أحد من أئمة الدين وكذلك الوقف في أهل الكبائر
- 0.٢ \_ 0.5 لا يعرف من جزم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة ، القول بأنه ماثم عذاب أصلا من أقوال الملاحدة والكفار كقول المتفلسفة إن الرسمل خاطبوا الناس بالتخييل وقول الباطنية وملاحدة المتصوفة، حججهم والرد عليهم
- ٥٠٤ \_ ٥٠٧ فصل ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والإيمان نزاعا كثيرا منه لفظى وكثير منه معنوى ، المأثور عن السلف في تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه
- ٥٠٧ ، ٥٠٨ أول من أنكر تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه حماد بن أبي سليمان وأتبعه ٠٠٠ تبديع السلف لهؤلاء ، وعسدم تكفيرهم
- ٥٠٧ ، ٥٠٨ المحفوظ عن أحمد تكفير الجهمية والمشبهة ولم يكفر أعيانهم بـــل صلى خلفهم ودعا لهم وأنكر باطلهم ولم يكفر الخوارج ولا القدرية إذا أقروا بالعلم
- ٥١٠ ثم قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان فـــإذا ذهب
   بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره ، وقالت المرجئة والجهمية
   ليس الإيمان إلا شيئا واحدا لا يتبعض
- ٥١١ \_ ٥١٣ زعم ابن الخطيب وأمثاله ممن يقول بقول جهم في الايمـــان أن الشدافعي متناقض شبهتهم ومنتهى نظر من منع أن يكون في الرجل طاعة ومعصية
  - ٥١٣ علط من الأصوليين من أنكر تفاضل العقل والإيجاب والتحريم
- ٥١٣ \_ ٥٢٢ مما يتعلق بهذا الموضع الكلام في شعب الإيمان هل هي متلازمة في الانتفاء وهل هي متلازمة في الثبوت
- ٥١٤ ــ ٥٢٢ أما الأول فإن الحقيقة الجامعة لأمور إذا ازال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها
- ٥١٥ ــ ٥١٨ هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء كاسم الإيمان والصلاة
   والقرآن والحج
  - ٥١٨ \_٥٢٠ إذا قال المعترض هذا الجزء داخل في الحقيقة وهذا خارج منها ؟

وبعض شعب	حد إيمان ونفاق	فى الشنخص الوا	وحينئذ فقد يجتمع	077 _	. 07.
		لكفر	الإيمان وشعبة من ا	1	
وة ولا تتلازم	، الثبوت عند الق	مان قد تتلازم في	لثاني أن شعب الإي	1 001 -	- 077

عند الضعف

النفاق نفاقان أصغر وأكبر كالكفر والشرك OYS

٥٢٤ ، ٥٢٥ الشارع ينفي أسم الإيمان عن الشخص لانتفاء كماله الواجب وإن كان معه بعض أجزائه فيجوز أن يقال للفاسق مؤمن باعتبار وليس مؤمنا باعتبار وأن الرجل قد يكون مسلما لا مؤمنا ولا منافقا مطلقا أنكر أحمد على من فسر قوله « ليس منا » ليس مثلنا أو قال ليس 070

من خيارنا وقال هذا تفسير المرجئة ، وأخطأ من قال يخرج مــن الإيمان بالكلية

> ٥٢٦ - ٢٨٥ هل الإرادة بلا عمل يحصل بها عقاب ، حجم ذلك تصديق القلب وعلمه يقتضى عمل القلب 071

، ٥٢٩ القلوب مفطورة على الإقرار بالله ومعرفة الحق لكن قسد يعرض 170 لها ما نفسدها

٥٢٩ - ٥٣٣ ليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق ، ما بينهما من الفروق

، ٥٣٥ كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله عدم التصديق 370 والعلم بل ٠٠٠

غلط من قال إن مجرد علم الله بالمخلوقات وإن مجرد إرادة المكنات 040 بدون القدرة موجب لوجودها ومن قال مجرد القدرة كافية

ما تستلزم الإرادة والحماة من الصفات 040

، ٥٣٧ يذهب الفلاسفة إلى أن سعادة النفس في مجرد أن تعلم الحقائق 570 بدون حب الله وعبادته ، من غلط في معنى اللذة

٥٣٧ - ٥٣٩ لا بد في الإيمان من تصديق الله ورسوله وحب الله ورسوله ، ليس الجهل ببعض أسماء الله وصفاته كفرا

أقسام العلماء ومعنى قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء 049

> ، ٥٤٠ ما يراد بلفظ العقل والجهل والجاهلية 049

جماهير المرجئة على أن عمل القلب داخل في الإيمان يشهد لذلك 730 نقل الأشعرى ذلك عنهم في كتب المقالات

٥٤٣ ــ ٥٥١ المرجنة اثنا عشر فرقة فيما ذكر الأشعري وغيره وهي ٠٠٠

٥٥١ - ٥٦٢ فصل إذا عرف أن أصل الإيمان في القلب فاسم الإيمان تارة يطلق عسلى ما فسى القلب مسن الأقوال والأعمسال القلبية وتكون الأقوال والأعمـــال الظاهرة لوازمه وموجباتـــه، وتارة على ما في القلب والبين فالأعمال الظاهرة تسمي إسلاما ،

## الموضوع

وتدخل في مسمى الإيمان تارة ولا تدخل فيه تارة لاختلاف دلالة الاسم بالإفراد والاقتران

٥٥٣ ، ٥٥٤ نصر أبي طالب للنبي كان حمية جاهلية فلم يتقبل

٥٥٤ منشأ الغلط في هذه الموضع من وجوه وهي ...

٥٥٥ ، ٥٥٦ اشتد نكير السلف على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان وقالوا إن الإيمان يتماثل الناس فيه وإخراجهم العمل مشعر أنهم أخرجوا أعمال القلوب أيضا

٥٥٧ \_ ٥٦٢ القائلون بمذهب جهم صرحوا بأن سب الله ورسوله وكل كلمة من كلام الكفر ليس كفرا في الباطن ولكنه دليل في الظاهر على مؤلاء الكفر ٠٠٠، الرد على هؤلاء

٥٦٢ \_ ٥٧٥ فصل والتفاضل في الإيمان بدخول الزيادة والنقص فيـــه يكون من وجوه

770 \_ 370 (١) الأعمال الظاهرة (٢) زيادة الأعمال الباطنة

076 (٣) أن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل (٤) أن نفس العلم والتصديق يتفاضل

٥٦٥ (٥) أن التفاضل في هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها

٥٦٦ (٦) أن التفاضل يحصل من جهة دوام ذلك وثباته وذكروه واستحضاره

٥٦٦ \_ ٥٦٨ (٧) ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلا مـن الإيمان

٥٧٠ \_ ٤٧٥ غلط وضلال من زعم أنه عرف الله حق معرفته بحيث إنه لم يبق له صفة إلا عرفها وأن ما لم يعرفوه ولم يقم لهم دليل على ثبوتـــه كان معدوما في نفس الأمر وأن من جهل بعض أسمائه وصفــاته يكون كافرا

٥٧٥ \_ ٥٩٧ فصل إذا علم أن الإيمان الذي في القلب يستلزم الأمور الظاهرة لم يبق إلا نزاع لفظى في أن موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مسماه أو لازم للإيمان

٥٧٥ ، ٥٧٦ إذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالا على الباطن فقط وإذا أفرد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر

٧٦ ، ٧٧ه ، ٥٧٩ فإن قيل اسم الإيمان إنما يتناول الأعمال مجازا

٥٧٥ ــ ٥٨٠ فإن قال قائل إن اسم الإيمان إنما يتناول مجرد ما هو تصديق الغ فإن قيل الأعمال الظاهرة تكون من موجب الإيمان تــارة وموجب غيره أخرى الخ

- الموضوع
- ٥٨٥ مما يبين فساد قول جهم وأتباعه الخ
   ٥٨٥ ـ ٥٨٧ يشبه قول جهم قول الفلاسفة إن سعادة الإنسان في مجرد أن
   يعلم الوجود على ما هو عليه ، صلاح الانسان
- ٥٩٧ ٥٩٧ حاصل ما عند المتفلسفة والدهرية ومن اتبعهم وأهل وحدة الوجود في العلوم الإلهية ، هم أسوأ حالا من اليهود والنصاري إيضاح ذلك مع الرد عليهم
- ٥٩٠ ١٩٥ الأصل الذي بني عليه ابن عربي منهبه هو غلط أسلاف المنطقيين اليونانيين ، غلطهم وضلالهم في الكليات وتعطيلهم وتشبيههم لله بالمخلوقات
- 99٧ ٦٢٢ فصل في الجمع بين الأحاديث التي ذكرت فيها أركسان الإسلام الخمسة وبين الأحاديث التي لم يذكر فيها بعضها
  - ٦٠٥ ـ ٦٠٧ متى فرضت الصلاة والزكاة والصوم والحج
- 7.9 ٦١٧ مسألة تكفير من ترك شيئا من أركان الإسلام الخمسة جحدا أو تكاسلا و يخلا
- ٦١٧ ، ٦١٨ حكم ميراث من لا يحافظ على الصلوات الخمس ولا يتركها بالجملة بل يصلى أحيانا وكذلك من قيل عنه هو كافر بتأويل أو بلا تأويل من أهل ألبدع
  - ٦١٨ ، ٦١٩ الفرق بين قتال الخوارج وقتال الجمل وصفين
- 719 التحقيق أن انقول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية ولكن يخفى على بعض الناس أنه كفر
- ٦٢٠ فإن قيل فالله قد أمر بجهاد الكفار والمنافقين فإذا كان المنافـــق تجرى عليه أحكام الإسلام في الظاهر فكيف تمكن مجاهدته
  - ٦٢٠ ، ٦٢١ الكفر نوعان كفر ظاهر وكفر نفاق
    - ٦٢١ لا بد في الدين من قول وعمل
- ٦٢٢ فصل وأما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه ، معنى الإحسان
  - ٦٢٣ ـ ٦٣٥ « وقال فصل قد ذكرت فيا تقدم من القواعد »
    - ٦٢٢ ، ٦٢٤ معنى الإسلام ، الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام
- - مَا ٢٤ تفسير ( وَإِذْ أَخَذْ نَامِيثَ قَ بَنِي إِسْرَهِ بِلَ ) إلى ( وَفَرِيقًا نَقْنُلُوكَ )
- ٦٢٨ لما كان أصل دين اليهود الكبر عوقبوا بالذلّة ولما كان أصل دين النصارى الإشراك أضلهم الله
- 7۲۹ المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل فيكون مشركا كفرعون وقومه 7۲۹ – 7۳۳ فإن قيل كيف يكون قوم فرعون مشركين وقد اخبر الله عن فرعون

صفحة

أنه يجحد الخالق؟

٦٣٠ ، ٦٣١ الذين كانوا في زمن يوسف مقرون بالله وإنما شركهم في العبادة

٦٣١ ، ٦٣٢ جحود الصانع لم يكن دينا غالبا على أمة من الأمم وإنما دينه ٦٣١ ، ١٣٥ ، مذهب الاتحادية

٦٣٣ المُستكبر عن عبادة الله يكون مشركا ، والمستكبر الذي لا يقر بالله في الظاهر أعظم كفرا وإن كان عالما بوجود الله وعظمته

٦٣٣ ، ٦٣٤ يجب على الإنسان أن يحذر من حــــــــــــــــــــــــال من فيهم استكبار وقسوة عن العبادة ومن قوم فيهم عبادة بإشراك

معد على وجهين متعديا الفظ الإسلام يستعمل على وجهين متعديا

ولازماً وهو يجمع معنيين وله معنيان وله مرتبتان ».

٦٣٦ ، ٦٣٧ ليس لفظ الإيمان مطابقا للفظ التصديق ، الأقوال في حد الإيمان ٦٣٧ الإيمان في الكتاب بمعنيين أصل وفرع واجب

٦٣٨ - ٦٤١ « وقال فصل أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله » .

٦٣٨ جمهور الخلائق يقرون بالله إلا ٠٠٠ الإيمان بالرسول هو المهم

٦٣٨ ، ٦٣٩ الإيمان هو الإقرار ، قول القلب ، عمله، معنى الإيمان بالله ، الكفر

٦٣٩ ، ٦٤ نُفَاق أهلُ الْعُلَم والكلام ، ونفاق أهل العملُ والعبادة ، النفاق المحض وحكم صاحبه ، النفاق الأصغر

معلى عن الإيمان بالله ورسوله هل فوقه مقام أو حال وهل تدخل فيه جميع المقامات وهل تكون صفة الإيمان نورا بوقعه الله في القلب وهل يكون لأول حصوله سبب

وما الأسباب التي يقوى بها الإيمان » الخ.

٦٤٢ ، ٦٤٣ اسم الإيمان يستعمل مطلقا ومقيدا إذا استعمل مطلقا دخل فيه ٦٤٢ ، جميع ما يحبه الله ٠٠٠ دليل ذلك ، أفضل الإيمان

756 ، 750 أصل الإيمان في القلب وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجب على الجوارح ليس داخلا في مسماه ولكنه من نتأثجه الدالة عليه

م ٦٤٦ ، ٦٤٦ إن قال القائل هذا يدل على أن الإيمان ينتفى عند انتفاء هـــذه الأمور لا يدل على أنها من الإيمان

الموضوع	مبفحة
هل اسم الإيمان للأصل فقط أوله ولفروعه وكذلك الحج	727
لا ينفي الإيمان إلا لترك واجب لا لترك مستحب ، لفظ الكمال قد	787
يراد به الكمال الواجب والكمال المستحب	
إذا استعمل لفظ الإيمان مقيدا فقد يقال إنه متناول لذلك وقسد	757
يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران	
قد يعطف على الإيمان بعض شعبه أو أنواعه الرفيعة فيشعر العطف	781
بالمغايرة	7/0
فصل وأما قول القائل هل تكون صفة الإيمان نورا يوقعه الله	789
فى القلب فصل وأما قوله هل يكون الأول حصوله سبب، الأسباب الستى	70.
عصل والله فوله على يموى وول عصوف سبب ، اوسبب المسلمي يحصل بها الإيمان	,,,
فصل وأما قوله فالأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل هل	701
يبدأ بالزهد أو بالعلم أو بالعبادة أو يجمعُ بين ذلك	
المشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير ، إذا ازدحمت	707 , 701
شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر	
الزهد ، الزهد فيه انقسام إلى المزهود فيه وإلى نفس الزهد،من	707 , 707
يذم من الزهاد	
فصل وأما طريق الوصول إلى ذلك فبالاجتهاد في فعل المأمور وترك	
المحظور والاستعانة بالله على ذلك ، معنى احرص على ما ينفعــك	
« وقال فصل وأما الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق » .	777 _ 700
متى بدأ النزاع في هذه المسألة وسببه ، وحكمها	70A - 700
مسألة اللغظ بالقرآن وسماع الصوت به وسبب النزاع في ذلك	777 - 700
سىماع الشسىء ورؤيته يختلف بالإطلاق والتقييد	701 - 70T
النزاع بين أهل السنة والحديث في مسألتي القرآن والإيمان	777 - 701
وسببه ، مراد البخاري ومحمد بن نصر بقولهما الإيمان مخلوق ،	
امتحن البخارى مع أنه لم يخالف أحمد في ذلك	
من الروايات المكذوبة عن أحمد أنه قال لفظى بالقرآن غير مخلوق	700
لا يقال القرآن قديم ، قول السلف لم يزل الله متكلما إذا شاء ،	ירר
معنى ذلك ، أقوال أهل البدع	•
مسألة الجهة والتحيز والجبر والإيمان والاستفصال فيها	ידר , זרר
الواجب على الخلق إثبات ما أثبته الله ونفي ما نفاه والاستفصال	770 , 775
في غير ذلك	1

- ٣٦٦ ٦٧٠ « وقال فصل في الاستثناء في الإيمان ومآخذ من أوجبه أو منعه أو استحمه ».
- ٦٧٠ « سئل عن معنى حديث إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإعان ».
- ۳۷۷ ۱۸۰ « سئل عن معنی حدیث لا بدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر هل هو مختص بالمؤمنين أو بالكفار »
- 7۷۷ ، 7۷۸ الكبر المباين للإيمان لا يدخل صاحبه الجنة وما دونه كسائرالكبائر 7۷۷ ، 7۷۸ قول القائل إن المسلمين يدخلون الجنة بالإسلام ، منصب أهـــل 1۷۹ السنة في فساق أصل الملة
  - ٠٨٠ ٦٨٧ « سئل عن بدعة المرازقة » .
- ۱۸۰ ـ ۱۸۲ عثمان بن مرزوق منتسب إلى أحمه ، وأصحــابه ينتسبون إلى الشافعي ، من قولهم عدم القطع ، شبهتهم
  - ٦٨١ ، ٦٨٢ للناس في الاستثناء ثلاثة أقوال ، أعدلها
- ٦٨٤ ، ٦٨٥ من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين ٠٠٠٠ وعدم اعتقــاد كفاء تهم







( ۱۱۰۰۰ /ي ۲ – ۳ –ج۷ ) (۲) (۱۰)